اہل السنة

المجلد الاول من ترجمة غرائب القرآن

مولفه حسن بن محمد القمی ... نظام الدین نیشاپوری

كتاب التفسير المسمى بغرائب القرآن من تأليف الحسن بن محمد القمي النيسابوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم رغب في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم ناقب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والنوال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي
جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني ذا نفس ابية وهمة علية لا تكاد تدنسها ادناس الا بذكر حبها اغاف سفساف الامور
واعاف الموبقات الموجبات للثبور وامبل عن خوف الدنيا وزبرجها واكبح النفس ان تحوم حول مخرجها ومولجها في النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت
استرسلت وان قدعت تقدعت في الاولى لله السلف الشرنا العيون الى الاماني الفاسدة والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية تاقت
قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم في بيدا عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في
دامادي بومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فنونسهود وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بعضا معبوده فتجلت
لهم الذات وامحت عندهم المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات فلم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم
الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى اسئلك اللهم قدلهم باولئك الكرام توفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك وتممت من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل
فيما اتي واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت اقدام اقلامي على الصدق ولا تقيض ان ينطق في كلام سوى الحق واجعلني بفضلك
ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب فيما لديك بركتني من غيرها بقدر علم مني وبينني من غيرها يوجب ذلك عليك فان افترقت فيما انعمت علي وقد امرت
واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا
يا من لا يوجد في جوده مشوب غرض ولا علة شرفني في الآخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني
بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى لك الثناء في المبدإ والحمد في العقبى دعوتك دعاء البائس الفقير المستعين وتضرع اليك
ابتهل تضرع الذليل المهين المستكين المائل بين يديك مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة
والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين
الى اعلى مدارج الانس الصائرين في الرقي معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين
وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعترف بجاه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت
الافلاك وعلى آله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري
نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد
التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هناك من المتنبي وهذا شان القرآن العظيم
والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المناطيق فضمهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فما بين اوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف
على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالله اذ علموا مبارزتهم الاقران على الاتيان باقصر سورة من
القرآن قال الله تعالى قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وقال أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ
مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وقال وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ درج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة
فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل وصدق

الجزو

انزل عليه كيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال تعالى في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة
ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين الراسخين
والفضلاء والمحققين والائمة المتعمقين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على عجائبه
نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباينت مطامح هممهم وتغايرت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتثنت مقاطر اقلامهم فمن بين
وجيز واوجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان فنعم الحفاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان
عن ازراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل فهو عند ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله
وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط
السبج والزجاج اذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من
العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخوان الاخلاء ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم
عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل
الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم
مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو تائه بشعره ومفتون
كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب
الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق و
الدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا
يحصى ومن الزوائد والفتوى ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين فحاذيت
سياق مرامه واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك قدامه ولقطت عقود نظامه من غير اخلال بالشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف
والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات او رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءة
المعتبرة والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظية والمعنوية مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل الواردة
في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورد هنا من ظن ان تصحيح
القراءات وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن
على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المجانسات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن الكريم اولا مع ترجمته على
وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان
هذا النوع من الترجمة مما لا يكتب به العبارات وتزل المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي او يقف على متن اللغة العربية فضلا عن
الدخيل الزحيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في
التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملام ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل
وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز اختلاف
القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين عم قال قال رسول الله صلعم من قرأ القرآن فاستظهره واحل حلاله
وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه عم ان النبي صلعم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله صلعم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة
قالت قال رسول الله صلعم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و
حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلعم قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه
احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انما مثل صاحب القرآن

مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن
وعن عبد الله عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها في الصحاح
كليهما عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقرائته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله فكدت أساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها
رسول الله صلعم فقلت كذبت فان رسول الله صلعم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله صلعم اني سمعت هذا
يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرأها يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت
ثم قال النبي صلعم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن
نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم
لتعيين ما ننسب في اثناء التفسير الى كل منهم وبالله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة وتمييز نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء
البصري روى عن مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلعم ومات سنة اربع وخمسين ومائة ورواته ثلثة ابو محمد يحيى
بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الكوفي
المعروف بابو قيه (?) وطريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد
طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي و ابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسين بن الحسين
الصواف و عباس بن فضل الانصاري روى عنه ابو عمرو محمد بن عمر روى طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شنبان بن خليفة
هو الاصح واوقيه (?) طريق ابي اسحق ابيه عن ابي عمرو و ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة ورواته بعده ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن
كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة
محمد بن اسحق بن ابي عين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرائفي وطريق ابي القاسم الزيدي وطريق ابي الحسن علي بن الزرانة الطرابيغي
القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بنيد الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي و عبد الله بن فليح عن رجاله
عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل عن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي
وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ و ابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح احمد بن …
عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابي
نجاح طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم الزيدي نافع ابن نعيم المدني قرأ على ابي جعفر القارئ وعلى سبعين من
التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلعم وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة و معتمر بن صالح عن ابن كثير طريق
عبد الله بن مسعود وطريق شعيب بن حرة و اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسين علي بن بشار النحوي وابو
جعفر احمد بن فرج الضرير و ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن الرحيم الاصبهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي و
قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن عباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقرئ وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وطريق ابي القسم
هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد بن محمد بن مرثد
التميمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي عبد الله عامر اليحصبي الشامي قرأ على المغيرة بن
شهاب المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله و ابو محمد عبد الله بن
احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله
المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبد الله وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم
عن الاخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه
البخاري عن الحلواني عن هشام عن طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم هو ابن بهدلة بن ابي النجود الاسدي قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله
وقرأ ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته بعده ابو عمرو حفص
بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان ربيب عاصم روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز
وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري

العمري

البصري وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد الاعشى وله روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني وحماد بن ابي زياد طريق يحيى بن
محمد العليمي الانصاري روى عنه المفضل بن محمد الضبي وروى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى
القطعي وحمزة بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على
النبي وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته ابو اسحق ابرهيم بن زربي طريق ابي المستنير جعفر بن عيسى بن سماء الجوهري عبد الرحمن قلوقا طريق
ابي المستنير ايضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابرهيم بن نصر بن عبد العزيز المقري روى نصير عن عبد الله
المارحي هو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن
هشام بن البزاز طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل
وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي
توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن ابرهيم المقري طريق ابي الفضل العباس بن
الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد بن حمد ابو المنذر نصر بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالدنداني
طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد الازرق المعروف بالجمال ابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن رستم الطبري
طريق بكار بن احمد المقري ابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور وابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي وحمدون
ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب التائب ابو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عمر
بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن علي بن
سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين وثلثة من
رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني وقار موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عن ميناء النحوي
ابو سلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرأ على ابي
المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر وعمر ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب
برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم ابو محمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون
ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سليم على حمزة
ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل
هذا هو المعول عليه من علم القرآن واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القرآت والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية في

المقدمة الثانية

الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قرأها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير
هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قرأها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله مخيرا وقرأ سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ الاية وفي حم السجدة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وروى جبير بن
مطعم ان النبي حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل السميع العليم
بسم الله الرحمن الرحيم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فَإِذَا
قَرَأْتَ اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي
وقد يروى عن حمزة وابن سيرين ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب
فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة ونقل ان الخبر
مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها
لان النبي واظب عليها وقال تعالى فَاتَّبِعُوهُ ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين بوجوبها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ج المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر
وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم
يتكرر بتكرر العلة ولكنها آكد في الاولى ج اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ

به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه
بالعظم اى التجئ الى رحمة الله والتصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما ان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء بالتبري من الشيطان والتصق
برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية وعن دفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى
قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه فاذا تولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب
ان يصير العبد مرتبا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة في
الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس
ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيئ بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده
لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر ولكن من ضل مبتلى في الدنيا فلا
خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن
يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب فانه تعالى ركب كل منها غرضا
بحسب الشخص في العدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور
الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها كذلك
لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل
من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي
وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية
والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه
وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع
والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا
ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله عليه السلام اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة بهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم فاعطى
السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا عليه السلام وقال تعالى قل اعوذ برب الناس فوقي شر النفاثات
في العقد وكفي شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به وهو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فيجيئ في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال عليه السلام اعوذ بك منك واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فنائه عن نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك
البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد
عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر برذونا فطفق
يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل
سيبويه في موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون والمعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما انه تعالى امر الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم
وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله انه هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ثم للتكلم في الجن
والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان
لطيفا لزم ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جسما

برذون بالكسر وفتح الذال ستور ونوعى از اسبان

بحرا وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تع عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس ولحصل
منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الجن اليه مجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لشيوع
الاختلاط كما ذكر وعدمه بالنسبة الى الكثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله ص قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى
ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون
الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليهما مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم
ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على
الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد
يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظة الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة
للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس
وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال ع في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى ع دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه
فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه وقال ع لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال
ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا ع الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية فمن الخواطر ما هو
اصل الاصل للسعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه محط الخواطر بصوابها احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها
او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا و
اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة والفرق بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح
فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى
ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء اذ ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير
وانما يقدم الشيطان على ذلك لعداوة فطرية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تع وبينه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان
ذلك معظم المقاصد فلهذا اخص بالذكر في القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكتة في الاستعاذة الاولى اعوذ بالله
عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ومن عرف نفسه بالقصور
عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الالتجاء
الالتجاء الى الله ليدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته فضل ما اعطي السائلين
فلهذا اختصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو العدو يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك
الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر
فيقول بسم الله الخامسة العبد مامور بمجاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبمجاربة العدو الباطن ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده
الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر يطلب الدين واليقين كما جودين وان غلب العدو الباطن
فكنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا والاخلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السادسة قول الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل على ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلتك فيها
فيهما الطبيعة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من لوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين وقد اليهما بغرور
واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبته معك مع ما فعله معهما فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان اشد احتياجا الى عدد اكثر كان الاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخفى عليه شئ من المكنونات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يفك على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبت الشيطان لحظة لاخذك واخذك الى
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس لتفيد الاستعاذة من هذا الجنس
مطلقا للجنس من جنيا او غيره مردة ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فاخذ من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو وغائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصدك العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل مهمة المسألة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه
متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا جاوروا البيت وكان احياء العرب يأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها واصفاه فكلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان السبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن
مسعود انه قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد سمع ان يقرأ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤا
القرآن على سبعة احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب او عذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لا انه يجوز
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك وكلمات
وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء ونشرها بالراء
والزاي وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في
مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي منها اختلف بها لغات العرب فوجدتها
على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال الحرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتاخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحروف نحو اولم ييأس الذين وافلم يايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن
متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعكس عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل

المقدمة الثالثة

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما قولكم في القراءات التي يختلف بها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه
السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا
تضاد فيه ثم انها تجيء على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض
المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة
اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعذر من نفى مثله عما هو المنزل حتى يرجع الى الصواب ويفرغ الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم
فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين
مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذه
الا بالنقل الظاهر ومن نفى مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ بها يلزمه فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحف احد فيقرأه الربا بالراء
والباء من لم يوف المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير
موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ وتبين ان في علم الله حكم المنسوخ
كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا
ونكل علمه الى الله تعالى وقيل الظهر هو ان يؤمن بظاهرها كما يؤمن بباطنها او قوله ولكل حد ومطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه من امر
او نهي او وعد او وعيد مصعد او ما يترقى منه يفهم كما هو او مقدار من الثواب او العقاب يعاينه في الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء
لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت **المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن** روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل
اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب
قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري
له ورأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت
القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة ثم
ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن
زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه
انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف و
امر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق ويخرق قال زيد بن ثابت فرأيت اصحاب محمد يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي لو وليت لفعلت
في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويتولاها
رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابا بكر مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس
عليه وكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف
واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت آية الا وقد امر رسول
الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن
عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال
جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا
قد جمعوا الها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج
في سرية ثم نزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما
يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير
كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهد ونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون
باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وتجند المهاجرون والانصار اجنادا وتفرقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كاد
خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف **المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك** المصحف مفعل
من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس
بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل
نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل

المقدمة الرابعة

المقدمة الخامسة

وجوه التسمية

على عيسى والزبور المنزل على داود والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء
الطهر والحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شئ فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي
قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اى تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض
ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن
السور والآيات بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق
والباطل والمومن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر عليه القراءة والسورة اسم لآى جمعت وقرنت
بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون
السورة الا معروفة المبتداء معلومة المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهى
الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن ايضا وضع آية الى جنب آية حتى بلغت السورة في عدد الآى المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها
وضعت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اى
شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سور المدينة محيط بساكنها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو
مثل جلة وجلل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسأرت في الاناء سورا اى فضلت ومنه بقية
سؤر الدواب كانها القطعة من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع
معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة
عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لبيانها كلام
المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلفت في وزنها فعلة فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها آية فاستثقلوا التشديد فاتبعوا
الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل ايية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية فاعلة كضاربة
وكان يلزم الياءين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احدى الياءين واما الكلمة فان تراكيبها لم تفيد القوة والشدة وتقاليب
هذه الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد منها مهمل والبواقي معتبرة منها الكلم فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن
بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها الكمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها الكمل ومعنى الشدة في الكمل واضح ومنها اللكم
منه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان وروده مكروها فيحصل نوع شدة عند وروده وايضا انها تدل على شدة منابعها ومنها
ملك الملك العجين اذا انعمت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وقال الله تعالى كلا انها كلمة اما لانه حدث بقوله كن
او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن
كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسي يتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون ان الكلام
لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا بحديث
مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالتمرة واللبنة والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب
وتصغير كلم كليمات الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى ليسمعوا كلام الله ثم يحرفونه
فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ونقصه ولذلك قيل حرف الشئ لطرفه لانه آخره
والقليل منه والحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي
الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو
نصر وينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه
يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزماني الحال والاستقبال لان
قولنا احد الازمنة تحديد لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده من الزمان عرض لغرض الانشاء
ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزماني الحال والاستقبال لان قولنا احد الازمنة تحديد لا دخل في درجات الاقتران ولو سلم باحد الازمنة
فقط فذلك في اصل الوضع لا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا المقدمة السادسة في ان السبع الطول المثاني والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والمسبحات وغيرها فالسبع الطول بضم ومن الطاء مفتوحة الواو وجمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام

المقدمة السادسة

المقدمة

والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول اولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها ثنت
الطول اي تلتها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد اتيناك
سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المئون فهي سبع اولها سورة بني
اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المئون ما يلي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع
الطول من المئون الى الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين
التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت
قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى
بدليل قوله عليه السلام ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القرآن فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسئلك
اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك
والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما
المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها اية كالف اية وافضل المسبحات
سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يعرفون هذه السورة في الجمعة والعيد ويعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان
من النفاق والشرك يقال تقشقش وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال
المعوذات المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحد منها بسم يكتب بالالف وانما حذفت من
بسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا وقد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل مريد امر فامنوا
ان يجهل القاري معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف
وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم في ما اتيكم وفي الانفال لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي
النور في ما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي
الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت
ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه
الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعا كل القرآن الا ثلثة
مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة
بئسما يامركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة
فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول
الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجأ من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج
ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها
اليوم واختلف في يوسف لا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تنصروه
والا تغفر لي وكتب لم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك مهلك القرى في البلدان لم يره احد كتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي
القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة
امن اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي الكهف ام من ياتي امنا وكتب اما موصولا الا في الرعد واما نرينك كتب عما موصولا
الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب الن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه
وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة [illegible] كل ما خبت وفي الملك كل ما القي
فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن
بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك
وفي الروم الى اثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت ربك [illegible] وكتبت النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

الحواميم قال زر بن حبيش رضي الله عنه

المقدمة السابعة

وفي الروم من ما ملكت ايمانكم

على الله

واذكروا

واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها ويعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي
الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرات بالتاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرات عمران وفي يوسف
امرات العزيز تراود فتاها وفيها امرات العزيز الان وفي القصص وقالت امرات فرعون وفي التحريم امرات نوح وامرات لوط وامرات فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا
وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصيت بالتاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء
كل القرآن الا في آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان
ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة
من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حقت كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب
غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب
فطرت وعجزت وقرت عين ومرضات كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف الا
اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يايها الملؤا افتوني يايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتب بالواو
وكتب في البقرة بيصط بالصاد وما سواه بالسين كتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته
بالالف وكتب في اول يوسف وفي الزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القرآن قرانا بالالف وفي يونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعراء
سحار عليم بعد الحاء بالالف وكتب في الذاريات ساحر ومجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله
انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي آخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك
نجي المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنينها بايد فانها كتبت بياءين
والاصل كتب بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القرآن الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سموات بالالف وما سوى
كتب سموات بغير الف وكتب في اول سبا علم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيكم بحرفين بينهما
وكتب رءا بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد راى من ايت ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايت بالياء على الاصل وفي
القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤتي الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا
ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيب دعوة الداع وكتب ثمودا بالالف في حال النصب وهي في اربعة مواضع في هود والفرقان
والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهدي بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا
بالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يبنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل
العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو وبعدها الف كل القرآن الا قوله وما اتيتم من
ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب في يوسف بالالف لدى الحناجر بالياء وكتب ولا اوضعوا خللكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا انتم مؤمنون بزيادة
الف ايضا وكتب ايه المؤمنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها يايها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا
بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل وهما واحد وكتب في الانسان قواريرا بالالف قواريرا من فضة بغير
الف وكتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء
وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات ائنا لتاركوا وما سواها
فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة ائذا بالياء في سائر القرآن اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام
يايتهم انبؤا وفيها انهم فيكم شركؤا وفي حم عسق ام لهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء علمؤا بني اسرائيل بالواو
وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى ما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي
الممتحنة انا برءؤا وكتب جزؤا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك يتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم ولتنوؤا اهلها وتفتؤا تذكر
ويتبوؤا منها وننبؤا الذين وننبؤا الخصم ينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليشعروا انها الهمزة المضموم على
لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من
تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي عسق ومن وراي حجاب وكتب كلما في القرآن من ذو وان الواو بالالف مثل
دعا وعفا وتلا الا دحيها وتليها وطحيها وسجي وما زكى وذوات الياء مكتب بالياء مثل هدي وقضى الا الحوايا ومضا مثل الاولين وجنا الجنتين

فلن تجد لسنت الله تبديلا

بغير ياء وفي الشعراء ائن لنا لاجرا بالياء

المقدمة

دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكلا اثنين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا في قوله
تعالى يحيي وامات واحيي في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة وبالغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على
صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي قد افلح المؤمنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم دائمون على
صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس بغير الف وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف الوقف
عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم بالياء وفي المائدة واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله
بالياء وفي آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب في سبحان الذي لئن اخرتن بغير ياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي
بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم تأتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تأتي السماء بالياء وفي الانعام
وقد هدان بغير ياء وفي هداني بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفي هود فكيدوني جميعا بالياء وفي هود فلا تسئلن بغير ياء وفي الكهف
فلا تسالني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص عسى ربي ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف
واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان الذي وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفي ابراهيم
قل لعبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء
بغير واو وجزؤا وكفؤا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء وملء الارض بحذف باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء وبوادره ما كتب
في الفرقان وعتو عتوا كبيرا بغير الف وفي سبأ والذين سعو بغير الف وفي الحشر والذين تبوؤ الدار بواو من غير الف وفي المعصرات كنت ترابا بغير
الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي آل عمران افائن مات بالياء وفي الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب اثا قلتم ونحوه بالالف وكتب فالذ ائتم
ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ما هيه
باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه فبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة او لغيرها وكتب في سورة النساء فما لهؤلاء القوم وفي الكهف
مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا
منها ما هو انفع للقاري واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد اعتبرناها الا ما شاء الله في كتابة متن القران من مذهب الكتاب كلها بلغنا عمن تقدمنا
من السلف الصالحين والعلماء المتقنين ودونوا انهم وجدوها في الامام كذلك وسنذكرها في مواضعها ان شاء الله وانما كتب هذه الحروف
بعضها على خلاف بعض في الاصل الواحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين
على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع
المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرأ
هو القران الذي انزله الله على نبيه محمد صلعم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال الجماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا
الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلعم وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلعم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك
الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها رأينا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك الا على
وجه احد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القرائتين والله تعالى اعلم المقدمة

المقدمة الثامنة

الثامنة في اقسام الوقف الوقف هو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها لو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص
ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صار وقت الجملة صفة
للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله سبحانه تعالى نفي الايمان واثبات الخداع وفي
نظائر ذلك كثرة يوصل المرء بها الى العثور وعلمها المطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستأنف
مع السين نحو سيقول السفهاء وسيجعل الله بعد عسر يسرا ونحو يعبدونني لا يشركون بي شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجوز فيه طرفا الوصل وبغير السين ثم
والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه
مثله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف للتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم
الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام
ولا يلزم الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور
قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه فهي مواجبه وموافقه كثيرة وسيتلى عليك مواقع
الفصل والوصل في جميع القران مع ما في ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاح
بعد نهاية المفهوم ويكون علامة اللازم م والمطلق ط والجائز ج والمجوز ز وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا ٥ وانما الزمنا والمرخص ص
ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغموض الى حيث قصر البلغاء على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منهما ما تكرر بها

الالفاظ

المقدمة التاسعة

المعنى بالمعنى وانقضاء الجنس بالكل وبالبعض وسينجلي عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيم يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازم الذهني الاول الدلالة المطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى حقيقية صرفة والباقيتان بمشاركة من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما للشخص الانساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر للفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعدده ما اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون بمجرد لا بسبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اول واشد كالوجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة الى السامع في انه متواطي نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطي كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى انضمام اليه من ضم قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابرهيم وموسى وعيسى عليهم او لقب ان يكون لقبا اشهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية ويختص بما في اوله الاب او الام او البنت والابن نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما الجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى به من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على فرد من افرادها الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالمطابقة كلي الطبيعي لجزئياته فهذه تمام الاقسام القسم الاول وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة في المتعدد من مدلولاته بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى اخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان العرف الخاص شرعي ان الشرع وانما بالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان العكس وان نقله لعلاقة فهو يجعل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر وماول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب كذا يحتمل ذات الاركان يحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويسمى المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتاويل اشتقاقه من الاول اي رجع في الاصطلاح كما يقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح زيد فقد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي يجب بذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخرى وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان غير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعالم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير او كان ما عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب في الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل فاما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفضض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي اناملهم

المنقول الشرعي

مجمل القرء والصلوة

ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم ظنا انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء لرفقته ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد وانا اول المسلمين لان الانبياء وقبله كانوا كذلك
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي الدية
يا كلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الاخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريد نفي الدعاء ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
او لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد فكانك
قلت زيد كالاسد في الجرءة فزيد هو مشبها ومشبها به وجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد او عقليين كالعلم
اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والاخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشرة ملزوزة في قرن الحبا والوهميات في قولك نطقت الحال بشيء فهو شبيه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات
كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وحينئذ اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط [illegible] شبه بعين الديك
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كان مثار النقع
فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب وانما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من
النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا
تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الاية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا استعمل على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا كقولك لمن يتردد في امر اتقدم
رجلا وتؤخر اخرى وذلك لان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك
باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام سل انت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه اعني
الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعير يعني به زيدا مثلا في قولك رايت اسدا يرمي في معرض المستعار منه وهو الاسد بالنظر الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما جرى هم على الدعوى ما دام بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يعقب بصفات ملائمة
كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقده موضوع التجريد والترشيح وانما يلحقها التجريد او الترشيح سميت مرشحة نحو شاورت اسدا وافي البراثن محصودا او
فيدنو من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل
يشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب كان المعنى الكلي كالانسان شمول لجزئياته
التي تحته وقولنا على مسميات يخرج المثنى وليدخل في العام المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء يخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر
اشتركت تلك المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل
باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد ضربة [illegible]
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني ادم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فيه والحد
العام والخاص بخلافه وهو ما دل لا على مسميات الى اخره ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدكم واسم الجنس المضاف والمعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما
في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص متصل وهو اربعة اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاء الرجم لا وجود الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخصص بالمنفصل وذلك اما بالعقل
كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما بالحس نحو اوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فخصص

الاية الاخرى وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد ما ويتصور الاطلاق
في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها
من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة ومن تقسيم اخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما
الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذات التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد الثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية
الشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي مطلوبا بامكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي مطلوبا بذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء فهي امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء
والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك فهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا للشيء كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان والحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كما للفقهاء او ما موافقة امر شرعي كالمتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل
التفسيرين سواء حكم الشارع بها او لا والصحة في المعاملات ليس حكما عقليا لانها كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف
الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك
المقصود من ايرادها الان معناه كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه منها مجمل ومبين ومندرج فيها المنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء مدة
الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه والتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي
والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات قد ذكرها في علم التفسير مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة ام
كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها حادثة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم ايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبداهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن فم لها شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فالقران وجود عيني هو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص
ووجود ذهني كما في حفاظ القران ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي هو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القران من حيثيات
هذه الوجودات حادثة بل القران انما يطلق على المحفوظ والمتلو المكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ويجارحة بل العادة لك في الشاهد فقط فالكلام للقديم كما ان قديم نطق وسمع وبصر
الة ولا جارحة كما انه ادراك وعلم من غير ما قوى وعضو من لم يدرك ادراكه كما ينبغي فالعلوم من الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل
وحكمه عدل وهو نور ظاهر ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بها سواء ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية

عشرة في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكما مر
واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبر الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب

المقدمة العاشرة

المقدمة الحادية عشرة

آل شرط ان او شئ ط ومن تراكيب تج م واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما بيان الاشتراك بينهما اي شئ هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم
واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله لاه كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة
الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى ثم ادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من
المحذوف فكانك قلت يا اله لا الله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد والحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه مسألة
من اللغة جاز لانها غيرها من وال شيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله
ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف
مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى وليكون تجنيسا
خطيا وترصيعا واما المعاني فان نقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اي شاني اني اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل
انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد اني على تجدد وهذا القول مني لحظة فلحظة ثابت مستمر لان عوذي مستمر
انما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اهم منه الا الامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبري عن سوى
الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص لانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع
بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكر بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لاطلت
والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان قوله اعوذ معناه التصون ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصون برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي
نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان
الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور
واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم
وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل
واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء اي اللهم اعذني واما انشاء نحو بعت واشتريت
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسائل علم المعاني ايضا واما
ما يتعلق باصول الدين فان يسلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار حليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار
والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق في المقدمة الثانية واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا و
انها يقتضي الفور او يحتمل التراخي واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب في الصلوة ام لا وان استحب فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة ام في
الاولى وحدها ويسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التي نبينها في المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى في شئ من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول في كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة سبع كذا وكذا وروى
كل قراءة من هم وما منشأ كل قراءة وفي اللغة ان واضعها من هو وكيف نشأت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة احوال
الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما اصل الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحروف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف وغير منصرف ومبنى
وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هي وكل منها يختص باي شئ من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف
ما يختص واصناف الفعل كم هي واصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكتة مخصوصة بهذه
المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد انه محال شنيع اذ
يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب
الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها او فسر بما هو مباين عنه كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاعتساف
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سوء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على
سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية لا لافادة بل ايضاحا او بحد الضرورة ومقدار الواجب كالشرح انها في

المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئاً بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحوها وقد آثرنا الاتيان
بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغماً ابو عمرو
وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فالهم ومخرج واحد مثل قالت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد
جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكناً مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى
بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفاً نحو حالكم ومس سقر او منقوصاً مثل ما كنت ترابا ويعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا
قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار
اخف من الادغام نحو فانت تهدى فانت تسمع وعن يعقوب ادغام المتجانسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي حمزة هنا وفي جميع
القرآن حمزة ويعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن
حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش بضم الميم عند الالف القطع فقط نحو ءانذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة
بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط للعدول عن الغائب الى المخاطب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل
او الصفة الضالين ه التفسير روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل و
المسموع وترك الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة قد فسروا القرآن واختلفوا
في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعاً كالتنزيل
فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج
على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس
على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما
كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب
القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار
بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه
في ظاهر التفسير اولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بما ظلموا
وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم فما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى
الديانة ان لا يأول المسلم شيئاً من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل له الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار و
الصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى و
رموزاً ولطائف بحسب ما يكوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئاً في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم
الحق وهو غيب الغيب ما خلق في العالمين شيئاً الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه
من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفرس لانه يكشف عن وجوه الحوائج ومنه السرح لانه ينكشف عن المرح والرفس لانه يكشف عن عضو
وانكشاف حال المقيد في سفاهته واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بالصرف او النحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم
كما اشرنا الى ذلك في آخر المقدمة العاشرة ومنها اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد نص القرآن مع الترجمة والقراءة ثم الوقوف
ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير نذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فلنشتغل
بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدراً وانه يكون فعلاً او اسماً فيه رائحة
الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدماً او مؤخراً نحو ابدأ بسم الله او بسم الله ابدأ ونحو ابتدائي بسم الله او بسم الله ابتدائي والابتداء
وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يكون مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل
انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ واتلو وابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح ونظيره فى حذف متعلق الجار قولهم فى الدعاء للعروس بالرفاء والبنين اى بالرفاء اعرست
وتقدير المحذوف متاخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله ادخل فى التعظيم ولان ما هو السابق فى الوجود يستحق
السبق فى الذكر ولهذا قال المحققون ما رايت شيئا الا ورايت الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل وانما قدم الفعل فى اقرأ هناك لانها اول سورة نزلت وكان
الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثانى وذكر فى معنى تعلق اسم الله
بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم فى قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره قال عم كل امر ذى بال لم يبدأ
فيه ببسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن اى متبركا باسم الله اقرأ كما فى قوله بالرفاء والبنين اى اعرست متلبسا
بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل فى العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالالة خروج عن الادب لان الالة من حيث انها الة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شئ واقدم
وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه كيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره ثم انهم استحسنوا تفخيم الكلام
تغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات فى الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة
تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل فى الثواب وهذا كما جاء فى التورية احبب ربك بكل قلبك واما الثانى فلان النقل من
الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما لم يعد اللام الغليظة حرفا اخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة
الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يقع عقيب الكسرة وعدم اطراد
الطاء مكان كل دال التاسعة طولوا الباء من بسم الله ما الذى لاجل هيئة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين دوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض فى الصورة
فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه العاشرة ابقوا لام التعريف فى
الخط على اصله فى لفظ الله كما فى سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة فى الصورة عند الكتابة ولئلا
تشبه اللات فى الكتابة قال اهل الاشارة الاصل فى قولنا الله الالاه وهى ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة فى اللفظ الف ولامان وهاء فالهمزة
من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا فى مقامات العبودية
حتى اذا وصل الى اخر مراتب الوسع والطاقة ودخل فى عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهى الى الفناء فى بحر التوحيد كما قيل
النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز فى الخط ولو كتب لكان احسن الحادى عشرة الاسم احد الاسماء العشرة التى
بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين فى الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمى وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه
من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف فى العلو منه
فهو عال عليه حذف عجزه كما فى يد ودم فبقى حرفان اولهما متحرك والثانى ساكن فلما حرك الساكن للاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة
الوصل اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال
باسم الذى فى كل سورة سمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة
المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما الثانية عشرة قال بعض المتكلمين منهم الاشعرى ان الاسم غير المسمى وغير التسمية
وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفى ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التى لم توضع لها اسماء ولان
الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم
اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمتضايفان متغايران لا محالة ولا يشكل بتضايف العالم بنفسه
لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هى اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه يلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة فى اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك
والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغى وايضا قد يراد بلفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التى يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا
وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه
قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا الثالثة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف
رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشئ من
الاشياء فى زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

والرقيقة حرام

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وانه الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس ولا ظهر ان الاسماء للماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب السبق في الذكر الثامنة اقسام الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع عليه بحسب صفات على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات التاسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم بخصوص ذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي تدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك
ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا الا ان يقال كونه غير حقيقته اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك لان الذكر اشرف لا نكارة لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلذا اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لا يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لقوله الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من قال انه الحي القيوم لقوله صلعم لابي بن كعب حين قال له ما اعظم آية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلعم ليهنك العلم يا ابا المنذر ورد بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة لانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث
اصل والصفات مبنية عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرء عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند
الاكثرين لقوله تعالى قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خبر من لا شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه لانه يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال الله تعالى تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ وقال صلعم كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك حقيقتك ومنها الشخص غير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال من قائل اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وليس المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره واذ لا ظهور
والظهارة فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ويخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسنذكر ما يتعلق بتمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو محقق بقوله الامور وصلحها ما كان منها خاطئو منها الصورة وقد ورد في الحديث ان الله خلق آدم على

والكيفيات الوجود مع

لم يعنه ما انتشر الكيفية المضرة واما نحو

لا الظهار نحو الظهور ونحو

سورة الحمد

صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة ولعله

وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه

على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة

التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس كما ذكرنا في رسائلنا ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى

موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به لاستغنائه عن المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته

وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن لا اذن الشرعي حيث لم يرد بذلك فوجب الامتناع عنه

ومنها الجسم ولا يطلق عليه لا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه

موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته

الدال عليه لفظ اما ولا باس باطلاقهما عليه ذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم

اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقابل بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب

ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر حق وصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات

المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادف الازلي ويراد بهما ما لا اول

له في الطرف الماضي كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد لتوالي التعاقب زيدت الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ

انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض وكلا

ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال

تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده

واما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو يمتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي معناه خود اي بنفسه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان

الله عليما حكيما وفي بعض الادعية الماثورة عن النبي صلعم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان

يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء لشيء والاول يتم

باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم

وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود والكيفيات الوجودية فالفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل

هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود

لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب لذاته وبين كونه صفة للغير فان الصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة

موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة

كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود وحجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم

انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات

الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية

العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها

يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان

واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو

الافضل ولهذا امدح الله تعالى نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية

فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل

الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت

حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية

موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعالى

معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال بانها المسبح بكل لسان وبانها الممدوح عند كل انسان وبانها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا

النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا

مثل الموجد معناه المؤثر في الوجود المحدث وهو اخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد المنشئ ومعناه ينشئ على

التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف ما والخلق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع

کونه خليفة

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برأ القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شئ
بعينه وانها كادت تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم
سمى ضارا واذا خلق الحيوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا خصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا قلل العطا
سمى قابضا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء فى
المال سمى قابضا باسطا واذا حصلا فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شئ غيره تعالى فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك ما راجع الى اضداد العلم كنفى النوم لا تاخذه سنة ولا نوم
وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة فلكونه منزها فى افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج فى فعله الى الآلات
وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهى قدرته ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد و
الاضداد ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين لا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير او لا يغلبه شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب
المسئ مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك
والمليك والقوى ذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شئ
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك بتأويل امة او جماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انها ادراك حقائق الاشياء كما هى وتباينه بانها صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطف
تدبيره بايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والحفيظ انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدى ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى صادر منه الانعام لهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر اننى معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذى يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحسب الدلائل باطن
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على
غير الله واما الله فسيأتى انه اسم علم وقد بقى منها اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا فى المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون
موجود خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى اخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى
بحسب الجثة والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان نستمد فى ادراكها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة فالغرض قائل اننى انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء

ارادة

ارادته في ادائه وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الامر العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل يا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب ما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته ويطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك وهي صفات الجلال كانه جسم لا جوهر ولا عرض ولا في المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام لكونه مربيا
للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى كبسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما لك الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو ومعناه كل شيء هالك في قوله لا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله الثاني فناء في الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقية
مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا قال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستفتيا فلولا ان اسمائه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات
فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرا بضم التاء والتعجب حالة للقلب يعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال
امور توجد معها في البداية وآثار توجد منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم سخونة مزاجه والاثر الحاصل منها ايصال الضرر
الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة آلاف اسم
منها في القرآن والاخبار والالف في التوراة والالف في الانجيل والالف في الزبور وقد يقال الف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي
والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم اذكارا غير
معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كاتبها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد
وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل في التاثير من قراءة تلك المجهولات لان
اكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس ويلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق انوار
ولهذا قد ورد رب تال للقرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرؤا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتاثر نفوسهم
ويؤثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد
بالاربعين مرة بعد ان تمادى عليه مصلحته ثم يقرا عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان راه عديم التاثر عند قراءتها عليه قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان راه تاثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات ينفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث
لا تستولي على الانسان ولهذا قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته ومر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعى الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه انه
كان هذا العبد عاصيا وكان امرأته حبلى فولدت وربت له حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه
بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثامنة عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال
اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك التاسعة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا
والزبانية تسعة عشرة فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات
في خمس ساعات فبقي التسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشرة حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر
ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشر مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل و
العذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلعم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن علي رض قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلعم اول ما انزلت
هذه الاية على ادم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قرائتها ثم رفعت فانزلت على ابرهيم عم فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم يأتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلعم قال يا ابا هريرة اذا توضأت
فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك الرحمن الرحيم
يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتبت لك الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه
ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلعم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني ادم اذا نزعوا ثيابهم
ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي الاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين
الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى
مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم ؛ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ؛ هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ابحاث
مسائل الاولى في اسماء هذه السورة فهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف
وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القران وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان
اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القران لانها اصل القران واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر
والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات
ولان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ولانها افضل سور القران كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان و
اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع
ايات ولانها تثنى في كل صلوة ولان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها الاخر عطاء الرب للعبد ولانها مستثناة لهذه الامة قال صلعم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقران العظيم او لانها اثنية وهي مدائح لله تعالى الخامس
الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلعم ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله صلعم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم الثامن الاساس لانها اول سور القران فهو كالاساس او لانها تشتمل على اساس العبادات
والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القران واساس القران فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلعم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء باعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة
لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السؤال كانه قال فابدا بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب رض
انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأ مجاهد في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلعم
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل بالقران وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني
ولا يسعنا القول بان رسول الله صلعم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب قد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد
فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم هو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم

لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو الظمى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات النار وعذابها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية ابرهيم احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وما يدل على ان اصله النصب قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم وكأنه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فالحمد ابو بكر مثلا لا يدخل فيه وانما نحو الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام والرب المالك ربه يربه فهو رب مصدر وصف للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار رجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير الحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به في الاية الوقت لعدم الشمس ثمه والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وح لا تعمل فيكون الاضافة حقيقة وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك نعتا ونصبا وجرا اياضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف لخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وفي حكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء وآياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال الطفيل فهياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه اهدنا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدى للذي يساق الى الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم فائدته التوكيد كقولك هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وكل ما في القران من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق قال ائذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر تقول انا زيد غير ضارب كما تقول انا زيد لا ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جان وآمين مدا وقصرا معناه استجب كما ان رويد معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه عم واظب طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه ولقوله واقيموا الصلوة ومعناه الصلوة التي اتى بها الرسول صلعم وكان يقرأ الفاتحة

فيها فيجب وايضا روي في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وكل صلوة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان
رجلا دخل المسجد فصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله فقال اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر
الامر للوجوب لا سيما في معرض التعليم وايضا فالخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا
المواظبة على قراءة الفاتحة يوجب الحجر عن سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها واجبة حجة ابي حنيفة فاقرءوا ما تيسر من القرآن
قلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرأ آية واحدة كفت مثل الم وحم والطور ومدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من
قراءة ثلث آيات او آية واحدة طويلة مثل آية الدين البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤها على انها آية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روي عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلعم فاتحة الكتاب فقال بسم الله
الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم
آية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال فاتحة الكتاب
سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلعم الا اخبرك باية لم تنزل
على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلعم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده
عن علي بن ابي طالب رضه انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص في صلوته و
باسناده عن ابن عباس رضه في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك
من ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا آمين
ايضا قال صلعم لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلعم ومعلوم انها ليست آية تامة في قوله انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم فيكون آية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء واجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة
بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت
الكتاب قرأت التسمية فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله
الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب ان نعتقد كونه من القرآن مثل فباي آلاء ربكما
وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى آخره قالوا لم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فا
لترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم يعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلث آيات ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك
نستعين الى آخر السورة اما اذا قلنا التسمية آية صار القسم الاول اربع آيات ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد انعمت
عليهم وهذا اولى غاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ويختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الهداية الى صراط المنعم عليهم لا
يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا
بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة ان النبي صلعم كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرأ فلان الحمد لله الذي
خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القرآن فان قيل اذا عد التسمية
آية من كل سورة على ما يروى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله فما وجه ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلعم قال
في سورة الملك انها ثلثون آية وفي الكوثر انها ثلث آيات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك
غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين آية تامة وفي قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض آية واما ان يراد ما هو خاصة
الكوثر ثلث آيات فان التسمية كالشيء المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها في كل
ركعة ابو حنيفة ليست باية ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي يجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من

الفاتحة والقرآن لا يفصل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بتلك ايضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به دعا
لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والسر مما يلوح بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال ص طوبى
لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب ع يقول يا من ذكره شرف الذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت
هذا منه تواترا ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى لقوله ص اللهم ادر الحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله ص يجهر في الصلوة
ببسم الله الرحمن الرحيم عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى عن الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين
التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان مقررا عند
كل الصحابة لم يجسروا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله ص وخلف ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا
يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن
الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام قد صليت خلف ابي بكر فقال
الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض
بما يروى عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله ص وابا بكر و
عمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ايضا انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى الاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة
واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وايضا ففيها تهمة اخرى وهي ان عليا ع كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية
بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن ابي طالب ع فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي ص كان يقدم
اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اعلم حالا من انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه
ماكان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل
العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن ابي طالب ع كما مر البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل
الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم يصح صلوته لنا قوله ص توضأ كما امر الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب
والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم
الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل
من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب قال بسم الله واذا اعطى واخذ قال بسم الله و
يستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر احواله
من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لا
يكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد انها كافية
في حق العاجز لا القادر لنا انه والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرأوا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز
قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روى عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان تضع آية الرحمة مكان آية
العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ
ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة فيها لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها
قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل البحث السادس قال الشافعي في القول الجديد تجب قراءة الفاتحة على المقتدي
سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم يجب في السر لا في الجهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل
حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا
الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن ايضا وقراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوزون تركها ويبطلها عدم القراءة
عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وباخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول ما
القرآن مخصوص بغير الفاتحة لما مر والاخبار ضعيفة كما ذكره الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه
احوط البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم
الصحابة لانه ص كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا

وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين

الجزء الأول

ان تقرأ فاتحة الكتاب في كل فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة اصلا وقيل تجب في كل صلوة ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة ولعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر ان لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القران ثم ذكر من الاذكار ثم وقف بقدرها فان لم يعلم قرأ ما لم يفرغ منه البحث الحادي عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القران الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لان انكار المتواتر كيف يليق بحاله

الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة آلائه وانواع آلائه على عبيده وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان اكمل فان قيل اليس المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز من الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما لا يستطيعه وذلك ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا ونقل ان داود ع قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك او بعد عن النبي اذا انعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه انه اذا انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه فالمحامد التي اتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد المؤبد طاعات
غير متناهية فلابد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لاشك ان الوجود خير من العدم وان
وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق و
على كل محدث حدث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها ملك لا شريك لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية بالتحميد و
الجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون
محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا اذا كان
غنيا في ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والآفات السابعة الحمد لله تعلق
بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك
ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها
ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحترقت دكاكين
الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة
فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث
هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب
العالمين واخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك
واخرها مقرونا بكلمة واحدة العاشرة لا يحسن عندنا ان يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه
اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية
على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك و
شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم
لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر
المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه
ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار و
العبادات انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى يتجازى بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى جنابه
في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم لكونه
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي
كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض
بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي
والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح جنسين وهي اما سفلية خيرة كالجن او شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال عليه السلام ما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى
الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو رب العالمين من حيث تربيتها حال استقرارها فالكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات تعالى
كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين
غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب والحمية وذلك والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا
يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في حقه تلبس بسبب التربية والارادة ولا اختلال بسبب الملحين في الدعاء ويزيد
في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كرمه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما ويحيي كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فا
نبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة انه لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين ليعلمنا
ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم اتبعه
كانه يقول عبدي سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد فانت تحمد من كان لك ربا غيره فانصف ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب لانه روى في الخبر ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاول
الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد فانا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب للمهم اليسير من الرجل اليسير فكان
الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني
شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالدة اذا اهملت حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان
وعكسه حال من يقطع يده تنبيها لاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة او التأدب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة
ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة عطف مريم عليها رحمة ونجعله آية للناس ورحمة
منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة
وصف النبي عليه السلام بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر سنه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدك فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية
والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فيستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت
ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب
ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا
يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح وركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع
الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل
العقرب الى الافعى فلدغها والافعى ايضا لدغها وماتتا معا وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض
يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه تنفرا حتى اذا خرج الى ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروى ان فتى قرب وفاته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي عليه السلام واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال عليه السلام اما كان يصلي
اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والديه قالوا نعم فقال هاتوا بامه فجاءت بعجوزة عوراء فقال النبي عليه السلام هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو
لانه لطمني ففقأ عيني فقال عليه السلام هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال عليه السلام احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت
عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت
رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال عليه السلام ان الله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى ان مقتضى العدالة
الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روى انه يجاء برجل
يوم القيمة وينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فيأتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله تعالى
الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تأخذني سنة ولا
نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته فيأتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم
ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم يطرح فى النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثانى فى القيمة يكون ولا مالك
الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر فى المالكية اكثر منه فى الملكية
الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة المالك وان لا يشتغل الا بامر الآمر باذنه حتى انه لا
يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا ايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك قصر ومالك يلزم منه تطويل الامل (ملك الناس)
فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب
صومه بخلاف ما لو نوى فى النهار صوم الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة مالك ارجى من قراءة الملك لان اقصى
ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا برأس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادى
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه الملك لا يأخذ
من العسكر الا كل قوى صحيح ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رأفة ورحمة
واحتياجنا الى الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه فى الدنيا ملك المملوك قل اللهم مالك الملك تؤتى
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفى الآخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فانا اعطاك عشرة اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين
قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه
ظل الله فى الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة سبب صلاح
المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفى
الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلاحظة الملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون
عادلا ومن هنا يظهر البركة فى العالم او ترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
عليه العطش فرأى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبى هناك اعطنى رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان يأخذ ذلك
البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبى اعطنى رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبى لم صار الرمان
هكذا فقال الصبى فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان فى قلبه ثم قال للصبى اعطنى رمانة اخرى فعصرها فوجدها
اطيب من الاولى فقال للصبى لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبى مطابقة لاحوال قلبه تاب بالكلية
فكان من ميامن عدله ان ورد فى تحقيق قول نبينا ولدت فى زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين
ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص باحد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتأتى
الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ فى كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن
القيمة غير موجودة فينبغى ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا
لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به فى الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم فى الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال
الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا
خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وذلك لان لصفة لطفه صفة قهره كما ينبغى لكل صفة مظهر ولا يسأل عما يفعل لان كل
سؤال يتقلب فهو باطل الخامسة فى هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر
الرحمن الرحيم مرة فى التسمية ومرة فى السورة تأكيد يدل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين
كيلا يغتر بهما ونظيره غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب السادسة المدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا فى ذاته
وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا فى المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال
الذاتى فاحمدونى فانى انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان

كنتم تعطلون وهبه عن العقاب فانا مالك يوم الدين الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا
سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص به تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام
وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا و
كان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار — وجعلنا
والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى اخره مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع
ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع
للعبد في شيء من حوائجه الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك
من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بامتناع تاثيرها فوجب طرح المشكوك والاخذ
باليقين فلا معبود بحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف
الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة
غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى
لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين من الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع
الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا الاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى اولا يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه
كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة تطلع لجلال الله
من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بدأ بالعبادة قد يصل ابليس قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس
اما اذا غير هذا الترتيب قال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر
وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية
عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي عبدا لي جعلناك امة ان ابرهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد
كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها
ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال عليه السلام التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل — الجماعة
الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر
من ذلك ايذاء للمسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون
بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين — الحمد لله
ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها
ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل
وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد
الكل وليس له ان يقبل البعض ويرد البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها
لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها — السموات
الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لادائها
من الجانب الاخر قال بعض الصحابة رايت اعرابيا اتى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا
فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده و
سلم الناقة اليه قال عليه السلام لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم
الغرور الى دار السرور وكون من الخلق لحضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق
الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين شرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد
فليقرأ قوله تعالى فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان جمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب العابد الواجد
وقد يجد الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلث درجات

فيه تسهيل الامر الثقيل عند حضور المعشوق

قصة دخول الاعرابي المسجد فاقتطعت ناقته

لانه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى
ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل يعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا
تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال
الله بم اجاب العابد فقال الله اعلم يا رب بما قال كذا وكذا فقال الله تعالى اليه فقل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك والتحقيق ان اثبات ادرج
نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدر المؤمنين ولهذا عاقبة حال المتفكرين
قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عليه بذلك ولما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فبالعبودية اشرف من الرسالة لان بالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال اشرفنا التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلائق يطلبون ذلك
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد في الطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويد الضرورة مدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل بالغ
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فنستعين في ان الاستعانة على العمل انما يحسن
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب والجواب كانه يقول شرعت في العبادة
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان قيل لا استعانة مطلقة يتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه
جبرئيل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقبل بجملته
عن الشيء وبدله عن البطش ولسانه عن القراءة والذكر فكما ان الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك يقول لنار جهنم جزء المؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك
نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فان انتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه
ربا رحمانا رحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فبدايتها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا
تم الوفاء بالعهدين ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
باني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت فاعتبك رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته ورحمته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب دل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها
ان الدعاء بالحضور اولى كما ان الثناء في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عم ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب زدني علما رب لا
تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل
تلك القربة فنقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس واما العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال
الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا
وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد
ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل
ما يعبدون من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى ههنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل الحاصل
والجواب ان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا كان يضرب في كل يوم مرات
بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون والثاني ان لكل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط فهما مذمومان والحق هو الوسط
والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين
الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في
مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود
وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء
والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة
الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن
وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة
وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقيادا لاوامرهم ونواهيهم والتقوى
تكمل هذه المعاني وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق بالبدن فكمال التوسط في النطقية
ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك لينفضي الى تحصيل سعادة الدارين ايضا العلم
العظيم يقبل الزيادة بمعنى توصلا وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات
الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل
فكانه يقول عرفنا يا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك دائما قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء
وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان يذبح
انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى منصب امتثل كموسى مع الخضر وعن خباب
قال شكونا الى الرسول صلعم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال صلعم قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر
له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه
وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا الغول في شهوتي والغضب في الاعتقادات
والامر والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا
اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة
ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا اسدي الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا انزل بي القضاء ركبت مركب
الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن
او الاسلام ولكن يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قران ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقواعدها كما
قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزل ومهتد يضل وفي
في اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير للصراط الذي هو الجسر الممدود في طرفي جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره ووروده وقلنا
انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب لهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن
جميع المسلمين فاياك ان تترك قولك وعن جماعة المسلمين فان كان وضع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص
بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه دعوة لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاءه في
البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثم ورد في السنة ان يصلي على النبي صلعم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب
البتة لانه في حق النبي صلعم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة والرواية قال صلعم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قال يا رسول الله ومن لنا بتلك

البقرة ل يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة
الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت
عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة
وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيْقًا
الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوج
بعضها ابعد في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط
المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما
بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعيته ذلك الانعام فيه والنعم
الواصلة الينا بطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون
الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة
لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء
على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه لا يستعمل الحلواء كما ينبغي فسد مزاجه بالحلواء
ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم
امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله
فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل ومن ذلك القبول يستاهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا
في النار فان من شرفه الله تعالى بما عظم الانعام لم يعاقبه بما شدد الالام فالانعام الاول الاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن
ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما اشنع
تسميته الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في
كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان
الغضب لزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مهتم بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فضل
عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا بعد ان
نجيهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
لذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة روى عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال غير
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن
سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم
امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوسطها الثانية لا تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او عقد
يخالف الحق الا لكان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان
يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء و
الخوف كما قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الاية يدل على الخوف فيكمل

الفاتحة من نور الثالث عشر المنهج الاول

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة بمجموعها وفيه مناهج المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع
والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والا كان كسراب بقيعة وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة
ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع
في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون
بينهما مقابلات ومجانسة وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة
البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا
واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك
الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان
هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن
الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا
اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها
انت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلعم في عالم الروحانيات
عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار
من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلعم الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي

المنهج الثاني

ياتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية ولهذا
قال فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى
فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله
ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم
الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست
في بني ادم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله
تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس وروي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس ولو كنت الها ما جهلت
فلما دخل قال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة ثم نقول الاسماء الثلثة في التسمية

في بيان ان الفاتحة السبع تكفي بدفع الاخلاق السبعة

دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان
الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا الهوى ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان
منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال
البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد
وبخله فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال
كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا
قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتايج
والشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتايج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة
وههنا دقيقة يتعلق بالرب والملك والاله وهي التي بها ختم القرآن عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس
وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما

المنهج الثالث

يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب
العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بالخلق على الاله
كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كانها في نفسها

دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان علم
فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فهو كان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا

المنهج الرابع

الصراط المستقيم الى آخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بين
القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب
عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج
الرابع قال تع حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق رعاية لهذا العهد وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تع هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفا
بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تع فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تع في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تع غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فيحمد الله اكثر فيحمد الله تع اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تع
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وترهيبه العالمين انه اقر بقلبه ولسانه بكرم احسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدل ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عبادة ولا
شك ان غايته ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف ولا يحسب الظالم في ظلمه انه امله القادر واهمله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين فالله
بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تع واشار
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه و
السجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله للالصاق اي باسم الله حصل قيامي وبقعودي التسمية لبداية
الامور وكل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر والقيام ابتداء اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر
الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لان الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان
الركوع متوسط بين القيام والسجود وليقصد ذكر النعم الكثيرة مما يشعل الظاهر فيحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله
بالركوع فالله توجه عنه ان يرده الى الانتصاب لهذا قال عم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

المنهج الخامس

السجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة الاولى وقوله واياك نستعين استعانة بالله فى ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات كما ان محمدا عم قرأها فى معراجه فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس آيات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسرى الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسرى الى هذه المراتب فيحصل فى القلب نور على نور ثم ينعكس الى الوجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان لرسول الله عم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا فى عالم الحس واما فى عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد عم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه فى نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بعالم الجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم فى خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون هكذا يتصاعد الى ان ينتهى الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا عم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه بتحفة امته الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالافعال والروحانى بالاذكار فليكن المصلى ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالوادى المقدس طوى وايضا فى عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد فلم يفارقه فى الدنيا وفى القبر ويكون معه فى القيامة وفى الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم فى الدنيا والآخرة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اى من كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفى هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل فى القدم وحقيقة الابد فى البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة فى القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذى لا كامل الا هو وفى الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد ايها المصلى الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد عم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهى معراج الخليل عم وقولك ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى معراج الحبيب محمد عم فقد جمع المصلى بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفى هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعونى استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى آخره يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فتهب نفحات المعارف الربانية تفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلوة واما الجسمانى فاولى المراتب ان يقوم بين يدى الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهى ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجهد فى ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلا بد ان تجعلها منحنية بالركوع حتى ثم تركها المستقيم مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية العلو وقل سبحان ربى الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الهوى الداعى الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات

بالجنان

بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد صلى الله عليه وآله فيتلاقى الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وآله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فيقال ان محمدا الذي هداك اي شيء هديتك له فقل اللهم صل على محمد وآل محمد فيقال لك ان ابرهيم عليه السلام هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم في العالمين فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا اليك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن في عظم العلو في جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدء ولا لاستقراره منزل فالاول والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء رداي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال تبارك الله ذو الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس والارجاس واولى المراتب التطهر من الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والآخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى اعماله وهو مقام الاخلاص ثم الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر من الكل كما مر ومن ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي صلى الله عليه وآله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق واوهامهم كما قال علي بن ابي طالب عليه السلام التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تبصر فيها عجائب الدنيا والآخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الآخرة فبالحمد قامت الآخرة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوافل واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فاعلم انك قد بلغت الغايات بل علا الى الاقرار بالعجز والكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سئلتها لغيرك وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه خرقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى طرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربي الاعلى اما فوائد السجدتين فالاولى للازل والثانية للابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالاولى انه لا اول له فتسجد له وبالثانية انه لا آخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الآخرة والثانية فناء الآخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية بقاؤها ببقائه تعالى وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته وسجدة الخوف بما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فقوا السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب لوجود الآخذ من الوحدة الى الكثرة

معنى التشهد

في تعظيم المخلوقات

ورب العرش

فاقم في مراتب التوجه

واذا قلت الرحمن الرحيم

في تعبير فاتحة الكتاب

والثانية

ومن الفردية الى الزوجية وآية الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة
وفي السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في اللطائف عن النبي صلعم ان ابرهيم عم سئل ربه فقال ما جزاء من حمدك
فقال تع الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته قال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل جنته وآخر دعواهم ان الحمد لله رب في خبر
العالمين وعن علي عم ان اول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب عزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك
ونقل عن ادم عم لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تع فاتحة كتابه بانها اول
كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله صلعم وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك فوضع
الحمد لرسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد احمد عند هذا قال عم انا في السماء احمد وفي الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تع الأرض
في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله صلعم محمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالنعمة والرحمة فلما كان
الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعم والرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي ه اخرى لطيفة ان رسول الله صلعم اسمه احمد اي اكثر الحامدين قال
حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين ه اخرى ان من اسماء رسول الله سوى اسمه محمد واحمد الحامد والحماد
والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تع نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقوله نبئ قلنا
الى محمد هو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفتا الله فالعبد يمشي يوم القيمة
وقدامه الرسول صلعم مع خمسة اسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من اسماء الله تع تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحمة الله تع غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة ه اخرى لطيفة
في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية
طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا
الاستقامة يا رحيم وافض علينا سبحانك فضلك يا مالك ه اخرى لطيفة الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية
ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمأن اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان
وانقاد لطاعة الديان وارعوى وتاب من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ
الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان القهر بالمالكية مصغر
لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا ان فلما كانت هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران
وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة
فقال اهدنا الصراط المستقيم والجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة العلوية فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ه اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلي نور اسم الله ومن تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربى بما امر على الصلوة
وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع
الفقراء فيطعمهم يحكى ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع فضيلة في ذلك
حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات عند الموت ليسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة ه اخرى الحواس خمس
ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت غلط
ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس ه اخرى الشطر الاول من الفاتحة
مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسرار الى
تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته وتقريبه للاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة
فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف ذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله
لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت
نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة
اعاذنا الله منها ه اخرى التجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذ

فهابهو

نہایۃ الاحوال و یدل علیہا اسم اللہ و تجلی الصفات و ہو فی اواسط الاحوال یکون للاولیاء و اولی الالباب الذین یتفکرون فی خلق السموات والارض ربنا ما خلقت ہذا باطلا و یدل علیہ اسم الرحمن و تجلی الافعال و الآیات و ہو فی بدایۃ الاحوال یکون لعامۃ العباد الذی جعل لکم الارض مہدا و سلک لکم فیہا سبلا و انزل من السماء ماء فاخرجنا بہ ازواجا من نبات شتی کلوا وارعوا انعامکم ان فی ذلک لآیات لاولی النہی و یدل علیہ لفظ الرحیم ربنا وسعت کل شیء رحمۃ و علما ٥ اخری فی الفاتحۃ کلمتان مضافتان الی اسم اللہ بسم اللہ والحمد للہ بسم اللہ لبدایۃ الامور والحمد للہ لخواتیم الامور لبسم اللہ ذکر والحمد للہ شکر بسم اللہ استحق الرحمۃ رحمن الدنیا و بالحمد للہ استحق رحمۃ اخری رحیم الآخرۃ و کلمتان اضیف الیہما اسمان للہ رب العالمین مالک یوم الدین فالربوبیۃ لبدایۃ حالہم الست بربکم قالوا بلی والملک لنہایۃ حالہم لمن الملک الیوم للہ الواحد القہار و بینہما اسمان مطلقان لوسط حالہم الراحمون یرحمہم الرحمن ارحموا من فی الارض یرحمکم من فی السماء المنہج العاشر للخلق خمس احوال اولہا الایجاد والتکوین والابداع و یدل علیہ اسم اللہ و ثانیہا التربیۃ فی مصالح الدنیا و یدل علیہ اسم الرب و ثالثہا التربیۃ فی معرفۃ المبدأ و یدل علیہ اسم الرحمن و رابعہا فی معرفۃ المعاد و یدل علیہ اسم الرحیم کی یقدم علی ما ینبغی و یحجم عما لا ینبغی و خامسہا نقل الارواح من عالم الاجساد الی المعاد و یدل علیہ اسم مالک یوم الدین ثم ان العبد اذا انتفع بہذہ الاسماء صار من اہل المشاہدۃ فقال ایاک نعبد لانک انت اللہ الخالق و ایاک نستعین لانک الرب الرزاق ایاک نعبد لانک الرحمن و ایاک نستعین لانک الرحیم ایاک نعبد لانک الملک ایاک نستعین لانک المالک نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الی دار السرور ولا بد من زاد و خیر الزاد العبادۃ و ایاک نستعین لان الذی نکتسب بقوتنا و قدرتنا لا یکفینا فان السفر طویل والزاد قلیل ثم اذا حصل الزاد ما اعاننک فالشقۃ شاسعۃ والطرق کثیرۃ فلا طریق الا ان یطلب الطریق ممن ہو بارشاد السالکین حقیق اہدنا الصراط المستقیم ثم انہ لا بد للسالک الطریق الطویل من رفیق و دلیل صراط الذین انعمت علیہم فالانبیاء ادلاء والصدیقون والشہداء والصالحون رفقاء غیر المغضوب علیہم ولا الضالین لان الحجب قسمان مادیۃ وہی الدنیا بما فیہا و نوریۃ وہی ما سواہما اللہم ارفع عنا کل ما یحجب بیننا و بینک انک رب العالمین و مالک یوم الدین

سورۃ البقرۃ مدنیۃ مائتان و ست و ثمانون آیۃ

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الم ذلک الکتاب لا ریب فیہ ہدی للمتقین الذین یؤمنون بالغیب و یقیمون الصلوۃ و مما رزقناہم ینفقون والذین یؤمنون بما انزل الیک و ما انزل من قبلک و بالآخرۃ ہم یوقنون اولئک علی ہدی من ربہم و اولئک ہم المفلحون

القراءۃ لا ریب بالمد خلف والعجلی عن حمزۃ و خلف لنفسہ کذلک تو کذلک لا جرم ہاء کنایۃ فی جمیع القرآن ہدی للمتقین مدغما من غیر غنۃ حمزۃ و علی و خلف و یزید و ورش من طریق النجاری والہاشمی عن ابن کثیر و کذلک یدغمون النون الساکنۃ والتنوین فی الراء حیث وقعتا ابو عمرو بالوجہین ادغام الغنۃ و اظہارہا الباقون باظہار الغنۃ و اسقاطہا وہی صوت من الخیشوم یومنون غیر مہموز ابو عمرو و یزید و ورش والاعشی و حمزۃ فی الوقف و کذلک ما اشبہہا من الافعال الا احرف یسیرۃ تذکر فی مواضعہا الباقون بالہمزۃ باب فی المد بما انزل الیک و ما انزل من قبلک بالمد عاصم و حمزۃ و علی و خلف و ابن ذکوان فلا یفرقون بین مد الکلمۃ والکلمتین و کذلک روی ورش عن نافع والباقون یفرقون فیمدون الکلمۃ ولا یمدون الکلمتین فاطول الناس مدا ورش عن نافع و حمزۃ و خلف فی اختیارہ والاعشی و مدہم بمنزلۃ اربع الفات و اوسطہم مدا علی و ابن ذکوان و عاصم غیر الاعشی و اقصرہم مدا ابن کثیر و ابو جعفر و نافع غیر ورش و ابو عمرو و سہل و یعقوب و ہشام و اصل المد الف ساکنۃ علی قدر فتحۃ فیسک فتحا تاما و بالآخرۃ بترک الہمزۃ و نقلہا الی الساکن الذی قبلہا حیث کان ورش و کذلک حمزۃ فی الوقف فان مذہبہ ان یقف علی کل کلمۃ مہموزۃ بغیر ہمزۃ باب السکتۃ عن یروی عن حمزۃ و حماد الشمونی انہم یسکتون علی حرف ساکن بعد ہمزۃ سکتۃ لطیفۃ نحو الارض و الانہار و قالوا آمنا و اشباہ ذلک والسبب فیہ التمکین والمبالغۃ فی تحقیقہا لان الہمزۃ بعد السکتۃ کالمبتدأ بہا والاختیار فی الکلمۃ الواحدۃ ان لا تسکت علی ساکن غیر لام التعریف احترازا عن قطع الکلمۃ الوقوف الم للاختلاف لا ریب ج علی حذف خبر لا تقدیرہ لا ریب فیہ ثم تبتدئ فیہ ہدی ومن وصل جعل فیہ خبر لا او وصف ریب و حذف خبر لا تقدیرہ لا ریب فیہ عند المؤمنین والوقف علی التقدیرین علی فیہ وہدی خبر مبتدأ محذوف ای ہو ہدی ومن جعل ہدی حالا للکتاب باعمال معنی الاشارۃ فی ذلک علی تقدیر اشیر الی الکتاب ہادیا لم یقف قبل ہدی للمتقین لا لان الذین صفتہم ینفقون للعطف لیدخل عبد اللہ بن سلام و اصحابہ فی المتقین فان القرآن لہم ہدی کما یدخل الصحابۃ المؤمنون بالغیب فی ثناء الہدی و وعد الفلاح ولو ابتدأ والذین

البحث الاول

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم ولخص هدى القران واسم المتقين بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتدا وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية وقف بها الا ما اعلم بعلامة لا المفلحون التفسير وفيه ابحاث البحث
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا و بالتفخيم نحو با تا و بالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة
وقولهم با تا ثا متهجيا ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت يا ء والمد نحو كتبت لاء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف في الذي رواه ابن مسعود ان النبي ص قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي حملوه على ان يصرف الى التسامح والعدول
لانه اسم للحرف وهما مثلا زمانا او لان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سأل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تليها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفة
عليها القصد مقتضي الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة دار ثوب حمار تير فاذا وليها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به قال الخطابي الحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن الخطاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن ابي بكر في كل كتاب سر وسره في القران اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية
ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لاذوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا يحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وتزيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله ص اني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا عالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على الاطلاق وبقوله ص اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما
لا يظهر فيه الحكمة كالكثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى
روي عن علي ع انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر حم ن مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول اخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق او الكاف محمول على الكبير
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل يروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل

تفسير العلم ... للعلماء سر وللخلفاء سر

تفسير كهيعص

وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد ﷺ اى انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد ﷺ السابع الالف انا واللام لى والميم منى قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير التاسع كانه ﷺ يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله ﷻ هذه الاحرف فعجبوا في اصغائهم ليهجم عليهم القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روي ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسألوا عن الم وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال ﷺ نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا انى لاعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى ملته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله ﷺ فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد ﷺ صادقا فيما يقول انى لاراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هُوَ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ الثاني عشر انها علم على انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يتغاردون و يذكرون الله و يوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرأت الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الخط والكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ فلما اخبر الرسول ﷺ بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم ربكم ذلك الكتاب لا ريب فيه هذا الاتيان في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر المخارج اى اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغي الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات يبقى ما يمكن ان تركب منه علي صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اورد تردا اعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر قد اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها الر صهسحين من المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها ال ر ك ه ي ع س ح ق ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها ال م ر ك ه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من اخره اى اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا لما سموا به مجموع اسمين نحو معدكرب وبعلبك لم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزؤه وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صادا للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمفرد فلا يلزم الا تاخر المركب عن المفرد بوجهين وهذا التسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من ان اللبس بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة بل بالفاظ معينة ليست من الامور التي يتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء خروج عن كلام العرب

في تفسير الم

في حروف المهموسة

في حروف المستعلية

ولكن اذا جعلت اسماً واحداً لا تماً منثورة نثر اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر
وطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تأخرها هو متقدم باعتبار آخر
غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفها الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما
فرداً كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم اذا فتح نونها فصارت
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال شعر يذكرني حاميم والرمح
شاجر : فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان يجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثاً : فقلت لصيدح انتجعي بلالا : واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر وحركت لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
واو العطف لا القسم نحو بحيوتي ثم حيوتك لافعلن ولو كان لانقضى قسم بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجروره باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجروراً واعرابها فتحة في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلاً فانه يكتب مسماها
ص لفظاً اشبهها وامرها بان المراد بها الاسامي لا المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضاً فخطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة ومن جعلها
اسماء السور فسنخبرك عن تاليفها مع ما بعدها ان شاء الله تعالى البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضراً
نظراً الى الفاظه لكنه غائب نظراً الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآناً او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً او لانه اشارة الى ما اخبر به الامم
ان الله سينزل على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظراً الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني نبئت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبراً فنظراً الى ان ذلك في معناه ومسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقاً في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى
والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكماً عربياً حكمة بالغة
تلك آيات القرآن الحكيم كتاب احكمت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى
والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيماً ومنها الحبل واعتصموا
بحبل الله جميعاً ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبياناً لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم
ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجماً نجماً ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً ومنها القيم قيماً لينذر بأساً شديداً ومنها المهيمن مصدقاً لما
بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز
ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم
مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان
يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة
اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو
الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة
عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني وحقيقته قلق النفس ومنه روى الحسن بن علي عن النبي
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما
تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد
بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه
قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة
على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان يحرزوا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة
هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها
ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من
الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة
توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب
قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون بسلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه
مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه
في مقابل الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن
مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان
الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد
قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم انه حقيقة فخطأ لوقوعه صفة للقرآن
وان زعم مجازا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تتقي من وجاها
اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤتمر بالمامورات المجتنب عن المحظورات
واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها هل يستحق هذا الاسم روي عنه ع انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وعن ابن عباس ان النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس
فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي ع التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم
ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا الواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت
ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى : كن مثل ماش
فوق ارض الشوك يحذر ما يرى * لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى * وفي قوله هدى للمتقين وفي موضع اخر شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصور في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى
للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها
انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر لكل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة
واستدامة ما هو ثابت فيه وبوجه اخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه وهذا مجاز من باب
تسمية الشيء بما هو آيل اليه واللطف فيه انه لو قال الهدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال لكان تطاولا في غير موضعه فان تصدير السورة

الرابعة

البحث الثالث الريب

البحث الرابع وفيه مسائل الاولى

الثانية

التقوى ومعنى ومراتبها

الثالثة

من اهل الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجزائه على الطريقة التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القران بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى في ذلك للعقل لا للقران ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي رضي الله عنه انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقران فانه خصم ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القران هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقران ليس هدى فيه فكيف جعل نفسه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تاكيد ما في العقول ايضا نعم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية آخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله لانه لا اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا او كشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة مدحا على سبيل المدح والثناء وذلك ان فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد الخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مترتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

من فسرها

من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلاجرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب وباللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا وتواتره وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على اصله اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك ناداه بالايمان في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يعني المؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها له ان الله في السماء ويعلم بما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكان تم العرفان مات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن التلفظ جاريا مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والتنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان يتبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في جميع ما اخبر واعتقد اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فيما لاحظه المؤمن لهذا النور ومطالعته له وموافقته واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير النور المذكور لا يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم باسلام المرء وكفره فصح جعل ذلك مما ينخرط في سلك من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليها وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب يسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخفف فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليل عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون بالغيب

قثبت

النقل

هذا الايلبغ الا بالمؤمن القيد الثاني ان الايمان ليس عبارة عن تصديق باللسان لقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين صح

الا كما ينبغي

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم انى
لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان بالهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدى المنتظر الذى وعد الله فى القران وورد فى الخبر وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض ولو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل
من امتى يواطى اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما
تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع فى فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم
دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها اى الاسكة شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا
اى كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون فى مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام فى الامر خلاف تقاعد عنه تعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعانى تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة فى عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التى مفتتحها التحريم ومختتمها
التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها فى الاية الفرض لان الفلاح قد نيط بها فى قوله صلعم للاعرابى افلح والله ان صدق
بعد قول الاعرابى والله لا ازيد على هذا ولا انقص اى على الصلوة المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم اى وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها
قال الشاعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلى يسعى فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذى يعرض على النار
واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اى ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان عظمان عن يمين الذنب وشماله والمصلى ملازم لفعله من
حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال فى الكشاف الصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من
التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشتمل الحلال والحرام اما كونه حجة والملوك وغيرهم والمعتزلة ومن يجرى مجراهم زادوا فيه قيدا
اخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال فى الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال المطلق الذى يستأهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه
وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند
الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة
انفق الشئ وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب
من الزكوة التى هى اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق فى سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق و
اكن من الصالحين البحث السادس فى قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالف او مترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا
بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتداء بمحمد صلعم من غير ايمان قبل ذلك بموسى
وعيسى عم واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد صلعم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عم اولم يكن
ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم فى الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب :: الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى ان جبرئيل سمع فى السماء كلام
الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى
فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدى بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله و
كلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون خلق الله فى اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص وقرأه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
فى جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه فى
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب لتمام يتراعى التصديق بها
واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الاية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا اذا عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب اليقين هو العلم بالشئ ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقى وانى موجود وفى تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا فى معرض المدح ومعلوم انه لا يمكن تيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبى صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك فى الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الاخرة
وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعنى النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع فى قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم
الاية وفيه مسائل الاولى فى كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف
واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين خص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف
يجئ تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما فى الاية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتحلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين و
يرفع الثانى على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون فى انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبنى على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت و
ايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد صرح بذلك فيما قيل جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اى منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على اعمال الخير والترقى من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اى هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلى شعر فلا وابى الطير المربة بالضحى ؛ على خالد لقد وقعت على لحم ، اى لحم واى لحم وارب بالمكان اذا قام به والاب مقحم
للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير لاستعظامهن لوقوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير
ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة فى تكرير اولئك تنبيه على
انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته فى الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد اى المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون فى الاخرة او الجنس على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التى عددت

المستقلين

الافضل

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم نبا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدقت بذكرهم اولى الاوهام وعن قتادة في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان ورفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليا خذ العاقل بحكمة الله نعم وهو نوط الثواب تعليق بالعمل الصالح والسبي الا انما هو غير مضبوط من عفو معن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب ابعد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص وارواءه من غير تناول الطعام والشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ

بدرستيكه آنان كه كافر شدند يكسانست بر ايشان چه بترسانی ايشان را يا نترسانی ايمان نيارند مهر نهاده است خدا بر دلهای ايشان و بر گوشهای ايشان و بر

أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى حلواني عن

ديدهای ايشان پرده است و مر ايشان راست عذابی بزرگ

هشام آأنذرتهم بينهما مدة الباقون يحققون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان والبجلي عن عمرو كذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وابو خلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدغمة النون والتنوين في الواو في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك باليأس من الناس ۞ ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننته وتبين الخطأ فيما توهمته كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحهم ذكر بعد ذلك اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب لان الاولى مسوقة بذكر الكتاب انه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك في اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدا واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدا واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين كالارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحب بجدثه والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه الازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترتبين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم

واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا
يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى
الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في المدخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين
كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم
والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم
الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عليهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله
نعم بل في علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحال الناس في باب التقرير والتصوير ويقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح
ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف الاخبار عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع
وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها او اعتراض لسادسة الختم والكتم اخوان لانهما في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما
له وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به
تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء
بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي
والقيام بموجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده
انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكان البدن بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو بقيض ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي
السمع قوة مرتبة في العصب المفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له
انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج
تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام
الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر وياخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفي الاكثر يسمون
ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين كنسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نورا اما نور العين فمنطبع
فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي ومدركه جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدركه كلي وادراك كل منهما عبارة
عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد
المرئي حتى لا يدركه او يدرك اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والمتزيمات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا
القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان
الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار
ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان
زمانكم زمن خميص اذ لا ملبس لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم ثوبهم والمراد الجمع فضوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل المخففة فلهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها الاسناد لا لما
بما قبله وما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر
لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلي بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف من
العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى البصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق
بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله تعالى
في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال ونوقش في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان و

العين بجمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسًّا فقد فقد علماً وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر
والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فنعوذ بالله
من دقيق في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الاولى منها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سواء
والآية الثانية منها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق
وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم وسمعهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل
واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يشتهي فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل
ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته وتأولوا الآية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلو نحو قلوب
الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه
ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في
الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم
لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح ولا تليق
بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر
لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين
حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله
تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن
قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية
والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته
والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله
كثيرة وكذا الاحاديث عملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل
والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه
الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى
صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام
الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين
ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال
المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منها بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف
ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين
الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل
من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية
وقال صلعم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا
باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح
اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح
العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا مقربا وبعضهم كناسا بعيدا كلا
منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل
بهذا بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فاسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما

بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشئ الفلانى كما انه ليس ان يقول مثلا لم جعل الشمس
سببا لانارة الارض غاية ما فى الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان ويبعث اليه النبى فاقول فائدة
بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر
من يخشيها كما ان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة
عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
وهو بالحقيقة البغى عليهم بانهم فى اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى بما لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه بما لا
البصراء ولا يعرف ان النقص والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرائى وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب
الابصار واما حديث التفرقة الضرورية من الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان
ارادات وقوى بها يتم لحصول الملائم ولاجتناب المنافى الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة الذى
سببها فى الرعشة نقصت واسطة هى الداعية وفى الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات
بها فى سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها فى كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشئ اذا امسك عنه كما تقول نكل
عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمى كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اى عقابا يرتدع
الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان فى المعانى والاعيان جميعا تقول رجل
عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم
لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة يتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله
ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد فى القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب العفو وذكروا فيه دلائل عقلية مبنية على الحسن و
القبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه
من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالى عن المنافع قبيح بالبديهة كقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعل
ترتب عليه العذاب ما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف ووجد لكنه لا يستعقب العقاب
وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله
عنه فترى هذا الكرم العظيم ما بقى فى الآخرة او سلبت عقول ولكن المعذبين لا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم
ولم كان فى الدنيا بحيث قال ادعونى استجب لكم وفى الآخرة بحيث لا يجيب دعاءهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون وانى اجيب بان تعذيبهم نقل الينا
بالتواتر عن النبى فلا مصير الى انكاره والشبه التى تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرهان انه فى المسألة
الثامنة ان وقوع فريق فى طريق القهر ضرورى فى حكمته تعالى وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والعقليون من ظن انه قبيح كان نخلل فى عقله و
قصور فى فهمه فلا قبيح فى النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشيها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا و
بعضها للحشوش جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعالا يطأها الافراس حيث يرى كلا منهما فى مصالح الوجود
ضروريا ثم العذاب هو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصى
بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهى انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال
الى الآخرة الا ترى انه لو قال الطبيب الحاذق لمريض اشرب الدواء الفلانى فى اليوم الفلانى فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال انى اشرب
الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلانى فى هذا الوقت ففعله فى وقت آخر لم يعد ممتثلا و
ينفعه الايمان الا ان عرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا
سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم ع ٢

وازمردان کسی است که میگوید که گرویدیم بخدا و بروز واپسین ونیستند

بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله

بگروندگان مخادعه کنند خدا را وآنانکه گرویدند و فریب نمیدهند بجز نفسهای خود را و درک نکنند در دلهاشان ناخوشی است

مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

ناخوشی او مرایشان را عذابی دردناک بجهة تکذیبشان وچون گفته شود بایشان که فساد نکنید در زمین گویند که جز این نیستکه ما اصلاح کنندگانیم بدانکه ایشانند

الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن

فساد کنندگان ولکن نمیدانند وچون گفته شود ایشانرا که بگروید چنانکه گرویدند مردمان گفتند آیا بگرویم چنانکه گرویدند بیخردان آگاه باش که ایشان بیخردانند ولیکن

لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

نمیدانند وچون رسیدند بآنانکه گرویدند گفتند که گرویدیم وچون تنها شدند بدوستان خود گفتند که با شمائیم جز این نیست که ما ریشخند کنانیم خدا ریشخند کند

بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

بایشان و دهدشان در در گذشتن از اندازه کوردلان . آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را براستی پس سود نبخشید سوداگری ایشان ونبودند راه یافتگان

وذلك لعدم اللفظ بين الفتح والكسر من الامالة ولا امالة فيها

القراءة ومن الناس بمالة قرا قتيبة ونصير كل القران ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقع حمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري يؤمنين غير مهموز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وما به مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش وابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلفت الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منها مفتوحة مثل شهداء اذا امة واشباه ذلك مستهزءون بترك الهمزة في الحالين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو وطغيانهم حيث كان قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرا اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمؤمنين لما مر في المقدمة الناس امنوا العطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون ط للاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تاكيدا لما في قلوبهم مرض لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لا لان قالوا جواب وعامله مصلحون لا يشعرون كما امن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليعجل رد السفه عليهم لا يعلمون امنا لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حاليهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانا مستهزءون يعمهون بالهدى لا لانقطاع النفس ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين التفسير وفيه مباحث المبحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع ايات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين وايتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها اما بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب بعد عشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان او اختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف وكما عرف مات فجاءة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المشهور من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه ان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار ولم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وانهم انه قصد التلبيس والكافر

الاصلی لا یقصد ذلک وایضا الکافر الاصلی علی طبع الرجال والمنافق علی طبیعة الخناثی وایضا الکافر ما رضی لنفسه بالکذب بل استنکف منه و
المنافق رضی بالکذب وایضا المنافق ضم الی الاستهزاء والخداع دون الکافر الاصلی ولغلظ کفر المنافقین فی الدرک الاسفل من النار ووصف
حال الکفار فی ایتین وحال المنافقین فی ثلث عشرة اية نعی علیهم فیها خبثهم ومکرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأهم وتهکم بفعلهم
وسجل بطغیانهم وعمههم ودعاهم صما بکما عمیا وضرب لهم الامثال الشنیعة الثالثة قصة المنافقین عن اخرها معطوفة علی قصة الذین کفروا کما
تعطف الجملة علی الجملة واصل ناس اناس لقوله لبل انسان وانس واناسی حذفت الهمزة تخفیفا وحذفها مع لام التعریف کاللازم وقوله شعر ان المنایا یطلعن
علی الاناس الامنینا قلیل ونوس من المصغر الاّ انی علی خلاف مکبره کانیسیان سموا بذلک لظهورهم وانهم یونسون ای یبصرون کما
سمی الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة علی الاصول کما یقال وزن قِ افعل وهو اسم الجمع کرخال للانثی من اولاد الضان وامانه
مفرده رخل بکسر الخاء وبکسر الراء ومن فی من یقول موصوفة ان جعلت اللام فی الناس للجنس کقوله من المؤمنین رجال اذ لا یکون معنی الکلام
ان فی جنس الانسان طائفة کیت وکیت فیعود فائدة الکلام الی الوصف فان لم یکن مفیدا من حیث الحمل لان الطائفة الموصوفة تکون لا محالة
من الناس ولا یجوز ان یکون من موصولة ح لان الصلة تکون جملة معلومة الانتساب الی الموصول فیبطل فائدة الوصف فیه فیبقی الکلام
غیر مفید راسا وان جعلت اللام للعهد فمن یکون موصولة نحو ومنهم الذین یؤذون النبی ویکون اللام اشارة الی الذین کفروا المار
ذکرهم ولا یجوز ان یکون موصوفة اذ ذاک لان فائدة الکلام تعود الی الوصف ایضا ولکن لا یجاوبه نظم الکلام اذ یصیر المعنی ان من المختوم
علی قلوبهم طائفة یقولون کیت وکیت وما هم بمؤمنین ومن البین ان مدلول قوله وما هم بمؤمنین معلوم من حال المطبوع علی قلوبهم
فیقع ذکره ضائعا والضمیر العائد الی من یکون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من یستمع الیک وجعلنا علی قلوبهم اکنة ومجموعا
اخری باعتبار المعنی مثل ومنهم من یستمعون الیک وقد اجتمع الاعتباران فی الایة فی یقول وامنا وانما اختص بالذکر الایمان بالله و
الایمان بالیوم الاخر لانهما قطرا الایمان ومن احاط بهما فقد حاز الایمان بحذافیره وفی تکریر الباء ایذان بانهم ادعوا کل واحد من الایمانین
علی صفة الصحة والاستحکام فان قلت ان کان هؤلاء المنافقون من المشرکین فظاهر عدم ایمانهم بالله والیوم الاخر وان کانوا من الیهود فکیف یصح
ذلک قلت ایمان الیهود بالله لیس بایمان لقولهم عزیر ابن الله وکذلک ایمانهم بالیوم الاخر لانهم یعتقدونه علی خلاف صفته فقولهم هذا
لو صدر عنهم لا علی وجه النفاق وعقیدتهم فهو کفر لا ایمان فاذا قالوه علی وجه النفاق خدیعة واستهزاء وتخییلا للمسلمین انهم مثلهم فی الایمان
الحقیقی کان خبثا وکفرا الی کفر والمراد بالیوم الاخر ما طرفه الابد الذی لا ینقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضیة او الوقت المحدود من النشور الی
ان یدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التی لا حد للوقت بعده فان قلت کیف طابق قوله وما هم بمؤمنین قولهم
امنا والاول فی ذکر شان الفعل لا الفاعل والثانی بالعکس قلت انما اتوا بالجملة الفعلیة لیکون معناها احدثنا الدخول فی الایمان ولیروج
دعواهم الکاذبة جیء بالجملة الاسمیة لیفید نفی ما انتحلوا اثباته لانفسهم علی سبیل البت والقطع وانهم لیس لهم استیهال ان یکونوا طائفة
من طوائف المؤمنین وکان هذا اوکد وابلغ من ان یقال انهم لم یؤمنوا ونظیره الایة قوله تعالی یریدون ان یخرجوا من النار وما هم بخارجین
منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنین یحتمل ان یکون مقیدا وترک لدلالة التقیید فی امنا ویحتمل الاطلاق ای انهم لیسوا من الایمان فی شیء قط لا
من الایمان بالله وبالیوم الاخر ولا من الایمان بغیرهما البحث الثانی فی قوله یخادعون الله الی یکذبون اعلم ان الله ذکر من قبائح افعال
المنافقین اربعة اشیاء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سمیت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان فی العنق خفیان وخدع الضب خدعا
اذا توارى فی جحره فلم یظهر الا قلیلا والخدیعة مذمومة لانها اظهار ما یوهم السلامة والسداد وابطان ما یقتضی الاضرار بالغیر والتخلیص منه فهی
بمنزلة النفاق فی الکفر والریاء فی الافعال الحسنة فان قیل مخادعة الله والمؤمنین لا تصح لان العالم الذی لا یخفی علیه خافیة لا یخدع والحکیم
الذی لا یفعل القبیح لا یخدع والمؤمنون وان جاز ان یخدعوا کما قال ذو الرمة شعر تلک الفتاة التی علقتها عرضا ان الحلیم وذا الاسلام یختلب
لم یجز ان یخدعوا قلنا کانت صورة صنعهم مع الله حیث یتظاهرون بالایمان وهم کافرون صورة صنع الخادعین وصورة صنع الله معهم حیث
امر باجراء احکام المسلمین علیهم وهم عنده اهل الدرک الاسفل من النار صورة صنع الخادع وکذلک صورة صنع المؤمنین معهم حیث امتثلوا
امر الله فیهم فاجروا احکامهم علیهم ویحتمل ان یکون ذلک ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن یصح خداعه لان من کان ادعاؤه الایمان بالله
نفاقا لم یکن عارفا بالله ولا بصفاته فلم یبعد من مثله تجویز ان یکون الله مخدوعا ومصابا بالمکروه من وجه خفی وتجویز ان یدلس علی عباده
ویخدعهم ویحتمل ان یذکر الله ویراد الرسول لانه خلیفته والناطق باوامره ونواهیه مع عباده ان الذین یبایعونک انما یبایعون الله ویحتمل
ان یکون من قولهم اعجبنی زید وکرمه فیکون المعنی یخادعون الذین امنوا بالله وفائدة هذه الطریقة قوة الاختصاص ولما کان المؤمنون من
الله بمکان سلک بهم هذا المسلک ومثله والله ورسوله احق ان یرضوه ان الذین یؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زیدا فاضلا الغرض
ذکر الاحاطة بفضل زید لان زیدا کان معلوما له قدیما کانه قیل علمت فضل زید لکن ذکره توطئة وتمهید ووجه الاقتصار بخادعت علی واحد
ان یقال عنیت به فعلت الا انه اخرج فی زنة فاعلت لان الزنة فی اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متی غولب فیه فاعله جاء ابلغ واحکم منه اذا زاوله

وحده من غير مغالبة ولا مباراة لزيادة قوة الداعي اليه وفي يخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كأنه قيل فلم يدعون الايمان كاذبين
فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وفي تعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم
واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من
اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا
من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وقراءة من قرأ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ اي وما يعاملون تلك المعاملة المضاهية
لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ووبالها عائد عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا
تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فيجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى
تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول غلا وحنقا
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر يشبه التاج
اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ويراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان
ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق فيهم وما قذف الله في قلوبهم
من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل
الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وهذا كما قال الحكيم ابن العبد الهنفي كلما غذت تزدد شرا وكلما زاد سوءه
ضره وتبسطا ازداد حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبيعي ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضي مزاج القلب يؤدي الى تلف
صاحبه كقوله شعر اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ ✽ النَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ فافضى صاحبه الى الهلاك هو المعنى
بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب في سمجته وما روي عن ابراهيم ع انه كذب ثلث كذبات احدها قوله إِنِّي سَقِيمٌ
وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها الظالم انها اختي وثالثها قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر فيكون الخبر عنده مخالفا للخبر
والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل صدق ونحو بان الشيء وبين ومنه قوله قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك وقال ع مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان
هذا شانهم وديدنهم البحث الثالث في قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا الى قوله وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال
المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي لهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا
واما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس من اسناد الفعل
الى الفعل فانه لا يصح لكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي اذا بلغه عنهم النفاق
ولم يقطع بذلك فنصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم وبعظهم
واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسكان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع
سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج
وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد
وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعفا امر النبي
واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين
ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الثواب

سيهم لاجل تفوتيهم تلك الذين زعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر لا تفسدوا بلا تداهنوا الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة
هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذا عثروا على اسرار المسلمين
ولستر انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر لاعتقادهم ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اى حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه
الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ويفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال أما والذي أبكى وأضحك والذي
أمات وأحيا والذي أمره الأمر   رد الله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاءهم ذلك مع
توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من
التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله وإذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث
من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين نصحوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم
الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان
في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر وإذا أتتك مذمتي من
ناقص :: فهي الشهادة لي بأني كامل :: وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك
يكتب زيد كما يكتب عمرو وربما يصدق كما عمرو اخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اى كما امن الرسول صلعم
ومن معه وهم ناس معهودون اى ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت ولتحصيل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبد الله
بن سلام واتباعه لانهم من اجلتهم اى كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اى كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشئ
عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى
الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه وللجنس وينطوي تحته
الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال
ذو الرمة جرين كما اهتزت رماح تسفهت :: أعاليها مر الرياح النواسم :: وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم
واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من
اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلعم وهو في ارض مخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال صلعم اخبرني بهن جبرئيل انفا اما اول اشراط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد
واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلعم يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان
تسالهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا الذي
كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى القى عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله ألا إنهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض
عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال صلعم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واي سفه من السفه
معاداة الجاحدين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم كالطود يخرم نطحه الاوعال انما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان
الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات
وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحاسد والتجاذب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله وإذا لقوا الآية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله و
من الناس من يقول آمنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلعم فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا
رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي واخبروه بذلك فنزلت هذه الآية لقيته اذا استقبلته وقربت منه وخلوت

ولاق

السداد
شعر
عليهم
ابكت به
جليدتهم
شعر
نزع
شعر
التجاوب والتجارب جرد
التيموني

بفلان واذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اى انهى اليك حمد فلان وذمه وعن ابن عباس انى احمد اليكم غسل الاحليل اى اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما افردنا بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد فى الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهى الفعلية وشياطينهم باقواهما اعنى الاسمية المحققة بان لانهم فى ادعاء حدوث الايمان الناشى عن صميم القلب منهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث اخلاص واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبتهم اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفى خبر القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزؤن لان الاول معناه الثبات على الكفر والثانى رد للاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات وتاكيد للشئ اولان الثانى بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر اولانه قيل لهم ما لكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفى تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ او سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله معاملة المستهزئ فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى الاخرة على ما روى عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا راى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات فى شانهم اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم هو من مد الجيش وامده اذا زاده والحوبه ما يقويه كذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها وانما قلنا انه من المدد لا من المد فى العمر والامهال لقراءة نافع فى موضع آخر واخوانهم يمدونهم فى الغى على ان الذى بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قاله فى الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهرى مده فى غيه اى امهله والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم فى الطغيان يعرف فى تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه التى يمنحها المؤمنين بعقبت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا او بانه لم ينور قلوبهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما فى هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب من هذا القبيل كما قيل ان النكتة فى اضافة الطغيان اليهم هى ان يعلم ان التمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم وان الله برئ منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا نكيف تبرأ من ذلك ويعمهون فى موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى فى البصر والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اختاروها واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر قال ابو النجم شعر اخذت بالجمة راسا ازعرا ۞ وبالثنايا الواضحات الدردرا ۞ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ۞ كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بنى اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فجعلوا لتمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الانسانية التشخيصية كانه فى ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهو الجور عن القصد وفقد الاهتداء ومنه فى المثل ضل دريص نفقه اى جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن تحير في امره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا لملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا او اولت الحال لما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة ليكون الاستعارة مرشحة كقوله لما رايت النسر عز ابن داية ۞ وعشش فى وكريه جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

اتبعه ذكر التعيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وقد الضلالة لزم عدم فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال
وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشيرة الكفار
وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسئل ان يعصمنا
من الضلالة بعد الهداية مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
مانند ایشان چون کسی است که برافروزند آتشی پس چونکه روشن گردانید آتش گرداگرد او را ببرد خدا روشنی ایشان را و واگذارد ایشان را
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ
در تاریکیها که نتوانستند دید کران و گنگان و کوران پس ایشان باز نگردند یا چون ابری از آسمان که در آن تاریکیهاست و
رَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
رعد و برق میگردانند انگشتهای خود را در گوشهای خود از صاعقها از ترس مردن و خدا احاطه کننده است کافران را
يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
نزدیکست که برق ببرد چشمهای ایشان را هرچند که روشنی دهد ایشان را بروند در آن و چون تاریک شود بر ایشان بایستند و اگر خدا خواهد هرآینه ببرد
ع بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبهها مما كان في
گوش ایشان را و چشم ایشان را هر آینه خدا بر هر چیز تواناست الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة
حمزة وخلف وعلي وابن ذكوان والوقوف نارا لان جواب لما ابهام من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف
باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا ينفي مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز ووقفه لعطف الجملتين مع انها راس اية وقد اعترضت بينهما
اية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اي هم يجعلون او حالا والعامل معنى التشبيه في الكاف
وذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم ط لان كلما استيناف فيه لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول
قاموا وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار
عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامرما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وفي ذلك الامثال نضربها
للناس وفشت في كلام رسول الله صلعم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركت تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب
اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده
مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير واما ههنا فاستعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة
الشان من حيث انهم او تواصروا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يصلوا
بذلك الى النعيم الابد باستبطانهم الكفر فيؤول حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء
مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب المراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي
خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي
مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق و
النور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او
يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا
الى المعنى كان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الامن
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصول خابطين
في ظلام متحيرين خائبين بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب
الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم
كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفيت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب
بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتغالها واضاءتها فمنافعها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلال عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا ثانيا او حالا منهم مثل وتذرهم في طغيانهم يعمهون اي هالكونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويستبصروا باعينهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به الا بقي الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع اواراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون شعر وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ¤ متاخر عنه ولا متقدم ¤ ومثله حال مريد طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وضل يومه امسه ثم ابدع الله ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين وكمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع وحصول المطالب ونجح المارب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر ليتدرج من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا وكمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب من الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه دلالة على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لكنه غمام مطبق اخذ باافاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب من صهب والبناء على فيعل والتنكير مدد ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر باذن الله تعالى تحركها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك بسخانة الحار تبخر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية واثار شيئا بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهوى الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى فيه الاشتعال فترائى كان كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرايت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهوى عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كالبواقي

كما يوجد فيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل الى ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير
المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل كان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات
ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فبطنت اي
فتكاثف داخله واستحال ماء واجمدته شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية
والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا وبرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما
اشتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع
الى السفل وقد اشتعلت بالحاكة والحركة نارا فبرق فتشق السحاب شعلة كحجر يطفئ فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ
المادة كان صاعقة وربما وجد منه ففيه سهل الانشقاق فيخرج بلا رعد والاشتغال بهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه
والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونه
متلبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري ؛ يا عارضا متلفعا ببروده ؛ يختال بين بروقه ورعوده ؛
وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم
المذكور قال حسان ؛ يسقون من ورد البريص عليهم ؛ بردى يصفق بالرحيق السلسل ؛ ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق
والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي
التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد
الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من
اجل الصواعق نحو سقيته من الغيمة وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجاز اي قدرته لا
يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة و
مقاربة الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا
يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته و
اضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس مشوا
الحركة المخصوصة ونوعها السعي وفوقه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر
عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما
همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء
الله لزاد في تقصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته ؛ عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ؛ قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد
يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير
الخوف اولى والشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل فمن الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده
لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني شيء من الاوقات ولحظة من اللحظات عن تأثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطا

ع ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه ثم قال تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي
اى مردمان بپرستيد پروردگار تانرا آنكه آفريد شمارا و آنهارا كه پيش از شما بودند شايد كه شما پرهيزيد آنكه
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
گردانيد از جهت شما زمين را مانند بساط گسترده و آسمانرا چون خانه و فرود آورد از آسمان آبرا پس برآورد بدان از ميوه ها كسب روزى شما پس قرار مدهيد از براى خدا همتايان و حال آنكه ميدانيد

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم وبورقكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب الوقوف تتقون لا لان الذى صفة الرب تعالى بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ط لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ه التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجارى امورهم عاجلا وآجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذى يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بينى وبينك اولا والان ازيد فى اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية تزداد قربا وحضورا وايضا الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهى ان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين يخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف ويستسهل ذكر هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شىء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكى و يا ايها الذين آمنوا فهو مدنى فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركى مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها و يا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادى لا لانشاء لا الاخبارية وههنا نكتة وهى ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف فى حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعونى استجب لكم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب فاذكرونى اذكركم و يا وضع فى اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادى عن ساحة عزة المنادى هضما واستقصارا كقول الداعى فى جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن فى غير هذه الصورة بيا ويكون المراد به ان الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادى يا ايها النبى لان كل ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهى والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها واى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفى حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اى من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل واجمعون فى مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالامر به لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم الموجودين فى عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركى مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا صيروا مستحقين للعبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالتكثر ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية والذلة ليعرف ربه بالعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مائلا بين يدى مولاه مطاعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته فى شىء اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم يصح نسبته بالعبودية عن الاصمعى انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسمينى قال اى شىء تأكل قال ما تطعمنى قال ما تشرب قال ما تسقينى قال تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادى والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشرى وضعف قوائم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعهما كل منها فى الجواهر او فى الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابرهيم لا احب الافلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل الافاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك الموجود بعد العدم له موجد

وهو

ليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبائع الفصول والافلاك لان الافلاك في افق الامكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث
والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير
النعم السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله
لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي او الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان
الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم عالم بما يؤول اليه امره وايضا
فمن دين الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحو ذلك لا يبقى لطالب عندهم شك
في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات و
ازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون
بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على
ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي فهو وجه بانها للاطماع والكريم الرحيم اذا
اطمع فعل فجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد
وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان
فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم
تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا النسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى
وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر تماما واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة
الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي ليتنبهوا للجاعل و
يعترفوا به والحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام على بعضهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلثة من الافاق جعل الارض
فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب
الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون وينقلبون كما ينقلب
احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من
انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين
احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول
مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة
والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ويتعقب ههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش
كالمهاد الممهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذا وعلى
شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي
وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز
فكما انه لا يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فلا يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن
لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها
من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما امتن به على عباده في خلق
الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية
منها وتيسر حفر الابار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوارها و
منها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو ربع
من ربعها ومنها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي ما برز منها
مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها
وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب
وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر
ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتحرك الرطب فيحصل التماسك في
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام
التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تاخذ واحدة وترد سبعمائة مثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا
من المنافع اكثر مما عددناه فاذا تامل العاقل في هذه الغرائب والعجائب عرف بمدبر حكيم مقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته انهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس
جعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح وفي لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم
وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وجعل نجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا فبطل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدو
والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم ترفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء او في الافق لعله يرفع بناء على كوة الفقير لحائط فلا يصل النور
الى الفقير لكني دبرت الفلك وسيرتها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ثم ارتفاع الشمس وانحطاطها قد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستنطف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطباع ويظهر المواد المتولدة في الشتاء ويثور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت
الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك ولئن اهديت الى سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول شعر ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل
والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدني
الدين ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين كيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس كيفية حركتها وبيان اختلافاتها واوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تاملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصالحه كالمصابيح والانسان كالمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان منصرفة في مصالحه

لعده ١

فهذه جملة واضحة الدلالة على ان العالم المخلوق مدبر بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية المسالة الثالثة فى ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما اتى ادم عم بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن فى جوارى من عصانى وقال تعم وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وقال تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وورد فى الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال اخرون بل الارض افضل لانه
تعم وصف بقاعا من الارض بالبركة إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا يعنى ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فان قيل واى بركة فى المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعم فلهذه البركات قال تعم وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وخلق الانبياء
من الارض مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ واودعهم فيها وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شئ غير هذه الارض التى
هى لك كالام فقال أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدى
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو انى خلقت الارض منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء فى الدنيا
مع انها سجن لك فكيف الحال فى الجنة فالحاصل ان الارض لك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك
من الام التى ولدتك اضيق من مقامك من الارض ثم انك كنت فى بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت فى بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله تحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته بانه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها كالنطفة فى خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يتبصر
ويتفطن بها من يتعبر ومن فى من الثمرات للتبعيض كانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد فى سياق الاثبات فكانه قيل و
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة او لان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا فى جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فَلَا تَجْعَلُوا اما ان يتعلق بالامر اى
اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد ان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل فتنصب تجعلوا بعده
مثل لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ فى رواية حفص عن عاصم او بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اى هو الذى
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعم شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى
من ناددت الرجل خالفته ونافرته وندود اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه قوله وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
يترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم فى الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اى انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه فى امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ واعلم انه ليس فى العالم احد يثبت لله شريكا يساويه فى
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففى الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب هم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعم فوض هذه الكواكب هى المدبرات فى هذا العالم فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعم والفريق الثانى عبدة المسيح عم والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذى نقل الينا تاريخهم هو نوح عم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ودينهم باق الى الان والدين الذى هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا

للمفازة

الصغرى

مفعول له

قطان الحرم سكانه جمع قاطن ذكره فى

الغبار بكسر المدال وعلامة اهل الذمة كالزنار

النجم المنحوس في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوهاً احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيراً من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم وذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلاجرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا للعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يرتقبون اوقاتاً في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسماً في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بطول المدة واشتغلوا بعبادتها في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعاً لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا انداداً كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته الا الحنيفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدساً وهيكل المشتري مثلثاً وهيكل المريخ مستطيلاً وهيكل الشمس مربعاً وهيكل الزهرة مثلثاً في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثاً في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمناً وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوماً يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك سابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه سلطان منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر:

أرباً واحداً ام الف رب ... ادين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعاً ... كذلك يفعل الرجل البصير

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم [واگر هستید در شک از آنچه فرستادیم بر بنده خود پس بیاورید یک سوره مانند آن و بخوانید گواهان خود را] إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [اگر هستید راستگویان] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا [پس اگر نکردید و هرگز نخواهید کرد] فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [پس بترسید از آتشی که هیزم آن مردمانند و سنگهای کبریت] أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [آماده شده برای کافران]

(علماء القراءة ما يتعلق) بها من شهيداء من امالة الناس يعرف مما مر الوقوف من مثله ط صادقين ج والحجارة على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى او لها صلة ثانية للتي للكافرين ه التفسير لما اثبت بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزاً طريقان الاول انه اما ان يكون مساوياً لكلام سائر الفصحاء او زائداً عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين

فى ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن كانوا فى الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثانى
الطريق الثانى ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع
شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل ما يدريك انه لن يعارض فى مستأنف الزمان وان لم يعارض
الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما فى وقت التحدى والا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم
ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيئ واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة
الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز ما بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو
كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب مما ينخرط فى سلك هذه
الآراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيرا لا يمكن
انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتى ان اضع الساعة يدى على
راسى ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال فجاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل واية تسمية كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية
كل كلام مبرأ عن التناقض ومشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط
والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثانى الا ان التحدى لم يقع الا بالقدر الاول وبه
يثبت صحة النبوة لكن النبى صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته يجب ان يكون فى نهاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن
فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية
على وجهها وهى فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعانى والبيان والفصاحة اما معنوية وهى خلوص الكلام عن التعقيد
والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك فى متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدرى
من اين تتوصل وباى طريق معناه يتحصل واما لفظية وهى ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من
العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر وعدم على العذوبة
سلسة على الاسلات والحاكم فى ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يخرج هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع فى القرآن وجوه كثيرة
تقتضى نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ فى الفصاحة النهاية التى لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها
فى وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس فى القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير
منها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك
سبيل الكذب والتخيل ترك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى بيت وبيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح ككل جزء
منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاما لم يكن الثانى فى الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر فى القرآن فهو فى نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر اَعِدْ ذِكْرَ نُعْمانٍ لَنا اِنَّ ذِكْرَهُ ؛ هُوَ المِسْكُ ما كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ ؛ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم
الاخلاق والزهد فى الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة فى هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن
فى النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا
فى كل فن من فنون الكلام فانظر الى الترغيب فى قوله فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وفى الترهيب وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ
وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وفى الزجر فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وفى الوعظ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ وفى الالهيات اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ
الْمُتَعَالِ ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعانى والبيان وعلم
الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق
طاقة البشر شعر فَدَعْ عَنْكَ بَحْرًا ضَلَّ فِيهِ السَّوابِحُ ؛ وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت فى تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازة فلكان التحدى فى ذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة
وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً اى على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا
فشيئا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهى الكوثر ومعنى السورة مذكور فى المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون
ان يقال على محمد كقوله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ تشريفا له واعلاما بانه ممن صح لنسبة العبودية المامور بها

سالف جد

وصفته

است سی ن تعلقن

العطن محرز وطن الابل

جاء دم

فظهم

فى قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير بما يؤيد ذلك كقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة في نسبة العبدية فهى التى توصل الى العندية فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى وكمال العندية فى كمال الحرية عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد كل صاحبه احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارى اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ فى اخر كان انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزؤا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه منه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة فى الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد لم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع فى المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول لاقتضى الترتيب ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله والحجة لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين ومنفردين اميين او قارئين ولو عاد الى النبوة اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامى الذى هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثانى تقرير نقص للنبى وايهام ان الاتيان بالقران عمن يكون قارئا ممكن وايضا الاول هو الملايم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهى جمع بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم فى منازعة محمد الى فاقة شديدة فعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون فى الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كون الهتهم ما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اى ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اى خذه من دونك اى من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثنى عليه انا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهى دونه ❊ اى تريك القذى قدام الزجاجة والحال انها قدام القذى لرقتها وصفائها وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تابى عليهم الطباع وتحجزهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثانى يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء كم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد بما نه غير حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة يصح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل ادعوا غير الله من الجن والانس من ادعيتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتى بمثل ودون كل شاهد وعلم ان التحقيق فى التحدى هو ان النبى يقول لى مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلنى واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم فى ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذى قد جعله ظاهرا الله تعالى اياه على يدى وانتم لا تقدرون عليه لعدم اقداره لتعرفوا انى خصصت بمزيد فضل من عنده وانى صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بمشيئة الله تعالى ونور هدايته اتبعوا واهتدوا والا بقوا فى الضلالة خاسئين كل هذا من عالم الاسباب التى يظن تعلق بها الموافقة والحوادث حسبما ذكر والا فلا يلزم من هذا ان يكون للعبد قدرة مستقلة يقع الحكم عليها بل الله يهدى من يشاء وكل بقدرة وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا ولقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثانى محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم فى ريب فاتوا وان كنتم صادقين فى انه من كلام

تعينكم او في ان القران غير معجز فادعوا شهدائكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القران كثير فاعتبره في كل موضع واما قوله فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ
الاية فاقول لا انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد ﷺ من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا ابعاد وفيه ﷺ اشد المعادات
وبتها لكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع و
قوله فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه ﷺ ان كان متهما عندهم
فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف ﷺ عاقبة امره لتهمة فيه ﷺ حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه
الغاية وثالثها انه ﷺ لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال ﷺ لان احدا
لو عارضه ﷺ لم يمتنع ان يتواضع الناس ويتناقلوه عادة لاسيما والطاعنون فيه ﷺ اكثف عددا من الذابين عنه ﷺ واذا لم يقع المعارضة
الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي
للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وللعامل الخير قوله فَاِنْ
لَمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا على قوله فَاِنْ لَمْ تَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وان لم تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال
وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكني عنه كما لو قلت اتيت فلانا
واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله وَلَنْ تَفْعَلُوْا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء
بالواو وبدون الواو وقد اجتمعنا في قوله وَاِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيْمٌ وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء
النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان
اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القران وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك
في سورة التحريم قُوْا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ولهذا عرفت هيهنا اشارة بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا
نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفسها ايراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما اِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم
عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوريثا بالنقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل
بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء
في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقد يورد في الخلد من هذه الاية ومن قوله ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
ومن قوله نَارُ اللّٰهِ الْمُوْقَدَةُ الَّتِيْ تَطَّلِعُ عَلَى الْاَفْئِدَةِ ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف
الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت جعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف
لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
اَنَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ومژده ده آنهارا که گرویدند و کردند شایسته
بکه مر ایشانراست بهشتها که میرود از زیر ایشان جویها هرچند که روزی داده شوند از میوه های آن قَالُوْا هٰذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَاُتُوْا بِهٖ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيْهَا اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَّهُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ روزیرا گویند که این آنست که روزی داده شدیم از پیش و آورده شوند بدان
مانند یکدیگر را و مر ایشانراست در بهشت جفتهای پاکیزه و ایشان در آن همیشه الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه
التفسير انه سبحانه لما ذكر تمم دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سنته
المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد الجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الاية من نحو
قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله ﷺ في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكنى ادم وحواء الجنة وقد جمع الله في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو الثمرات و من المنكح وهو الازواج المطهرة ثم ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه فاما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل على م عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وله ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور في قوله وبشر اما الرسول او كل من له استيهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تاتيني * واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في موجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطها المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجده من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوي ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد ذكر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من ابطل القول بالاحباط لان من آمن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا انكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية وكلما رزقوا اما صفة ثانية لجنات وخبر مبتدا محذوف اي هم كلما رزقوا وجملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح ولا بالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد راى فيه مزية ظاهرة وفرط ابتهاجه طال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والتفاحة في الدنيا وحجمها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يروى ان الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجؤا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل وان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق

كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما الشاء وثوابهم في كل الاوقات في الغد والدرجة
لا يزيد ولا ينقص وهما لان الانسان اذا التذ بشئ واعجب به لا يتعلق بغيره الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية
اللذة وعن الحسن الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من
قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلعم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي
بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة الانسي معرفة
ذات الله تع وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان
كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق فبعد الموت
وشاهد تلك المعارف قال هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق لجنتهم جنة الوصول واشجارها
هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من
المواهب فانهم يشاهدون احوال الاشياء في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدنا
قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عم شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة تلك النار
صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة يقع في محبوبات النفس فيحرقها وتارة تكون
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة في الدنيا فله في الآخرة معنى آخر عيني كقوله
في دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله واتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن
الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس كلا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات
السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة ازواج مطهرة وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست في الو قيل
طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهي ان المرأة اذا حاضت
فالله تع يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء في المحيض مع انها معذورة في تنجسها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن
اذا كنت نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل
بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب الزلة الصادرة
عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته وتستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد
عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام اولم يدم ولو كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا
تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والخوف خوف الانقطاع ينقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
بدرستیکه خدا را شرم نیاید که بزند مثلی را به پشه وپس از آن بر تر پس اما آنها که گرویده اند پس میدانند که آن حق واز جانب پروردگار است واما آنها
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
که کافر شده اند پس میگویند که چه خواسته است خدا باین مثل که گمراه شوند باین بسیاری وراه یابند باین بسیاری وگمراه نشوند باو بجز فاسقان
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
آنانکه میشکنند پیمان خداوندی را پس از محکم کردن ومیبرند آنچه را که فرمان داده است خدا که پیوند کنند وفساد کنند در زمین آن گروه ایشانند زیانکاران

الوقوف فما فوقها ط من ربهم ج لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل مثلا م لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما
هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين في الارض ط الخاسرون
التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين
يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الآية وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود به قالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا
ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واخناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير فقال مثل ملكوت السماء كمثل زرع في قريته حنطة
جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

البر حنطة جيدة نقية زرعت فى قريتك فقال على فالواعن ابن هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوه
يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة أن يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذى زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هى العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
الذى يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصى التى تزرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم
فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم فى اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
فى ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا اخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهى اصغر الحبوب فزرعها
فى قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير تعشش فى فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظم
ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم ويبقون الغل فى
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التى لا ينضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينقصها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم حيث عباد الله تحفر فتجد ونها
عليها اللباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يتخصصن منهن ما هو فى جوف الحجر الاصم وفى جوف العود من يأتيهن بلباسهن و
ارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تنثروا الدر تحت ارجل الخنازير فقال ابنائكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتمونى فى هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغى فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثانى يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره
فى الكتاب الذى نزل تبيانا لكل شئ ثم ان الله تعالى هو الذى خلق الكبير والصغير وحكمته فى كل ما خلق وبرء عامة بالغة وليس الصغير اخف عليه
من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت يحسن ضرب المثل بهما فكيف
يضرب بالفيل وبنى مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم
وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيى الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحيى صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت فى الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعى باعتبار النهايات لا باعتبار المبادى ففى حديث سلمان قال رسول الله صلعم ان الله حيى
كريم يستحيى اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه
حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيى ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة فى كلام
الكفرة فقالوا اما يستحيى رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من
مُبلغٌ افناءَ يَعرُبَ كُلَّها ؛ انى بَنَيتُ الجارَ قَبلَ المَنزِلِ ؛ فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت فى اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار فى طريقه وانه ايما ذهب رأى الماء وكانه يعرض نفسه على النوق
فيستحيى فيكرع فيه مشافركانها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت
منه واستحيته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن ضرب الخاتم وفى الحديث ضرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطنى كتابا ما تريد اى كتاب كان وصلة للتاكيد كالتى فى قوله فبما نقضهم اى
مثلا حقا والزمنه وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك انما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال الحاتم مثل فى الجود ومفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين لجرى ضرب مجرى جعل والبعوض فى اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت
ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه وفى معناه البضع والعضب ومن غرايب خلقه انه مع صغره اعطى كل ما اعطى الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس اصعب من خلق الاخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلعم ان الله خلق آدم على صورته ترى على صغره فاعطاه
على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرآة نفسه جمال صفاته وبه من العجائب ان خرطومه فى غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص فى جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه فى الجيس وذلك لما ركب الله تعالى فى رأس خرطومه من
السم وقوله فما فوقها اى فالذى هو اعظم منها فى الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء او اراد
فما فوقها فى الصغر كجناح البعوضة حيث ضرب به صلعم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية نزلت فى بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا يفيد الترتيب فى الذكر انه يذكر فى هذا المقام الاخس فالاخس كقوله فاذا رميته بالعلياء
فالسندلانه يذكر فى تعريها الامكنة الاخص لا الاعم فكان العليا موضع يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد ان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما

يكن من

يكن من شيء فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حروف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اي ان يكن في الدنيا شيء لم
يوجد فذهاب زيد فيفيد الجزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول
شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
انه الحق ونعي على الكافرين برميهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل ولان يضرب وما
ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول
في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب الذي ما رايت خيرا اي رايت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة
ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي
الجائز على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق
هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي معناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن
البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف واما الاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما
انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما
ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية واما قائما بجسم اخر ولم يقل به احد
او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله
بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا تحقيرا له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال نحو هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وفي العظم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل زاد به المؤمنون
نورا الى نورهم فتسبب لهداهم واذا زادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا يذهبن في نجد وغور غائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان
الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العلم
بانه بحر لسكت عن المستعار لانه من روادفه فتدل عليه بذكر شيء من روادفه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل
من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله ابرمه الله بما اراه في الآفاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى حقيته شرائع
بعد ان احتج العقلاء وازال الشبهات واما قوم من اهل الكتاب فقد اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد و
بين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية آدم
واذ اخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اسم
بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد
توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل ما قطعهم ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به والامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل
وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة
يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي بوصله ولا

نسا في الارض اما الظاهرة فالمعاصي واما الباطنة فالبدع واثارة الفتن أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ في تجارتهم لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الاية

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

زمین همه را پس بعد قصد کرد بجانب آسمان پس برابر کرد آنها را هفت آسمان و او بهر چیزی دانا است

القراءة فاحياكم وبابه بالامالة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو الوقوف فاحياكم للعدول اى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم

التفسير هذه الاية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قراين الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو ان الكفار حين صدر الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله من المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين ساير الاحوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف ساير احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اي في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهي انهم كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فبقي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عن صورة اختيار في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ وكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي أن كُنتُمْ أَمْوَاتًا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثُمَّ يُمِيتُكُمْ بعد هذه الحيوة وهذه مما لا ايشك فيها لانها من المشاهدات ثُمَّ يُحْيِيكُمْ حين ينفخ في الصور وحين تسئلون في القبور ثُمَّ إِلَيْهِ اي الى حكمه تُرْجَعُونَ اي بعد الحشر للثواب والعقاب من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا ايشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا قال ابو نخيلة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ؛ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ؛ ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ وآتيناه أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله فيبطل قول الدهري وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي يعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حيوة ثانية للسؤال وللحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه يزيل كل ذلك عنه بانه يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عين ويبقى مدة مديدة في اللحد وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر اقاربي بجذع قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيامة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لساير النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير للاخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الاية لا تدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خَلَقَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسايط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنايع والحرف ولبعضهم استدل

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها وينتفع بها ويمكن ان يقال بل بهذه الاية والا كان تصرفا في ملك الغير
من غير اذنه ولا يلزم من انه تع خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض فان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان
عبثا الا انه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا انما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية
اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من يسر عليه فقيل انه
تع خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص لشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل
والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تع منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء
العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق
او هذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين
قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات عن
خلق الارض كقوله فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ وكقوله ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتفسير هذه الاية في قوله قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ
بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك
هذا القدر ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا قلنا اجاب في الكشاف
لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كَانَتَا رَتْقًا وهو الالتزاق وزيف بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ يدل ان خلق الارض وخلق
ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله وَالْأَرْضَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله أَأَنْتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها
مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانها مثلا زمان وح يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما
هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك الست قد اعطيتك نعما عظيمة ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع
قلت هذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تع خلق الارض
اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها
اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تع اعلم والضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا
ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والاية هذا عام لم يدخله التخصيص
قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تع لو لم يعرف تفاصيلها لم يمكن مخلوقاته على غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم الدر
في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في الحجر على النحو وهذا به نظام العالم وبه يحصل قوام ما هو بنو ادم ثم ان العقل قد يدل على
وجود سبع سموات وتخصيص عدده بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رائهم ولهما من الجانب الاعلى
الحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا بالكل وثانيهما للثوابت جميعها لتحدد الادنى الذي جاءت لاتحاد
الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب ضعف
بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر وفوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل ونازعهم بعض الناس في زيادة الفلكين
الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فيحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركة الخاصة ويكون الثوابت
على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوايل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ
إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
صدق الله العلي العظيم   وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را كه من قرار دهنده ام در زمين جانشيني را گفتند كه آيا قرار دهي در زمين كسي كه

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ القراءة خليفة وشبا
کسی را که فساد کند دران و بریزد خونها را و حال آنکه ما تسبیح میگوییم بستایش تو و تقدیس کنیم از برای تو گفت که من میدانم آنچه را که شما نمیدانید اما الامالة عند الوقف
ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصة وقبضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة
حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب انى اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو
والوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله يسفك الدماء
يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن
كيفية خلق آدم ع وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدم من النعم فان النعم على الآباء نعم على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف
اي اذكر وقت قول ربك كقوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على ان نبدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت يمتنع والخطاب
للنبي ع او لكل احد من بني آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا او يكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الألوكة
وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها
على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف العلية وان كان بعده في عقولنا وادهاننا
وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء
فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب فمنهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول
اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات
ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران
قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا
يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيء
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم
طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين
وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس
الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي
خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة
المكاشفة واصحاب الحاجات في الضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتراكيب المعجونات و
استخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع الكبد فرأى في المنام كأن آمرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كف اليمنى
بين السبابة والابهام ففعل فعوفي وبما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع بين الانبياء ع في اثبات الملائكة وذلك كالامر
المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ع اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني
آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض
الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في
ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد
او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم
الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل ع وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب
الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا
العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون و
مسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه

اطت الابل اي صوتت من ثقل حملها

غلبهم

وامرهم

والامر ومنهم الحفظة لعباده وفي السدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان ومعناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي صلعم ان الارض هاهنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم عم اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وحد بناء على ان المراد من يخلف او خلفا يخلف وفي الحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات في السماوات والارضين ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسئلوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيب واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بان الانسان يسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد لانه لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم راه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسئلة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلك فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي

ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين والجواب
عن العجب ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث فكأنهم قالوا ما سألناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همست الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه واكرم عليه فلما خلق آدم وفضله عليهم علمه الاسماء
كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك او لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لمن خلقت هذه النار قال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض الخلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر وفي ما قصة ابليس وهاروت وماروت فيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشر ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل فيها معصية او ترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مأمورين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن نسبح للحال كقولك تحسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بعلم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد
في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حتى ارد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو شاء الله
لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
ولله ملك السموات والارض لكن اصرف خدمتي عمرا قصيرا لتنال ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي

نسبحك متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للملائكة سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اى نصلى والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة فى نوار معرفتك اِنِّيْٓ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بان فيهم من يفسد ويسفك فانى اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفى قلبه من الحسد والكبر والنفاق شيء وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم تسبحون انفسكم لا انى يسبحنى اصحى واحى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدنى ثم يخشوننى يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين واعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذه الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالى كلها حكمة ومصلحة وان خفى عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك فى قوله

وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اَنْۢبِـُٔوْنِيْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ

وآموخت بآدم نامها را همه پس عرضه کرد انها را بر فرشتگان پس گفت که خبر دهید مرا بنامهای اینان اگر باشید راستگویان

قَالُوْا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ

گفتند که ای خدای منزه میدانیم ترا از چیزی که آموختی ما را بتحقیق توئی دانای مصلحت دان

قَالَ يٰٓاٰدَمُ اَنْۢبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ اَنْۢبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّيْٓ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ

گفت ای آدم خبر ده ایشان را بنامهای ایشان پس چون خبر داد ایشان را بنامهای انها گفت که آیا نگفتم شما را من میدانم پنهانی آسمانها و زمین را و میدانم آنچه را که ظاهر کنید و آنچه پنهان داشتید

القراءة انبوني وكذلك خاطون وخاسيين وقالون ونحن المنشون وليطفوا وليواطوا ومتكين وقل استهزوا ومتكا وليستنبونك بايبرها ويرتون وما بها كهية واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو هؤلاء بغير المد ولا بالمد يزيد ويعقوب وقتيبة ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلمتان لا يمد وبعد هؤلاء ان بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والنبرى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المضمومتين واما فى المفتوحتين فكابى عمرو وانبئهم عن ابن عامر روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة مضمومة الهاء الوقوف صادقين ط علمتنا ط الحكيم ه انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب فلما تكتمون ه التفسير فيه ابحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا لَا عِلْمَ لَنَآ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا وهذا يدل على ان الملائكة وادم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابى هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهمه بعث داعية على الوضع مثل وَعَلَّمْنٰهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ اى الهمناه او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل ادم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثُمَّ عَرَضَهُمْ يدل على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض اللام عن المضاف اليه كما فى قوله وَاشْتَعَلَ الرَّاْسُ شَيْبًا اى علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ادم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد طائفة واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغى ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغى ذلك لان الفضيلة فى معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة فى معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها على آلة يدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لادم تلك الآلات وقد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربى لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتك لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل انما يحصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدى به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان فى جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله اَنْۢبِـُٔوْنِيْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنباهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ اى فى انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اى فى قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلمونى باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

في ذلك الاعلام وقيل الخبر يعني لا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوبيخ لما هم عليه من التقصير لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم
ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يخبروا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطاهم
تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم
قالوا لا نعلم الا ما علمتنا ذلك فكيف نعلمه وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم
يفسدون في الارض فقلنا لك اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبيحا اي تنزهت تنزيها وهو مصدر
غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري
في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم
لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالاية على انه لا
سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة والمنجم يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل
فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك
تعليم ادم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل ادم خليفة في الارض وقوله
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض مستحضرا لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه ابسط واشرح فيندرج
فيه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند
وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون
ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد وقيل لما خلق ادم رات الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه بينهم او ابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في
هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني
قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء او الى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا
فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه
الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات او لا فان علموا فقد قدروا
على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكره اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا
وان ادم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق ادم
والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات
او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان لقاطعون بانه ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب
الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو
كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون
رسولا الى الاشرف وان المرء الى قبول القول عمن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء
وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم
لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشيء ومما يدل على فضيلة العلم الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك
ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة
بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القران
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين
سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك
ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك
يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الايتين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام
فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك
قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون امنا به و
بشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى

عليهم يخرون

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا وبا الخشية
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبی ص من احب ان ینظر الی عتقاء الله من النار فلینظر الی المتعلمین
فو الذی نفسی بیده ما من متعلم یختلف الی باب العالم الا کتب الله بکل قدم عبادة سنة و بنی بکل قدم مدینة فی الجنة له ویمشی علی الارض
الارض تستغفر له و یمسی و یصبح مغفورا له و شهدت الملائکة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ایضا عن النبی ص قال من طلب العلم لغیر
الله لم یخرج من الدنیا حتی یاتی علیه العلم فیکون لله ومن طلب العلم لله فهو کالصائم نهاره والقائم لیله وان بابا من العلم یتعلمه
الرجل خیر له من ان یکون ابو قبیس ذهبا له فانفقه فی سبیل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو یطلب العلم لیحیی به الاسلام کان
بینه و بین الانبیاء درجة فی الجنة وعنه ص رحمة الله علی خلفائی فقیل یا رسول الله ص و من خلفاؤک قال الذین یحیون سنتی ویعلمونها
عباد الله وعن ابی موسی الاشعری مرفوعا یبعث الله العباد یوم القیمة ثم یمیز العلماء فیقول یا معشر العلماء انی لم اضع نوری فیکم الا
لعلمی بکم ولا اضع علمی فیکم لاعذبکم انطلقوا فقد غفرت لکم وقال ص معلم الخیر اذا مات بکی علیه طیر السماء ودواب الارض وحیتان البحور
عن ابی هریرة مرفوعا من صلی خلف عالم من العلماء فکانما صلی خلف نبی من الانبیاء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم علی العابد بسبعین
درجة بین کل درجتین حضر الفرس سبعین عاما وذلک ان الشیطان یضع البدعة للناس فیبصرها العالم و یزیلها والعابد یقبل علی عبادته
لا یتوجه الیها ولا یتعرف لها وقال ص لعلی ع حین بعثه الی الیمن لان یهدی الله بک رجلا واحدا خیر لک مما طلعت علیه الشمس و غربت وعن مسعود
مرفوعا من طلب العلم لیحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعین نبیا وعن عامر الجهنی مرفوعا یؤتی بمداد العلماء ودم الشهداء
یوم القیمة لا یفضل احدهما علی الاخر وفی روایة فیترجح مداد العلماء وعن ابی واقد اللیثی ان النبی ص بینما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاما احدهم فرای فرجة فی الحلقة فجلس الیها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع و فر فلما فرغ ص من کلامه قال الا اخبرکم عن النفر
الثلثة فاما الاول اوی الی الله فاواه الله واما الثانی فاستحیی من الناس فاستحیی الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه ص یشفع یوم
القیمة ثلثة الانبیاء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوی فاعظم بمرتبة هی الواسطة بین النبوة والشهادة وعن ابی هریرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جاریة و علم ینتفع به و ولد صالح یدعو له بالخیر وعن النبی ص اذا سالتم الحوائج فاسئلوها الناس قیل یا رسول الله
ومن الناس قال ص اهل القران قیل ثم من قال ص صباح الوجوه قال الراوی والمراد باهل القران من یحفظ معانیه و قال کن عالما مجتهدا او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تکن الخامس فتهلک قال الراوی وجه التوفیق بین هذه الروایة وبین الروایة الاخری الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس
همج لا خیر فیه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده کن مستمعا جالسا او ذئبا او کلبا حارسا وایاک ان تکونن
انسانا ناقصا وعن النبی ص انه کان یحدث انسانا فاوحی الله تعالی الیه انه لم یبق من عمر هذا الرجل الذی تحدثه الا ساعة وکان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلک فاضطرب الرجل قال یا رسول الله دلنی علی اوثق عمل فی هذه الساعة قال ص اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم و قبض قبل
المغرب قال الراوی ولو کان شیء افضل من العلم لامره النبی ص به فی ذلک الوقت واما الاثار فقال مصعب الزبیر قال لابنه تعلم العلم فان لم یکن لک مال کان
لک جمالا وان لم یکن لک مال کان لک مالا وقال علی بن ابیطالب ع لا خیر فی الصمت عن العلم کما لا خیر فی الکلام عن الجهل وقیل مثل العالم بالله
وبامر الله کمثل الشمس لا یزید ولا ینقص هو الجالس علی الحد المشترک بین عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الی الخلق صار کواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذکره وخدمته فکانه لا یعرف الخلق فهذا
سبیل المرسلین والصدیقین ومثل العالم بالله فقط کمثل القمر یکمل تارة وینتقص اخری هو المستغرق فی المعارف الالهیة غیر متفرغ لتعلم
علم الاحکام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله کمثل السراج یحرق نفسه ویضیء
غیره وقال سفیان الناس یقومون من مجلسی علی ثلثة اصناف وذلک انی افسر القران فاقول عن الله و عن الرسول فمن لا یصدق فهو کافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم علی ما صنع وعزم ان لا یعود کان مؤمنا مخلصا وقال ایضا ثلثة من النوم یبغضها الله
وثلثة من الضحک النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم فی الصلوة والنوم عند مجلس الذکر والضحک خلف الجنازة و الضحک
فی المقابر والضحک فی مجلس الذکر وقیل العالم ارأف بالتلمیذ من الاب والام لان الاباء والامهات یحفظونهم من نار الدنیا وانهم
من نار الاخرة وشدائدها وقیل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول و قلب عقول و قال بعضهم سل مسئلة الحمقی واحفظ
حفظ الاکیاس وقیل الدنیا بستان تزینت بخمسة اشیاء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصیحة المحترفین فجاء
ابلیس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فرکزه فی جنب العلم وجاء بالجور فرکزه بجنب العدل وجاء بالریاء فرکزه بجنب العبادة
وجاء بالخیانة فرکزه بجنب الامانة وجاء بالغش فرکزه بجنب النصیحة وقال علی بن ابیطالب ع العلم افضل من المال بسبعة وجوه العلم میراث الانبیاء
والمال میراث الفراعنة العلم لا ینقص بالنفقة والمال ینقص المال یحتاج الی الحافظ والعلم یحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم یدخل معه قبره
المال یحصل للمؤمن والکافر والعلم لا یحصل الا للمؤمن جمیع الناس یحتاجون الی العالم فی امر دینهم ولا یحتاجون الی صاحب المال العلم یقوی الرجل

عند المرور على الصراط والمال يضيعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات
ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم
فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب ما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة انا عند المنكسرة
قلوبهم لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسوق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منه وان
كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم
ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع
وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عم علم التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
وعلم محمدا عم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى
ويوشع له وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن
امه وعلم محمد عم لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد ادم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد عم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وايضا فان يوسف عم ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك
مفسر الكلام وسميك النفس ووارث الانبياء وداعيا الخلق وواعظ العباد وسراجا لاهل البلاد وقائد الخلق الى الجنة وثوابه وزاجرا لهم عن النار
وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء ص وروي عن نافع
بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ
له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك
وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه
عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه وقيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن
بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع
شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم افة الزعماء ضعف السياسة وافة العلماء حب الرياسة واما النكت فالمعصية
عند الجهل لا يرجى زوالها انظر الى زلة ادم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي ابدا الا ان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عم لما صار ملكا احتاج
الى وزير فسأل جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه في اسوء الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله
فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من
ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة
ملك فقال الملك اذهب تعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك
لجهلي والان علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي
بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرىء من غير جرم
فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة
العلم بالله وصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات فحكي ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه انه اخذ من بيتي مالا
بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لابد
من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع عليه
لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتاتيني بها واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال اتيك بها واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرائته بقوله يا حجاج قال له ولا تاتني بهذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم فقال اتيك بها واضحة من كتاب
الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى وقد الحق بذرية نوح واتى عليه بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرأ هذه الاية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد الزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقرائته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يا حنيفة يوما فقال الربيع و
هو يعادي يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك
يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد
التزوج من ال فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك
فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المراة وجاؤا الى ابي حنيفة ليشكونه وليستفتونه فقال لهم له ذلك فقالوا الطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا اخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكنك المسافرة بها حتى تقضي ما عليها
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين سئل ابو حنيفة ارضى بهذا والا اقررت
عن رجل حلف ليقربن امراته في نهار رمضان فلم يعرفوا احد جواب فقال يسافر بامراته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شيء واحد كان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلاف هذا الجالس فانقطع خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين على حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرء ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلث
فلك ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال
فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطاء ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطاء
ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطاء ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه اما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكارم الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش بموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب فكلما كان المدرك اكمل واشرف كانت اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عزمن قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة وهي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك في
غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لان كلمة انما المفيدة للحصر لاجل الام اللام
في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية انه من لم يكن عالما بالله فلا يستحيل ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل

معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند
السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبايح فعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف
ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ
القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه ص قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك لان التفكر يوصلك الى الله والعبادة
يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال
سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا
العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان
التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا يحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما
الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه
فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن تعلم
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تع يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى
جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل
العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم انما وجب
كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان
ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه ايات صدقه كانت بداهته تغنيك
عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمرتبة النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تع والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح
في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط و
المركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من
القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل تع صفة
العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة
الحنيفية وان الله تع سمى العلم تارة بالحيوة اومن كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور
يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب
كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوا وكذلك
علم الزاهد صاف يتكدر بالطبع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه
او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه ص قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد قالوا الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي ص قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا

الى قصورها

الى تصورها والى ما اعد الله لاهلها فيودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريبنا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيودوا ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب اربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة والكراهة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر قال علي بن ابي طالب عم لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير اخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزء من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا

البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به الكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر بطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تميزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشروقا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون الحال في كل مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز مرتبته في العلم وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ثم ان كان الكامل في النور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق لها من اهلها

البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر الله يعلم اني لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة تعرفت بها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا بالانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كأنه النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم باموره جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلعم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تتصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والرأي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرص السبع الشائع فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي صلعم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل أفمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي صلعم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فالتجلي علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمدي وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن غيرها باسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا

وچون گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید آدم را پس سجده کردند مگر ابلیس که سر کشید و تکبر نمود و گردید از کافران وگفتیم

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

که ای آدم جای گیر تو وجفت تو بهشت را وبخورید ازان فراوان هر جا که خواسته ونزدیک مشوید این درخت را پس گردید

مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

از ستمکاران پس شیطان ازان پس بیرون کرد انها را انچه که بودند دران وگفتیم که فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

دشمن است وازبرای شماست در زمین آرامگاه وبهره تا وقتی معین پس بیاموخت آدم از پروردگارش کلمه چند پس توبه کرد بران بدرستیکه او

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

توبه پذیر مهربانست گفتیم که فرود آیید ازین همه پس اگر بیاید شما را از من راستی پس هرکه پیروی کند راستی مرا پس نیست

ع ٤ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بر ایشان ونباشند اندوهناک وانانکه کافر شدند وتکذیب کردند بایات ما گروه یاران آتشند که ایشان دران جاویدانند

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما اشمام الكاف الكسر وبرفع الهاء وروى

في معنى الحدس
في الذكاء
في الخاطر
في الوهم
في الظن
في الخيال
في البديهة
في الكياسة
في الخبر
في الرأي
في الفراسة
اي باسماء هؤلاء

الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانهما
بالهمز فيهما وبائس بغير همز ابو عمرو وبزيد والاعشى وورش ومن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازلهما حمزة آدم بنصب كلمات
رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي الامالة كل القران على غير ليث النار بالامالة كل
القران وكذلك كل كلمة في اخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه و
النجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن الزيدي
الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو النار
في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد الحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة
عن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بلبس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا
الكافرين شيئا مر لاتفاق الجملتين الظالمين ٥ كا مر فيه من الجملتين المتفقتين عددا ولاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار ٥ لان ما بعدها مبتداء وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولئك لان تمام المقصود بالوعيد
هو الخلود مثل دما ان حلوها مضر خالدون ٥ التفسير لما خصص الله تعالى ابا نا آدم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على
جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى التنوير ههنا ظاهر الا ان قوله تعالى في موضع اخر فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل التسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم و تعليم الاسماء و
مناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يأمر بالكفر
والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت
شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف : عن هاشم ثم منها عن ابي حسن : اليس اول من صلى لقبلتكم : واعرف الناس بالقران والسنن :
وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعلا من الساجد وزعم آخرون ان المراد
بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على
الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية
كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود
بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال
اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان
من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت وليا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار
والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الآية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الآية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل
اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها انما تحصل من الذكر
والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن
كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار والملائكة من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن
عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا
ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العموم في كتاب الله
اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان
التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة
لم يتناوله الخطاب باسجدوا فلم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم فتوهم فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان
خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ
اخر ما حكاه في القران بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة
بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الآية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول
وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون
وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكى عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند
العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الآية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

النار

اعظم

فيه معنى السجود وان ابليس من الجن

المرد والمرض والافات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية
بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله لعائشة اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها
واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم
خائفين وجلين كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده
قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام
الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان الملائكة وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا
وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم يطيب
قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عليه السلام افضل
الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى
الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارأيت قول الله عز وجل لَا يَفْتُرُونَ ثم قال جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة النفس
فيما غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها
ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان ثناء الله يستلزم تبعيد من يعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة
به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها
ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الى الانبياء عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد
ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما
لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك آخر السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ مع وجود شهوة النزع
والرياسة فيهم ولهذا قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل لان أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ورد بان تقوى الانسان
اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ خرج التالي
مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية
الملائكة المقربين في المعنى المصحح للعبودية من غاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا
يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من
القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من المسيح فقط دون غيره كمحمد عليه السلام الثامنة مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ
فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد
اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضو
نبوته وان سلم مفضوليته وبنوته وقتئذ فلم لا يجوز ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من
الانوار وآدم مخلوق من التراب فاغترا رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تنقلبا ملكين فيصح استدلالكم وان يكون
المراد ان النهي مختص بالملائكة والخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان
دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غايته ما في الباب ان الاية تدل على مفضولية جميع الانبياء كمحمد عليه السلام التاسعة وَلَا أَقُولُ
لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة
مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك لانه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسيمة
والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ
ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا الصورة ورد بان قولها فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
فِيهِ كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق
المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين فالانسان افضل منهم واما المكلفون فهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب
ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم
على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة

افضل من جنس

افضل من جملة بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد
المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر
في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر
الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين واغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب فضلهم في القرب
والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين ويدخل
فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ
والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله
ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان المطلق تقف حول سريره ملوك الاطراف فهذا لا يدل على انهم اكرم عند السلطان
من ولده الخامسة عشر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر
شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ؛ قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع التنازع
في تقديم الاسم كذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب وعورض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله
وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ولا تشريف بل تشرف
الامة بذلك السابعة عشر ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء
المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا الثامنة عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم
بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار وطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم
الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم
ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم التاسعة عشر ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب
مزيد ثوابهم العشرون قال تعالى حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول
خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان
الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب
من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني
ينبغي ان يكون افضل مما له الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها النورية
والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة
والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم حين
قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر
ولهذا قال تعالى حاكيا عن ربه لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها
في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل
التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها ما بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلقات من القوة الى الفعل كا
لتحريكات العارضة للارواح البشرية الحاملة للقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري
في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود
الا الله ولئن سلم انها ازلية لكانت ممكنة الوجود لذاتها وهي واجبة الوجود بمبادئها وعورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمباديها وكانت
كالاظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدأ الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد والشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها
واستحكم الفها بها فبعث من تلك الاظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة
في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد بان الشرف

عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السموية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
احاطة الارواح السموية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الربع اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور وربما فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الحامة اللطيفة تشق الصخرة الصما
وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي انما هو شرهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهذه
الامهات والمنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عنده الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
لروحانيات هذا العالم ومعادلها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصعد
الشيء ومصعده اشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر ان
الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي المنزل بلسان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه
اخرى وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود وانما
نمام غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كما مر وخلق الدنيا منبعة لبقائه والاخرة مملكة ولجزائه ولعن ابليس لتكبره عليه وجعل الملائكة حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول لدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من كلفة
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات لكون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مصونون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبرئيل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبرئيل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبرئيل وميكائيل وزيران
فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن انه معذور بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك بشرها سراك عيني

وال ابراهيم

والملائكة من العالمين

تختلج لا تقول نفيني لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف تحقيرا عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان
من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله
بالعبودية كان منافقا كافرا وانما عندنا من منع الاحباط فلان خاتمته لما كانت على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني
في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى
الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا اني على مسائل في حكمته اسولته الاول انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه
اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية
وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة
فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع
انه خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر
والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا
في الجنة والسادس انه خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده
حتى اراهم من حيث لا يروني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك
فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان
لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم على نظام الخير خير من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له
انا في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسئولون هذا مذكور في التورية ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ويرجع بعد
عما انه فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في
مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فالعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لوم ان يجري حكم الخالق في الخلق
او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا التحكيم
الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول
مصدرها وهذه في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي كل فرقة ضالة من هذه
الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال
جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد
ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم
ومن قائل ان كان بمعنى صار وقبل الكفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره
على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا
وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله
من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر
البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال
لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الاخرون معنى الاية انه صار من
الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الاية ولان الافراد الذهنية يكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا
يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة
المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد
يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك
واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود
القوى الجسمانية الطبيعية للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع
بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود
وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا
يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناول ما من اشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكانه

في الخالق

بالقذة

الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال لغيره اسكنتك دارى لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها فى
هذه السورة ففى سائر القران ما يدل على ذلك انها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدى عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شىء حى فقيل لما ان
ادم مد يده اليها منعه الملائكة وقالوا اد مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلى على محمد ثلثا قال ومن محمد قالوا من ولدك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل ادخال الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت فى الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت فى الارض او فى السماء
وعلى تقدير كونها فى السماء هى دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى هى فى الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلود ولو كان فى جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه فى الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائى هى فى السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هى دار الثواب والدليل عليه ان اللام فى الجنة ليست للعموم لان السكنى فى جميع الجنان محال فهى للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة او اى
زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفى الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شىء وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثانى على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى فى البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفى الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهى
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما فى الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهى فى لا تقربا للتنزيه والتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت فى كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة فى القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل فى الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لانه
حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهى تحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم فى ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سيأتى ان شاء الله تعالى ثم النهى عن القرب يفيد النهى عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ومما
يدل على النهى عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروى عن ابن عباس ان الشجرة هى السنبلة وفى رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغى ان يكون فى الجنة حدث قال المبرد واحسب
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اى اخذ يمنة
ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس فى الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احد ان يقيم عذره فى التخلف فقال اشتغلت بضرب غلمانى لا اسأتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظنن احد ان ههنا تقصيرا فى البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهى من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن فى هذه الاية كهى فى قوله وما فعلته عن
امرى فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وذلك قد مر فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكارم بما
كانا فيه اى من النعيم والكرامة او من المكان الذى هو الجنة ان كان هو الضمير فى عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا فى عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما
فى باب الاعتقاد او فى باب التبليغ او فى باب الاحكام والفتيا او فى افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة الا
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية

فى بيان الجنة

ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله

فى بيان اختلاف عصمة الانبياء عليهم السلام

واما

ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطاء فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم وابآه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى فهم على التحفظ اقدر والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم اكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من
قائل يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع وبتقديره اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من والثاني
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث بتقديره اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون ح منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن قوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله
من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه تع حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء
من المخلصين لقوله تع في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي الشيطان
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز
الاقتداء به في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روى ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلعم على دعوى دعواه صلعم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله صلعم اني صدقتك على الوحي النازل عليك من فوق سبع فقالت
سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلعم فيه وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب حملا
ما سيجيء في الاعراف انشاء الله تع من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الاخر لقوله هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تع ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج انشاء الله تع قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها : والسهو من كل قلب غافل لاهي : قد غاب عن كل شيء سره
فسها عما سوى الله في التعظيم لله قالوا في الافعال وعصى ادم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض
انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول هم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انهما نسيا وروي عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما
منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها
ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت
المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة لانه القى اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرغبة فيما روي عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا
يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرم حتى يكون
ماذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لانه لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه
لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع ان آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله
عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا
لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك
لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي
انه صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به اراد نوع الحرير
والذهب ونوع الوضوء فاراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من
شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا
هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع
ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين
بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا
كما مر وبان آدم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى
لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية الا ان التشديد بدا على الخطاء فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل وقد يحمل الخطأ في الاجتهاد
من جهة ان آدم ظن ان المنهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم
مع ان ابليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت اما انه دخل في فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى
وان كان بعيدا عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما انه دخل الجنة
في صورة دابة واما انهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما انه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس
لهما على لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الازلال والاخراج الى
الشيطان لانه حصل بسببه ومنه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء
الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فلما لم يقبلا عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس تراهم يوسوسون اليك على هذا الترتيب عاذنا
الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل ان لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم
بحقايق الامور اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس اما في وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لآدم
وحواء في وقت ولابليس في آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما ولذريتهما مرادة ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعلا
كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فاما يأتينكم ومنها هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر او اباحة الاشبه
الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان اشق للتكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان
يقال انه لا هباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والثاني ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار او موضع استقرار حال الى
الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة او حين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة ولهذا لو قال انت طالق
الى حين فمضت لحظة طلقت في قصة آدم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة لمن له كافية في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در
القائل شعر: يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد ❊ تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد

آنبيت ان الله اخرج ادما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن
حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الجنة في دار الفنا خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم
موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد
يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمله فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير واصبته والتى و
اصبته وتلقته وتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول فتلقى آدم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز
ان يكون معنى التلقي من الوحي ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب
فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل امره الى التوبة وعرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر نعمة العظيمة
عليه حتى صار من الدواعي القوية الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كمل حالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي
رواية ابن عباس ان ادم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات
التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحوا امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن
مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد تعالى ان يتوب على ادم ع طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى
الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم
اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم قد غفرت
لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته
الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة يتحقق من ثلاثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب
من الضرر وكونه حجابا بين العبد وبين الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان
سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر
وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى
الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله ع الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه
هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يقال
الرجل خرج من سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران
ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد
الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رقة
طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل
القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول
التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله ص انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل
الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء
ادم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذا لخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء واقتدا بنبينا ص انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في
اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شيء يغين يغشي ويغطي التغطية
كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممنوعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة
الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق
وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة
عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة
وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني
بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال
رب زدني فقال لا يولد ولد لادم الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا

حيث كان يريد وحمزة في الوقف تعنى وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند رأس الآية وروى سبح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر به الى
قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ° ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا ° اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون ° تعلمون °
الراكعين ° الكتاب ط تعقلون ° الصلوة ط خاشعين ° لا لان الذين صفتهم راجعون ° التفسير انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات
العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه اشكى لهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على
نبوة محمد ص من حيث كونه اخبارا بالغيب ودرجا في مطاوي ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقبا ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد ص وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة
والعائد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما
آل الامر الى امة محمد ص ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل
عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل
وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد ص وهو التوراة والانجيل والزبور
ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد ص والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة
يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها
عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء
نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه
اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال وفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة و
الانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد ص وانه سيبعثه واليه الاشارة
في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فسأكتبها
للذين يتقون الآية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد
الى بني اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به اي بالقرآن غفرت له ذنبه وادخلته الجنة
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد ص النبي الامي الذي من ولد اسمعيل
ويصدق هذا القرآن يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعة ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد ص فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده ص قلنا اما لان هذا
العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان و
المكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه وجاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فقال لها
فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق
الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع وقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول
في اوائل العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجتهم
الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت
رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما
من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد
كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا

خوفه يوم القيمة ومن خاف في الدنيا امنه يوم القيمة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من
الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى
فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقرآن في التورية والانجيل فكان الايمان
بمحمد والقرآن تصديقا للتورية والانجيل والتكذيب بمحمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد من جهة ان شهادة
كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤال الاول كيف جعلوا اول
من كفر به وقد سبقهم الى الكفر مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته و
لانهم كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اولى الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية
مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول
كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا
الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وبها قريظة
والنضير فكفروا ثم تابعهم سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال
الثاني كأنه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اول والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وآمنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا
محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد
لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم
اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي
ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو
الرشى التي يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل
الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم ثم قوله
ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وآمنوا امر بترك الكفر والضلال لان لاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها
عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا مجزوم بلا المقدرة للنهي
عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء في بالباطل اما للصلة في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كالتي في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد كانت نصوصا
خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر
جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد اطع احدهما القرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون
ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان
وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه
عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا للكفرة عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته والايمان
برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرائع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على
انه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التأخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون
المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني آمرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزكاء
والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال مأخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها و
طهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال عليك بالصدقة فان فيها

ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتأمرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا فالاكثر انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال ابن جريج تامرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق يرغبونهم في اتباعه فلما بعثه الله محمدا صلعم حسدوه واعرضوا عنه الزجاج يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل يأمرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلعم ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك و النسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلعم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به التقدير اتعلمون ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامرأة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مرتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلعم قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال صلعم ان في النار رجلا يتأذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله صلعم قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلعم مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل يروى ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرئي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سألني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ❊ ثم انه تعالى لما امرهم تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلعم بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخفت عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوة البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع

ابتلاء

البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اى الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
في هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم الى
حكمه راجعون فيسهل عليهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا اما الملحد فلم يعتقد في فعلها منفعة فلا يؤاتيه طبعه في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فيثقل عليه واما الموحد حيث
اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم لا يجوز الا ان الظن
هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اى البعث والنشور كفر فكيف يمدح بسبب هذا التجويز انهما اشتركا
في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا مقطوع واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم لانه متوقع كل لحظة وتوقعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله او لانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيئ ظنه بنفسه
باعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق
لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر بحيث تماس سطحاهما وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك انه مانع اضمار حكم او ثواب فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الآية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى
البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق
ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ اى بنى اسرائيل ياد آوريد نعمت
مرا كه عطا كردم برشما و انكه زياده كردم شما را بر عالميان و پرهيز كنيد روزى را كه پاداش داده نشود نفسى از نفس چيزى را و قبول كرده نشود مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ
مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف ازان شفاعت و گرفته نشود عوض
ازان و نه ايشان يارى كرده شوند العالمين ينصرون ج التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمتي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم
لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل
العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب للمؤمنين من بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع
ما خاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب يروى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم و
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى آخر الآية جمل منصوبات
المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف
الجار وهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا قال الشاعر فما ادري اغيرهم تناء ؛ وطول العهد ام مال اصابوا
اى اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشي في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا يقضي عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحى بها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في
تقدير مصدر اى قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفسين ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة للمفدى وفي الحديث لا يقبل

صرف ولا عدل اى توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى نفس الثانية العاصية غير
المجزى عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس
الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما
دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسى مثل ثلاثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه
على ان الخطب شديد لانه اذا وقع حدث كريهة وحاولت عزيمة دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه كما يلزمه وتذب
كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول
بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور فعلل بما لو يصل امكنه من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع
يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا
فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالآية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الآية قبول
الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع آخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو
النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يترجح الى بذل المال ومنهم من على العكس فقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم
واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة
اجمعت على ان لمحمد ﷺ رتبة الشفاعة في الآخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه
لا شفاعة للكفار وبقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار
ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الآية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والآيات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة
كثيرة فعرفنا ان الآية ليست على عمومها لكن الآيات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الآية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم فايسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الآيات المناسبة
ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجاز ان لا يكون الشيء مستعد القبول الفيض
من واجب الوجود الا انه يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء
مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مستعد القبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل
على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد ﷺ حيث انه لا شفاعة الا له وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ وچون رهانیدیم شمارا از آل فرعون که میچشانیدند شمارا بدترین
عذاب که میکشتند فرزندان شمارا و زنده میداشتند زنهای شمارا و در این بلا آزمایشی بود از پروردگار عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ بزرگ وچون شکافتیم بجهة شما دریارا پس رهانیدیم شمارا و غرق کردیم
آل فرعون را و شما مینگریستید وچون وعده کردیم موسی توریترا در چهل شبانروز پس گرفتید الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ گوساله را پس از آن و شما ستمکار بودید پس در گذشتیم از شما
پس از این شاید که شما سپاس کنید وچون دادیم موسی را توریة و فرمان شاید که راه یابید القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا
الاصفهاني عن ورش وعندنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف عن ابي عمرو وجهان
ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى
والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل وتكون
لكما والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل فما كان المؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم
ج تنظرون ظالمون تشكرون ه تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون
ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وفي جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول
به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل او لان الموضع تخلص مما
انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل وامال في تحقيره وتكبيره على الاعرف فابدلت الهاء الفا على خلاف القياس ثم الى الالف وجوبا فالالف فيه بدل عن
همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد يقال خطر فلان اى تبختر
آل العلم وانما يقال اهلهما وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤولون الى اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن اختلف فى اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب لم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بال فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بنى اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ؛ ابينا ان نقر الخسف فينا ؛ واصله من سام السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب يريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف فى سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم فى اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسدى كان يجعلهم فى الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا سيما اذا استعمله فى الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذه بهم رافة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم اى شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم ومعناه هم يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذى دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضى فناء الرجال وانقطاع النسل بالاخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضى فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوى فى الانتفاع بالمولود من عظم العذاب ومنها ان الابناء احب وابعد عن العيب من البنات ولهذا قيل شعر ... وللنبى صلعم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال وبالنساء النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم فى الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى فى اليم معنى وانما لم يقل البنات فى مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل انى ارانى اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم ان يجعل فى ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدى ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين خبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم فى تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والاقدح فى ذلك كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك فى اجلى البديهيات وهو انه يمكن الوجود ضده من العقل لا يكون من العقلاء ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا فى دينه وكان يجوز صدق ابراهيم واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيرى فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفى سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفى الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذى فى ابراهيم من كلام موسى فعد المحن عليهم وكان مامورا بذلك فى قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اى فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هى التى يحسن اضافتها الى الربية ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث غاب عنهم اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ فى اذلالهم ههنا نكتة وهى انهم كانوا فى نهاية الذل وخصمهم فى غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره فى الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينسى امر الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهى صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن فى الاعمال القذرة

الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء عند سلوككم فكأنما فرق بكم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا
اى ملتبسا بكم روى انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال فى معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بنى اسرائيل ان يستعيروا
حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال اما لما بقى اموالهم فى ايديهم ثم نزل جبريل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَاَوْحَيْنَا اِلٰى مُوسٰى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا
وكانوا ستمائة الف وكل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ما صاح الديك تلك الليلة
فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد الشاة حتى تجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف وسبعمائة الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَاَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِيْنَ اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه فى البحر وكان يمشى فى الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس
وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلاث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهبت الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يابسا فاتخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراؤا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما بلغ شاطئ البحر رأى البحر منفلقا فهابه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَاَغْرَقْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ
قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا عصى الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله وينشق ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه ويجيهم عناية الله
الى ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله موسى وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ان ينزل عليه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة انما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر
لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء فى الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين ينقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد
من تقدير مضاف اى تمام اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله فى الاعراف كقوله ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
اِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم فى قوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا
لدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل واتوا عقيب ذلك بما ابشع انواع الجهل والكفر كان ذلك فى محل التبعيد والتعجيب كما تقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية فى الدخول على المبتدأ والخبر
نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثانى للعلم به لذكره فى مواضع اخر منها فى طه فقالوا هٰذَا اِلٰهُكُمْ وَاِلٰهُ مُوسٰى وقوله من بعده
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى الذى استعاروها من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلى لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامرى فى مسيره مع موسى فى البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين
تقدم فى البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى اخذ ما كان معه من الذهب فصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هٰذَا اِلٰهُكُمْ وَاِلٰهُ مُوسٰى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم فى قوله وَاَنْتُمْ ظَالِمُوْنَ كما قال
اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ وذلك ان الظلم وضع الشىء فى غير موضعه والمشرك وضع الاخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو فى وانتم اما
للحال واما للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا وتعس

عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلعم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلا
ثم ان اسلافهم كانوا فى البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبى صلعم مما كان يشاهد من مشركى العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد ما اقطع شان الجهالة والتقليد وما افظع شان الجهلة المقلدة
رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء فى الدلالة على الصانع وصدق النبى ان السامرى القى الى القوم ان موسى انما قدر
على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت
عجيب واطمعهم فى صيرورتهم مثل موسى فى اتيان الخوارق اولعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا حلول الاله فى الاجسام فوقعوا فى تلك الشبهة
الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلعم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد صلعم مع ان معجزتهم القران الذى لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يحالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا
عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم فى التورية ومثلهم
فى الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اى حين تبتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذى ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة
العفو ومعنى الترجى فى كلام الله تعالى قد مر فى قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعنى التورية نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل
موسى وفى هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعنى يوم بدر
وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكى تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوْبُوْٓا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم شما ستم كرديد بر خود را
بفرا گرفتن شما گوساله را پس باز گرديد بسوى آفريننده خود پس بكشيد نفسهاى خود كه اين بهتر است از براى شما نزد خدا فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ وَاِذْ
قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ پس قبول كرد توبه شما را بدرستيكه او توبه پذير مهربان است و چون
گفتيد اى موسى هرگز ايمان نياوريم از براى تو تا كه ببينيم خدا را آشكارا پس دريافت شما را صاعقه و شما نظر ميكرديد ثُمَّ بَعَثْنٰكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ پس زنده كرديم شما را از پس مردن شما شايد كه سپاس كنيد
و سايبان كرديم بر شما ابر را و فرستاديم بر شما من و سلوى را كه بخوريد از پاكيزهاى آنچه روزى كرديم وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْٓا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ
القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابى الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس و و ستم نكردند و ليكن بودند كه خود را ستم ميكردند
قراءة ابو عمرو بالاختلاس انه هو ومدغما وغير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان بالامالة نصير والعجلى نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو عمرو وشعيب عن اليزيدى وكذلك كل راء بعدها ياء
استقبلها الف لام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلى وخلف وقراء
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم ه تنظرون ه تشكرون ه السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون ه التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم فى الدين وايضا لما امرهم بالقتل ودفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة فى حق اولئك الباقين وفى اعقابهم
الى زمن محمد صلعم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلعم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشئ من ذلك متى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلعم فى التوبة فان امة موسى لما رغبوا فى تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا فى مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدى ضرر فتبين ههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا العذاب الابدى والفرق بين الفاءات الثلث فى الاية ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس فى شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد فى شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا لا تتم توبته فى شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول ويقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهى عن الرياء فى التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اى القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة بفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى والموت لا بد
واقع فليس فى تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هى الفاء الفصيحة اى المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم فى جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم في ترك العبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة بريئا من التنافر في الحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقتهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال او في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون آمين روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وادعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كغلبة او جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي احد منهم فما الذي يقولون فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت ونعم الله بعد ما كفرتموها طلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله ثم فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله ثم فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا يستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها التشبيه بجحودهم معجزات النبي بجحود اسلافهم نبوة موسى مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبي مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي وتثبيت لفؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك لانه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يتمردون في كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب

من مخالفيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبارا بنبوته صلى الله عليه وسلم ومنها لما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من الوحي
بقي ههنا بحث هو ان المعتزلة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امرا جائز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم ينزل
بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته
في الاخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد في الدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صدق
المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم ان فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات
عفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما يجيء
في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس واظل ضوءتان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى اذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس
لكل انسان صاع لا ازيد ويبعث الله الجنوب فيحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد مجاهد المن صمغ حلو وهب
الخبز السميد الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم هذا كما روي مرفوعا الكماءة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طا
احر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم
فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى
غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في ال
عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

ووقتی که گفتیم که داخل شوید این قریه را پس بخورید ازان هرجند که خواهید فراوان و داخل شوید در را سجده کنندہ و بگوئید بیامرز گناهان ما را بیامرزیم گناهان شما را و زود است که بیفزائیم نیکوکاران را پس تبدیل کردند انان که ستم کردند گفتاری غیر انکه گفته شده بود پس فرستادیم بر انان که ستم کردند عذاب را از آسمان بجهت بدکاری ایشان

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح
الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القران ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة علي وقوله غير
بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم ط
المحسنين يفسقون ۝ التفسير القرية مجمع الناس من قرأت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع
القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال كخود كوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس
حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال
ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبي على مثال الصحيح والمراد بيت المقدس وقيل اريحاء
من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات
وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ودخلوا متزحفين على اوراكهم من الزحف وهو المشي على الاوراك وحطة فعلة من الحط
كالجلسة خبر مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت
كقوله شعر شكا الي جملي طول السرى ۞ يا جملي ليس الى المشتكى ۞ صبر جميل فكلانا مبتلى ۞ الاصل صبرا اي اصبر صبرا كان الله تعالى امر القوم امروا
ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته
لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى
التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله عنه
لتزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله
فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب
قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطاءة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي
بياءين ثم همزة ابدلت الهمزة الفا فتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا

قبول التوبة صفة القلب

اوثوابا اوسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة وهذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب غفران ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ يصير الكلمة سببا للغفران ومن محسن يصيره سببا للزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول فالمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به لم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك قيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو انهم وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي خمسة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كبرد ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر انما نزل من عند الله تفظيعا لشأن العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا ينبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يتناول كل من بدل قولا بقول اخر اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا سواء ثم انه قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالفاعل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ثم قال في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو ولما بينا في قوله فكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق ان يكرمهم بغفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا الدال على الانعام الاتم ولم يذكره في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب فاللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك لانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والاخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق بها التكسير اذ بحذف الواو ليكون استئنافا فالكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبنى على التخصيص من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وهنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اول الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فقد اكتفى بذلك البيان فى الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين فى موضعين والله اعلم

وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوْا وَاشْرَبُوْا ع

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن عصای خود را بسنگ پس روان کردیدازان دوازده چشمه که دانست هر کسی محل آب میدن خود را بخورید

مِنْ رِّزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نَّصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَّاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا و جنبش مکنید در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیب نیاوریم بر یک خوردنی پس بخوان از جهة ما پروردگار خود را که برآورد از آنچه

تُنْۢبِتُ الْاَرْضُ مِنْۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِىْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِىْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت که آیا بدل میکنید از آنکه آن پستتر است با آنکه آن بهتر است فرود آیند در شهری

فَاِنَّ لَكُمْ مَّا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ ع

پس هر آینه شما راست آنچه خواستید و زده شد بر ایشان خواری و بینوائی و برگشتند با غضب خدا این بجهت آن که بودند کافران بآیات خدا و میکشتند

النَّبِيّٖنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم

پیغمبران را بدون حق این بجهت نافرمانی است و آنکه بودند که در گذشتند الهاء والميم حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء

ياء ساكنة ووافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة نفظ وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمزة نافع

الا موضعين فى الاحزاب ان وهبت نفسها للنبى وبيوت النبى الا فى رواية اسمعيل قالون عند بعض همزة الوقوف الحجر ط لحق المحذوف اى

فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ج وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله بغير

الحق ط يعتدون التفسير جمهور المفسرين سوى ابى مسلم على ان هذا الاستسقاء كان فى التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب

بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان

تتقدان فى الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع

من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل

اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل

بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال

له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها

حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل

له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الموافى ومقابله واما الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى

عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء فى قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق فى فتاب

عليكم وفى هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس

واحد معناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا

ووجه بان الفجر فى الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا

ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس

اى كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة فى الرهط الواحدان لا يقع بينهم من

التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم مباين وتفصيل لما اجمل فى قوله اثنتا

عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اى وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذى

رزقناكم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم المأكول والمشروب

والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة

ومعناه النهى عن التمادى فى حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بابان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تتبالغوا فى التنازع ويرد على هذا القول

ان الافساد منهى عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضى ان يكون المنهى عنه هو التمادى فى الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات فى نحو قوله

عز من قائل ولا تعثوا فى الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفى نحو قولهم تعلمه تأبا وتم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو اقاعدا

وقد سار الركب وفى الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فانه

ان يحدث اى فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سببا وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم

وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن فى الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتى النبى باناء وهو بالزوراء

نوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه حتى توضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا
اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب
بمثابة موسى وقومه انه يستسقي ربه لارواء لهما من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصاء لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات
تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فتنفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط
الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوي في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الآية زعم
بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان الاولى بحال المكلف الصبر على ما يسره الله تعالى له خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا
ولا سيما اذا كان المسؤل الدون واحتج بانه لهذا انكره موسى عليهم قال أتستبدلون وقال الآخرون هو غير معصية لان قوله كلوا واشربوا
عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل
التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبدل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وانما
وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها ولا يأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا بهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما ألفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث
وغير ذلك من اطايب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو العدس والبصل
او نحوه قال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال الفواهي لغة قديمة الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون مقدارا كقوله في ضده هو بعيد المحل بعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا اما مصر فرعون و
التنوين فيه في القراآت المعتبرة مع ان فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من الامصار
كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان
يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال
وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص والصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية
وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد ﷺ هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك
قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة
انتقامه تلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم
للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل
فان الآتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في الذم او كرر
للتأكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ
عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا
اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبأ من ارض الى ارض اي خرجت منها الى
اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي خارج من مكة الى المدينة فانكر عليه ﷺ الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما
ارتفع من الارض اي انه ﷺ اشرف على سائر الخلق وفعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول انما جمع على انبياء لان الهمزة لما ابدلت
والزم الابدال الجمع جمع ما اصله حرف العلة ذلك بما عصوا تأكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه
ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر
والقتل على معنى انهم انهمكوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت اعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم
بين سبب ذلك وهو ما فعلوه في حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يليه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي
المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله

فكانه تعالى بين بسبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي ال عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
بدرستیکه آنان که گرویدند و آنانکه هدایت یافتند و ترسایان و از دین باز گردیدگان کسی که گرویده بخدا و روز واپسین و کرد

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
شایسته مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهی و چون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را بگیرید

مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم
آنچه که دادیم شمارا بتوانائی و یاد آورید آنچه که در انست شاید که بپرهیزید پس برگشتید از پس این پس اگر نبودی فضل خدا بر شما و مهربانی او هر آینه بودید

مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ
از زیان کنندگان و بتحقیق که دانستید خبر آنهارا که در گذشتند از شما در روز شنبه پس گفتیم بآنها که باشید بوزینه راندگان پس گردانیدیم اینرا عبرت پیشینیان

يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والحمزة عن هبيرة
و از بعد آیندگان و پند از برای پرهیزکاران وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى وأسارى
وبواري والجواري كلها بامالة ما قبل الالف الصابئين بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم
لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور ط لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد
يدخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للاية والعطف بالفاء المتقين التفسير قد انجر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب
من يقفوا اثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون ههنا
لان قوله في اخر الاية من امن يدل على ان المراد من قوله امنوا شيئا اخر كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين امنوا
قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي
وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل المنصارى
كل من امن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الاخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين امنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون
والذين هودوا يقال هاد يهود وهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين
امنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكانه قيل ان الذين امنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من امن منهم
وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا وعن ابن عباس نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب
وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التورية واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قال ابن عباس وقتادة وابن
جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران في
مؤنثه نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صباء الرجل يصبوء اذا خرج من دينه الى دين اخر
وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا لانه اظهر دينا على خلاف دينهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يؤكل ذبائحهم ولا
ينكح نساؤهم وعن قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل هؤلاء اقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم
قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك
والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين
الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا امنوا بالله ويدخل فيه تمم الايمان بكل ما اوجب الايمان برسله وامنوا باليوم
الاخر وبما ورد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من امن رفع على انه مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب
على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من او الذين معنى الشرط قال البرهان قدم النصارى على
الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ و
اخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك وقوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم
وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه
ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم ثانيها ما روى عن عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فراوا ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبرئيل بقلع

وجه تسمية اليهود

وجه تسمية النصارى

الطور من اصله ورفع فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول
حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثاني انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد كما قال ميثاقكم ولم
يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او اخر والواو في ورفعنا اما واو عطف انه جعل الميثاق مقدما على رفع
الجبل كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال اي جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل
الجبل مطلقا وعن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى
حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يمكن الجبل في الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة
القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما في
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذي هو ضد النسيان لان الذكر من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق و
الوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر من بعد ذلك اي من بعد القبول والالتزام قال القفال قد نعلم في
الجملة انهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بامور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا
امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب
ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم
وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرون بها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا
بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بامهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله
تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر ان
قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على
ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضي
بدون قد لانها لتأكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير الماضي
كالمضارع مع تناسب معنى قد معنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين بتقدير القسم قيل عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود
بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي
غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استن الابناء بسنة الاباء
واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان
فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما نزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا
قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه انما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما
الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امره الشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم
لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان
الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا
وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نأمن في كل ما نراه قردا او كلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات
واجيب بان الانسان ليس هو هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار في جميع البدن او جزء في جانب من البدن
كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا
التأويل يجوز في الملك الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق
فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتألمون بذلك
ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التي في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية
عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة

رادع عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ط يقصد الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلنا عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخ ولاجل ذنوب تأخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لان امر اعتبار في العقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزد لاجل الذنب المتأخر شيء فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتأخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم

واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة
وچون گفت موسی ازبرای قوم خود که خدا میفرماید شمارا که بکشید گاوی را
قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال
گفتند که آیا گرفته مارا ریشخند گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از جاهلان | گفتند که بخوان ازبرای ما خدا را که ظاهر گرداند که چیست آن گفت که
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده ونه جوان متوسط درمیان اینها پس بکنید آنچه فرموده شده | گفتند که بخوان ازبرای ما پروردگارت را تا ظاهر گرداند
ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد درخشنده که رنگش فرح دهد نگرندگان را | گفتند که بخوان خدای خود را که بیان کند که چیست آن
ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا
که گاو مشتبه شد برما وما اگر خدا خواهد هرآینه ازراه یافتگانیم | گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام است که شخم کند زمین را ونه
تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا
آب دهد کشت را سالم باشد که نباشد رنگی دران گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند آنرا ونزدیک بود که نکنند | وچون کشتید نفسی را
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته
پس بیکدیگر رسیت دادید آنرا وخدا برآورنده آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره ازان اینچنین زنده گرداند خدا مردگان را ونماید نشانهای خود را
لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
شاید که شما بیابید | پس سخت شد دلهای شما پس ازان پس آن مانند سنگ است بلکه سخت تر وبدرستیکه بعضی از سنگها هرآینه روان شود ازان نهرها
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ع
وبعضی ازان هرآینه شگافته پس برون آید ازان آب وبعضی ازان فرود آید از ترس خدا ونیست خدا بیخبر ازانچه میکنید

القراءة يأمركم ويأمرهم باختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرأ حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت بالحق بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير قد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء تمالى الجزء الآية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لا لان التقدير فان البقر وكان البقر لاء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارأتم فيها ط تكتمون ج للآية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط التفصيل لاتمام القدرة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى ان يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تأخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

قصة ذبح البقرة من بنى اسرائيل

الجزء الاول

بالاية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم آخرا وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى لا الانفاق وتبدل المطابقة للذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا بقرة ما لاجزاءهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد التعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون كذلك ولا ذلولا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع آخرا يجب ان يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتأخر وانه تكليف بعد تكليف دل ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المرء لولده قد يأمره بالسهل اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة ان يأمره بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا هزوا استفهام الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيا بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى في الوحي وذلك ايضا كفر وعن آخرين انه لا يوجب الكفر بل المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما الجأ هذا الجواب كانك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائلين بالعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين قال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى والخطاب في فادارأتم للعموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسألوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا باوصافها الخارجية فالجواب بالاوصاف الخارجية لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن المخصصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص وسبب العدول الى ما اقامة الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقته انه قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كانت طالبا للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان اتوك فقالوا انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظ ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير فيها بين لهم كمال حالها في السن شرع في تعريف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قانئ وارتفع اللون على انه فاعل فاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند

في تأخير البيان

في تعريف الجهل

اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفرة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين و الصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى في استقصاء السؤال اي نرجو انا لسنا على ضلال فيما نفعله من هذا البحث وانا بمشيئة الله ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان لمهتدون لها او انا ان شاء الله لمهتدون للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل وخشية مرسلة عن الحبل او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر اصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة وزنة الآن جئت للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو يلي جئت بالحق اي بحقيقة وصف و وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو مستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه تباطأ الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الخفا وانه سيجعل الى تزاوله سبيلا وانما يسر العبد من خير او شر ودوام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرث من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحي ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء فدلالة هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام آية ودلالتها على صدق موسى عليه السلام آية ودلالتها على براءة ساحة من سوى القاتل آية ودلالتها على حشر الاموات آية فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة آيات عدة ويمكن ان يراد بالآيات غير هذه اي مثل هذه الاراءة يريكم سائر الآيات كما ان مثل هذه الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه تبعيد كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للتخصيص في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة ابعد فقد كان الملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر فلعلم بما امر من ضرب الميت بالميت حصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو الله لا الاسباب

ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب لاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل
تشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال امر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب ان يكون من
احسن ما يتقرب به فتي السن حسن اللون بريئا من العيوب ثمينا نفيسا يتمنوا اعطاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل
على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون في قضية واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة الى الامتثال
اولا وبقتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في ببعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى
قوله ثم قست قلوبكم الاية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى وللذين هم في زمن محمد من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك
الذي عددنا من جميع الايات الباهرات المعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد
مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة ولانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو
اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير اي بهما شئت شبهت فكنت صادقا او لو جمعت بينهما جاز ثم اخذ
في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق
منها الماء الغزير وان منها للذي يشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن
الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا تفشت وانفصلت وان كان صلبا حجرا اجتمعت فصارت مياها ولا تزال تتواتر مددها الى ان تنشق
الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الايات و
معاينة الدلائل ويتشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط الذي يتردى من على الجبل وذلك من خشية الله
اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما يروى من تسبيح الحصى في كف النبي م واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا
تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنشق ولا تتأثر وقيل اي يتزلزل من اجل ان يحصل خشية الله في
قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم المعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم
فمجازيهم في الدنيا والآخرة كقوله ولا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء
لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم التأويلات في ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني
وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا اشعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي مت بالارادة تحيى بالطبيعة
وقال بعضهم مت بالطبيعة تحيى بالحقيقة ثم ما هي انه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن ضابطة سلوك الطريق
لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب ليستهويه سكره عوان بين ذلك القول حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين
لا ذلول تثير الارض لا يحتمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه
عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما
كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارءتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا
او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر تحيى باذن الله
عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب
يظهر عليها الغليان انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشبهة بخوارق العادات كما يكون لبعض الرهابنين والهنود والتي
تشقق فيخرج منه الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الايات والمعاني المعقولة
كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها
الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم وذكرهم
ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي
انوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الايات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص
الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه فمثل الحسن منصوص عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها

نصف الحزب

البقرة

والله اعلم اَفَتَطْمَعُوْنَ اَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُوْنَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهٗ مِنْۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَهُمْ

ایا پس امید دارید که بگروند بشما و حال آنکه بودند گروهی از ایشان که میشنیدند کلام خدا را پس تغییر میدادند آنرا پس از آنکه دریافتند آنرا

يَعْلَمُوْنَ وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَالُوْٓا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ قَالُوْٓا اَتُحَدِّثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ

میدانستند وچون ملاقات کردند آنها را که گرویدند گفتند که گرویدیم وچون خلوت کردند پاره از آنها با بعضی گفتند که ایا حکایت میکنید با ایشان آنچه گشود خدا

عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوْكُمْ بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ اَوَلَا يَعْلَمُوْنَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ وَمِنْهُمْ

بر شما تا محاجه کنند با شما بآن در نزد پروردگار شما ایا درک نمیکنید ایا نمیدانند که خدا میداند آنچه را که پنهان و آنچه را که آشکارا میکنند از آنها

اُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتٰبَ اِلَّآ اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّوْنَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتٰبَ بِاَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا

بی سوادانند که نمیدانند کتاب مگر آنچه خیال کرده اند و نباشند مگر آنکه گمان میکنند پس وای بر آنان که مینویسند کتاب را بدست خود پس گویند که این

مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

از نزد خداست تا بخرند بآن بهاء اندکی را پس وای برانها از آنچه نوشت دستهاشان و وای برانها از آنچه کسب میکنند و گفتند که نرسد ما را آتش

اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهٗٓ اَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ

مگر چند روز معین بگو که ایا گرفته اید در نزد خدا عهدی را که خلف نمیکند خدا عهد خود را یا میگوئید بر خدا آنچه را که نمیدانید

ع بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓئَتُهٗ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا

آری هر که کسب کرد گناهی را و احاطه کرد باو گناهانش پس آن گروه یاران آتش اند که ایشان در آن جاویدانند و آنان که گرویدند و کردند

الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ القراءة الا امانى حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك امانيهم وليس بامانيكم

شایستها آن گروه یاران بهشتند که ایشان در آن جاویدانند ولا امانى وعزتكم الامانى فانا ربعهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء

يعقوب وكذلك كل هاء كان قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون امنا ج والوصل اجوز لبيان حالتيها المنافقين

وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون يعلنون يظنون قليلا ط يكسبون معدودة ط ما لا تعلمون النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعد خبر

خالدون الجنة ج خالدون التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله

فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله

فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية

الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم

ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون

انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه

لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا

اي اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق نجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا

الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على

فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا

في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في

كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد عن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما

الزمتم من اتباع الرسل محاجة فيما في دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون

ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه

ارحت علتك عند الله واثبت عليك الحجة بيني وبين ربك فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل لتصيروا

محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا

تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما

يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا

يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة

لا يعلمون الكتاب التوراة الا امانى واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني

يقدره في نفسه ويجوز ما يتمناه والامانى انهم يتوقعون ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما

يمينهم الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الامانى الاكاذيب المختلقة التى سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شئ رويته او تمنيته اى اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفى الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الا ما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر فى رثى عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة ۞ وآخرها لاقى حمام المقادر ولفظ
مقدرة الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ امانى بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح و
ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدم من قوله لا يعلمون الكتاب الا امانى ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم فى الضلال سواء لان للعالم علما ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما فى اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب عن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثورى صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة فى ان لا انتهاء على غاية الوعيد الشديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثانى ابلغ ولهذا جئ بثم وقوله اشتروا به ثمنا
قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اى مما اسلفت من
كتبة ما لم يكن بحالهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفى اعادة الويل فى الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضى وقالوا لن تمسنا
النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هى ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين العهد ههنا يجرى مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على عدم الدليل السمعى فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقايص فان قيل هب ان الخلف
فى الوعد لوم ونقيصة لكنه فى الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا آخر سوى هذا
فتامل وام اما معادلة بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل تقولون كانه عرض عن الاستفهام الاول الى الكلام واستانف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفى والاستفهام الثانى لتقرير الاثبات وفى الاية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفى الا بدليل سمعى ولا حجة لمنكرى القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف
النفى وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفى جهنم مسيرة
اربعين سنة قالوا لن يعذب فى النار الا ما وجدنا فى التورية واذا كان يوم القيمة اقتحموا فى النار فساروا فى العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من ايام المعدودة قال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا فى النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقى الابد قلت وفى مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الاجسام
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها ونظام تصير الى حظائر القدس لا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن ادران التمعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية بقلل التعلقات
الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوى وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد انه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فيقعد بصدأ مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامر ومر الدهور وكرور الاعصار وقد تنضم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا فى النار فى ويل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة
اصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة فقلب الواو ياء وادغمت وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة منكر ليتناول جميع المعاصى صغيرها وكبيرها
تضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به فيختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
تنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات و
تستولى عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وان وردت فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

في الفرقة الضالة المحرفة

في بيان ضلال الفلاسفة من الفلاسفة

في الكبيرة محيطة الطاعات

السبب بمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وقوله اِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ وقوله اِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ اَمْوَالَ الْيَتَامٰى ظُلْمًا اِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ومن الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخله النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا وبعض من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى اِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَافِرِينَ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ لَا يَصْلٰىهَآ اِلَّا الْاَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلّٰى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد ولان القران مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح وهو الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه العقاب ثم ينقل الى دار الثواب يبقى هناك ابد الاباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب الاقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرا عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ لَا تَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَّذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَقُوْلُوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَّاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا مِّنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُّعْرِضُوْنَ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُوْنَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ ثُمَّ اَنْتُمْ هٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظٰهَرُوْنَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاِنْ يَّاْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ اَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلٰٓى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ

(و ياد كنيد چون گرفتيم پيمان از بنى اسرائيل كه نپرستيد مگر خدا را و نيكوئى كنيد بمادر و پدر نيكوئى كردن و صاحب خويشى و يتيمان و بيچارگان بگوئيد از براى مردمان خوبرا و برپا كنيد نماز را و بدهيد زكوة را پس برگشتيد مگر اندكى از شما و شما روى گردانندگانيد و چون گرفتيم پيمان شما كه مريزيد خونهاى خود را و بيرون مكنيد خود را از خانهاتان پس اقرار كرديد و حال آنكه شما گواهى ميدهيد پس شما اى گروه ميكشيد خود را و بيرون ميكنيد گروهى را از خانهاشان پشت ميشويد برايشان بگناه و ستيزگى و اگر آورند شما را اسيران فديه ميدهيد ايشان را و حال آنكه حرام است بر شما بيرون كردن ايشان پس ايمان مى آريد بپاره از كتاب و كافر ميشويد بپاره پس نيست پاداش آنكه بكند اين را از شما مگر رسوائى در زندگانى دنيا و در روز قيامت برگردند بسوى سخت عذاب و نباشد خدا بيخبر از آنچه ميكنيد آن گروه آنانند كه خريدند زندگانى دنيا را بآخرت پس سبك نشود از ايشان عذاب و نه يارى كرده شوند)

القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف تحذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد بوجه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

في صفات الجمال والجلال

اسارى مفعول ثان فادوهم تفدوهم بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الخطاب الاخر
الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي ومع ذلك توليتم معرضون تشهدون
من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه مستانفا او كونه حالا او خبر العدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة ز لان الفعل مستانف مع فاء التعقيب الجزاء ينصرون ◌ التفسير انه سبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله من قرا بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرا بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها
انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه ثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون او احسنوا ليناسب قولوا
ويمكن ان يقدر وصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد
كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد الشفيق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها
ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وفيها اسرار فليتامل
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول ولهذا ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي في قوله الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى اخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القرابة
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم
مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق وهو السبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب
زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على
الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية فيرتفع نسبهم فنحن لو ترقينا الى الجد العالي
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي ترتقي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه به في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه بقدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتم في غير الانسان
من قبل امه وفي اليتيم من الدرة ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا في جمع

للمنتفخ البطن وجاعى وحباطى وقيل فى يتيم يتامى وفى الكشاف لانه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس وقيل يتامى على القلب كذا فى التيمم الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون لان الفقر سكنه ولانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكن الدائم السكر وهو اسوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابى حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعى واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس قيل الاحسان الى ذوى القربى واليتامى والمساكين ينبغى ان يكون مغاير الزكوة لان العطف يقتضى التغاير التكليف السادس قوله وقولوا للناس حسنا بالوصف اى قولا حسنا وحسنا على المصدر اى قولا ذا حسن او قولا هو الحسن فى نفسه لافراط حسنه ويحتمل وجوه الظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اى قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول قولوا للناس حسنا فى الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس فى الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفاسق فحسن القول ايضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتى هى احسن واما فى الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك فى وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب لترتب الذم عليه بتوليهم ثم هذه التكاليف ايضا واجبة فى شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدنى او مالى وكل منهما اما عام واما خاص فالبدنى العام هو العبادة المطلقة وهى ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدى مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدنى الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالى الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالى العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب ولا والنسب اما سابق ومقارن او لاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولى جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولى غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين او الاشتراك فى النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط فى سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية روى انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر اكثر هذه المعانى فى سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذى القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف اخر وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بنى اسرائيل على طريقة الالتفات ووجه ان اول الكلام معهم فكذا اخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان فى عصر النبى من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هى لازمة لكم لانكم تعلمون ما فى التورية من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذى لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الاعراض عن شئ بعد ظهوره المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود فى عصر النبى وقيل المراد اخذنا ميثاق اباءكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفى قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجا الى ان لا يقتل نفسه فاى فائدة فى النهى والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يقدمون فى قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكذلك من يصعب عليه الزمان والمراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ولا تتعرضوا للمقاتلة من يقاتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقدم فى لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به تقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار

وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى قتذا روطلبته بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان
فيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجر عنه
ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى
كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وقوله تُفَادُوهُمْ جمهور المفسرين على انه وصف لهم بما
هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال وغيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز
ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ اي بالفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ اي بالقتال والاجلاء وذلك
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه اذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر
رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم
ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا
سماه كفرا فقد يكون المناقضة داخلة في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد والمجمع في امرها على سواء
يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزي خزيا اي ذل
وهان وخزي ايضا يخزي خزاية اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل على فظاعة
شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والا ظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية
وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهرية يجب ان
يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها
لا محالة أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ استبدلوها بها فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ لا ينقطع ولا يفتر بل هم على حالة واحدة
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة
ممتنع يستتبع وجود احديهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ في عهد الست بربكم لَا تَسْفِكُوْنَ دِمَاۤءَكُمْ بامتثال وامر الشيطان
واتباع خطواته كما قيل شعر الحنفي مشى قلبي: ارى قلبي وروحي: وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِ عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة
وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ لا تقتصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ
النفس وَاِنْ يَّاْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ فمن اسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسر في قيد حب الدنيا فخلاصه كثرة ذكر المولى ومن
اسر في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسر في حبس وجوده فنجاته فيما يجل عن
وفاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسر في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص
ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغير سبيل ولا لديهم دليل اَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وهو ما سمعتم في اول الخطاب اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
فقلتم بلى وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ وهو الذي عاهدتم عليه ان لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي ونعم الوكيل

وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْۢ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا ع ١١

تحقیق دادیم بموسی توریة را و در پی او فرستادیم رسولان را و دادیم بعیسی پسر مریم انجیل را وقوة دادیم اورا بروح القدس آیا پس هرچه

جَآءَكُمْ رَسُوْلٌۢ بِمَا لَا تَهْوٰۤى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ

که بیاورد بشما پیغمبران که میل نداشته باشید سر کشیدید پس گروهی را دروغگو داشتید و گروهی را میکشید و میگفتند که دلهای ما در پرده است بلکه دور کرد ایشان را خدا

بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتٰبٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى

بجهت کفرشان پس بسیار کمتر ایمان میکردند و چون آمد بجانب ایشان کتابی از نزد خدا یعنی قرآن کتابی که تصدیق کننده آنچه با ایشان است و حال آنکه بودند پیش از آمدن آن طلب غلبه میکردند بر

الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهٖ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهٖۤ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَّكْفُرُوْا بِمَاۤ

آنان که کافر شدند پس چون آمد ایشان را آنچه شناخته بودند کافر شدند بآن پس لعنت خدا بر کافران بد چیزیست که فروختند بآن خودها را که کافر شوند بآنچه

اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُّنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ فَبَآءُوْ بِغَضَبٍ عَلٰى غَضَبٍ وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ

فرستاده خدا از روی حسد که چرا می فرستد خدا از فضل خود بر کسیکه میخواهد از بندگان خود پس بازگشتند بخشم بر بالای خشم و از برای کافران عذاب خوار کننده

وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا بِمَاۤ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَاۤ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَرَآءَهٗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ

و چون گفته شد با ایشان که بگروید بآنچه فرستاده خدا گفتند میگرویم بآنچه فرستاده شده بر ما و کافر میشوند بآنچه غیر از آنست و او هست حق و تصدیق کننده آنچه با ایشان است بگو پس چرا

تَقْتُلُوْنَ اَنْۢبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ القراء فالقدس يكون الدال حيث كان ابن كثير بقتادة وما بعده بغيرهم ابو عمرو ويزيد والاعمش

میکشتید پیغمبران خدا را پیش ازین اگر هستید گروندگان

وويش وحمزة فى الوقف بيزل تخفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهى الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب
بعده كذبتم للعطف المستقبل على الماضى مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثانى يؤمنون لما معهم ط
لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد قوله وكانوا من قبل معترض حال
كفروا به ج لان ما بعده مبتدا لكن الفاء يقتضى تعجيل ذكر جوابهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط
مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه فى الاى المتقدمة صنيع اليهود فى مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك فى هذه
بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض العهود زيادة فى تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية اتاه الله تعالى اياه جملة واحدة
عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اى اتبعنا
على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس ويونس واليسع وزكريا ويحيى
وغيرهم وروى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود
من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن ههنا قال علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ان الله سيبعث
لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول روبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل
صدق اى بجبرئيل سمى بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى
كان يحيى الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه والقدس هو القدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذى بشر مريم بولادتها وقد
تولد من نفخة جبرئيل وهو الذى اياه فى جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما
وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر
معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون
كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبى على الباطل ويحتجون
على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على ادم ففريقا كذبتم على التمام وما بقى منه غير
مكذب وفريقا تقتلون اى ما تدبر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
قال ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان قطعت ابهرى العداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من
القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله فابيت بها
بلا دهش فخررت شعر وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعده رعاية الفاصلة فى يقتلون وبيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل
فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذى يقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر
الناس باحد الامرين فهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاصناف بغاية الاستخفاف وغلف جمع اغلف وهو كل ما
فى غلاف ومنه الاغلف للذى لم يختن اى قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لمكان الحائل بينها وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين
جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى احدثوه
بعد نصب الادلة وازاحة العلة ونحو هذا اللطف للمكلفين ان لا يتلقوا الى المعاصى بابلاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن شمروا
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما
كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى لا يؤمنون
اصلا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اى لا تعقل البتة وذلك عن الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا
على ان المراد بالكتاب هو القران ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة

فمنه الروح سبب حيوة البدن

بيان دليل النبوة

محمد من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة والدليل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القرآن يسألون الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا او
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص في نفس لعن من يستحق اللعن حسن ايضا واولئك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم
ما بدا لهم كما ان الثمن حاصل ملك البائع وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب ويوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباؤا
بغضب على غضب لا بد من اثبات سببي غضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفران وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام
واما تزايده وتكثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر اي ولهم عذاب وفائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المذل لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفته لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالوالد يؤدب ولده آمنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فهو يستدل به على عمومها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن و
هو الحق الضمير يعود الى وراءه او الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو احقه او اثبته على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله يكفرون على ان كلاهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمد لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التوراة
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى عنه انه مصدق للتوراة وجب اشتمال التوراة على الاخبار

عن نبوته فدعى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعريض بمن هو حاضر كذب دعويهم هوان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالد جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل تقتلون
حكاية حال ماضية واصل لم لما ما فدخلت اللام التعليلية في ما الاستفهامية الا الف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء
وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعويهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود
المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال
اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قلبوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا
منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب يثيرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلي في اثناء الطلب بالفترة والفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاد والشيخ فاما اذا ذلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند وقع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لان ولياء
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا انا اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب ⁂ وَاِذْ

اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَآ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمَعُوْا قَالُوْا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ

وچون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم شما بتوانائی و بشنوید گفتند که شنیدیم و نافرمانی کردیم و بیامیختند ایشان در دلهای

الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهٖٓ اِيْمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ

گوساله را بجهة کفرشان بگو که بد چیزی است که می‌فرماید شمارا ایمان شما اگر بوده باشید گروندگان بگو اگر بوده باشد از برای شما خانه آخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر

النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ

مردمان پس آرزو کنید مرگ را اگر بوده باشید راستگویان و آرزو نکنند مرگ را هرگز بجهة آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان و خدا داناست بستمکاران و هر آینه بیابی ایشان را حریص‌ترین مردمان

عَلٰى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهٖ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُّعَمَّرَ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ

بر زندگانی و از آنان که انباز آوردند دوست دارند هر یکی از ایشان که زندگانی کند هزار سال و این امر مانع او نیست از عذاب اگر باقی ماند و خدا بیناست بآنچه میکنند

القراءة ولقد جاءكم مد غمة الدال في الجيم كل القران ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر
الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب قرا حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقي الميم حرف ساكن وقبل الهاء
كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ٥ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ٥ صادقين ٥ ايديهم ط بالظالمين ٥ على
حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف
للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من
من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط بما يعملون ٥ التفسير السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه اخر في قولهم نؤمن
بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب لتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلام بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا
العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا
الدال على نهاية لجاجهم ذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني
سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا وفي هذا الاستعارة لطيفة وهي انه كان الشرب مادة لحيوة ما يخرج من الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم
وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى
ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يامركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم با
بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم
واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان
كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من
الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها
بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فينتعلق بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند

ظرف وخالصة حال في العامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد قوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا والا ولا مذهب ليصح الزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شأن انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر في التورية منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ولا يفوت الا القليل النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد والنهي عن تمني الموت في قوله لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر: الا موت يباع فاشتريه ۞ فهذا العيش ما لا خير فيه ۞ الا رحم المهيمن روح عبد ۞ تصدق بالوفاة على اخيه ۞ فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب نوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا رضي الله عنه كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب والدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله تعالى بسبب تلك البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وقيل لهم ان يقلبوا السؤال على محمد فيقولوا انك تدعي ان الدار الآخرة خالصة لك لا لامتك ومن ينازعك في الامر فارض بان نقتلك او نقتل منك فما لك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته وله ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم ذكر الايدي مجازا لان اكثر الاعمال يتم بمباشرتها وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه حقا انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو كان تمنوا بقلوبهم لتمنوا النقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث لفظا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اهل المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب لتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك لانهم لولا انه اوحي اليه انهم لم يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الدار الآخرة لهم خالصة واما الخالصة لا شتراك اية فيستفاد من الآيات التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بهم وبما لديهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن اولان الدعوى

فيه ابيات لطيفة

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى نسبة الشيء في الكمال لا الاكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص
في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك لا انسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى بعد احتيج الى اداة هي في باب النفي
ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان هاهنا قسما ثالثا وهو ان لا
يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون واللام لقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زادوا عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ
وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زه هزار سال ويحتمل ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ
اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكرها اشتمل عليه قبله فكانه مذكور
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الآية تقديم
وتاخير اي ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا واحرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو
يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر
بناء على العرف لانه اول عقد يستجمل وقوعه في اعمار بني آدم او بيده والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما
احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
تعميره ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة
عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد انه على لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه
ع١٣ ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى يتعين حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
بگو ای محمد که هر که باشد دشمن جبرئیل پس بدرستیکه فرستاد او را بر دل تو بفرمان خدا تصدیق کننده مر آنها را که پیش از او است و رستی و مژدگانی برای گروندگان هر که باشد دشمن
لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
مر خدا و فرشتگان و پیغمبران و جبرئیل و میکائیل را پس بدرستیکه خدا دشمن است کافران را و بتحقیق فرستادیم بسوی تو نشانهای واضح و کافر نگردد بآن
إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
بجز فاسقان و دیگر آنکه هر چه بستند عهدی را در عقب کذاشتند انعهد را بلکه بیشتر ایشان نگروند و چونکه آمد ایشان را پیغمبری از نزد خدا تصدیق کننده
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم
مر آنرا که با ایشان است در عقب انداختند گروهی از آنانکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گویا ایشان نمیدانند مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير
وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل
مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين للكافرين بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والوجه لاتحاد القصة الفاسقون فريق منهم لان
بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون قد يجوز الآية والاولى
للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه لما قدم المدينة اتاه
عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال تنام عيناي ولا ينام
قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر و
الشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال
والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك آمنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله
انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبرئيل
وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي ملكه وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك

على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله لا اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه فقالوا
من صاحب صاحبكم فقال عمر جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال النبي
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبرئيل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها
في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك
القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد
اذيته واسأت اليه وان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في النزول بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى آخره اي ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن
من تلقاء نفسه واجتياره وانما جاء باذن الله وامره الذي لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه
مأمور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه آتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر
ميكائيل بذلك لكان منقادا لامره لا مخالفة ولتوجه الاشكال عليه فالوجه في تخصيص جبرئيل بالعداوة وجبرئيل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة
بشرطيها وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من
دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ولا بد من التأويل لان القرآن انما نزل على محمد لا على
قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فيعني على قلبك حفظه اياك وفهمك وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق
القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه
قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما
يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن يشتمل
على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف
يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين واما الهدى فلانهم
هم المنتفعون به كما في هدى للمتقين ولما بين في الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرئيل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا
لله تعالى بين في الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو
هو الذي يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا العاقل المتغابي فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء
الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين يؤذون الله ورسوله او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن
التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في
الازل بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة المؤمن لله نتيجة محبته اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق
محدثة والاولى علة للثانية وافرد الملكان بالذكر للدلالة على فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات
ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فالاحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبرئيل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبرئيل ينزل بالوحي
والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبرئيل وميكائيل بمعنى او لان
عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة الكل كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله
للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة ان عداوة هؤلاء كفر الآيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان
لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله الدليل الدال عليه كثير المقدمات
فيكون الوصول اليه صعبا والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اسهل واقرب وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها
واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها واللام في الفاسقين للجنس فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له
الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى كمن فتح من
النهر نقبا صغيرا لا يقال انفجر النهر وفي قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان في ذكر الفاسق دلالة على الكافر
وغيره والثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر النهاية

الفسوق

القصوى وهذا نوع آخر من قبائح اليهود وعن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه من العرب
كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه
مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس واشارة
الى اهل الكتاب وكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله
لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبته من لم تجر عادته نبذه النبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب الله لتلازمهما بدليل وهو القرآن نبذوه
بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك رصين من قبل التوراة ولكن المكابرة حملتهم على نبذه واظهرهم مثل
لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التوراة لانهم بكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**
ومتابعت كردند آنچه كه ميخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ
ولكن ديوان كافر شدند مياموختند مردمان سحر را و آنچه فرو فرستاده بود در آن دو ملك در بابل كه هاروت و ماروت اند و هيچكس را نمى آموختند
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
تا كه ميگفتند كه بدرستيكه ما آزمايشيم پس كافر مشو پس مياموختند از ايشان چيزى را كه جدائى انداختندى بآن در ميان مرد و زنش و حال آنكه ايشان ضرر رسانندگان نبودند بآن كسى را مگر بفرمان خدا
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا
ومياموختند آنچه را كه ضرر رسانيد ايشانرا ونفع نبخشيد ايشانرا وبتحقيقكه دانستند كه آنكه خريد آنرا نيست مر او را در آخرت هيچ بهره وهرآينه بدست آنچه فروختند بآن نفسهاى خود اگر
يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي
ميدانستند واگر چنانچه ايشان گرويدندى و پرهيز كردندى هرآينه بهره از نزد خدا بهتر است اگر ميدانستند وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين
بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف قيتبه على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا لبيان
نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر وقد قيل على جعل ما نافية لا يصح لما اقتضيه ما في سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله
السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشرها آت احدها كافر في ثمانو لا
نكرة منصوب في نفيهما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط يجوز الوقف
لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون خبر ط يعلمون التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود
الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان ثم من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان
ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ
يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر
هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ على ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تتلو عليه اي تكذب على القوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك
المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن فانهم كانوا يسترقون السمع ثم
يضمون الى ما سمعوا اكاذيب تلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن
يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دفن
كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين
الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب المدفونة اوهموا الناس انه
من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم
بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف
في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لترويج ذلك منهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم
انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم
بين ان الذي براه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون
الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية

لان منهم

والعجز ولو كانا من الحرب في الحرب وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منها لانصرفا وقيل بدلان منها ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت
وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى
سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى
ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال ان من البيان لسحرا سمي ص بعض البيان سحرا لان
صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليسخط تارة فيقول اسوأ
ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم ع مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن (الجذع بالكسر في النخل)
الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على ماء ونحوه وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد
اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديك نبتت على
ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة
الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين
غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك فقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة
بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح
من الارواح السموية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف
البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها الى بدن آخر اتخذت تمثالا لذلك الغير ووضعته عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة
والدهش فيحصل لها في ذلك الوقت انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن
قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا
لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة وترى العظيم
من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا
يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم ديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو ام
لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء و
التحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة الاتيان بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية ولضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الآخر ومنه الصور التي يصورها
الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية
والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع
ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان
يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر عند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله تعالى فانه لا يمنع وقوع هذه

الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من يعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الائمة على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يديه لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يديه لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت له تم فضول الباطل كما ذكر الفخر واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر ووصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون ووكل عليهم جميعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال الصنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها فقالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة والملك الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انه انما اصابهما بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين السحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد ايضا تعريف حقيقة السحر ليميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اولياءه ولعل الجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك ارشادا ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقيل هذه الواقعة كانت في زمان ادريس عليه السلام اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض ولا بد من رسول يكون فيهما لكون ذلك معجزة له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان من احد حتى ينهياه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء

قصة هاروت وماروت

لم يحدث كان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكون المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بذلك على ان سائر الصور بتاثير السحر فيها اولى وقرأ اعمش وما هم بضاري به من احد بجعل الجار جزءا من المجرور وهو احد اضاف الى المجرور وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتريه استبدل ما تتلوا الشياطين واختياره على كتاب الله ماله في الاخرة من خلاق من نصيب كانه قد بلغ هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى الاية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الاخرة منافع الدنيا ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف هو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سؤال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم اجمالا ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول وكذا لو كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذ فريق كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا اخر علموا انه لا خلاق لهم في الاخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الاخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم امنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن او التورية التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله الشيء من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم امنوا وجواب لو محذوف وايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لا يثبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستقبل فليشبه ان يكون لاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض لعالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحيوة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا بغي الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوج روحه

ع ١٣ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا رَاعِنَا وَقُوْلُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوْا وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ

اى آنچنان كسانى كه گرويده ايد مگوئيد در هنگام كه مراعات كنيد ما را و بگوئيد كه منگر بما را و گوش و هيد و از براى كافرانست عذاب درد ناك دوست نميدارند كافران از صاحبان

اَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ

واهل كتاب و نه مشركان كه فرود آيد بر شما خوبى از جانب پروردگار تان و خدا مخصوص گرداند برحمت خود از آنكه ميخواهد و خدا صاحب فضل بزرگ است

مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ

بر طرف سازيم هيچ آيتى را يا واگذاريم اثر بجا آنكه بياوريم بهتر از آن را يا مانند آن را آيا نميدانى اينكه خدا بر هر چيز تواناست آيا نميدانى كه خدا مر او راست پادشاهى آسمانها

وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْـَٔلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوْسٰى مِنْ قَبْلُ

و زمين و نباشد از براى شما غير از خدا از دوستى و نه يارى يا ميخواهيد كه خواهش كنيد از پيغمبر تان چنانكه خواهش كردند قوم موسى را از او در زمان پيش

وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننساها مهموزا

و هر كه بدل كند كفر را از عوض ايمان پس تحقيق گمراه است از وسط راه

ابن كثير وابو عمرو وعن اوقية بغير همز الباقون ننسها من الانساء فانه بغير همز ابو عمرو وغير ابرهيم بن حماد وبزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابرهيم بن حماد بالهمزة لانه جواب الشرط ومن شرطه الجزم كل ما كان نسقا اي عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا وياتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار بمجاز غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد
ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك لو توقف وانتم عواط اليم من ربكم ط من يشاء ط العظيم ومثلها ط قدير ولا الارض ط ولا نصير ربع الجزء ومن قبل
السبيل والتفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح اخلاف المعاصرين لرسول الله ص وجدلهم واجتهادهم في القدح
فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القران قال ابن عباس رض كان يخاطب في التورية بيا ايها
المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب
هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب اخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا سيما فان المؤمن اسم من اسمائه
العظام ففيه دليل على انه تعالى يقربهم منه في دار السلام وقيل امنوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل امنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية
ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت
او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول
راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ص اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله ص و
اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا اسمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول ص وهم يعنون
المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ص لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها ان قطرب قال هذه الكلمة وان كانت
صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي
غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا
فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره
وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي عوذا عياذا
فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل انهم ارادوا وصرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا
راعنا اي ذا رعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين منسوبا الى وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسئلوه
الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج
عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل فالاولى التفهيم والاتئاد من البث
والثاني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل نظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان
افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي مهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله ص وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الاية من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي بمعنى ما يودون ان ينزل يودون ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة اهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة
والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان ولهذا يتحدث بها كالارث فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ
من اية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد ص يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشيء من صفة
وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز
في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذ ورد الشرع بضده رافعا للاباحة فانه
لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان
ونحوه بل بمقتضى العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى اخر الشهر فان الى وان اوجبت
مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متاخرا ويمكن ان يقال ان قيد متاخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون
الا كذلك ونحو صم الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله

الجزء الاول

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص عدم ارادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على
المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا
كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك لانا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع
وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شئ بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق
شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ
القيام عمن يكسر رجله وبقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق
له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من ارباب
الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة
قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التورية انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق
وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته تستلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود
والنصارى نص صريح يعلم منه امد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا احتج اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل
قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان كان الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة
فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع
من انه قول موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقولهم لرسولنا صلى الله عليه وسلم ومحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا
به في عهده فدل ذلك على انه افك افتراه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كنفع شرب
دواء في حال وضرره في اخرى بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا
عقيب وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها
بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله
تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص على زواله فذلك الوارد ناسخ و
الاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر
له فله الظهور فيه متقدما احدهما ومتاخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود وتتبع الحوادث المتعاقبة
بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر المعين وجد وجوداتها المترتبة اشبه شئ بكتاب يقرأ القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع
من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمبادئه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون
اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شئ وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على
وقوع النسخ في القران بوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان المراد بالايات المنسوخة الشرائع التي في الكتب
القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون
لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب و
ايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا يدل
على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا
بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر
فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخ بالاتفاق اجاب بانه زال
لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي
انه لم يتصدق غير علي رضي الله عنه ويدل عليه فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل
القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وسائر

في بيان اجماع ارباب الشرائع

في بيان الآيات المنسوخة

الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع اثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلائل وامثالها تدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير يعود وايضاً نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرآناً المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم وروى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معاً كما روي عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعاً والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة و ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعاً وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبراً واحداً فيصير بهذا الوجه منسياً عن الصدور ويكون ذلك معجزة له كما يروى انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسأها نؤخرها واذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكماً على المكلف ان الثاني احق واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثواباً من العمل بالاول نفساً ولنفع كل منهما فقد يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثواباً وان حملنا الآية على غير ذلك فبتغير الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه فان عين استكمالهم ابداً ناظر ونجم وصالهم دائماً زاهر فلا ينتسخ من آثار عباداتهم شيء الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اقمار الربوبية وايضاً انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام آخر لا يشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك الغافل انه حجب عن ذلك المقام والحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجوده خيراً للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيراً منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرك على قدر نصبك وايضاً قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتماً وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان المأتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضاً نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضاً المأتي به خير والسنة لا يكون خيراً من القرآن وايضاً قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخاً بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئاً مغايراً للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك لان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتباً على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقاً للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي فيدخل الامة تبعاً او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته

فيه تحقيق من اهل الاشارة

ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من درجة الآيات الى كشف الصفات ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم تسخت عن الخيال واثبتت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله مِنْ دُونِ اللّٰهِ من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض اَمْ تُرِيْدُوْنَ قيل الخطاب للمسلمين لقوله وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير في قولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْئَلُوْا رَسُوْلَكُمْ ولانه سئل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب كما سئلوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلعم في رهط من قريش فقال يا محمد ما او من بك حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْبُوْعًا اَوْ تَكُوْنَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّعِنَبٍ اَوْ يَكُوْنَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ اَوْ تَرْقٰى فِي السَّمَآءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه وقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سال السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت محمدا صلعم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسئل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلعم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم

فيما يوجب التكفير

واقع بكون احدهما لا انه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فليسئل وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورافته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتنقير عن تفاصيل حكمته التي تكاد تنحصر ويوهم ان السائل في شك مما امر به ونهي عنه على هذا لا يوقف على بصير واما منقطعة على انه اضراب عن الاستفهام الاول واستئناف استفهام ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهمهم لهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهمهم معرفتها وسَوَاءَ السَّبِيْلِ وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره

وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ اِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوْا وَاصْفَحُوْا حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ اِنَّ

دوست می دارند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدنتان کافران از حسدیکه از پیش خودشان پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حقیقت پس درگذرید و بخشید تا که صادر فرماید خدا فرمان خود

اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوْا لِاَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ

بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هر چه پیش فرستید از برای خودتان از خوبی بیابید او را نزد خدا بدرستیکه خدا بآنچه میکنید بیناست

وَقَالُوْا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ

وگفتند که داخل نشود بهشت را بجز آنکه بوده باشد از یهود یا ترسایان این آرزوهای ایشان بگو که بیاورید حجه خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد

ع

وَجْهَهٗ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهٗٓ اَجْرُهٗ عِنْدَ رَبِّهٖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ لَيْسَتِ النَّصٰرٰى عَلٰى شَيْءٍ وَّقَالَتِ

روش از برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مر او راست مزدش نزد پروردگارش و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهناک گردند و گویند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گویند

النَّصٰرٰى لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلٰى شَيْءٍ وَّهُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ

ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را همچنین میگویند آنان که نمی دانند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان در روز

فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ القراءة قد سلفت الوقوف كفارا ج لاحتمال ان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا او حال او مفعول له وهو وجه الوصل

در آنچه که بودند در آن اختلاف میکردند

بامره ط الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مع الصدر عند الله ط بصير ه او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتداء مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

فهو خير لكم افضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت كفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردون على انه بمعنى يصيرون الحسد من اقبح الخصال الذميمة قال الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل وما اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون
النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد روي ان موسى
لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه قال احدثك من عمله ثلثا
كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب كان يومئذ
على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرا فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج ادم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن ادم اخاه حين حسده
ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي
حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فذلك
هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الاية وغيرها ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا وانفقه في سبيل الله ورجل اتاه الله علما فهو
يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبا اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة
وقد يكون مندوبا به في نحو الانفاق في سبيل الله وتشهي العلم والتعليم وقد يكون مباحا وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه
وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان تحب زوالها عنه اليه كرغبته في داره الحسنة وامراته وولايته فالمطلوب بالذات حصولها فاما زواله
عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه هذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة
منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الاولى حيث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه
لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من اذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي
للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل ثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو
لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان
يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد
وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند
الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير
له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله
الا لله تعالى ومن طمع المحال خاب وخسر سابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن
حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
فيعظم الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد
بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله
كان وما لم يشا لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في
عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دينه ودنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تريد غمومه وملك و
اخوانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله: النار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله: وقد يبدل

حكاية

فيه مراتب اربعة للحسد

في بيان علاج الحسد

الحسد

يحسد الحاسد على كونه مخصوصاً من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل
من يحسد ، والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق ومشكور في ابليس حسد فإنه محسود عند الخلق والخالق ولا بأس به فهل هو إلا كمن رمى حجراً إلى
عدوه ليصيبه به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانياً فيرميه أشد من الأول فيرجع على عينه الأخرى فيعميه
فيزداد غيظه فيعود ثالثاً فيرجع على رأسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الأحوال وقد عاد عليه الوبال وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون
هذا في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وأما العلاج فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف
لسانه المدح له وإن حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وإن حمله على قطع أسباب الخير سعى في إيصال الخير إليه حتى يصير المحسود محبوباً بمجالة فإذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعاً والله الموفق واعلم أن النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود
أمر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وإنما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم إظهار آثارها من القدح فيه والقصد إلى إزالة النعمة
عنه وجر أسباب المحنة إليه ثم إن اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الإيمان من بعد ما تبين لهم أن الإيمان صواب وحق فالقوا إليهم ضروباً من
الشبه لعلمهم أن المحق لا يعدل عن الحق إلا بالشبهة أحدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من إخراجكم من دياركم وأموالكم
واستمرار الخوف عليكم فاتركوا إيمانكم الذي أتاكم إلى هذا والثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التوراة وقوله من عند أنفسهم إما
أن يتعلق بودّ أي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق وإما أن يتعلق
بحسداً أي منبعثاً من أصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والإعراض عن الجواب لأن ذلك أقرب إلى
تسكين النائرة لا دائماً بل حتى يأتي الله بأمره عن الحسن أنه المجازاة يوم القيامة وقيل قوة الإسلام وكثرة المسلمين والأكثرون على أنه الأمر بالقتال
فعنده يتعين إما الإسلام وإما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والآية منسوخة لأن الآية التي علق بها غير معلومة شرعاً فليس كقوله ثم أتموا
الصيام إلى الليل بل يحل محل قوله فاعفوا واصفحوا إلى أن ينسخه عنكم عن الباقر أنه لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبريل بقوله أذن
للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وقلده سيفاً فكان أول قتال قتال أصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فإن قيل كيف يعفون
ويصفحون والكفار أصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون إلا عن قدرة قلنا أن الرجل من المسلمين كان ينال الأذى فيقدر على بعض
التشفي والاستعانة على سائر أصحابه فأمر أن لا يهيجوا قتالاً وفتنة وأيضاً القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين إن يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وأيضاً جعل الصابر له القوة في ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال
ما يلزم فيهم من النصح والإشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بأمر الله قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير
وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلاة تنبيه على أنه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم
بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ أنفسهم بأداء الواجبات من خير من حسنة صلاة وصدقة فريضة أو تطوع نعمم بعد ما خص تنبيهاً على
أن الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من إضمار أي تجدوا ثوابه لأن وجدان عين تلك الأشياء غير مطلوب إن الله
بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الأعمال ففيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط أهل الكتاب أي اليهود
والضمير في وقالوا لهم وللنصارى فقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخلها إلا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة
بأن السامع يرد إلى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه مثله وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل
وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان حملاً على لفظ من وجمع خبره حملاً على المعنى ومثله
فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك أمانيهم على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم جميعاً في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن
يدخل الجنة وأشير بتلك إلى ودادتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم أمنية وودادتهم أن يردوهم كفاراً أمنية وقولهم أن يدخل الجنة
أمنية أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض
على هذا وهات الشيء اسم فعل معناه أعط ويتصرف فيه بحسب المأمور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح أنه ليس باسم فعل وإنما
الهاء فيه مبدلة من الهمزة وأصله آت من الإيتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على
أن المدعي نفياً أو إثباتاً لا بد له من برهان وإلا فدعواه باطلة من ادعى شيئاً بلا شاهد لا بد أن تبطل دعواه بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
وقوله من أسلم إلى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز أن يكون من أسلم فاعلاً لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاماً
معطوفاً على يدخلها من أسلم وفيه إشارة إلى أن لهؤلاء الداخلين برهاناً وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الإحسان وفيه ترغيبهم
في الإسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كأنه قيل لهم أنتم على ما أنتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى إن غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله وأحسنتم
فلكم الجنة وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء من حيث أنه معدن الحواس ومنبع الفكر والتخيل فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى ولأن
الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شيء هالك إلا وجهه إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولأن أعظم العبادات السجدة وهي إنما تحصل بالوجه وهذا

الاسلام اخص لان الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لكن هذا عبارة عن الانقياد الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات فهو الاسلام الذي امر به ابراهيم
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه
بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضية لتزايد الحسنات
ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك
ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروايح
الموذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق و
كل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل
طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به والنية
ان يقول في نفسه وبلسانه عند تدبيره او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما الحديث نفس ولسان وما ذاك الا كقول الفارغ نويت
ان اعشق واما النية فهي انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصيير ذلك ملكة للنفس شعر وللناس فيما يعشقون مذاهب
فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور همهم عن طموح ما فوقها من الكمالات
واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين
في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل
واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلعم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شيء اي شيء يصح ويعتد به وفيه مبالغة
عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس رضي الله عنه صدقوا قالت ذلك لان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك حال انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن
بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السموية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي
سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا
قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكل
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصف من الظالم المكذب للمظلوم المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا
ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان

وكيست ستمكارتر از انكه واداردمسجدهاى خدارا از انكه ذكر شود دران نام خداو جهد كند در خرابى آن   آن گروه سزاوار نيستند كه

لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما

كه ايشان داخل شوند درآن جز آنكه ترسان باشند مر ايشانراست در دنيا رسوائى زياد ومر ايشانراست در آخرت عذابى بزرگ   ومر خدا راست مشرق ومغرب پس هر جا

تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون

كه رو آريد پس آنجاست قبله   بدرستى كه خدا محيط است ودانا   وگويند كه قرار داده است خدا از براى خود فرزند منزه است او بلكه مر او راست هرچه در آسمانها وزمين است هر يك مر او را دعا گو باشند

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا

آفريننده آسمانها وزمين است وچون اراده كرد فرمانى پس همين ميگويد او را كه باش پس ميباشد   وگويند آنانكه بيدانش اند كه چرا گفتگو نميكند با خدا و نمى آيد ما را

اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون القراءة قالوا اتخذ الله ولدا

نشانى وهمچنين گويند آنان كه پيش از ايشان بودند بطريق گفتار ايشان بهم مانند دلهاى ايشان بتحقيق كه ظاهر ساختيم نشانها را از براى گروهى كه

بغير واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القران ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في ال عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل
ويس الوقوف خزي لا للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار ووعيد مبتدأ منتظر عظيم وجه الله ط عليم ولدا لا للتعجيل
للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون والارض ط لان اذا اجيب بالفاء وكانت للشرط فيكون ايت ط قلوبهم ط لان قد للتوكيد
الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق

التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت الاية فيهم عن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه
على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلعم عن الدعاء الى الله
بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر
مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني
مفعوليه لانك تقول منعته كذلك او بدل من مساجد او حذف حرف الجر مع ان التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا يبعد ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا من اظلم ممن اذى
الصالحين مثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم اولئك الذين منعوا من اولئك النصارى او المشركين
باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك
الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت ما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه
وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة
فتخريب المعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق و
المنافق كلهم شر سوءا حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق اولئك ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين
من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك
وامر النبي صلعم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في مرتبتهم من الخوف نحو ان يدخلوا
للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه صلعم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد والجواب انه في
اول الاسلام ثم نسخ بالاية اخرى فقال بمنعهم من المساجد بالجزية في اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب فيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل
الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك
اضافتها الى الله في الاية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلعم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد
يذكر الحبيب فيه والسوق تشغل عنه وفي الاية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان
الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلعم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطواته احداها
تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلعم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب اثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس
ان النبي صلعم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين و
التمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه صلعم قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتادى التحية بالفرض والنفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق
وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الراي الخامسة في الدعاء عند الدخول في
المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلعم عن ابيها قالت كان رسول الله صلعم اذا دخل المسجد صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة
عن ابي هريرة انه صلعم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فيقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع
والشرى فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلعم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب
الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فيكره ايضا عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد
فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف الاعطاء لاصحاب المسئلة في المسجد كان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض

في فضل المساجد

في تحية المسجد

في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي لاعن بين العجلاني وامراته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة في النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد كجوازها في البيت الا الانبطاح فانه نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر انه قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه الانس الحادية عشرة في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملك صاحبه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها نزلت في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها اراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الامر مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك لان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى انما ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاؤا بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبي كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي براسه نحو المدينة فمعنى الاية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين بريد انهم اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم عن قتادة ان النبي قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعة وجدني ثم وكان في هذا عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارض فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية الواجبة عليكم وقيل انها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة التي امر بها المرضية وهذا كقوله جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهد بين في الصلوة وفي غيرها وقيل المجتهد اذا راى بشرائط الاجتهاد راياً فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى الى فلان اي ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد تمسكت المجسمة من الاية بان لله تعالى وجها ويده سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الاية عليهم لا لهم فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون في حال محاذيا للمغرب فلا بد من تاويل وهو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقها واوجدها فاي جهة من جهات العالم وجهها فاضافه اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فثم مرضات الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى احد يتشبه فشيئا كالمتوجه الى شخص في ذهابه اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه وجهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من تكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع اخر من قبائح فعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين

في النوافل

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيامة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير آخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار القدرة وامارات الحدوث وكونها جميعا في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب والمراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابد له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجيء على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبديع بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم اولا الملكية والاختصاص ولا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع والمبدع مخترع الشيء لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضي لهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اتمه واحكمه لان تمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشأن والفعل ههنا ومعنى قضاء امرا اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما : داود او صنع السوابغ تبع ، ومن قرأ فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب زيد او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامر وذلك اكثري وقد يكون الغرض الامر مجرد ذلك الفعل فيكون ذلك الفعل نفسه جوابا لذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا آخر مغايرا له فقول القائل اذهب يذهب اي فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء آخر كان المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فوقع كان التامة مثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشأنه في سهولة تكوينه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى لشيء على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب المتأخر عن المحدث محدث ولان تكون الحادث مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته ويرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض وثبت بهذه الوجوه حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تأويل والاصح ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم قيل مراد الاحياء بالموتى والموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا خوف تخصيص اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب

الله تعالى كما كلم الملائكة وكلم موسى انت تقول يا محمد ان الله كلمك فاوحى الله الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا يأتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القران اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم في التعنت كقولهم اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقترح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها ايات ظاهرة هي القران العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجي الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلاجرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل للتكليف وكايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب بعد وجدانها عن القدح الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يبقى ايات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم. التاويل مساجد الله التي يذكر فيها اسمها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الاخرة عذاب عظيم الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق وطارق القلب من هواجس النفس بطرقه وظلمات الهوى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبد في كعبة العندية وتودد ابفناء من عالم البقاء ورفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب بعد ما كيف وسعه كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن والله اعلم

اِنَّا اَرْسَلْنٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا وَّلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ ۝ وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَلَا النَّصٰرٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ اِنَّ

بدرستیکه فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی تو از یاران دوزخ و راضی نشوند هرگز از تو یهودان و نه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشان را بگو بدرستیکه

هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِيْ جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ۝ اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ

راه خدا است راه راست و هرآینه اگر پیروی کنی خواهش ایشان را پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی و نه یاوری آنانکه دادیم ایشان را کتاب

ع ١٥ يَتْلُوْنَهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهٖ ۗ اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ ۗ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

که میخوانند آنرا سزاوار خواندنش آن گروه بگرویده اند بآن و آنکه کافر شده بآن پس آن گروه ایشانند زیان کاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما

وَاَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا هُمْ

وآنکه من فزونی دادم بر جهانیان و بپرهیزید از روزیکه باز نیاید تنی بدل از تنی چیزی را و قبول کرده نشود از آن بدلی و سود نبخشد او را شفاعتی و نه ایشان

يُنْصَرُوْنَ ۝ القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اي نذيرا وغير مسئول

یاری کرده شوند

الا لمن قرأ ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق خطر نصير ط تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ واخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول اتيناهم او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القران كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي رسوله لئلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل يجاوز حالك عن ان يكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

الحساب اما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق
الكلام يأبى عن ذلك ولانه مع علمه باحوال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن
وقع في بلية فيقال لك لا تسئل عنه فكان المسئول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث
الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون
راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي يدعونها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه
هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بامر الدين بانه لوضوح البراهين
وسطوع الدلائل مالك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى
لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز الوعيد الا بعد القدرة
على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد وهو احد صوارفه ولان فيه زجرا اشد للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي صلى الله عليه وسلم لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد
منهم ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين آتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم
ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعون
مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين
عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به ويغتنم وروده فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكلا حين يا بني اسرائيل
الآيتان رجوع الى اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد موجبات النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا
پروردگار او بسخنهائی چند پس تمام کرد آنها را گفت که من میگردانم ترا از برای مردمان پیشوا گفت و از فرزندان من گفت که نرسد عهد مرا ستمکاران وچون گردانیدیم

الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
خانه کعبه را جایگاه از برای مردمان وایمنی وفراگیرید از مقام ابراهیم نمازگاهی وفرمودیم ما بابراهیم واسمعیل که پاک کنید خانه مرا از برای طوف کنندگان

وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
ومقیم شوندگان ورکوع وسجود کنندگان وچون گفت ابراهیم که ای پروردگار من بگردان این بلد را شهری ایمن وروزی کن اهل او را از میوها هرکه بگرود از ایشان

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ القراءات ابراهام بالالف في البقرة
بخدا وروز واپسین فرمود خدا که هرکه کافر شود پس بهره دهم او را اندکی پس ناچار کنم او را بسوی عذاب آتش وبد جای بازگشتی والنساء الا قوله آتينا آل

ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا قوله وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا
ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد
في هذه السورة فقط اعلم ان ذكر ابرهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان
وستة وثلثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار
عند الائمة ان يقرأ ههنا بالالف لبيان المذهب الثاني وبالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل
واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص
وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط
الظالمين وامنا ط لمن قرأ واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء لنسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود ه
اليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح
نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم عليه السلام لان كلهم معترفون بفضله
وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد له منها انه امر ببعض التكاليف ثم
وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته
فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرفون ان طالب الخير يجب ان يترك التعصب للمرء ووضع ما وضعه الله لينال مأربه الدارين ومنها ان القبلة لما
حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عرفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

بني من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء فيجب على من يعترف بابرهيم ان يعترف بمحمد اما قوله واذ ابتلى فالعامل في اذ اما مضمر نحو واذكر فتكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلى كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال وموقع قال على الاولين استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى ان الاستيناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الآتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها للامر بما بين المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما قد يامر ليعرف ما يكون من المامور والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى انه مع علمه بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه انما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اريد منه ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد ونوقض بمراتب الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموع عين الزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه وكل ما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى وراءها لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ونور بيتنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب وربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل واذا التزم تركه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم فكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان يحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره واما الاشتغال ببعث نبي آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع حيث انه اخبر بابتلائه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولا نقطع النظم اما القائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التائبون العابدون الآية وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى وقيل ما ذكر في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما في فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان وفاءه بهن كان السبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كالمنام والالهام والتفهيم في اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم بمعنى فقام

بمن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفى الاخرى لله تعالى اى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سئل ابرهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن
يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالاذار لما يؤتزر به اى ياتمون بك فى دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبى لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم
يكن مستقلا بالشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام فى كل شئ والذى يكون كذلك لابد ان يكون نبيا ولان
الله تعالى سماه بهذا الاسم فى معرض الامتنان فينبغى ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون
من يستحق الاقتداء به فى الدين كالخليفة والقاضى والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه فى عيون اهل الاديان كلها وقد
اقتدى به من بعده من الانبياء فى اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد صلعم يقولون فى صلوتهم
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من
قوله انى جاعل فى الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبى سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل
على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع فى انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة فى الاية على ذلك ودليل فى الاية
على انه صلعم كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به فى ذلك فيؤدى الى كون الفعل الواحد ممنوعا
منه ومندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اى خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما فى البرية ويحتمل ان يكون منسوبا
الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهرى فى النسبة الى الدهر ومن ذريتى عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو
من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل فى اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلعم افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفى فى الجواب نعم الا انه لم يكن صريحا فى ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدى المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين
بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدى الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها
على كل عهد عهده الله تعالى الى بنى ادم اذ لا رتبة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهانى وذلك ان دعاء مستجاب النبوة فكل نبى مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما الجيب سمعا فالطلبة بابلغ
معنى واتمه كما اذا قيل لمن اشرف وصرح لا ينبك بشئ فيقول لا يرث منى اجنبى اى كل ما يبقى منى فهو لابنى فكيف وصى له بشئ ولا يرد ان يونس نال
عهده مع انه ظالم سبحانك انى كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما فى حوا وادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق وقد
يستدل الامامية على ابطال امامة غير على ع قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد
الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده وان لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا سمى
النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشى حقيقة فى مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشى لا توجد دفعة
فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن فى الحال الا انه كان
كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعى هو تعظيم الصحابة
والمانع عرفى فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة فى الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاصم ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد فى كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم
اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان اى الم امركم لكن المراد فى الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين
فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها فالة لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فالفاسق لا ينبغى ان يكون حاكما ولا ينفذ
احكامه اذا ولى الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبى صلعم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لم يفسد صلوته قال
ابو بكر الرازى ومن الناس من يظن ان مذهب ابى حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم لم يفرق بين انه قال
القاضى اذا كان عدلا فى نفسه وتولى القضا من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذى ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من
شرط اعوان القاضى ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابى حنيفة وقد
كرهه ابن هبيرة فى ايام بنى امية على القضاء وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء

اقبل الرشيد يا من عمله اى شئ كان حتى يزول عنك الضرب فقولى لسعد احمال اللبن الذى يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذى
الذى كان يضرب لسوق المدينة وذلك انه كان يقول فى المنصور واشياعهم لو ارادوا بناء مسجد ارادونى على عد الجره لما فعلت وقصته فى زيد بن على
مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا فى وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن وفى الاية ايذان وتبليغ وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدى الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن حظ نفسه وما ظلموه ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا : فالظلم آخره ياتيك بالندم : نامت عيونك
والمظلوم منتبه : يدعو عليك وعين الله لم تنم ولآخر شعر من تعظم الورى وخيم : يا صاحب البغى فى الجهد : لا تظلم الناس واخش نارا : وقودها
الناس والحجارة : ايحسب الظالم فى ظلمه : امهله القادر ام اهملا : ما امهلوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا : اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء : سهام الليل لا تخطى ولكن : لها امد وللامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذى اخذه على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذى التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر
الربوبية فيربيك ويربيك بعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا
التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تفريع تكليف خو البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التى كانت فى الاصل للجنس ثم كثر استعماله فى واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى العلم الاتفاقى وانما لزمت اللام فى مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصار
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح فى الكعبة ولا فى المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معنا امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اى يثوبون اليه فى كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابرهيم واجعل افئدة
من الناس تهوى اليهم وقيل مثابة اى يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه فى القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شئ لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعى الى ان المعنى انها لم تحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحد فقال الشافعى ان الامام يامر بالتضييق
عليه بما يؤدى الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وعند ابى حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس فى الحرم لان بيت القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد
لا يستوفى من الملتجى واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لان تاخيره يسير وفيه صيانة المسجد فيعجل القود
واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اى اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها و
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اى وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفى
مقام ابرهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابرهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل لان سارة
شرطت عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الآخر فبقى اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام كان يبنى البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم
عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذى قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم عليه السلام قام على
هذا الحجر فى هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا فيها والقول بان مقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم فى العرف مختص بذلك الموضع بمعرفة المكى

وغيره وكان الحجر صالحا تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم وكان اشد اختصاصا فالملائم
مقام ابرهيم عليه ولما روى عن النبي صلعم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلا فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلعم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي و
الموهوب بتميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم وركعتا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء ومتى شاء ليلا ونهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلعم للاعرابي حين قال
هل على غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انه مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
الامر اي امرناهما بذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
كل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد اقراره على طهارته كقوله لهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما
ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متى حجوه للطائفين الى آخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طائفا
فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول ولهذا لم يكن الركع السجود
كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسر الطائفين بالغرباء دلت الآية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة ولانه تعالى مدحهم
بذلك وقدم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الآية دليل على جواز الصلوة
في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فان قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزء منه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا ع قوله
تعالى واذ قال ابرهيم قيل في الآية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد حصول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم الاهم فالاهم
ولا ريب ان ذكر جعل ابرهيم اماما اولى بالتقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بانه جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البناء اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني
ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين هذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا آمنا ذا امن مثل عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفي سورة ابرهيم هذا البلد
آمنا لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا آمنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن لنفسه قيل سأل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة
القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الآفات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة
وقصد اهلها بكل سوء واجيب بانه لم يكن مقصوده تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا آخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شيء وانما سأل ابرهيم الامن وان يجلب اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف في ان مكة هل كانت آمنة محرمة قبل دعوة ابرهيم وانما صارت بذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة و
قيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله [illegible] في النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على السنة الرسل ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منعه هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا
على من آمن كأمر في ومن ذريتي او هو مبتدأ مضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي فيؤدي عن الله
امره ونهيه ولا ياخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا يختص بالمؤمن دون الكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولا سيما يكون استدراجا للرزق والزام الحجة على انه متاع قليل وامد يسير فيما بين

والابد قليلا اى متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين فى العاجل موصولة بنعيمهم فى الاجل ونعمة الكافر منقطعة عنهم بعد الموت فالزايل لا يجدى بطائل افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجى الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالمضطر الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذى اضطر اليه وذلك الاضطرار بحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم

وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ

و چون برافراشت ابراهیم بنا را از خانهٔ کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار قبول کن از ما بدرستیکه توئی شنونده دانا پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از

ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ

اولاد ما گروهی منقاد از برای تو و بنمای ما جاهای عبادات ما و سهل کن بر ما بدرستیکه توئی سهل کننده مهربان پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبری از خود ایشان که بخواند بر

اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ

ع٤ وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهِيْمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِى

ایات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را بایشان و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه توئی غالب و مصلحت دان و کیست که روگرداند از ملت ابراهیم مگر کسی که بیخرد باشد نفس خود را و بتحقیق که برگزیدیم او را

الدُّنْيَا وَاِنَّهٗ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗٓ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهِيْمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ

در دنیا و او است در آخرت هر آینه از نیکوان چون گفت او را پروردگار او گردن نه گفت گردن نهادم از برای پروردگار عالمیان و وصیت کرد بان ابراهیم فرزندان خود را و یعقوب که ای فرزندان من خدا

اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْۢ بَعْدِيْ

برگزید از برای شما دین را پس نمیرید مگر در حالتی که تسلیم کنندگان باشید یا بودید حاضران چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را که چه میپرستید پس از من

قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا

گفتند که میپرستیم معبود ترا و معبود پدران تو ابراهیم و اسمعیل و اسحق معبودی یگانه و ما او را تسلیم کنندگان این گروهیست که از پیش گذشت که مر ایشانراست آنچه کرده اند

كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ

و مر شما راست آنچه کرده اید و پرسیده نشوید از آنچه ایشان میکردند

القراءة ارنا وما بعدها ساكنة الراء ابن كثير ويعقوب قياسا على كتف وفخذ اذ تسكن فيقال فخذ وقرأ ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وهذا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروى عن ابن عباس يكلمنا ونعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل فى اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى مثل الا يصلاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى على التشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون شهداء بين كذلك اشبه كل القرآن الوقوف واسمعيل لاضمار القول اى يقولان ومحل نصب على الحال ربنا طلا لابتداء بان ولجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك او لانك العليم مسلمة لك ص لعطف المتفقتين علينا ط وقف كذا الرحيم ويزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار فى الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاجيب يقال فقال ولا ينقطع النظم العالمين ويعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية فى معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول فوقف على الموت جعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدى فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدى ط واحد ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استينافا وهو اوضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون التفسير عن وهب بن منبه قال ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب ما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى فقال الله انى ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى سابوئك منها بيتا اختاره لنفسى واخصه بكرامتى واثره على بيوت الارض كلها باسمى واسميه بيتى انطقه بعظمتى واحوطه بحرمتى واصطفيه من البقعة التى اخترت لنفسى فانى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى ومن احله فقد اباح حرمتى ومن امن اهله استوجب بذلك امانى ومن اخافهم فقد جفانى ومن عظم شانه فقد عظم فى عينى ومن تهاون به فقد صغر فى عينى ولكل ملك حيازة وبطن مكة خيرتى وحيازتى وجيران بيتى وعمارها وفدى وزوارها اضيافى اجعله اول بيت وضع للناس اعمره باهل السماء والارض يأتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويضجون بالتلبية ضجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد على ونزل بى فحق على ان اتحفه بكرامتى وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم فى القرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبى حتى ينتهى ذلك الى نبى من ولدك يقال له محمد هو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكونوا امنائى عليه ما دام حيا فاذا انقلب الى وجدنى قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الى والوسيلة عندى واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبى من ولدك يكون قبل هذا النبى وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضى على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة وحده قانتا قائما بامرى داعيا الى سبيلى اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وامره فيفعل وينذر لى فيفى واستجيب دعاءه

في ولده وذريته من بعده واشفعهم فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك
البيت واهل تلك الشريعة ما تم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق من الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن علي البيت المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في
السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلعم قال الركن والمقام ياقوتتان
من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب ولا مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل عم وامه فروى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لم يكذب ابرهيم عم قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فاتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد
فقبضت يده اشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني
بشيطان ولم تاتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب وتتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء
المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلعم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلعم يرحم الله
ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم
يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني
عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا ما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم

الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل يجر على الارض

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم
فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه اعلم ان للبيت اربعة
اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر
سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هو عليها اليوم ولم يجدوا من النقود والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر
بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم عليه السلام وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا
وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته
بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده الى الصورة
التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون
المراد بها ساقات البناء لان كل ساق قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه
الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على التبيين
بعد الابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلاثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة
عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى او يثيب عليه والاول اولى عند العارفين من الثاني تشبيها الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا
به بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فان التقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير تقبل
هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان
يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون طلب القبول عبارة عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم
بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك و
الا كان تحصيل الحاصل بالنسبة اليهما وقت الدعاء وان اريد بالاسلام الخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه
الامور انفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا تتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط
وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب قوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت
السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة
الجماعة من الناس وقيل اراد امة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه بقيد وقيل اسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعدى
باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلبا الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا
الدعاء سابقا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة وانهم قوا انفسكم واهليكم نارا
ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا
ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن
رؤية العلم فمعناه علمنا ان شرائع حجنا كيف هي اذ امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الظاهر فلا
ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرا والمعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبرئيل ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال
يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق
فامره جبرئيل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يأمره جبرئيل برمي الحصيات
وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا
وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالا
عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب
وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال
عني مناسككم لا القاكم بعد عامي هذا بل الاولى ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبد

اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنهما محمولة على ما عسى ان يكون فرط منهما من الصغاير عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق
بهما قال صلعم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة او ايضا لعلهما استتابا بالذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم ومنهج الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم كانوا جميعا من ذريته كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا منهم مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلعم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع آخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله صلعم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فما رات امه وهي حامل انه خرج منها نور اضاء بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت
على ابرهيم وال ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد صلعم ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الصلوة ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرا عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم عم
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم آياتك فهو القرآن المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او تبليغ القرآن ومثله
معه وثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقايقه وذلك ان التلاوة وان كان مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا من
التحريف والتبديل للفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع
كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ودينا سببه قوله صلعم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة رسول الله صلعم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا السنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هما في احكام الكتاب والمصالح ورابعها ويزكيهم لان كمال الارشاد بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتنزه عنها وذلك بجميع ما يفعله النبي سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبيه بامور الدنيا والتقوية لدواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق الحكمة
واذا كان كذلك صح منك اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب عن ملة ابرهيم الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر
اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من يرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك لانه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد
بمعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في
ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يتفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية
الله تعالى وعلى صحة نبوة محمد صلعم وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه واما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم
اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع
والاخلاص فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفتان في فروع الاعمال لا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد صلعم ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن
ملة ابرهيم لان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلعم قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد صلعم من جملة الاصول

اي لكمال التعلم سببها

سورة البقرة

مهديها ابرهيم عم والمراد بملة ابرهيم الاصول التي لا يختلف بمر الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد صلعم تابعا لانه مامور باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من رغب
عن ملة ابرهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي
لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفيناه في اذ قال اي اخترناه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه و
يحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامة على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم عم كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع مع
ما ذكر قصص ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب طريق عرفان محمد صلعم عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدا من الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد ومن هنا يعرف كلمة محمد صلعم شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم يستطعه الاوائل فالف ابرهيم دلالة على استقامة سيرته
وميم محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه ابتداء الامر حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وكان الف ابرهيم دليل على وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خاء
الخير مع لام الابتداء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشرع دال الدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان ابرهيم عم واسطة في الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد صلعم خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري انا اول من ينشق عنه
قبر ادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر محمد صلعم ابو الحقيقة وان كان ابرهيم عم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابرهيم
اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية دقائق مرعية في قبول الدين منها انه لم يقل وامرهم بها لان الوصية عند امارات الموت وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها انه خص بنيه بذلك مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من
ذلك منها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم لما امر ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب
فمعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء لاجل
النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا نهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله عم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عنده فالمراد الخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين

فيه بيان معنى الاصطفاء

بحث وصي

فائدة

احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولا لاهل الكتاب المعاصرين لانه قبلهم كيف تزعمون انما انتم عليه دين الرسل فلم تشهدوا وصايا
الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيف وعنتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل والكلام مع بني اسرائيل كانوا
مشاهدين لذا اراد بنيه على التوحيد دين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين كائن
فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت لتطاول الزمان
فادعوتهم اليهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه تنكص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استأنف استفهاما ثانيا للتقرير للنفي اي ما كنتم شهداء او للتقرير الاثبات على ان اوائلهم
قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن تختص باولي العلم ولهذا قال العلماء
من لما يعقل ومن خصصه بما يعقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب وروي ان يعقوب لما دخل مصر
رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا
يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين والى ابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لابائك وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما لانخراطهما في سلك واحد
هو الاخوة قال عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعند الشافعي
انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد
وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا الطريق الى معرفة
الله تعالى لا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل
على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات
الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته ولو
ايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود ابائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله ابائك
مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب على الحال من فاعل
نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد اني
اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك
فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب اليهود
حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر ابائهم باتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل
ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجد الافعال لكان
عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي
حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد
ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة
الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرته ضعف
وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد و
بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فهو المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا
تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان
قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان
به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر
على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول
امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب

وفاعل الكل ومبدأ المبادي والبك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله وإذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فبا صدقهم ولاء
اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المال و
وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له
جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين
بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به وإذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء
ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة ترجعون اليه يا طلابي
وزواري كما ترجعون الى الكعبة في الصورة وما منا للناس امنا من تصرفات الشيطان ومكائده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة
الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان اللص الشيطان في ميادين الصدر كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا اعمل الوصول الى
كعبة القلب من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الا الى غيري كما قال ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا
الى ابرهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال
والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء
والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية وإذ قال ابرهيم الاية لما اهبط آدم الروح الى الارض الجسد فقد ما كان يجد من
من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس ستوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس ليكون باشرتي الى حظيرة رب العالمين تطلع
منها شوارق الالطاف وتاب غربي الى عالم الجسد فيه قناديل العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد
القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وغارت نور الشهوات عن
بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجب ستائر خواص العناصر الاربع واخفي حجر الذرة في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ
ببناء بيت القلب وعمارته من خمس جبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة سكينة بيته هو الذي انزل السكينة في
قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام ويناولها ابرهيم الروح وهو يبني الى ان
بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان
ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا
ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا ذريتهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية
وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابرهيم الروح
يوصي المتولدات من القلب وصفات النفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملة وفي الايات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى
لروح عبد مخلص متضرع اليه يحب ظهر آثار انوار التجلية على قلبه وسره ونفسه وقوله وحواسه وجميع اعضائه ويخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا لا منفردا
من الهوى والدنيا والآخرة والله ذي التوفيق وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
وگفتند مخالفان که یهود شوید یا ترسا تا راه هدایت یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که ستوده است و نبوده است از مشرکان

قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
بگوئید که گرویدیم بخدا و آنچه که بما رسانیده و آنچه که رسیده است به ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و اسباط و آنچه بموسی رسید و هم چنین

وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
بعیسی و آنچه فرستاد خدا به پیغمبران از پروردگار ایشان جدا نمی‌دانیم در میان هیچیک از ایشان و ما مر او را تسلیم کننده‌گانیم پس اگر گرویدند بآنچه گرویدیما بآن پس راه یافته‌اند

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
و اگر روگردانیدند پس جز این نیست که ایشان در خصومتند پس زود است که کفایت کند اضرار ایشان را خدا و اوست شنوای دانا خوش رنگ رنگ خدا و کیست بهتر از خدا در رنگ ریزی و ما مر او را پرستنده‌گانیم

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل
بگو که آیا خصومت می‌ورزید با ما در باره خدا و حال آنکه او است پروردگار ما و از برای ماست کردارهای ما و از برای شماست کردارهای شما و ما مر او را مخلصانیم یا آنکه میگوئید که ابراهیم و اسمعیل

واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله
و اسحق و یعقوب و سبطها بودند یهودان یا ترسایان بگو که آیا شما بهتر میدانید یا خدا و کیست ستمکارتر از آنکه مخفی داشت گواهی را در نزد خود از خدا و نیست خدا

بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون القراء ام تقولون بتاء الخطاب
بیخبر از کردارهای شما آن گروه که درگذشتند مر ایشان راست کسبشان و مر شماراست کسبشان و شما را نپرسند از کردارهای ایشان ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير ابي بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين ج من ربهم لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي امنا غير مفرقين منهم ج

لاحتمال الابتداء والحال وجه مسلمون اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسبق الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج
لاحتمال الواو والابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قوله آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض من صبغة الله
للابتداء والاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال وللعطف على آمنا عابدون ووربكم ج لان الواو ويصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستأنفا اعمالكم ج مخلصون ط لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكون ام معادلة
للهمزة في أتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون ثم الجزء الاول من الثلاثين التفسير لما تمم ما بين بالادلة
المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابراهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته و
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او شبهه ويشتمل على
فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابراهيم فاتباعه اولى وهذا
جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابراهيم نعيت عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في شيء قولوا
للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون امر لهم اي اتبعوا
ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب آخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد وجب
الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابراهيم موسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل وعن الحسن قوله قل بل ملة ابراهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب متوقفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد
بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه او لا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هوى
ولما بين الطريق الواضح في الدين هو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما آمنتم به والجواب ان قوله فان آمنوا بكلمة الشك ليدل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا آخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا
اسلامه عن البناء نص بخلاف غيره فلا اهتداء لا اهتداء ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب
منه فاعمل به فقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان آمنوا بمثل ذلك في التوراة فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء تلقيها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كانه صار
في شق صاحبه او من المشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين ذلك ففيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه
لن افعل نفي سافعل وقد انجز وعده عما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب كم من مثله
في القرآن وكل ذلك مما يتأكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله اي يسمع دعاءك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك لا محالة او وعيد لاعدائه اي هو يسمع ما يجهرون به ويعلم ما يسرون من الحسد والغل فيعاقبهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء اي عليكم

صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اى عليكم صبغة الله وفيها فك
النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ بمعنى الحالة التى يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا و
وصبغنا الله بالايمان لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا فى الشىء اى يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ومن كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل
وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذى حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته اقول وذلك ان آثار الفطرة لا مكانى لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به
وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اى لا صبغة احسن من
الايمان بالله والدين الذى شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا
اما المحاجة فهى اما قولهم نحن حق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركى العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
واما للكل والمعنى اتجادلوننا فى شأن الله او فى دينه وهو ربنا وربكم والرب يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه هذا العبيد كلهم فى
ذلك لا يختص به عجمى دون عربى ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ونحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يوهل اهل الاخلاص بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من قرأ بالتاء
للخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام اخر اى بل تقولون والهمزة للانكار كما فى اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى
اى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باى
الحجتين تتعلقون فى امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة
لانقطاع الاستفهام الاول بالالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر فى التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وكانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر نقيض ما
دعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فاذن فائدة الكلام اما التنبيه و
اما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة
لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اى لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله
وكتمها اخفاها اى منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندى شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة
عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة
الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولا ضرابهم ولو ان احدا كان
رقيب من قبل ملك مجازى لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب العتيد الذى يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله
جنته وناره تلك امة اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية ههنا لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من
فان ادمانهم لا ينفع الاماهم لا ندراس آثارها وانطماس انوارها واما الان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان الذى يجب
اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون المعتاد ولا يسئل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسىء وكل بعمله مجزى سيقول

السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
بجزوان از مردم كه چه برگردانيد ايشان را از قبله ايشان كه بودند بران بگو كه مرخدا راست مشرق و مغرب راه نمايد آنكس را كه بخواهد بسوى راه راست
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى
و همچنين گردانيديم شما را گروهى برگزيده تا كه بوده باشيد گواهان بر مردمان و بوده باشد پيغمبر كه محمد است بر شما گواه و قرار نداديم ما آن قبله را كه
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله
كه بودى تو بران بجز آنكه جدا كنيم از آنكه متابعت كند پيغمبر را از آنكه برگردد بر پاشنه خود و هر چند اين تحويل قبله گران است مگر بر آنانكه هدايت كرد ايشان را و نه چنانست خدا كه
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك
باطل كند گرويدن شما را بدرستيكه خدا بمردمان هر آينه مهربان است بدرستى مى بينيم گردش روى تو را در آسمان پس قرار دهيم از براى تو قبله را كه خوشنود باشى آن را پس بگردان
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله
طرف مسجد الحرام و در هر جاى كه بوده باشيد پس بگردانيد روهاى خود را بجانب او و بدرستيكه آنانكه داديم ايشان را كتاب هر آينه ميدانند كه آن حق است از جانب پروردگار ايشان

بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة

بخبر نیز انچه میکنند و اگر بیاوری انان را که داده شده اند کتاب را هر علامتی پیروی نکنند قبله ترا و نیستی تو پیروی کننده قبله ایشان را و نیستند بعضی از ایشان پیروی کننده قبله

بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

بعضی و هرآینه اگر پیروی کنی خواهشهای ایشان را از پس انکه آمد ترا از دانش بدرستی که تو انگاه از ستمکاران باشی انانکه دادیم ایشان را کتاب را می شناسند او را چنانچه میشناسند

أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها

فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هرآینه میپوشند حق را و حال انکه میدانند که حق از جانب پروردگار تست پس مباش البته از شک کنندگان و از برای هر کس طرفیست که او روی گرداننده است بدو

فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر

پس پیشی گیرید بنکوییها در هرجا که باشید بیاورد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر هر چیزی تواناست و از هر طرف که بیرون رفتی پس بگردان روی خود را بجانب

المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث

مسجد الحرام و بدرستیکه ان هرآینه حق است از پروردگار تو و نیست خدا بیخبر از انچه میکنید و از هر طرف که بیرون شدی پس بگردان روی خود را بجانب مسجد الحرام و در هر جا که

ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم

باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب ان تا که نباشد از برای مردمان بر شما حجتی بجز انانکه ستمکردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا کامل کنم

نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة

نعمت خود را بر شما و شاید که شما راه یابید چنانچه فرستادیم در شما پیغمبری را از جنس شما که میخواند بر شما نشانهای ما را و پاکیزه کند شما را و بیاموزد شما را کتاب را و حکمت را

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون القراءة بتاء الى ابو عمرو عاصم حمزة وعلي وخلف

و بیاموزد شما را انچه نبودید که بدانید پس یاد آورید مرا تا یاد آورم شما را و سپاس کنید مرا و کافر نشوید بمن وابن عامر الباقون يتا ولى بقلب الثانية دالا

ابو ربيعة الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة يتاولى بقلب الاولى واوا الرؤف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغايبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا مدغمة غير مهموزة عن ورش وعن ابن كثير وحمزة وعلي وخلف في يعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط المغرب ط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا توكيد يختصان بالقسم والقسم مصدر ترضيها صلى لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط تعملون قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما للتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب ان معنى القسم في لئن فلو فصل كان من الظلم مط وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون الممترين الخيرات ط جميعا ط قدير الحرام ط من ربك ط تعملون الحرام ط حيث لان متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة فقد قيل تجوز لغرض اثبات الحجة بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة ومن بيان الحق لا بيانا في الخصومة تهتدون لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون وان علق بما بعده وقف على تهتدون تعلمون ولا تكفرون التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي اما الجهل واما التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كانه يريد انهم اذا ذكروه مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الآية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يأنسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن الاصم انهم مشركو العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول

والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف
يتوجه احد الى غيرها تين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان
يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد
عليه كالا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وافعاله تعالى لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول
البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب فهمهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية يدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية تتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في
ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والتسبيح يجري مجرى الثناء
عليه والركوع والسجود جار بان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتاتى ذلك الا اذا بقي في جميع
صلوته مستقبل الجهة واحدة على التعيين اذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين
المؤمنين وقد من عليهم بذلك في واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى جهة لتوهم
مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي
والجنة كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى ولك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد
منخلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابرهيم ومحمد خير الامور اوسطها وايضا الكعبة
سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي
قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وزيتا وجودي ولبنان وحراء فقال ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فانت
الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في التوجه
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة وبكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشا محمد فتعظيمها
يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم وكما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم
امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا اي كما اصطفينا ابرهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا
بعض الجهات التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة امتنانا واحسانا مع تساوي
الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور
المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيره
جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو
وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال الوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير
هم وسط يرضى الانام بحكمهم ... اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله
تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاهن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط
محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا
النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا
شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ
الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تمييز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله

وتصديقهم بجميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق ولذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر به ثم عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة
عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات
مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم
في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا
فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما يعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم
حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل
مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك
يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان
الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقيت صلة الشهادة في مركزها والغرض في الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت
عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق
للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف ما يفعل او يقول ذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان
وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
في جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما
بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وحينئذ سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطاء
لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول
القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم
الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لزالت فائدة الاية اذ لم
يبق بعد انقضائها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا وعدولا فعند
الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطاء لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد بالجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف
محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة اي الجهة التي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الجملة وجهان احدهما
ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلعم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا
للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختيارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة
في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا الفائدة هي ان نمتحن الناس وننظر
من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي لتقرير الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم
يزل عالما بذلك فالجواب انه معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو
العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال
حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكتنفا بزمانين سابق ولاحق فاذا انسبت العلم
الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا انسبته الى زمانه قلت يعلم واذا انسبته الى الزمان اللاحق قلت قد علم لجميع هذه التغيرات
مراعيات ذلك علم الله واحد فافهم او ليميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمي التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته
او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الاية راجع الى المخاطبين مثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار فيقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم اينا الجاهل وهذا من كلام المنصف
مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم هذه المحنة
حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه صلعم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت
المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ
اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا وكان على يقين من امره لما تغير ذلك عليه الشك

عليها اي كنت

توجه الى الكعبة اختلفوا وقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال اليهود اشتاق الى بلد ابيه وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية
ويهيئها بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان وعلم ويبطل عمل ان في اللفظ وكذا
في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما
دل عليه الكلام السابق من التولية في ما وليهم او الجعلة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد لا اعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل
فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب عتقا كثيرة الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم اسلى الثبات
على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم متفقين بها ثانيا والا فالدلائل عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين
المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان وينتصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسد
لكم واضاعة لصلواتكم اي ثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم اثار الايمان واشرف نتائجه ولان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك
الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما
خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو
لاجل الاطمينان وزيادة اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية
عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء
عمل المكلف بهما في وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله
المسلمين على الجواب قبل بل المعنى وفقكم لقبوله هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج انه قال
للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس
اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رءوف بوزن فعول بالضم فيهما رافة ورافة ورافت به اراف بالفتح فيهما و
رافت به بالكسر رافة والصفة رءوف ورءوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم
بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرءوف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح
لكم او انما هداكم هدى لانه بالناس رءوف رحيم فمن كان اتبل للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية ومهما
وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد كما ان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى
التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من المدائح لان الكثير منها
كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثل قد يعلم الله فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا انكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء
وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرئيل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها
فقال له جبرئيل انا عبد مثلك سل ربك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبرئيل بما سئل فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون
انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه
وقيل انه استاذن جبرئيل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله قد اذن له في الدعاء فكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبرئيل للاجابة وعن الحسن
ان جبرئيل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة فكان ينتظر
الوحي بذلك على هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب
وجهه عن الاصم قيل الوعد بذلك حصل بقية بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة
ناسخة للاولى بل كانت مبتداءة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى لانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف
في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة
عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي مخيرا
في توجهه اليه الى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل
الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سئلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس
ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من

من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له اى فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها
ووافقت مشيئة الله تعالى وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله بها يجب ان يكون رضى لا يسخطها كما ضل من انقلب على عقبيه وقيل ترضى عاقبتها لانك
تعرفها الموافق عن المنافق فول وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل بجملته القبلة لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته فالجمهور من المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وتنبيه بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثانى دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقبا فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك وقال اخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلعم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة و
قال اخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله تعالى
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ولقوله صلعم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبى صلعم بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان فى استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والكعبة
فى الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها
تحتاج الى الدقيق والنظر لم يتات لهم ثم لم ينكر النبى صلعم عليهم وسمى مسجدهم بذى القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلائل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد وللبعيد اصابة العين
غير بعيد فانا من نقطتين فى الارض ولا فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار واما هوائية وهى الرياح واما سماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك
الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السماوية فنهارية وليلية اما النهارية فلا بد ان يراعى قبل الخروج عن البلد الشمس عند الزوال هى بين الحاجبين
ام على العين اليمنى ام على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر ويتعرف
وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هى مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس بحيث محاذاة مشرق الصيف والشتاء ومغربهما واما الليلية فيستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل فى بلده فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال
السفر فاذا انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض عين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعالى وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل فيه ان يكون الخطاب مختصا باهل
المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل فيه هو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا فى حالة الخوف واما نافلة ويجب فيها الاستقبال الا فى حالة الخوف وفى السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى صلعم
كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن ابى حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روى ان النبى كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث

وجهم

وجهه كان بتاما هكذا الاشتراط عند الصفوف لدفع المشقة واختلال امر السير اما عليه في الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان الا
الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب التعاسيف الذي لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال في التنفل الركن الثاني القبلة
المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض
اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم تخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ان كان مردودا وان
كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر موخرة الرحل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده
يسامت بمعظم بدنه الشاخص ولو انهدمت الكعبة حاشاها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت
والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة
فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد
الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت
والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صح صلوتهم لان البعيد
يزداد محاذاته ببعيد ذلك اذا جعلت البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان
يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى اليه ابدا ومحراب النبي بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطاء فهو صواب قطعا فيستوي سائر المحاريب
عليه وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرقهم التي هي جادتهم تعين التوجه
اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في اليمنة واليسرة في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد
في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطا منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر يحكى ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من
الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة وبامارات اخرى فالمجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره
عن علم وكان المخبر بمن يعتمد بقوله يرجع الى قوله ولم يجتهد كما في الوقت اذا اخبره عدل من طلوع الفجر ياخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الخبر
اذا روى العدل خبرا يوخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمرءة
والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر ولا كذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما
في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد
من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا
فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على
المجتهد بغيم وحبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه
التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد قبول قول الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل
والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكن التعلم فليس له التقليد بناء على
ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطا يقينا وكان دليل الاجتهاد
الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطا قضى على الاصح ان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد
في اثناء الصلوة انحرف وبنى هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يعني احبار اليهود
وعلماء النصارى عموا اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان ومن السدي انهم
اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق ما للرسول اي انه مع شرعه ونبوته حق فيشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو التوجه الى المقام
وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل وايضا
انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق فهذا التحويل حق وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعد للمتقين ووعيد
للناكصين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم
علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون
بقلوبهم ثم يقولون الحق في الظاهر فهم المتبعون للهوى ونوقش بان لكل صاحب هوى قالوا الاثنان المكتنفان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم
لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا ذا
العامي المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يمكن بوجوه فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع قبلته واجيب بان المراد من قوله ما تبعوا
قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بِكُلِّ آيَةٍ برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

البقرة

سبب ... يعني ... او فقد ... عسف عن الطريق يعسف اي مال وعدل او خبط على غير هداية

...علومهم ود

اهواءهم ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لام الموطئة للقسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لانهم منهم قد تركوا اتباعك لا لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عنادا ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التأويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما للاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واختلاف ما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن ارضاءهم
باتباعها او انهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالثة وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل الحكم القبلتين
لان اليهودي لا يصير نصرانيا او بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير لقرينة وما انت بتابع قبلتهم والمعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب القبلة انك اذا اي اذا اتبعت
لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان سيئات الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلعم فان مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير لعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن ذلك القدر ايضا واليه يومي منهم بكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على بر اولاده واصلاحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
محالة يؤاخذون بالطريق الاولى وخالفوه الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة حسبما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان يختص بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد صلعم بالعلم بنبوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال لم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر رأسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشأنه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يديه لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك انما ينكرون كونه النبي صلعم المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك فانهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وانما خص الذكور والى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم ويبابنه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلعم
من امن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون مبتدا خبره من ربك وفي اللام يكون وجهان العهد للاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله صلعم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم وفي كون الحق من ربك ومن يجوز ان نهي المخاطب عما يعلم انه ممتنع عنه لئلا تقرب في قوله
ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه الوجهة اسم الجهة ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جمع الولد الصبي مما لا تجمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة ووجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها الصلوة التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدينية وهي الشرف والفخر بقبلة ابرهيم الاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين اينما تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا في صعيد
القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب المخطي انه قادر على ذلك قيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهات
من ابتدائه وهو الذي ولى وجوه عباده اليها فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيمة ويحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الى الصلوات من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر مولاها معنيان احدهما ان ما وليته فقد ولاك والآخر زينته له تلك الجهة وحببت اليه قيل ولكل مخلوق قبلة
فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة وهي قبلة
جسدك وقبلة روحك انا وقبلتي انت انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وعند ابي حنيفة التاخير افضل لعموم الفضيلة للانتظار وليكثر الجماعة ولما روى انه صلعم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول
الله حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلعم يا علي ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول
الوقت ثم تكاسل المكلف وتشاغل او تغافل بغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا المامور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمشتغلين ووعيد للمتغافلين
واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد الثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقرب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاولى بان اهل الكتاب يعلمون حقيقته لشهادة التوراة والانجيل
واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيقته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فباي آلاء ربكما
تكذبان وامثال ذلك تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل لرضى النبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل ذلك الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهوا كقبلة اليهود
والمنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعدما وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم
الامكنة والثانية لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة لانها الحق لا قبلة
الهوى الزم هذه القبلة فانها ينقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث وسادسها هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها قلت الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلعم فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلعم وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض ومما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الاستشهاد بنفسه حيث لم يبق الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا قصر ههنا على امر النبي صلعم دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ايضا قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص والعام له ولامته كرر الامر في الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور
قوله لئلا يكون اي لولا اجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد ودينه حتى توجه في صلوته الى ما هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم ولا
يدع التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة لكونها وطباقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير ما سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي
ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم وفي القران ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عما
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم
وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله صلعم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرائع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعم الله على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فسيضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخرا وبداية

الحوالة الثانية لتعميم

بما قبله ثم

ج ... السابقين

العموم وقبله

وبهاية وفي لسانهم فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة فتحصل خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء ابرهيم في قوله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الدين بانه يعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ثم معادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قول الشاعر اقول له ارحل لا تقيمن عندنا ❊ لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المحو ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرأ كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكون مستغرقة في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشغال المنهي عنها وبهذا الوجه سمي الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب والطاف الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل

اي ايمان آوردگان یاری خواهید بروزه ونماز بدرستیکه خدا با تحمل کنندگان است ومگوئید درباره آنها که کشته شوند در راه خدا که مرده اند بلکه ایشان

احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

زنده اند ولکن شما درک نکنید وهر آینه بیازمائیم شما را بچیزی از ترس وگرسنگی وکاستن از مالها ونفسها ومیوها ومژده ده صابران را

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

آنانکه چون در رسد ایشان را داهیه گویند که ماییم در تحت قدرت خدا وماییم که باز گردیم بسوی او آن گروه بر ایشان رحمت بهتر ایشان از پروردگار ایشان وآن گروه ایشانند هدایت یافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ○ اموات ط لا تشعرون ○ والثمرات ط الصابرين ○ لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدأ على الاصح من ابتداء بالذين خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ○ التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظايف بالصبر والصلوة فالصبر قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود الذي لا يليق الا به وصلا لو عدم الترغيب والترهيب بجر ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتاييد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي بابموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي من قتل محبته فدبته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحس بحيوته واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الايات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتألم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بايديكم فيه بد المستعير اولا بالشكر على كمال الشرائع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق المصائب ومعنى بشيء بعيان من هذه الاشياء وانهم

سورة البقرة

او قال ما يشبها لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضرو باوليس بمراد وقيل ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل فقوم ما يقل هو بالنسبة اليه فيه ان يرحمه
معهم في كل حال لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك فهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدا
لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب
يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع ابن انس ان المراد
بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم
عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي الى
المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روى انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال ما اخرجني الا الجوع وكانوا
ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم
لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات
فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من
الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتاتى
منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك
القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبرياء لنقصها وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة
حضرة ذي الجلال فاما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انتعم له مع الشهوة
الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقابل
فصد العقل اياها هو المعني بالصبر وانه ضربان بدني كتعاطي الاعمال الشاقة او تفعا لا كالثبات على الالام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات
الطبع فان كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي
اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة
الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمان
وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه
ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر على المصيبة هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا بأس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابراهيم
ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة
الاولى والا فكل احد يسلو وهو بما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادامة الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى في القرآن الصابرين في نيف وسبعين موضعا
واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في حديث
القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان تمام الايمان بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما يتأتى بالصبر فكل الايمان صبر الا
ان كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من فضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له ارضى
ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين
ومن فضيلة الصبر انه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروى ان سليمان
يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخر اصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة
فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتخص من بين ما يصيب الانسان بالحالة المكروهة كالنائبة
والواقعة والملمة وانما تشمل كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله
اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة رجع الى فلان لا لارادة الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله

نكات

في تفسير الصبر وتنوع اقسامه

الجزع وان كان ناشئا من النوائب سمي ضيق الصدر و مضاده

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك فانه اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالتسليم فيه وانا اليه
راجعون ايمان بقدومه واعلم ان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فهو ان مال قلبه الى شيء والتفت
خاطره اليه جعله تعالى منشأ للآفات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت
الجنة فبقي دائم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف اوقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلى الله عليه وسلم من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا
من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل في ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع
العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق
الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف
فكره اليه ويشتغل بالكلية عن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة
المنازعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فاجرني فيها وعوضني خيرا منها الا
اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس اخبر الله تعالى
ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبة كتب الله له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم
العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء و
المدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزون بالكرامة والصواب هم المتمسكون باداب المستحسنون بما الزم
وامر وفي الآية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضائه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا و
النفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله
تعالى والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا
انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء
ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه يتميز المنافق ويتميز المخلص عن الموافق كما ان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك: دعوى الاخاء
كثيرة: بل في الشدائد تعرف الاخوان: اذا قلت اهدى الهجر لي حلل البلى: يقولون لولا الهجر لم يطب الحب: وان قلت كربي دائم قال انما
يعد محبا من يدوم له الكرب: وان قلت ما اذنبت قالت تعجبا: حياتك ذنب لا يقاس به ذنب: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من
هر آینه صفا و مروه از نشانهای خداست پس هرکه حج کند خانه را یا زیارت کند پس نیست گناهی بر او که طواف کند بدو و هرکه نیکوئی کند بطوع پس هر آینه خدا شاکر داناست بدرستی آنان که در پرده دارند آنچه را که ما فرستادیم از
البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
گواهان در روشنی پس از آنکه ما واضح گردانیدیم از برای مردمان در قرآن آن گروه را لعنت کند خدا و لعنت کنند ایشان را لعنت کنندگان بجز آنها که توبه کردند و اصلاح نمودند و بیان کردند
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
پس آن گروه میپذیرم توبه ایشان را و منم توبه پذیر مهربان بدرستی که آنان که کافر شدند و مردند درحالتی که کافر اند آن گروه
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون القراءة ومن يطوع بتشديد الطاء والجزم حمزة وعلي وخلف ويزيد وليس لنا والباقون بالتخفيف وفتح
بر ایشانست لعنت خدا و فرشتگان و مردمان همه جاوید اند در آن لعنت که سبک کرده نشود از ایشان عذاب و نه ایشان مهلت داده شوند
الاخر على المضي الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استئنافا حكم
عليم في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستئناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين
حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده فيها ج لان ما بعده حال بعد حال او استئناف اخبار ينظرون
التفسير في تعليق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابراهيم عليه السلام كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التي هي
شرع ابراهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يرد في آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على
البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك
بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما ركز في العقول قبحه والتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان
الشرع لما ورد به بين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان فيعتقد المسلم حسنه لكونه حكمة وثوابا وذلك قوله ولنبلونكم الآية وثالثها ما ليس

بيان

بيان حكمة الابتلاء

بهذی

سورة البقرة

يهدى العقل اليه حسنه ولا الى قبحه بل انما كالبعث الخالي عن المنفعة والمضرة فيأتي بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادها الله شرفا والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفي على فعول واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفوا واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي المرو حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله وهما من متعبداته وقد شرعه الله تعالى لامة محمد صلعم ولابرهيم عم قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه وانما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد ورجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد وحج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك فالحاج يأتي البيت اولا ليعرف ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزائر يزور ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلب على النسك المعروف والجناح الجرح والاثم من قولهم جنح اليه اذا مال اليه كان من مال مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وظاهر الاية لا يدل على احد الثلثة بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلائل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلعم ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلعم سعى فيجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلعم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم وعن ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك فمن تطوع خيرا اجاب الشافعي بما يروى انه كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فبين ان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة ينصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كمن قرأ يطوع بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما ترغب به من ذات نفسك من غير ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع ما للوصي على ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد له قرينة الشكر وان كان اليه يحتمل التحذير من الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته صلعم ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ثم لا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا صلعم كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة قال الناس اكثر ابو هريرة ولولا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت بما تقوى الدواعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يتضمنه من الفوائد لقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون ويتواتر الخبر واجيب بان التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار يدل على وجوب العمل بالمظهر لا سيما وقد قال الا الذين تابوا

وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية أيضا على عدم جواز أخذ الأجرة على التعليم لأنها دلت على وجوب التعليم ولا أجرة على أداء
الواجب وقيل في الكتاب أي في التورية والإنجيل من نعت الرسول ﷺ من الأحكام والمعنى فالخصناه بحيث لم يدع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين
المخلص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الأولى وبالهدى القرآن أولئك تبعيدهم عن رحمة الاصطبار يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يبعدهم عن كل خير وَيَلْعَنُهُمُ يدعو عليهم
باللعن اللَّاعِنُونَ الذي يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الأرض وهوامها فإنها تقول منعنا القطر
بشؤم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لأنه تم وصفهم بصفات العقلاء مثل وَالشَّمْسَ وَ
الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم
أو لأنها في الآخرة إذا أعيدت وجعلت من العقلاء فإنها يلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان أهل النار يلعنونهم أيضا لأنهم كتموهم الدين كُلَّمَا
دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا وعن ابن مسعود إذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وإن لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله
سبحانه وعن ابن عباس لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلائق قال وذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسئل ما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيضرب بضربة
يسمعها كل شيء إلا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته إلا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت إِلَّا الَّذِينَ استثناء منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر
ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فإن من ترك رد الوديعة ثم ندم لا لأن الناس لاموه أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا
وَأَصْلَحُوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم وَبَيَّنُوا ما كتموه بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ اقبل توبتهم وأسقط العقاب عنهم مجملا وأضع مكانه الثواب تفضلا ابداه له قوله وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنهم أحياء ثم لعنهم أمواتا إذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون
اطلاق الكفر عليهم وهم من أصحاب الكبائر مجازا للتغليظ أو يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه وهم المؤمنون أجمعون
قيل يوم القيامة يلعن بعض الكفار بعضا فيهم المؤمن الكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه أيا تأمل في حاله وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وإن زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر إذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا
للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الإيمان والصلاح إذا مات صاحبه أو جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي
الآية دليل على ان الأمور بخواتيمها انه إذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خَالِدِينَ فِيهَا في اللعنة وقيل
في النار وأضمرت وإن لم يجر لها ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لمكانها والأولى الأول لتقدم ذكره لفظا ولأن اللعنة تشمل النار وزيادة ولأنها تعم
في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فإنها في الاستقبال ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل
وقد سلف مثل ذلك لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بل يكون ثابتا في الأوقات باقيا على المبلغ الذي يتيح لحسب ما استحقه وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إذا استنظروا
من الإنظار الإمهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر إليهم نظر رحمة أعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل الصفا والمروة
للروح والسالك بينهما يسعى ففي صفاء السر يقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لأمر الله وفي مروة الروح يوصل الخير إلى أهله وعياله وبنفسه
لمراقبة أحوال الباطن ومراعاة أعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه إلى سبعة أعضاء في الظاهر وإلى سبعة
أطوار في الباطن إلى سبعة أقاليم العالم لقوله تعالى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ومن كمال رأفته بأهل محبته أن جعل آثار
أقدامهم في أشرف الأمكنة وساعات أيامهم أعز الأزمنة فلتلك المعاهد والأطلال تشد الرحال وعلى تلك المشاهد والآثار تعظم وتزار أهوى مواطن الحق قد
كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر حسبي الله ونعم الوكيل وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
و خدای شما خدائی است یگانه نیست خدای بجز او آن بخشاینده مهربان بدرستیکه در آفرینش آسمانها و زمین
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
و گردش شب و روز و کشتی که روانست در دریا بآنچه سود میرساند مردم را و آنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آبها پس زنده کرد بآن زمین را پس از مرگش
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ القراءة لا إله إلا هو بالمد
و پراکنده کرد در آن از هر نوع حیوانی و گردانیدن بادها در جهان و ابرها که رام کرده شده در میان آسمان و زمین هر آینه نشانهاست مر گروهیرا که در یابند وكذلك جميع التهليل
روى الهاشمي عن ابن كثير لو وردا لأثر في هذه الكلمة وهو قوله ﷺ من قال لا إله إلا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى أبو الفرج عن
قتيبة لا هو بالإمالة حيث كان الريح مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف في الحج نظرا إلى ما بعدها وصفا آخر والى الاختلاف
بالنفي والإثبات الرحيم من كل دابة ص ضرورة طول الآية والاماسي لان الآيات وللجار وما يتصل به معترض والأولى الوصل والرجوع يعقلون ه
التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه
واحد فالإنسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو إنسان لأن الإنسان الواحد يستحيل ان ينقسم إلى إنسانين بلى قد ينقسم إلى الأبعاض و
الأجزاء وذلك من جهة أخرى ثم زعم قوم ان الواحد صفة زائدة على الذات لأن الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا

في تفسير الواحد

فقط ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
ومقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل من
الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا
وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من
امر بسيط واليه الاشارة بقوله وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد احد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا إله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة
ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه ما يفنى في عالم اللاهوت ويبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم من نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين
ولان الاول مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا يجمعه اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا نعني بكون الوجود زائدا الا هذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن
وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في انه واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار و
شروق انوار الواحد القهار ولك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك ومما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه وكل مفتقر ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيان ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته و
كون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته تستكمل بها الا ان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل المبدأ بما عن المبدأ بل ذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد بلغ منتهى النظر ههنا الى حيث تقصر العبادة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدأ لجميع الممكنات
لم يطلع على كنه سبحات الجلال لان من كشف له الغطاء صار حيران فلا احاطة للقطرة بكرة الماء ولا ظهور لضوء السهى عند حلول الشمس كبد السماء أشتاقه فإذا
بدا أطرقت من إجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله الموت في إدباره والعيش في إقباله وأصد عنه تجلدا وأروم طيف خياله واما انه واحد في
افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته ويقال التوحيد بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ثم انه تعالى خص بذكر للوضع
الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بان ما
خلق الخلق الا للرحمة والاحسان إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الآية ذكر العلماء المعاني في ان بيان هذه الآية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه علامات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا

في معنى الوحدة

الفرق بين الممكن والواجب

فيهم من يرتكبي التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعى لنزلة لا ايجاز الى الاطناب من هذا عن عطا قال
انزل بالمدينة على النبي وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الى آخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية
فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان
عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوث نفس
ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض وللاتفاق المعتبرين من النحاة
على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله
اياه وهذه الجهة هي التي صيرته اية وقد عدد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية
ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر بعضها فلكه
الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالفه مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم
نفصاله من الفلك الكلي جسمان يتعلقان متبادلا الوضع الغلظ والرقة يسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض سمي بالتدوير ويكون الكوكب
مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منهما متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك
اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير وللعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير ولكل
من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك البسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي
ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الاكسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين و
المشتري باثنتي عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك
بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار حكيم قدر مقدارها وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من
سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب او التداوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على مقادير معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة غير السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث
تتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتأخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا
تعيين جهات الحركات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلت انها قديمة
حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول فان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة
بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض
الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس في ذلك الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف
تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك وايتلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف
اوضاعها المستتبعة لانضاء الاتها وانصرافاتها ادرى انها مبنية على حكمة وبقدرة مدبر خبير لم يخلقها عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم
تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل يعد من زمرة الانعام لا من جملة الانام الاية الثانية
خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة
الشمس متى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف
مرور الشمس وساير الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق
ومن ساير اغراضها ومنافعها التي نقرر طرفا منها في تفسير قوله الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا علم افتقارها الى مدبر قدير وعليم خبير واحد في ملكه وملكه
يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع
من زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك
ان الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخلة الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب
ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد اول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس في

مطلب في تعريف النهار والليل

في طلوع الفجر

مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان يجيء احدهما ويذهب الآخر كقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الآخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع
القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبإزائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الآخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وفي كون الليل
والنهار في نفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدته ظ وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرائب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت
الخلائق اولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر يشبه عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من اعجب الاشياء
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دالة على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان منزه عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس الفلك بالضم والسكون السفينة واحد
وجمع فضمة الواحد كضمة برد وضمة الجمع كضمة اسد تانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التي تجري و
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك للجسم كروي يحيط به سطحان متوازيان مركزاهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدار و البحر
خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال وسمي الفرس الواسع الجري بحرا قال في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت
اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من
الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة خليجات ولها اذا
ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه حد بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة
مدينة الرسول ص القوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز
واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا اسمي العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة وفيها
زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه
الشرقي من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات القنا والصين و
يسمى بحر الصين ومن الزاوية الشرقية الغربية الى الزاوية من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة
والسقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمي بلغار يسمى بحر وردنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون ازاجا وزن ذلك النواحي منه نحو المشرق عمارة وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة وينشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار
المتصلة بالمحيط اما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر وابسكون لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقرب من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف
ومنها الجزائر الواقعة فيها فقد قيل ان في بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة الفا وثلثمائة وسبعين ومنها جزيرة عظيمة في اقصى البحر مقابل الهند في
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسعة
عشر جزيرة عامرة فيها مدائن وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كلة التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور وغرائب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجائب البحر قال سلامتي منه ومن السفينة انما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بتعلق
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعتها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحركها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار
في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعوزه وفي الآية
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او الفلك او من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الواحد بالتخصيص

مقدار البحر وعرضه

وعرضه خمس وثلثون فرسخا

او الصنفية يعني ما هو سبب حيوة الارض لا المطر لان الارض التي قد لا تنبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطروا انما السنة التي تمطروا لا تنبت ولا ريب ان
في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس عند
شدة احتياجهم اليه واودع في نزوله حيوة الارض اي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار
وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقت الربيع الازمان كسن الصبي في الاسنان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد
لا روح فيه فلا دواء عليه السادسة وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويصح عود الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيى
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اي فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي اعلم ان الحيوان اما تولدي او توالدي وكل الصنفين
يحتاج الى صانع فرد حكيم يحكى ان شخصا قال بحضرة عمر اني اتعجب من امر الشطرنج لصغر رقعته ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين في المشرق والمغرب يشتبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم ومن تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها
على ما يقضي منه العجب ويفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الرياح مع دقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح من قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا ودبورا وعلى كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وقال في عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم فقد يختص اللفظة في القرآن بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادراك فانه مفسر وما ادراك ما القارعة وما ادراك ما هية الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر ومسخر ولو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب والاعمال فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند الاستغناء به ومسخر لا محالة وفي نفس السحاب
من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وتسدده الا في لحظة وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والسهم والتطبيق
الى غير ذلك من العجائب لايات واضحة على كمال الحكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لَآيَاتٍ فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء
الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحدة منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
واما قوله تعالى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال وفي الآية من الفوائد ان التقليد مذموم فيها
الى حقيقته سبيل ومنها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر في شيء منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين فمتى
كانت الدلائل كذلك كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم
الوكيل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
وبعضی از مردمان هستند که فرا گرفته اند بغیر از خدا امثال را دوست میدارند ایشان را چون دوست داشتن خدا و آنان که گرویده اند بیشتر است دوستی ایشان از برای خدا و اگر ببیند
ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمکاران که چون مشاهده کنند عذاب را که توانگری مختص بخدا است همه آن و بدرستیکه خدا سخت عقوبت است وقتیکه بیزاری جویند آنها که پیروی کرده شدند از آنها که پیروی کرده
وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ
و نگرستند عذاب را و بریده شد بهمه وسیلها و بگویند آنها که تابع که کاشکی بود از برای ما بازگشتی که بیزاری جوییم از آنها همچنانکه بیزاری جستند از ما چنین
يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
بنمايد ايشان را خدا كردارهاى ايشان را حسرتها بر ايشان و نيستند ايشان بيرون آينده از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف

فيهما يزيد وسهل ويعقوب في تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة ابو عمرو عباس وقتيبة لجواد من النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا الامن قرأ ان فان بالكسر فيهما شديد العذاب الاسباب تبرأوا منا ط عليهم ط من النار التفسير
سبحانه لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها تتبين الاشياء والند المثل المنادي كما سلف والمراد بالانداد ههنا
هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذرو لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون
على اوامرهم ونواهيهم محللين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكون
محبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن ترجيح الجمع بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث
نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وانهم علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وانهم التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه يحبونهم يعني انهم يحبون عبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يجب الله اي
عليهم لله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان اطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن
والحديث كما في هذه الآية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء آخر دار او تسلسل اذ كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وغلبته والرجل الزاهد لبراءته عن المساخر سبحانه فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص لكمال المطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع
على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم ويحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنيه عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ومحبة الله تعالى اولياءه
ومغفرته لهم وثناؤه عليهم ومعنى الحب فيه ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لعين بعد علي افعى ومنع ويكرم الف الحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالياء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربعة تقادير الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم حذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب يقدره من الفظاعة الا يمكنه كنهه كقولهم لو رأيت
فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما لو وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتاتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم العذاب ومعاينتهم ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معمولها بدل من العذاب قال الفراء والوجه فيه تكرير
الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان معناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على
القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي نظم للمستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري اما بالقول وهو الاقرب
اما بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم اي عنهم فان
انقطع في معنى زال ووقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمني ولذلك اجيب بالفاء

والواو للحال اللتي تروا في حال رؤيتهم العذاب

كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف المتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتبرأ منهم بعد النصرة والاعانة كما تبرؤا منا
اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات هو ثالث مفعولي رأى او مثل ذلك التبرؤ يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبرؤ
نوع اراءة والمراد بالاعمال قيل الطاعات لزمتهم فلم يقوموا بها وضيعوها عن السدي وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن
زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي نووها فاحبطوها بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة
الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا
يرون مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يدع المسرور كئيبا
الدنيا دار تجارة فالويل لمن لم يتزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوى الحكم وافادة التاكيد كقوله تعالى وهم لا يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم
حسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ع
ای گروه مردمان بخورید از آنچه در زمین است حلال و پاکیزه چیزی و پیروی نکنید گامهای شیطانی را بدرستی که او مر شمارا دشمنی است هویدا
انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه
جز این نیست که فرماید بشما بدی و ناشایسته و با آنکه بگویید در بارهٔ خدا آنچه را که نمیدانید و چون گفته شد بایشان که متابعت کنید فرستادهٔ خدا را گفتند بلکه متابعت کنیم آنچه یافتیم بر آن
اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
پدران ما آیا و اگرچه بوده باشند پدران ایشان نادان بچیزی و هدایت نیافته و مثل آنان که کافر شدند چون مثل آنانکه فریاد زند بآنکه نشنود بجز خواندن
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون القراآت خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وسهل وعباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابي ربيعة
و آواز کران و گنگان و کوران اند پس ایشان درک ندارند عن البزي والقواس وحماد وابو بكر غير البرجمي اباؤنا الفون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل ننبئكم وبل نقذف
مدغما حيث كان علي وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ه ما لا تعلمون ه اباءنا ط لابتداء الاستفهام ولا
يهتدون ه ونداء ط لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون ه التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل به لانه حل عقد الرحال
وحل الدين لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة
والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف
بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ ويراد
بالحلال ما يكون بجنسه حلالا وبالطيب ما لا يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم والسكون
اذا كانت اسما تجمع في الصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه لما يعترف في الفعلة بالضم والوطئ على عقبه لما يعترف والفعلة
بالفتح ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء متناول لجميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء
وهي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد تخص الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما فيه يجب الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لانه
وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من مامورات
الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر اخيرا مثل ان يجره
من الافضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا للنفرة عن
الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم
بل يدخل فيه المقلد للحق لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن
والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له و
قبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا معتبر للبصراء ومزدجر للعقلاء اعاذنا الله بحوله وايده من مكر
الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا
واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين
البتة وكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول على الاصل واقتصر في المائدة ولقمن على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما

ورد فی الاول مع تغیر العبادة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقلید فما اعقلهم وانصفهم فلاجرم اجاب الله تعـ بقوله ولو کان الواو للعطف
لا للحال علی ما وقع فی الکشاف والهمزة للرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف وکذا جواب الشرط والمعنی ایتبعونهم ولو کان اباؤهم لا یعقلون شیئا من الدین
ولا یهتدون للثواب یتبعونهم ایضا وتقریر الجواب یقال للمقلد عرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فکیف قلدته مع احتمال کونه مبطلا وان کنت
عرفت فاما بتقلید اخر ویستلزم التسلسل او بالعقل فذلک کاف فی معرفة الحق والتقلید ضایع وایضا علم المقلد ان حصل بالتقلید تسلسل وان حصل
بالدلیل فانما یتبعه المقلد اذا علم ذلک الدلیل ایضا والا کان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغیر من غیر دلیل ضلال ومثل الذین کفروا فیه للعلماء
طریقان احدهما تصحیح المعنی باضمار اما فی المشبه ای مثل من یدعو الذین کفروا الی الحق کمثل الذی ینعق الراعی بالضان اذ صاح بها وانما نعق
الغراب فبالعین المعجمة شبه الداعی الی الحق براعی الغنم والکفرة بالغنم ووجه التشبیه ان البهیمة تسمع الصوت ولا یعلم المراد وهؤلاء الکفار یسمعون صوت
الرسول والفاظه وما کانوا ینتفعون بها فکانهم لا یفهمون معانیها واما باضمار فی المشبه به ای مثل الذین کفروا کبهائم الذی ینعق والطریق الثانی التصحیح
بغیر اضمار ای مثلهم فی دعائهم الاصنام کمثل الناعق بما لا یسمع لکن قوله الا دعاء ونداء لا یساعد علیه لان الاصنام لا تسمع شیئا او مثلهم فی دعائهم
الهتهم کمثل الناعق فی دعائه عند الجبل فانه لا یسمع الا صدی صوته فاذا قال یا زید یسمع من الصدا یا زید فکذلک هؤلاء الکفار اذا دعوا الاوثان
لا یسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم فی قلة عقلهم حیث عبدوا الاوثان کمثل الراعی اذا تکلم مع البهائم فکما ان الکلام مع البهائم
دلیل سخافة العقل فکذلک عبادتهم لها او مثلهم فی اتباعهم اباءهم وتقلیدهم لهم کمثل الذی یتکلم مع البهائم فکما ان ذلک عبث ضایع فکذا تقلیدهم
واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بکم عن اجابة الداعی الی سبیل الخیر عمی عن النظر فی الدلائل فهم لا یعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلک ان
طریق الاکتساب والاکتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قیل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فکانهم عدموها خلقة قال شابور بن
اردشیر العقل نوعان مطبوع ومسموع فلا یصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العین والاخر بمثابة الشمس ولا یکمل الابصار الا بهما
وقال النبی صلعم ان لکل شیء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله یکون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل حکایة عن الفجار لو کنا نسمع
او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر وقال ما اکتسب المرء مثل عقل یهدیه صاحبه الی هدی ویرده عن ردی التاویل الذین کفروا لم یسمعوا انما خاطبهم الحق بقوله
الست بربکم الا دعاء ونداء لانهم کانوا فی الصف الاخیر من الارواح المجندة فی اربعة صفوف الاول للانبیاء والثانی للاولیاء والثالث للمؤمنین
والرابع للکافرین فما شاهدوا شیئا من انوار الحق ولکنهم قالوا بالتقلید بلی فبقوا علی التقلید بل نتبع ما الفینا علیه اباءنا یا ایها
الذین امنوا کلوا من طیبات ما رزقناکم واشکروا لله ان کنتم ایاه تعبدون انما حرم علیکم المیتة والدم
ای انان که گرویده اید بخورید از پاکیزه های آنچه را که روزی کردیم شما را و سپاس کنید مر خدا را اگر مر خدا را پرستید بدرستی که حرام کرده است بر شما مردار و خون
ولحم الخنزیر وما اهل به لغیر الله فمن اضطر غیر باغ ولا عاد فلا اثم علیه ان الله غفور رحیم ان الذین یکتمون
و گوشت خوک را و آنچه قربانی شده باشد از برای غیر خدا پس هر که ناچار شود نه از روی ستم و نه از روی گذشتن پس نیست گناهی بر او بدرستی خدا آمرزنده مهربانست بدرستی که آنان که پنهان میدارند
ما انزل الله من الکتاب ویشترون به ثمنا قلیلا اولئک ما یاکلون فی بطونهم الا النار ولا یکلمهم الله یوم
آنچه را که فرستاده خدا از کتاب و عیزان و میفروشند او را به بهای کمی آن گروه نمیخورند در شکمهای خود بجز آتش را و گفتگو نکند با ایشان خدا در روز
القیمة ولا یزکیهم ولهم عذاب الیم اولئک الذین اشتروا الضلالة بالهدی والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم علی
قیامت و پاک نسازد ایشان را و مر ایشانراست عذاب دردناک آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را بدل از درستی و عذاب را بدل از آمرزش پس چه قدر صبر دارند بر
النار ذلک بان الله نزل الکتاب بالحق وان الذین اختلفوا فی الکتاب لفی شقاق بعید القراءة المیتة بتشدید الیاء یزید
آتش این از آنجهت است که خدا فرستاد کتاب را بحق و بدرستی که آنانکه اختلاف کردند در کتاب هر آینه در طرف دور اند الباقون بالسکون فمن اضطر
بکسر النون وکسر الطاء یزید الباقون بضمها الوقوف تعبدون لغیر الله ج للشرط مع فاء التعقیب علیه ط رحیم قلیلا لا لان ما بعده خبران یزکیهم ج
والوصل اولی لاتصال بعض جزائهم بالبعض الیم بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة فی الانکار علی النار بالحق ط للابتداء بالبعید
بعید ربع الجزء التفسیر انه سبحانه تکلم من اول السورة الی ههنا فی دلائل التوحید والنبوة واستقصی شرح اهل النفاق والشقاق من المشرکین واهل الکتاب
وذیل کلا من ذلک بما یناسبه من ههنا شرع فی بیان الاحکام الشرعیة الحکم الاول اباحة الاکل للمؤمنین بعد ما عمم للناس کلهم لهذا بالنظر الی الاصل
وقد یصیر واجبا للعارض کالواشرف علی الهلاک بسبب المجاعة وقد یکون مندوبا کموافقة الضیف واستدل بقوله طیبات ما رزقناکم علی ان الرزق
قد یکون حراما فان الطیب هو الحلال فلو کان الرزق حلالا لا یبقی لذکر الطیب فائدة الا ان یصیر المعنی کلوا من حلالات ما احللنا لکم واجیب بالمنع
من ان معنی الطیب ما ذکره بل المعنی کلوا من مستلذات ما رزقناکم ولعل قوما تاثموا ان التوسع فی الاکل الحلال والاستکثار من الملاذ ممنوع فرفع الحرج
واشکروا لله الذی رزقکموها ان کنتم ایاه تعبدون ان صح انکم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولی النعم فان الشکر راس العبادة والترکیب یدور
علی الکشف واظهار ومنه کشر اذا کشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشکر وباطن ان یستعین بالنعم علی الطاعة دون المعصیة وقال بعضهم
شعر فلیتنی نعما ابوح بشکرها وکفتنی کلا لا موبابرها ؛ فلاشکرنک ما حییت فان امت ؛ فلیشکرنک اعظمی فی قبرها ؛ عن النبی یقول الله تعـ انی

الجزء الثاني

والجن والانس في بناء عظيم خلق ويعبد غيره وقد رزق ويشكر غيره ولما اجمل في الاية ما يباح اكله بل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عداه على الاصل لا ما حدة فقيل
انما حرم عليكم الميتة ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس
بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية او حلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه والحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق ايضا بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان كان الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكوة الجنين ذكوة امه وقال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه ورد
بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر فائدة لان ذلك معلوم ولما روى عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج
ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر
والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر
واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة
يطهر كلها الا جلد الخنزير لدسومته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر ان لا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه
على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كفجاءة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولا يجوز تجليل الكلب والخنزير ان لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقل الاثبات عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل صلى الله عليه وسلم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان
نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة اصحابه
عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف وان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتها ففي محرمة لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء
وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يباح به سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول لكن على شرطه
ان كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكالو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها
طاهران عند ابي حنيفة ونجسان عند الشافعي ومالك لان الاية لا يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل ينجسها بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم
اذا مات وجد ذلك في جوفه فان كان منصلبا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا لاطلاق الاية
الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول يتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في اللفظ وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوزه والشافعي لا يجوزه واحتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله
من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فاهل المعتمر اذا رفع صوته

بالتلبية

ما يتلبث قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد تقدم به في هذه السورة واخر في المائدة والانعام
والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع
قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكر في سائر الاى ثم اكتفى بما ذكر في المواضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا
سمى عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ولان النصارى اذا سمى الله تعالى فانما يريدون به المسيح وهو مذهب عطا
ومكحول والحسن الشعبي وسعيد بن المسيب قال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب تحريمه واذا
ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما يخالف الوارد في المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا
لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ما يقولون تمام الاية يقتضون لا يكون سوى هذه الاشياء محرما
لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ استثنى
من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني
اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن
اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف نحو
الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهي بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد للاثمة في الاية قولان احدهما
واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره طالنفس فعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز
قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة و
الثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل
يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل
لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان تنفر طبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفى ماهية البغي والعدوان
وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهب اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي
حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل او حية
وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه ان يتوصل
الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر فاذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير وهلك فيتناول
الشبع وقال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان وجد عنها طرحها والاول قريب لان سبب الرخصة
اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة وكما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه
وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش ومن اساغة اللقمة
وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول
حدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة
الاضطرار ومعنى قوله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة
ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة
رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة وانه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم
حيث وفقهم للطاعة إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها
ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا
يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لانه لا يتعقل عليه بالمنزل لما سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا انه
لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر وهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الاخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام
ذلك

فان القرط هو الدرة المعلقة من الاذن والمهواه والهواء الجو وبعد مهواه يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كفوا كلامه في الدنيا بل بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دأب الملوك من الاعراض عند
ولا اقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم ويقبلوا اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء في
الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح
الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لابد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف حين اشتروا الضلالة بالهدى وعن الاصم المراد انه اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حق الله ثم ذلك الوعيد الشديد وذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب التورية والقرآن بالحق بالصدق او ببيان الحق قد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب بجنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق وخلاف بعيد عن
الحق والذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في
الاخر وذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد تأويلا اخر فاسدا وحرفوا كلا منهما على وجه اخر لاجل عداوتهم فيما بينهم في شقاق بعيد وزعم
شديد فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب تواد . وهو مثل اختلاف
الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب لكنه يشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان التعقيب في تعقيب هذا الحكم للاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل
والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنيعهم تصريحا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال عليه السلام سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير هي مادة الشره والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة سنتا علم لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
نيست خوبى آنكه بر گردانيد روهاى خود را بجانب مشرق و مغرب وليكن خوبى آنست كسى كه گرويد
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ع
بخدا و روز واپسين و فرشتگان و كتابها و پيغمبران و بدهد مال خود را بر دوستى مر صاحبان خويشى و يتيمان و فقيران و راه گذاران
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
و بينوايان و در بندگان و اقامت كرد نماز را و داد مال زكوة را و وفا كنندگان بپيمان خود را چون پيمان بستند و تحمل كنندگان در تنگدستى و ناخوشى
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخراز عن هبيرة الباقون
و در هنگام بد حالى آن گروه آنانند كه براستى ايمان آوردند و آن گروه ايشانند پرهيزكاران بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الامانات وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون التفسير
هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي ص عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولنا الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى
بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقديره حذف المضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل عدل وصوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن التقدير هكذا ولكن ذا البر من امن
لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على
كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز
عليه قدرته على الخلق والايجاد وبعثة الرسل ثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات ثالثها
الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان المكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ
والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الاخر واما معرفة مصالح الوسط فلا يتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك
فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الاية الثاني ايتاء المال على حبه سال اعرابي عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة خير قال
ان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل
الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما يشبع السبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج
ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت لانه لهيبة
الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب ذلك عطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر
سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقدمنا ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان لانها صدقة وصلة و
لتأكد استحقاقه فان رتبة الوراثة ويحجر بسببهم على المالك في الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث والمطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم
الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف
به وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون
واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة
وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للملوك رقبة كانه يراقب العذاب
ولا يقال له عنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثهما ثم ان الائمة حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء
الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات
شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم
ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي عليه السلام ان الزكوة نسخت كل حق كانه اراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة
والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من امن والمراد بالعهد
ما اخذه الله من العهود على عباده بعقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبياء والكتب
ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات
او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا اوفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس
والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي
اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع
الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعرابها الاوصاف كان المقصود كمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام و
ضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة للمدح والذم ان اصل المدح
والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل اي فهو والله
الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي لزيد الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك
الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون نظم هاتين الجملتين في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون كانه قيل للمتصفين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو وصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين لهم قدم صدق في الاسلام وهم المتسمون
بسمة التقوى وكل منهما منطو على جميع الخيرات متضمن لكل المامورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواو
في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن
الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص

الموت لشبه المتبرع عند

في تعريف الصابرين

الانبياء والحق انه ليس بعيدا ان يوجد الامر موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في المتقي ولا سيما نبينا محمد ثم ان اهل الكتاب كلا خلوا بجميع وصايا
البر خلوا بالايمان بالله قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى
الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل
عدونا وكفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتبعوا ابتغاء الشح
حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولا يوفون بعهدهم ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللاواء ان نصبر على
طعام واحد لا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا شئ ولا واحد من انواع
البر فيهم وهذه غاية الوقاحة وغاية العناد والله بصير بالعباد التأويل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر الحقيقي هو برّه معكم
بتوليه وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا به لانه نور بربه ويرجى لكم يحبهم والملائكة يحبونكم يرجى لكم ويرجى
لكم ليس بحادث كبر كرم من بل هو بر قديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل المحبة وهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على
ما حصل للعبد من الحب فيما مال اليه سره من عواطف الحق ينفقه على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي
القربى وهم الروح والقلب والسر وذوي قرابة الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات
الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات
والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين واقام صلوة الحاضرة مع الله بالله واتى زكوة مواهب
الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة
الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود
واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
اى گروه مردمان ايمانى كه نوشته شد بر شما قصاص در كشتگان دوان چنانكه آزاد بآزاد و بنده به بنده
والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن
وزن بدل از زن پس هر كه بخشيده شد قصاص را برادرش خود پس در پى پيروى بايد كرد متابعه معروف است و واگذاردنى است واحسان است اين سبكبارى است از جانب خدا و مهربانى است پس هر كه
اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون الوقوف في القتلى ط بالانثى ط
در گذشت بستم از اين پس مر او راست عذابى دردناك و در شما است در قصاص زندگى اى صاحبان خرد كه شايد شما پرهيز كنيد لان العفو عطاء الدية صلحا فكان
خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا اما احسان ط و رحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا
حكم اخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم
كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة
منا الرجل منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف
ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما ذا تريد فقال احد ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملؤن داري من نجوم السماء او
تدفعون الى جملة قومكم حتى اقتلهم ثم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف ضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى
بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله
ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك قص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصص لان
الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية يدل على
وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص
ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص تبقى حجة فيما
عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك
بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على
تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب
القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاءه بل الزاني والسارق والمحارب من
الحدود ولهما ايضا ان يستر ابستر الله فلا يعزر فكان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل
والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال
الشافعي ان كان قتل بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني

في تعريف القصاص

مات في تلك المرة والاخرى نقيضه روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي رأس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله
ولانه يجوز ان يقال كتب التسوية في القتل الا في كيفية القتل حيث لم يثبت دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالسحر
لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية
الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين من الامور الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة
تماثل النفس في تعين السيف ولقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اجاب اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه
منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر
المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك اي الحر مقتول
بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين الانثيين ولان
الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو مناقض للاية ولان هذا القول
خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك
وقالوا انما قتل العبد بالعبد فلا يقتل بالحر وهو فوقه اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان
الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر
بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص
الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم
وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك وايضا نقل عن علي رضي الله عنه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما
في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فاذا قتل حر عبدا
فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود
فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد
وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا
قتلت امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية
ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله
تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى
المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له والجواب انه يتعدى بعن الى
الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف
من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل
اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبته به كما يقول الرجل للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم
ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل
والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التأويل وبان القاتل قد يتوب
وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نزلت قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة
قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا له في النسب كقوله
والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر اتباع او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فيجب على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة
بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فان كان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان واجد

المال الواجب فالامهال الى ان يتيسر وان لا يمنعه بسبب تباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه واداء اليه باحسان لا بدعى لا قدام
في حال الامكان ولا يؤخر مع الوجوه ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدى ذلك المال على اليسر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس هذا قول ابن
عباس والحسن وقتاده ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافى بمعروف ويؤدى ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو بان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم
يكن الا القصاص والنصارى الا العفو واثبات الخير فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولى الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا
الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفى ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الاخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهو
الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او ودونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولى في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية مشتملة
على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال الرحمة عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الشيء الحيوة وان الالم لا يكون نفس ذلك الشيء والمراد
لكم في شرع القصاص حيوة واى حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول
غيره فاثار الفتنة فيحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من كان
يهم بالقتل فلم يقتل ولم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اى فيما قصص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القران اى لكم في القران حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في
الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم
القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس نافيا للقتل قصاصا بل داع له ولو خصص
فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثانى ان القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلى ونفى القتل انما يراد لحصول الحيوة
فالتنصيص على المقصود الاصلى اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن انه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التى يعتمد
عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفى كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة
التركيب وفى الاية مع غاية وجازتها فيها السلب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضى كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفى الاية
جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الاية لمكان التضاد بين
لفظى القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفى اكتنفه قتلان
انه لا يليق بهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففى الاية واحدة وفى كلامهم
ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية تقاصت الادوات فيبقى زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل
بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولى الالباب يا ذوى العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو
بمعنى صاحب وفى الاناث اولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعرابه كاعراب جمع المذكر السالم وندواني وادولو
فرقا بينها وبين الى واجرى اولو عليه واللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون
ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اى اراكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقى على الاية بحث وهو انه يسئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو
يموت لان المقتول ميت بعمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل
وقت جعل وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا بدءا وسببه معدوما وعدما و
شرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به وفائدة شرع
القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدتها منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء ملوم والله اعلم التاويل
كتب عليكم القصاص في القتلى كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من جنى قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى من كان ١
متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في نوع غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى
محبته لم يكن مستحقا الكمال محبته فمن عفى له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذى هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف
من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك لوفاء بهاتية الجفاء والقى جلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفر

موقعه وخيم فلكم في القصاص حيوة الدين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين بدلوا قشر الروح الانساني عند شهود جلال الاحد الملك

شر وجودكم كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

نوشته شد بر شما در وقتی که دریافت یکی از شما مرگ اگر بگذارد مالی را وصیت کردن از برای پدر و مادر و خویشان بمقدار معروف این ثابت بر پرهیزگاران

فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

پس هر که تغییر دهد او را پس از آنکه شنید او را پس عقوبت بر آنهاست که تغییر دهند او را بدرستیکه خدا شنوای داناست پس هر که بترسد از وصیت کننده میلی یا گناهی را پس صلاح

بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ القراءة بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة

در میان ایشان پس نیست عقوبتی بر او بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب تمام المؤنث الفعل للفصل

ولاعتراض ظرف او شرط بينهما او الوصية مبتدأ وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى

لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم آخر يبدلونه ط كذلك

عليم ط رحيم التفسير هذا حكم آخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء

والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان

تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا او زيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ من

خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله فَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر قال تعالى وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ

نَصِيبًا مَّفْرُوضًا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الآية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه

ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى

فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه منه قوله لا صلوة لجار المسجد الا

في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله إِن تَرَكَ خَيْرًا فائدة لان احدا من يموت فانه اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا

في ان المسمى بالخير في الآية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء لمقدار من

المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا

بناء في اصل الايجاب منهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي

قال لا قال الله تعالى إِن تَرَكَ خَيْرًا الخير هو المال الكثير وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة الاف قالت كم عيالك

قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة

درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية

للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع

الوصية بكتب هو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل

هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية

الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا فلو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد

مع حضور الاخوة لم يكن ما اتى به معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة وعلى

الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم النسخ وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من

توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم

ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث

يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدر حصول المنافاة فهذه الآية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم آية الميراث تخرج القريب الذي

لا يكون وارثا داخلا في الآية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال

ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فآية الميراث مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الآية منسوخة

قالوا النسخ بآية المواريث وبالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول

حتى التحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انه منسوخة في حق من يرث ثابتة في حق من لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن

البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال

طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب تركنا العمل به في حق القريب الوارث

اما باية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال عليه السلام ما
حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية شيء يريد ان يوصي فيه يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا
في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن و
جابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن
طاوس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الاوصياء اولياء الميت والوصي بعد موته عن جهة
ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع ان لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد
بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل النهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن الموضع الذي
بين الله تعالى الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعدهم
على تركها فانما اثمه اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الا
اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث فان الميت لا يعذب بجناية غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حد
ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل ووعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن
خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا وللخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيسئل انه انما يخاف
في امر منتظر مظنون والوصية وقعت فاجيب بان المراد ان المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن
طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التأويل وشاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق وينقص المستحق ويعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك وقبل تحقق الوصية ياخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على سائر من لا باس ترفكان الموصي يقول وقد حضر
الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة وانقص فلانا مع انه مستحق الزيادة
فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا بهما لانه من الجائز ان لا يتم الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته ولمن ان يحصل
الثقة بما فعل وقد يعدل عن الخوف في اول الامر ويتقلب ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك الظلم فبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما
نسب الى الموصي وقد يفرح الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بالجزائهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل
الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف مذشاء ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر استعمالا شائعا من ذلك
قولهم خاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان المبين اذا الخطا في وصيته وجار فيها متعمدا فلا حرج على
من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف
المصلح افضاء التنازع الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حينئذ لا ينافي الوجوب فيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين
القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا يؤاخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا
ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان او صل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل اعباء
الاصلاح اولى او المراد لمن اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في
في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الان جائزة في الثلث لما روى
انه صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي فاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبشطره قال لا قال فبالثلث قال الثلث و
الثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت
الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم
منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة
كالزائد على الثلث للاجنبي فان الزائد يحتاج الى اجازة الورثة التاويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال
والاغنياء يوصون في اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات
الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربين وهم القلب والسر بترك كل شرب
يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال عليه السلام
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا
وكل لرسول الدين ومذهب في الجهد فصلكم سؤلي ودين هواكم وانتم من الدنيا مرادي وهيتم مناي منا كم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي
ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر يحتمل النسخ واحكام

ربع

البواطن وهي الحكم والحقائق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله من غيرهن الروح والقلب والسر الوصية الصادرة
من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم بسبب هذا التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج
عنها صعب جدا فمن خاف تفرس من موص جنفا في ترك المشارب ما ابو بالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع في دفع
الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر شيخ كامل ومرب عارف فلا اثم عليه المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم ع ٧
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ايام معدودات فمن كان منكم مريضا ای ایمان کنندگان فرض کرده شد بر شما روزه چنانکه نوشته شد
روزه چنانکه نوشته شد برانهائیکه پیش از شما بودند شاید که شما پرهیز کنید روزهای چند شمرده شده پس هرکه باشد از شما بیمار او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم يا در سفر پس چندی از روزهای دیگر
وبر انانکه نتوانند قضا پس فدیه دهند بطعام فقیری پس هرکه از روی تبرع خوبی کند بهتر است او را و روزه شما بهتر است شما را اگر تعلمون شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم ماه رمضان است آنکه
فرود آمده در آن قرآن که رهنمائی مردمان است و نشانها از هدایت و امتیاز پس هرکه حاضر باشد از شما در این ماه پس روزه بگیرد مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم خواهد خدا بشما آسانی و نمیخواهد بشما دشواری را تا بانجام رسانید شمار را و تا بزرگی یاد کنید خدا را که راه نمود تان
تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل
حاجت خواننده را چون بخواند مرا پس طلب اجابت کنند از من و بگروند بمن شاید که راه یابند حلال کرده شد لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن
لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم از برای شما در شب روزه خلوت کردن با زنان خود
پوشش شمااند و شما پوشش ایشان دانسته است خدا که شما خیانت کنند با نفسهای خود در این پس رجوع برحمت کرد بر شما فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا پس در این وقت خلوت کنید و بجوئید آنچه را نوشت خدا
از برای شما و بخورید و بیاشامید تا که ظاهر شود بر شما رشته سفید صبح از رشته سیاه مغرب از صبح پس تمام کنید الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس روزه را تا شب و مباشرت مکنید ایشان را در حالی که
معتکف شده در مسجدها اینست احکامهای خدا پس نزدیک مشوید مر آنها را ظاهر میکند خدا نشانهای خود برای مردم لعلهم يتقون القراءة فدية طعام مساكين والجمع
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان ووروى الحلواني الا عن هشام والنجار فدية بالتنوين طعام بالرفع شاید که پرهیز کنند مضافا الى مساكين بالجمع الباقون
مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور ومن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة جزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل
القران غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بعض القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر ان قران الفجر
ولا تعجل بالقران ان علينا جمعه وقرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من
التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسهل الباقون من الاكمال الداع اذا دعان بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر
ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لان
ايام ظرف الصيام والانتفاء معدودات ط لان المريض والسفر عارضان فكانا خارجين عن الوضع اصلا اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما
قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه ط
لابتداء الشرط اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستانف عار من الفاء يرشدون نسائكم ط هن ط عنكم ج لعطف
الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان انقفت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
في المساجد ط لان تلك مبتدا فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين بيانا كبيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام
مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في
زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولا بد في صحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر
ويوافقه الجديد من قول الشافعي وفي غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس
ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم
قال علي كرم الله وجهه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من فرضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها الفديها او المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المناهي ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد

فی بیان معنی الصوم

في الحرم القرآن والعذر ... الموتان بفتحتين ... (marginal handwritten notes, partly illegible)

فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله ان المال القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلفت المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان فعن عطا ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه فسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلعم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا وبانه ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تليها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان والثاني هو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلال الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ عنه كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصوم وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث انه لا خلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا يجيء في القرآن اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي نزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة في السفر والمرض المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فقيل توجع اصبعه وعن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد اذن منه ما يؤثر الصوم في تقويته تاثيرا يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم وعن الازهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال بالاميال الهاشمية جد رسول الله صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان يقطع في اليوم الواحد بسير الحمولة بخلاف ما اذا تكرر في يومين نحو ... ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلعم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي ايضا عن عطا ان ابن عباس سئل اتقصر الى عرفة فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا تحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله صلعم والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله صلعم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يبيح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت حصلت والا فلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا ياتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث آخر وانه غير مصروف للصفة والعدل من اخر من كذا واعلم ان قوما من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضا في الحضر واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر ينفي

سورة البقرة

عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى

ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه

عن عائشة ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل يصوم في السفر فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الآية

اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعن

الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي

احمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره

وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده

قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام

الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في المعنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وانه ههنا

عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي هو من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى

الفقير والمسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها ومن قرأها

باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع فكل واحد منهم يلزمه طعام

مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مائة وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان

المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا واليه الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة و

هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى لئلا يلزم النسخ اقل فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن

الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة

او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع

اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو

الرفث وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فمن تطوع خيرا بان اطعم مسكينين او اكثر او يطعم الواحد القدر الواجب او صام مع

الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان

ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم شق عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون

بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من

ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام

رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض

للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان يحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة ولا

من خصيص حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك

عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واجل صوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان

في شاغل عن الافطار فلشوقت بمدة ثم لما ادني حل عن مكث الافطار وقوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان

اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى

هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه

فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار

وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس وفي الارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه

من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم لشدته عليهم او لان الذنوب ترمض فيه اي تحترق وعن الازهري انهم كانوا يرمضون

اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت

فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك شهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ

وافطر ان شئت

اضافة العام الى الخاص

بالشهر جاز كقوله شهر صام رمضان اما ما الحديث لان التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران وعلى انه بدل
من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول
مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القران فيه وقرئ بالنصب على صوموا
شهر رمضان او على الابدال من اياما او على انه مفعول ان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف
الشهر بانزال القران فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص باشق سمات العبودية فيقلل هضم
النفس ترقى العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس ويخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القران ويبذل له العلم بالعجائب
وكان من العجائب ما كان في انزال القران في رمضان اقوال فعن سفيان بن عيينة نزل في فضله القران كما يقول نزل في على كذا وقال ابن الانباري
انزل في ايجاب صومه على الخلق القران كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه
لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الايات والحق ما عليه الجمهور ان الله تعالى انزل القران في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول
ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القران قد نزل منجما مفرقا على حسب
المصالح والوقائع فاولت الاية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول
محمد بن اسحق او انه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس ببعيد ان يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة
في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل المامور بالانزال والتادية ولا سيما على راي الفلاسفة
الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القران
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم منجما الى اخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر
كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القران نوعيا لا شخصيا هدى للناس
وبينات منصوبان على الحالية اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين
الباطل من الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي متشابه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان
يقال القران هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التورية والانجيل ويقال الهدى الاول
اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا
وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القران فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل
ان مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان
الشهر والمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد والمقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الاضمار حذرا من لزوم التخصيص في
حق المسافر الا انه يلزمه ما فر منه رأسا لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل
شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول
لان الاضمار والتخصيص لما تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا اجتمع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي
معترضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت الانصاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الاية ممنوع وذلك ان شهد ههنا منزل منزلة
اللازم كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل نوى الاقامة واما التخصيص فمشترك
على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما
اعيد ليترتب عليه حكم القضاء كالمريض وفائدته لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم اولا وبالمنطوق ثانيا فاين التكرار
وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعلاما لمكانه وتمكينا في القلوب تعظيما في النفوس كقوله ان تسال
الحق يعطي الحق سائله وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر
عبارة من اوله الى اخره فظاهر الاية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان
المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال
رمضان فهذا مما يوافق ما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا
عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه وان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر
لزمه قضاء ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور لان المراد من شهد الشهر
اجمع ولكن بحيث قد يوجد منه الصوم في جميع ايامه والمراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه ويعلم انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق بايجاب الصوم
بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا للحاضر في بعضه

والمسافر

والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه الصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه من الزامي غاية تحرير التسمية
كالو ادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت
حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلعم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند
القاضي عدل واحد انه راى الهلال يثبت لما روى عن ابن عمر انه راى الهلال وحده فشهد عند النبي صلعم فامر الناس بالصوم ولما روي ان عليا شهد عنده
رجل على رؤية هلال رمضان فصام وقال لان اصوم يوما من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر
الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رأى في موضع شمل الحكم لمن هو على
دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور
ويسمى المقاصد اليد اليسرى تفاؤلا على اليسر او لان الامور تتسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف
اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه واوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك
القليل ما اوجبه على المريض والمسافر وههنا يتحقق صدق قوله صلعم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله
بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف
بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالاية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهد فقد فعل ما لم يرد الله
منه اذ كان يريد العسر واجيب بانه يحمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريده عليه فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة فكما انه يجوز
ان يامره ولا يريد جاز ان يريده ولا يامره قوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف فمن القراء المقدرة ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكره وامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله
لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص
والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم
ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مرتبطة بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا
معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر لا يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤا وانما قيل ولتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشتمل على
ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله
والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته العلى واسمائه الحسنى
وينزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يصح به الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد بالاوامر والتعبد عن النواهي وهذا لا يختص
بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلعم كان يخرج يوم الفطر والاضحى
رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه
لنا قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقران يقول ولتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله
عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس اخر يوم رمضان واما اخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يتحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح
الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلاثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية
عن جابر وابن عباس ايضا فانه تكبير موضوع شعار للعيد فكان وترا كتكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون
زيادته مما نقل عن رسول الله صلعم انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر وقال
في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير في ليلتي العيد
في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء يصلي المكبر مع الامام
او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد
ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر
بينهم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم وانه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها
على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم
بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلعم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا
فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم
على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي صلعم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك

العدة ولتكبروا

الجزء الثاني

الشديد بسبب دعائهم وتضرعهم وبهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسئل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع انه كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبايع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الاية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب قالوا فثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سئله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة زيفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب منها من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر تبرزت اليه حذار الرقيب

وكتمان سر الحبيب حبيب : اذا ما تلاشيت في نوره : يقول لي ادع فاني قريب : وان سئلوا اين ربنا صح الجواب باني قريب . وان سئلوه هل يسمع ربنا دعاءنا يصح الجواب باني قريب وان سئلوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب وان سئلوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب وان سئلوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب بان قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كاين فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص لان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه لان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القران عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقران ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلابد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه وان لم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق والكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذلة والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسئل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الا مادة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف

مقام القرب

الدعاء وتحقيقه

لهما مدد المناجات ان يكون استجابة صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يعود بركته عليه قال ﷺ ما من رجل يدعو
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا
يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسئلوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا
بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه بلقمة الحلال ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء
اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك ذكر المحققون ان الدعاء مفتاح
باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله ﷺ اي الدعاء اسمع قال جوف الليل
الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قال فماذا نقول يا رسول الله
قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه
قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله ﷺ قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام
العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة
بن عبيد ان النبي ﷺ سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم
ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله ﷺ قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي فلا تجعلوني
كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه واخره ومن لطائف الاية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر الاسولة و
الاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة
قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا فكانه سبحانه
يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السؤال قال عبادي هذا يدل على
ان العبد له في مقام الاجابة قال فاني قريب هذا يدل على ان العبد لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب فيه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب
وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب بمعنى اي فليمتثلوا امري اذا
دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين
المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى مستتبعة للخيرات عاجلا واجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وحاصل
الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه ونكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعاء الداعي
حتى يجيب دعائي لئلا يصير المذنب محروما عنه لان الاكرام بل قال انا اجيب دعائك على جميع احوالك فكرامتي فيه مجيب الدعائي وهذا يدل على ان
نعمتي شاملة ورحمتي كاملة يعم المطيعين والمذنبين الكاملين والناقصين قيل الدعاء في الاية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان
رسول الله ﷺ قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة
عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء
التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين
على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا
صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن
بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد ﷺ اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي قال وان
قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت
لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت
احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم
على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة بهذه
الاية فقد رفعها فانما نسخ حكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب د

في كيفية الدعاء

نكتة

والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص خان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب
وتكسب فالمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال لو
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ❊ ان تصدق الطير ننك لميسا ❊ ارفثت وانت
محرم ❊ فقال انما الرفث ما ووجه به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج يقال جامع الرجل
او ناك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او اللمس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء في قوله دخلتم بهن فاتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة او البيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدي الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها ❊ تثنت فكانت عليه لباسا
او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستر بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يتستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه مصدر لابس في الاصل واما لانه جنس وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استيناف لانه كالبيان لسبب الاحلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله بدليل فالان باشروهن فتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانون فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من اقتراف المعصية اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه نص
من البيان لان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح الجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك لا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه ونص ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات
وابتغوا ما كتب الله لكم جعل او قضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال صلى الله عليه وسلم
تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهيته وذلك عن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن مسلم ابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي
كتب في القران من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع من الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ للطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا للطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر اليهما من الليل ولا
يتبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك فقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار

النهار وسواد الليل وكنى رسول الله ﷺ بذلك عن بلاهته وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار واعلم
ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من
مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو داود شعر
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيطا انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة ولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دراية له
باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من
حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى في الفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير
البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى
العارفين بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء منهم نعم التفهيم بعد التبليغ الى كل احد والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط
الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو انه
يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما انفجر الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد
يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدأ منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لان بعض الفجر اوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان حل
المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي
عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه ﷺ قال اذا اقبل الليل من
ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي ﷺ انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله
انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة باني لو احتجت اطعمني من الجنة او اني اعطيت
قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك
كان بالخيار في الاستبقاء الا ان يخاف النقص في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بقدر الحاجة وقد يتشبث الحنفي بالاية
على جواز النية في نهار صوم رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول
الاقل ملحق بالاغلب فبطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله ﷺ من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له وروي من لم يبيت وانما
جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه ﷺ كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم واني اذا لصائم وايضا الحنفي يجب اتمام
الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث و
الاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الايات او استفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل
فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس والقبلة دون الفكر والنظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد
ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله ﷺ من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح
سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل من غذاء او دواء او لا فالحلق جوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان
الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف فانه ﷺ اكتحل في رمضان
وهو صائم وعند مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس
بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم ﷺ وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى
جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا لما في التحفظ من العسر ولو ضبطت المراة ووطئت او وجئ بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر
معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه فطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كالواكل او شرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف
الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق
الحلقوم فان قدر على مجه ولم يمجه حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض او استنشق فوصل الماء الى جوفه او دماغه لم يفطر
على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا لقوله ﷺ للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي
طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة اذا كان يسيرا دون ما قدر الحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا
في حصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله ﷺ من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

وان كثر افطر ولو جامع ناسيا فالصوم باق والاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز صومه على
الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في آخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى حدس
المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب اما بان المسئلة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في امثالها واما بانا متعبدون بما يطلع عليه ولا
الصبح لا يظهر الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر
وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وجعل
الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من آخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش انك لتثقل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ودقيقا ايضا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع
الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد تقع الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانين في شأنه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليرتب عليه الغرض الاصلي من الرفث وهو طلب
النسل ثم ليعطف عليه اباحة الاكل والشرب في جميع تلك الليالي الى آخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي
تلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة
الرفث فيما سواهما دون رمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على
شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حين يخرج لحاجة ولم تتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه الصاق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني رأسه
الى عائشة لترجله وهو معتكف فيبقى ما قبل الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس على درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه يمتاز عن سائر
البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والعاكفين وعن
عطاء فيه وفي مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت
المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم عاكف ثم انه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو تم لما خرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة وحال الاعتكاف هو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متغايران فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال والمباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اول آية الصيام الى ههنا لا الى حكم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد لا حدود الله الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما
يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعد ذلك فلما بفاد برخصوصه وصفات مضبوطة وانما قال
فلا تقربوها وفي موضع آخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله وامره ونواهيه متصرف في حيز الحق فنهي عن التعدي وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول
يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل
الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوها تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي
اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرائعه وادلته للناس لعلهم يتقون جعلنا الله تعالى
من المتقين بفضله ورحمته التأويلات صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم
فصوم اللسان عن الكذب والغيبة وصوم العين عن محل الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا نفس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على آبائكم
واجدادكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون من شآئب
المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات تحتجبن بافل كوكب سنديا الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية
الباقية كما قال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس
وكلال الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الا
عطاف فيتدارككم في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين فالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق
والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مولى
الحق وشراب مشاربه هو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما فطم من مشرب سقي من مستقيم خير
ذلك المشرب بفناء تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فيزله فيه حقائق القرآن وهذا معنى
قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه يأكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة ما كله حتى تغنيه عن جوعه
وتنقيه بشهوة فيكون خلقه القرآن وحينئذ يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له اصبت فالزم وهو
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد فاداني ربي وقال ما يد لك اللازم فالزم يدك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم
ورمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من
الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا ومراده حصول الصحة لا اذاقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا ولتكملوا العدة انواع الغايبة بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما
هديكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه
واحل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تنوعا في الاحوال فتارة يكون في غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وحينئذ يصوم عن
الحظوط الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله تعالى بها
كشف الستار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيها عما سواه وبليلة اسبال ستار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارأيتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الانيان ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم
اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال كيلا يحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال
الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة
ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب
وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شبلي لم يزل ذا اتى كان شبلي لم يكن اذا مضى في المساجد اي في مقامات
القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضرورات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف في العكوف بالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ع

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ

ومخوريد مالهاى خود را در ميان خود بطور باطل ومكشيد نزاع را بسوى حكام تا بخوريد بواسطه آن پاره از مالهاى مردم را بظلم وحال آنكه شما ميدانيد ميپرسند ترا

عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ

از ماهها بگو كه آن زمانهاست از براى مردمان وحج ونيست خوبى آنكه داخل شويد خانها را از پشت آنها ولكن نيكى آنست كه پرهيزيد وداخل شويد خانها را

مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل

از درهاى آن وبپرستيد خدا را باشد كه شما رستگار گرديد والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

والجواب في الحج لا ابتداء حكم آخر ومع النهي من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين ابوابها م لعطف المتفقين تفلحون ☆ التفسير لما كان الصوم منتهياً الى الافطار و
الافطار يتضمن الاكل ناسب ان يرد فيه حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه الاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحاً شرعياً واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك وبغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا
يكون ماخوذاً من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذاً من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهراً او بالتراضي والماخوذ قهراً اما ان يكون ماخوذ
من مالك ثم انه اما ان يؤخذ قهراً او بالتراضي فالماخوذ قهراً اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و
النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضياً اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
المأخوذ مختصاً بذي حرمة من الآدميين الثاني المأخوذ قهراً ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس منه وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهراً بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط لفظ الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف فالمحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي على الوجه الذي
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا
الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد يقال لمن انفق ماله اكله والادلاء اصله من دلي الدلو اذا ارسلها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده فلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان
منتسباً اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها اليهم لتأكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريباً واذا اخذها حاكم السوء مضى في الحكم
من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلاً ولكن قد يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي ص انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئاً فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه
من القسمة واقترعا وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم تحالا وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه
بالتوبيخ احق روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسألونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بانه انما يرى كذلك لانه
يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته ويفصل بدائرة بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير ويفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضاً
دائرة والدائرتان تنطبقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر القمر في هذه الحالة يرى بدراً وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريباً وفي غير التربيعين
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر بهما الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع
في مخروط البصر احدى الاوليين واحدى الاخريين لكن بحسب المضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريباً وفي غيرهما تختلف المقادير
ويتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المضيء بين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاوية تلك القطعة
اصغر اللتين تليان الابصار اعني انها حادة وتسمى القطعة المرئية الصغيرة اول ما تبدو الى ليلتين هلالاً ويجمع على اهلة لانه يتعدد اعتباراً وفي التربيعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان
المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت والمعالم التي يوقت بها الناس

في النهي عن الرشا

مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والميقات من الوقت كالميزان من
الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يتسهل ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث سمي عوده من كل شكل
الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا وبذلك قد السنون وضبط الاوقات والفصول فلم يمكنه جحود فائدته على تقدير وجوده
لو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض
الخير والجود وامتناع الخرق والالتئام كما ذهب الى كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى
فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة
اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعله في النسيء و
يمكن بان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين دورة
الشمس من نقطة كالحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق
من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى عز من قائل وليس البر بان تأتوا البيوت عن البراء قال نزلت
هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا لامر الاحرام ولكن البر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس هم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة
ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يتنظفوا الوبر ولم يأكلوا السمن والاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم
يدخل بيته من بابه بل يأتيه من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما نظم ووجه اتصال هذا الكلام بما
قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي
لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنبح لكم هو على مشاكلة الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر
في شيء اوانه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا او لاتفاق
وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على
المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب
البريء عن العبث والسفه فاذا رأينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه
من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق وقد اتيتم
الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تأتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية
قال الاعشى شعر وكاس شربت على لذة : واخرى تداويت منها بها : لكي يعلم الناس اني امرؤ اتيت المعيشة من بابها : وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما
كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن
الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق التاويل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي الهوى
النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة
للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة
ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت لان اوقات
محبوبهم كما ليس لهم وصف لان اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

وجهاد کنید در راه خدا انهاکه قتال کنند باشما و زیادتی مکنید که خدا دوست ندارد تجاوز کنندگانرا

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ

وجنگ کنید با انها در هر جا که یافتید انها را و بیرون کنید انها را از انجا که بیرون کردند شما را و فتنه سخت تر است از کشتن و قتال مکنید با انها در نزد مسجد الحرام تا انکه

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ

قتال کنند باشما پس اگر قتال کنند باشما پس بکشید انها را همچنین است پاداش کافران پس اگر باز ایستادند پس بدرستی که خدا امرزنده مهربانست وبکشید انها را تا انکه نباشد

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

فتنه در دنیا و باشد دین از برای خدا پس اگر باز ایستادند نیست عقوبتی مگر بر ستمکاران ماه حرام بماه حرام و حرمتها بدل کرند

الحزب الثاني

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله

پس هر كه تعدى كرد بر شما پس تعدى كنيد بر او بانطريق كه تعدى كرد و ذلك ان برشما و بپرهيزيد از خدا و بدانيد كه بدرستى كه خدا با پرهيزكارانست و انفاق كنيد در راه خدا

ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون

و ميندازيد خود را بدست خود در ميان مهلكه و خوبى كنيد كه خدا دوست ميدارد نيكوكارانرا من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما يكتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف

ولا تعتدوا ط المعتدين ه من الفتلج للعارض بين الجملتين المتفقتين فخرج للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل

الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وقوعه ما اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى

اى لا تقتحموا الحرب فوق ما تطاق واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية بما هو اشق التكاليف

على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة

الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اى الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا

المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روى عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اى المستعدين للقتال

سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب

نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك

فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلاثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء فرضي به وصالحهم عليه وعاد

الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر

الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة

المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس

من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم

عهد او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلاثة بازاء التفاسير الثلاثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين

عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اى صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني

فاقتلوني : فمن اثقف فليس الى خلود : امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء

قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حرما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اى

اى من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او تخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج

والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل

ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل وروي ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اى لا تستعظموا

الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار

اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم

في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي وجب عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وآفاتها شعر لقتل

بحد السيف اهون موقعا : على النفس من قتل بحد فراق : وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم من حيث ثقفتموهم

واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع عن

الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولو

اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعمش قال

قال لحمزة ارايت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد

قالوا ضربنا وذلك ان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اى عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس

وقيل اى عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم الكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الجزري

قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان ولا انتهاء عن الكفر ظاهرا الا بالتلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و

بالطمانينة التي يثبت بها كان جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد مقبولة لان الكفر اشد من كل ذنب

مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق فاذا اسلم فالقاتل غير

الكافر

الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حرمة الله تعالى مبنية على المساهلة فظهر الفرق ولهذا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان
يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قولهم وقاتلوهم قيل انه ناسخ
لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمتها غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها
مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب فلا يضر لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص
قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اي شرك
وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا
من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد من قوله ويكون الدين لله اي ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح
شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد ومحمولة على قصد ازالة الكفر فيتبين
هذا العزم على القتال الكلي لا يتخلف عنه وقيل فتنة انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى
تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدءوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده
من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين كله لله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي
وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين بمجموع قوله الا على الظالمين فاقيم مقام
على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمي جزاء
الظالم ظلما للمشاكلة كما يجيء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيتسلط عليكم من
يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر
والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمات ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي وكل حرمة
يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات
في سنة ست فقد وفقتكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم
اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم
واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل
وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وانه يفتقر الى العدد والعدد فقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم
المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال ويروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله
يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر صلى الله عليه وسلم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص
يحمله في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال
مبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات وعلى القتال وفي الزكوات
والكفارات وفي عمارة بقاع الخير وغير ذلك الا ان الاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه تعالى عبر عنه بقوله في سبيل الله
ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز نفسه ونشط وهان عليه ما
دعي اليه الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس
كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه
بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من
قوله التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة للشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من
هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما اظن تصحيح لفظ القران كيلا يتحرم فصاحته فانه اجل
من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما
امكن فتنبه وللمفسرين في هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية في النفقة وذلك
ان لا تنفقوا في مهمات الجهاد اموالكم فيستولي العدو عليهم ويهلككم او ينفقوا كل مالهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكون نهيا عن التقتير والاسراف
وعنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا ان انفقنا هلكنا او فقر لهم او
ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق في التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم
من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا امر الجهاد فتتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روى عن البراء بن عازب انه قال فى هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يقتحم اذا طمع فى النكاية
وان خاف القتل روى الشافعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس فى جماعة
العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الجنة ثم انغمس فى العدو فقتلوه بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا من الانصار
تخلف من اصحاب بئر معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سأتقدم الى العدو فيقتلوننى ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه
اصحابى ففعل ذلك فذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس فقالوا سبحان الله
يلقى بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال يا ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التأويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما
اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبى صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا
ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة فى الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله
حتى دفن بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها اى ان قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا
لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لى فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه
معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا فى الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه او على قضية العدل بين
التقتير والاسراف او فى فرائض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب
والقرب يقتضى الارادة الذاتية وهذا رمز والله ولى كل خير التأويل وقاتلوا من يمنعكم عن السير فى سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقة من
شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التى هى اعدى عدوكم ولا تعتدوا لا تتجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة
بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم وبمجاهدتها ومخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس
كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اى المحنة التى ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من القتل اى قتل النفس بمخالفة هواها
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذ كنتم امنين مطمئنين فى مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم فى الحضور وداعية
الهوى فان نازعوكم فى الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعى عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصد
عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تغلوا فى مجاهدتها الشهر الحرام اى ما يفوتكم من الاوقات والاوراد هو لى النفس ونزاعها وغلبة
صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء الغضب بالحلم والحرص
بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله فى الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط فى الحقوق والافراط فى الحظوظ وبموافقة
النفوس ومخالفة النصوص وبالركون الى الغرور بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ وتمام كنيد حج وعمره را از براى خدا پس اگر محاصره شديد
پس هرچه ميسر شود از هدى و متراشيد سرهاى خود را تا برسد هدى بجاى خود پس هركه باشد **مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ**
از شما بيمار يا باو ناخوشى باشد از سرش پس فديه دهد **مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ**
از روزه يا صدقه يا عمل بكرد پس چون فارغ شديد پس هركه بهره يافت بعمره تا بحج پس هرچه ميسر شود **مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**
از هدى پس هركه نيافت پس روزه بگيرد سه روز **فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي**
در حج و هفت روز وقتى كه برگشتيد اين ده روز تمام ميشود اين از براى كسيست كه نباشد يارانش حاضران **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ**
مسجد الحرام و بپرهيزيد خدا را و بدانيد كه خدا سخت است **الْعِقَابِ** القراءة من رأسه كذلك لباس الكاس كلها بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد و
عقوبتش الاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدى لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم
كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اى فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقف لحق الحذف
بتدأ الشرط فى حكم اخر وهو التمتع من الهدى ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب التفسير الحج فى اللغة القصد كما مر فى قوله فمن حج البيت او اعتمر وفى الشرع
عبارة عن افعال مخصوصة وهى على ثلثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه فهو الركن اولا يتوقف فاما
ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر فهو الهيئة والاركان عند الشافعى خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة وحلق
الرأس او تقصيره وخالف ابو حنيفة فى السعى ولا مدخل للجبران فى الاركان واما الابعاض اعنى الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمى وفاقا
وفى الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفى المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفى طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم
والرمل والاضطباع فى الطواف وفى السعى واستلام الركن وتقبيله والسعى فى موضع السعى والمشى فى موضع المشى والخطب والاذكار والادعية الى غير
ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم فى تركها واما فى العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام

بيان مقامات القلب فى الجهاد

وهل هذا الامر مطلق او مشروط قال الشافعي انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وقال ابو حنيفة انه مشروط والمعنى من شرع فيهما فليتمهما كما اذا كبر بالصلوة فلزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ اي افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تقدير انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم الاضمار وهذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول اية نزلت في الحج فحملها على الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه روي واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فما ذكرنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سأل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث لم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ذكر النبي صلعم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سأل النبي صلعم فقال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلعم حج عن ابيك واعتمر امر بهما والامر للوجوب روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرةُ لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانها تحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل ومما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم والقرب الى رسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائل بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فالمجموع من هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى وَأَتِمُّوا فعن علي وابن عباس وابن مسعود في رواية ان تمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بِسْمِ اللّٰهِ وَبِاللّٰهِ وَاللّٰهُ اَكْبَرُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ العلي العظيم

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون السادس في النزول أن السنة أن يكون أكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار وإذا نزل صلى ركعتين ودعا إلى الله كثيرا السابع أن قصد عدوا أو سبعا بالليل وبالنهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن فيها على نشز من الأرض في الطريق يستحب أن يكبر ثلاثا التاسع أن لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الأغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر أن يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الإتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع أركان الحج على الوجه الأصح الأقرب إلى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الأمور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله اقتداء بإبراهيم عليه السلام حين ابتلي بكلمات فأتمهن وقيل المراد من قوله أتموا أفردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا ما قيل من قال الإفراد أفضل وأقرب هذه الأقوال ما يرجع حاصله إلى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وأدائهما لوجه الله بدليل قوله فإن أحصرتم قال أحمد بن يحيى أصل الحصر والإحصار الحبس ومنه الحصير للملك لأنه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام بعض أجزائه إلى بعض فكان كلا منها محبوس مع غيره والحصير المجلس أيضا والأكثرون على أن لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو إذا منعه عن مراده وضيق عليه وعن أبي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم أن لفظ الإحصار مخصوص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقيل الإحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وفائدة الخلاف في الآية تظهر في مسألة فقهية وهي أنهم اتفقوا على أن حكم الإحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال أبو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك وأحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط أنه إذا مرض تحلل صح الشرط لما روي أنه ﷺ مر بضباعة بنت الزبير فقال أما تريدين الحج فقالت إني شاكية فقال حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني وفي حكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة أبي حنيفة ظاهر كلام أكثر أهل اللغة وما روي عن النبي ﷺ من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من أهل اللغة وأيضا الهمزة في أحصر للتعدية ليس لمساواته حصر في اقتضاء المفعول فيكون للوجدان والصيرورة تقول ذا كذا فيئول المعنى إلى أنكم إن وجدتم أو صرتم محصورين فلا يبقى النزاع وأيضا المانع إنما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة إليه فثبت أن لفظ الإحصار حقيقة في العدو دون المرض وأيضا لفظ المانع على المرض غير معقول لأنه عرض لا يبقى زمانين وأيضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه وأجيب عنه عن هذا بأن المريض إنما خص بالذكر لأن له حكما خاصا وهو حلق الرأس فصار تقدير الآية إن منعتم بمرض تحللتم بدم وإن تأذى رأسكم بمرض حلقتم وكفرتم وأيضا فإذا أمنتم يناسب الخوف من العدو إذ يقال في المرض شفي وعوفي لا أمن ولو قيل إن خصوص آخر الآية لا يقدح في عموم أولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل إنه منع المرض خاصة فهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي أن المفسرين أجمعوا على أن سبب نزول الآية أن الكفار حصروا النبي ﷺ بالحديبية والأئمة وإن اختلفوا أن الآية هل تتناول غير سبب النزول أم لا إلا أنهم اتفقوا على أن خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الآية إضماران والتقدير فتحللتم أو أردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر استيسر بمعنى تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر أما الإضمار الأول فلأن نفس الإحصار لا يوجب هديا وإنما الموجب هو التحلل ونية التحلل وأما الإضمار الثاني فلأن قوله ما استيسر مرفوع على الابتداء وخبره محذوف أو منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى إلى بيت الله تقربا إليه بمنزلة الهدية عن علي رضي الله عنه وابن عباس والحسن وقتادة رض أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الأجناس وفي المحصر المحرم إذا أراد التحلل ذبح وجب أن ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح وأكثر الفقهاء على أن حكم العمرة في الإحصار حكم الحج وعن ابن سيرين أنه لا إحصار فيها لأنها غير موقتة ورد بأن قوله تعالى فإن أحصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا إليهما وبأنه ﷺ تحلل بالإحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الإحصار قال العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير إلا ببذل مال فلهم أن يتحللوا ولا يبذلوا المال وإن قل إذ لا يجب احتمال الظلم في أداء الحج بل يكره البذل إن كان الطالبون كفارا والأكثرون على أنه لا يجب القتال على الحج وإن كان العدو كفارا أو كان في مقابلة كل مسلم أقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر أو برد ولا فرق على الأصح في جواز التحلل بين أن يمنعوا من المضي دون الرجوع أو يمنعوا من جميع الجوانب لأنهم يستفيدون بالتحلل الأمن من العدو المواجه ولو صد عن طريق وهناك طريق آخر ووجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال وإذا سلكوه ففاتهم الحج لخزونته أو لطوله تحللوا بأعمال عمرة ولا يلزمهم القضاء على الأظهر من قولي الشافعي لأنهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدودين مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لأن الموجود فوات محض في قوله ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف أي لا ترحلوا ولا تتحللوا ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل إلا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وإنما جاز تذكير الهدي لأن كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر وفي موضع آخر أعجاز نخل خاوية والمحل اسم الزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه أو اسم المكان قال الشافعي يجوز إراقة دم الإحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال أبو حنيفة لا يجوز ذلك إلا في الحرم يبعث به ويواعد المبعوث على يديه يوما أمارة الشافعي أنه ﷺ أحصر بالحديبية فنحر هناك وأجيب بأنه محصر في طرف الحديبية الذي هو أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن النبي ﷺ نحر هديه في الحرم وقال الواقدي

الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة وورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله فان هذه الآية صريحة
في أنهم نحروا الهدى في غير الحرم وأيضاً قوله فان أحصرتم يتناول كل من كان محصراً سواء كان في الحل أو في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب
أن يكون المحصر قادراً على إراقة الدم حيث أحصر وأيضاً التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله إلى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض
ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وأيضاً لو كان الموصل إلى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف
وإن كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة أبي حنيفة أن المحل عبارة عن مكان الحل قوله حتى يبلغ الهدى محله يدل على أنه غير بالغ في الحال إلى
ذلك المكان وأيضاً ثبت أن لفظ المحل يشمل الزمان والمكان إلا أن قوله تعالى ثم محلها إلى البيت العتيق وقوله هدياً بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت
نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين أن يكون هو الحرم وأجيب بأن كل ما وجب على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدى فلا يجزي إلا في الحرم لمساكين أهله إلا
إذا عطب الهدى فيذبح في طريقه ويخلى بينه وبين المساكين وإلا إذا أحصر فإنه ينحر هديه حيث حبس للآية المذكورة قالوا الهدية لا يكون هدية
إلا إذا بعثها إلى دار المهدى إليه فالهدى كذلك ورد بأن هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الأفضل عند القدرة والمحصر إذا كان عادماً للهدى فهل له
بدل ينتقل إليه للشافعي فيه قولان أحدهما لا بدل له ويكون الهدى في ذمته أبداً وبه قال أبو حنيفة لأنه تعالى أوجب الهدى وما أثبت له بدلاً وعلى هذا
فماذا يفعل فيه قولان أصحهما أنه يتحلل في الحال كالواجد بدله كيلا يعظم المشقة والآخر وإليه ميل أبي حنيفة أنه يقيم على إحرامه حتى يجده والقول الثاني
أن له بدلاً وهذا أصح وبه قال أحمد قياساً على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الأصح الطعام لأن قيمة الهدى أقرب إليه من الصيام
وإذا لم يرد النص إلا بالهدى فالرجوع إلى الأقرب أولى ثم الصيام عن كل مد يوماً وفي قول صوم التمتع عشرة أيام وقيل صوم الأذى ثلاثة أيام وبالجملة
فالآية دلت على أن المحصرين لا ينبغي لهم أن يحلوا فيحلقوا رؤوسهم إلا بعد تقديم ما استيسر من الهدى كما أنه أمرهم أن لا يناجوا الرسول إلا بعد تقديم
الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدى محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم أو حتى تعلموا أن هديكم الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ مكانه الذي يجب أن ينحر فيه أي الحرم
ولكن الأفضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لأن الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فإن كان مصدوداً
عن البيت دون الأطراف الحرم فهل له أن يذبح في الحل أصح الوجهين عند الشافعي أن له ذلك وإذا أحصر فتحلل نظر إن كان نسكه تطوعاً فلا قضاء عليه وبه
قال مالك وأحمد لأن المصدودين مع النبي ص كانوا ألفاً وأربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفراً يسيراً ولم يأمر الباقين بالقضاء وقال أبو حنيفة
عليه القضاء وإن لم يكن نسكه تطوعاً نظر إن لم يكن مستقراً عليه كحجة الإسلام فيما بعد السنة الأولى من سني الإمكان وكالنذر والقضاء فهو باق
في ذمته كما كان كما لو شرع في صلاة ولم يتمها يبقى في ذمته ومهما أحصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالآية فحكم الهدى ما مر في الإحصار بالعدو وإن صححنا
بأن كان قد شرط التحلل به إذا مرض فهل يلزمه الهدى للتحلل فإن كان قد شرط التحلل بالهدى فنعم وإن كان قد شرط التحلل بلا هدى فلا وكذا إن أطلق
على الأظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضاً قيل إنه مختص بالمحصر وذلك أنه قبل بلوغ الهدى محله ربما لحقه مرض وأذى في رأسه إن
صبر فالله تعالى أذن له في حلق الرأس إذا لزمه ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والأكثرون على أنه كلام مستأنف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج إلى علاج
أو أذى في رأسه فاضطر إلى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الأعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة
منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لأنها من أشرف العبادات
التي يتقرب بها إلى الله واتفقوا في النسك على أن أقله شاة كما في الأضاحي وأما الصيام والإطعام فليس في الآية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل
بيانه فيه قولان أحدهما وعليه أكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وأبو حنيفة أن بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت إلى رسول الله ص والقمل يتناثر
على وجهي فقال ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق
رأسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة أيام والإطعام مثل ذلك في العدد قال العلماء المرض
قد يحوج إلى اللباس أو إلى الطيب أو الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فألحقوا فدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل أنه
يدخل فيه كل محظورات الإحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الأمداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى
الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الآية أيضاً إضمار أي فحلق فعليه فدية فإذا أمنتم إن كان معناه الأمن بعد الخوف فقبل التحلل
فجواب الشرط وهو فما استيسر محذوف وإن كان معناه إذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الأول ولا وقف
على أمنتم ومعنى التمتع التلذذ وأصله الطول جبل ماتع أي طويل وكل من طالت صحبته مع الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة إلى الحج وهو أن
يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحج ثم يقيم حلالاً بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى أن عمر خطب
وقال متعتان على عهد رسول الله ص أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الأئمة أن تلك المتعة هي أن يجمع بين الإحرامين ثم يفسخ
الحج إلى العمرة ويتمتع بها إلى الحج وروي أن النبي ص أذن لأصحابه في ذلك ثم نسخ وعن أبي ذر أنه قال ما كانت متعة الحج إلا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا
مع النبي ص وكان السبب فيه أنهم كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحج ويعدونها من أفجر الفجور فلما أراد النبي ص إبطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بأن نقلهم
في أشهر الحج من الحج إلى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في أشهر الحج خاصاً بهم ومعنى التمتع بالعمرة إلى الحج أنه يتمتع بمحظو

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقبل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج استمتاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب الدم على
المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجيء تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان
يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه
دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه اشبه
الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم
احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند
ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة
الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن
المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلعم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان
عاد الى ميقات الذي انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا
لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت
العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ام دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني
ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلعم للغريب للحاجة فابطلتها فسمي
المتعة رخصة هذا دليل النقص ايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا
كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدي كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة
السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة يجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في
السنة الثانية او هي جذع الضان وهو ايضا في السنة الثانية ليستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج
جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدي جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ
من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم
النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي
بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي
الذي هو الاصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة في وقت الحج وهو اشهره فيجوز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال
يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم
عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان التخصيص كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم جائزة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه
يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن
جابر ان النبي صلعم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات
وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي
في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلعم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد فمن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج
وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه
من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام بها وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية
على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة الاصح
عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند
اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع
وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال ان التفريق باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع
لا يصوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى الاهل تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن
المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان هاهنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله
وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين اي جالسهما جميعا او
واحدا منهما كان ممتثلا فقد لك نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب
وكفى به افادة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء

وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك لجاز ان يعود الى الثلاثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذى يتطرق الى كثير من العمومات فى الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا انه مراتب الاعداد ثلث الآحاد والعشرات والمآت والعشرة مرتبة وسطاها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة فى كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد به اهتم وتفخيم زيادة توصية بصيانتها وان لا ينهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال فى الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه فى الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذى يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة فى الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة فى الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزى فى كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا فى معنى الامر اى فليكن تلك الصيامات كاملة لان الحج المامور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لى وانا اجزى به والحج ايضا مضاف اليه تعالى فى الآية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكم فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضى التباعد من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع فى زمان الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال فى باب العبادة والتكثير فى اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واختلف العلماء فى ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعى بل عوده الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدى على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمى والميقاتى والآفاقى وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية فى تحريمهم العمرة فى اشهر الحج والنسخ يثبت فى حق الناس كافة ويتفرع على مذهب ابى حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعى ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شئ فان لزوم الهدى على الآفاقى بسبب انه احرم فى الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكى لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلو خلل فى حجة تمتع وقران او افراد فلا يلزمه الهدى ولا بدله ثم اختلفوا فى حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذى طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعى هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابى حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة وهى على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من ثوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من قوم بين العراق والخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هى المذاهب فاقربها الى الآية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعى قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله صلى الله عليه وسلم اسرى به من الحرم لا من المسجد وقد يقال الحضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب فانه بمنزلة المقيم فى نفس مكة واما مذهب ابى حنيفة فبعيد فانه يؤدى الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاصح هو الثانى لما قلنا ان مسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذى هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطى لهم الولاء اى عليهم وذكر حضور الاهل لا حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون فاتقوا الله فى محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السوء كقول القائل لتذوقن عاقبة فعلك التأويل حج الخواص حج رب البيت دون البيت وهذه سيرة ابرهيم عليه السلام كما قال انى ذاهب الى ربى ولكنه احصر فى السماء السابعة فلا جرم اهدى باسمعيل ولما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم كان ذهابه بالله ما احصر بشئ فقال له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا فى اتمام صورة الحج بقدر استطاعتكم وفى الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم بامارة النفس والهوى او بملال القلب او بكلال الروح باستيلاء الاحوال والتجلى للآمال فما استيسر من الهدى اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس هكذا كان الاحصاد به ولا تحلقوا لا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض فى الارادة او بعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاتأخر بفناء الرخص فليجتهد ان يتدارك بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله فالصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس فى مقاسات الشدائد فاذا امنتم الاحصار وقبل الجد الصاعد للزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح فى الطلب فما استيسر من الهدى من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شأنها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة للمعانى المتصرفة فيها وهى الوهم والحافظة والمخيلة هذا اذا كان فى عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع منها

الاهل لا الحضور

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينة لها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم العتب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد
استراح واتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب القانعين بدله الحجاب

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا
حج کردن در ماههای چند است شناخته پس هر که واجب کرد بر خود حج را پس جماع نکند وگناه نکند ودشمنی نکند در حج وهرچه را که میکنید از خوبی میداند او را خدا وتوشه بردارید
ع ٩ فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
پس بدرستی که بهترین توشهها پرهیزکاریست وبپرهیزید مرا ای صاحبان خرد نیست بر شما حرجی اگر خواهش کنید زیادتی را از پروردگارتان پس چون برگشتید از عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس
پس یاد کنید خدا را در نزد مشعر الحرام ویاد آورید او را چنانکه هدایت کرد شما را واگرچه پیش از آن بودید هر آینه از گمراهان پس برجعت کنید از آن طرف که مراجعت کردند مردمان
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من
وطلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده ومهربانست پس چون ادا کردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردنتان پدرانتان را یا سختتر پس از مردمان کسی است که
يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا ونیست برای او در آخرت هیچ بهره واز ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی ودر آخرت
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات
خوبی ونگاهدار ما را از عذاب آتش آن گروه مر ایشان راست بهره از آنچه کسب کردند وخدا زود محاسبه است ویاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون القراءة فلا رفث
پس هر که شتاب کند در دو روز پس نیست گناهی بر او وهر که پس اندازد پس نیست گناهی بر او مر آنرا که بپرهیزد وبپرهیزید خدا را وبدانید که شما بسوی او گرد آئید ولا فسوق بالرفع فيهما

ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد وزاد يزيد ولا جدال بالرفع الباقون بفتح الثلثة وكذلك يروى الضطعي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين
سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر وروى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني
وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج في الحج ط يعلمه الله ط التقوى ز للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب ٥ من ربكم ط لان اذا اجيبت
بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام ص لعطف المتفقتين هداكم ج لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين ٥ واستغفروا الله ج رحيم ٥
ذكرا ط من خلاق ٥ النار ٥ مما كسبوا ط الحساب ٥ نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا ولج لابتداء شرط اخر مع العطف عليه
الثانية لا لتعلق اللام اتقى ط لاختلاف النظم تحشرون ٥ التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك
البرد شهران او الحج حج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في
قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير انه بكماله لان اقل
الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر ومن
هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ
الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ورمي الجمار
يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من
اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة
مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس
والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت
فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات
الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة
في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا او انهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى
هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مؤكدا مقررا والمراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات
معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يحل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال
احمد واسحق وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت
مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد

لا ينعقد صحيحاً الا اداء الحج قبل الوقت ولان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي
مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقدمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر
للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدأ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا
جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من كابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعداً شديداً يحتاج الى ان يحرم
قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بحق من لا يكون داره بعيداً فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور
ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام فانه يحرم عليه اشياء كانت حلالاً له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى
التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج على النية ادل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد
الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب
فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط في انعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء بها عند الاحرام الا ان سوق الهدي
والتقليد والتوجيه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد
احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا فان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية
كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة
على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان
العيش عيش الآخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان
ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس
المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله
مني ولبى ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي
ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير
التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعداً راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة
حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال
ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة وهو
النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل على ان المنهي عنه هو
الرفث والفسوق دون الجدال قوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد
من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل
يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء
فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها
واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع ولذلك في العمرة وفي الحج
نتائج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع
قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوع ولكن
يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح عن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل
حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا و
ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي والنحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف حصل التحلل الاول
وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا باتيان الامر الثالث فاذا اتى به حل
الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم
وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما
ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسد يجب المضي
فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج
الافساد الكفارة ويستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها والا فبقرة والا فسبع من الغنم والا قومت البدنة

او الحلق والطواف

دراهم الدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن البناء الحج القضاء باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المفسوخ فرضا او تطوعا فان القضاء واجب اصح الوجهين فى القضاء انه على الفور لا على التراخى لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعد ان على الاشكال ان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدى لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة ونظر ان جامعها وهى نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روى عن على وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شئ ولا يفسد شئ من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل انى صائم وعن ابى عبيدة الرفث الافحاش وعنه الرفث اللغو فى الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصى قال تعالى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والاتجاش ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذى يفضى الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب فى كل حال الا انه مع الرفقاء وفى الحج اسمج كلبس الحرير فى الصلوة وقال محمد بن كعب القرظى ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقال مالك فى الموطا الجدال فى الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام فى المزدلفة بقزح وانحبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهر على العد فيختلفون فى يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هى مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل فى هذا النهى ما جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال ح وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم فى الحج اختلافهم فى ان ايهم المصيب مقام ابرهيم وقيل انه النسئ فهو اعز ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج فى وقت ابرهيم ع قال القاضى ابو بكر الباقلانى لو حمل النفى فى الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك فى الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهى صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فلعل هذا يكون فى الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث نهى عن طاعة القوة الشهوية التى توجب الانهماك فى الفجور ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال رمز الى تسخير القوة الوهمية التى تحمل الانسان على الخلاف فى ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه تنشا الاراء المتخالفة والاهواء المتضادة والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذى منشاه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الاراء الزائفة وتحصيل الاعراض الزائلة والاغراض الفاسدة واما الذب عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة واراء محمودة حتى يستقر الحق فى مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به فى قوله عز من قائل ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطع البرهان ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ لم يتعرض لها بل الخير وان كان عالما بانهما لنكتة هى انى اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتى بك هكذا فى الدنيا فكيف يكون فى العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد فى اداء ما امره واحترز عن ان يتكاسل فيه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى ومكان الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال الشفاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق ويدل عليه قوله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ اى اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر فى الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك من عذاب ابدى معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك دار السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس:

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ۞ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ۞ وانك لم ترصد كما كان ارصدا

وقيل نزلت فى ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال

وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى وهو دفع الوسائط والروابط التي عليها يدور المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية حذف اي تزودوا لعاجل سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في الحقيقة ولما منع عن الجدال في الحج اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهرا لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وعن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها الا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا ياثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الحجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق عليه السلام ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه لها كجار الله وكثير من المتأخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها الا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فتانيثها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتأخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسرة في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسرة فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يحذف المانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسرة كبيت امرئ القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها: بيثرب ادنى دارها نظر عال: وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة وعرفات هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل

ومعاني الفضل

لك ذنوبك ما اول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لك ولذريتك اذا طافوا به قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي
حسبي وقيل ان ابرهيم ع راى في منامه ليلة التروية انه يذبح ابنه فاصبح متفكرا اهل هذا من الله او من الشيطان فلما راه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت
يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة
كانوا يجمعون الماء للحج الذين يقصدونهم من الافاق فيسعون في الماء بعدما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان
المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا اما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان ادم وحواء ع التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن
ابن عباس او لان جبرئيل ع علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابرهيم ع عرفها حين راها بما تقدم من النعت والصفة عن
علي ع وابن عباس وعطا والسدي او لان جبرئيل عرفها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع
الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان
الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك بالحوب والربوبية
والجلال لله وانفسهم بالفقر والخذلان والحال يقال ان ادم ع وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما و
قيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال ع خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك
وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الاية عشية
يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي ع واقف بعرفة في موقف ابرهيم ع في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي ع لو يعلم الناس ما لهم
في هذه الاية لقرت اعينهم فقال اليهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن جعلناه عيدين وكان ذلك يوم
عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة
عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم
زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال ع صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة
كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اقسم الله
به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عائشة ان رسول الله ع
قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا انني
قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم
واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات فيحرم من جوف مكة بالحج
ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب
غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام
بنمرة روي ان النبي ع مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين
لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون ياخذون في الاذان
معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا
الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي ع وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة و
يذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله ع الحج عرفة من فاته عرفة فقد فاته الحج
وقد يستدل بالاية على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات
وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث
لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة
واذا حضر الحاج هنالك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا
غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف التقرب
وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب
والعشاء عن قتادة وقيل لان ادم ع اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون
بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جداً ثم يدفع قبل طلوع الفجر ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منها الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكباً يحرك دابته ومن كان ماشياً يسعى سعياً شديداً قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم
بعدما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لانه تطوع الا ان يكون معه هدي ثم بعدما ذبح الهدي يحلق رأسه او يقصر
ثم بعد الحلق اتى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين والمزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر اربعة ان يعود الى منى ويرمي جمرة العقبة والذبح
والحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضاً لانهم يأتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي فقال ارم ولا
حرج واتاه آخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابراهيم وذلك
ان الحمس كانوا لا يفيضون بعرفات يقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يفيضون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي ننزع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين امره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الفجر فان السنة ايضاً من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى به لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفاً حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريباً منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف
بالحرام لحرمته واما الذكر المأمور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكراً قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هداكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولاً ثم قيده ثانياً والمعنى اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم
هداية حسنة كي تكونوا شاكرين نعم الهداية اما كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابراهيم في مناسك الحج واذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الرأي والقياس فان اسماء الله توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب او المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم
بهدايته والمراد بتثنية الامر تكثيره وتكريره يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وعلى هذا فيكون قوله كما هداكم متعلقاً بالامرين جميعاً او
الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني
الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول او من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف
به اولى لانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعاً وكبراً وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميراً في الحج امره باخراج الناس
الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر
الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المأمور بها صواب والاخرى خطأ كما تقول احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم فتأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه وصيرورة المعنى
فاذا افضتم من عرفات ولا يفيد تقديم هذه الآية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال المراد الناس جميعاً
وقوله من حيث افاض الناس المراد بابراهيم واسمعيل فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيساً مقتدى به ان ابراهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث هو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديماً

لانه معلم

وذكر اللسان وذكر القلب

بالوقوف

فاذا افضتم من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل و
متبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلعم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع
الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان
قليل ويمكن ان يجاب بان القران اولى ما يحتج به عن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم م واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين
اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في
الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما
بعده ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان و
القصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه
عن شداد بن اوس ان النبي صلعم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك انت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية
ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان المبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة
الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على
القول الاخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج ومن اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل
ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق
يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضايل اباءه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة
والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لابائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك
يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوة في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار
بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية
واطمتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية
بموجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات معنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثناء
على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي و
ان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب شركهم وعن
الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما يتكلم ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في
صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه واكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل
لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم
وقد نهى رسول الله صلعم عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل ذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية
فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله
كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا ذكرا بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما
اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من اباءكم
على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره
عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل
عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف
الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفره
للعبد لا لزيد المذكور وقيل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر بالاضافة وخرج نصبه على ما قال
ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يبلغ شأن الذكر فيذكر فكان الذكر فيه ذكر لجدته بسببه على جميع الوجوه ومعنى
او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب او اولى كقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون
ذكرا اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفات الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان وغاية الثاني
نور وبرهان ثم انه تعالى بعد ما امر بالعبادة تصفية للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة

الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك الطلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فمن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا من هم عن ابن عباس هم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ففي الدنيا طلب المأكول والمشروب وفي النار طلب المأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا في اعظم المواقف واشرف المشاهد اخس البضائع دون المطالب الشريفة تارة بكنيف واخرى بحجر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد للاعطاء معناه اجعل اعطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من لا يسعى في الآخرة طلب لا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه ومآله الضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا الا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا الفريق مجاب دعوتهم او لا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمتقين من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا بالاكرامة والاجتباء بل مكرا واستدراجا وتوبيخا قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الآية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل هما النصرة والشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته قلت لا تلذذ في الدنيا والآخرة الا بهذا

شعر

الجسم مني للجليس مجالس ... وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

عن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة تتوافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه حسن الطلب وغاية التطلب الادب ليس في التصريح به فانه لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام

شعر

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليل

اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح المكاسب فلان اولهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطؤ والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا الخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل انما

بيان ومنفعة

في بيان حسنة الدنيا وحسنة الآخرة

المجازاة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعجب المجازات الحساب سببا للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحروف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف اما بان يخلق ذلك الكلام في اذن كل واحد منهم وفي جسم تقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه تعالى محاسبا للخلق ومعنى كونه سريع الحساب ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شيء الى فكر ورؤية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة اوانه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع اوان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير على حضوره وانما اختير هذا الشق لانهم ما كانوا منكرين للرمي انما كانوا تاركين ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثانية يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هديكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر قوليه ووجهه ان الناس فيه تبع للحاج وهم يبتدؤن التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى مضي خمس عشرة صلوة فيكون اخرها صلوة الصبح من اخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي انه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من اخر ايام التشريق ويكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب والقول الثالث انه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوة وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابي حنيفة واعترض عليه بان هذه التكبيرات تنسب الى ايام التشريق فوجب ان يؤتى بها فيها وان انضم بها زمان اخر فلا اقل من ان يكون هي اغلب والقول الرابع يبتدأ بها من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من اخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا وقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من اخر ايام التشريق ولان هذا هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما يكون التكبيرات مضافة الى ايام التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس وتلك ما رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث التي تلي مبتدأ من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ويختمها برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحد وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث الى كل واحدة سبع بتواتر النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاوليين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فمن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التأخر الى تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا وفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام وقد يسئل ههنا ان المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه اثام فيما اقدم عليه واجيب بان الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة على ان الحاج مخير بين الامرين وبان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل اثما ومنهم من يجعل المتأخر اثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل التنصيص في ازالة الاثم عن المتأخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل ان الاية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والاثام لا لبيان ان التعجل وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الان اذا تناولت السم فلا بأس وان لم تتناول فلا بأس مريدا به ان الترياق دواء كامل في دفع المضار لا ان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدا وقيل ان جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك ينقص حشمته ويفضي الى

البيت وقعد في قلبه عينه فامكن ان يختلج في قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في
واحد منهما وقال الواحدى هذا من باب غاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المذنب يصدق عليه انه لا اثم على
صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما
فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا
عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اى فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق
كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشديد فيه لان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء
الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجا الا اليه ولا استعانة
الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التاويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قبل الصوفي بعد الاربعين
بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين ما امكنه الوصول وقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في صفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فحرم
منه عليه الحيف ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة الموجبة الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها وبهجتها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة
تجرد بازار التواضع والانكسار وتردى برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث ولا يدخل فيما
يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في ظاهرها مع احد يخاصم ولا في باطنها لاحد يزاحم فمن
نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزادوا اولى القشور كعك وسويق وهم
الذين مقصدهم البيت مقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت تقوى اهل القشور مجانبة الزلات وعمل
الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا
مقام ابتغاء الفضل بمعنى الرحمة منزلة الموجود وبذل المجهود هو في سيرهم الى عرفات ومقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين
انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه
الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اى كما هديكم بهلك نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين
وحظوظ النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اى ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله و
الشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ان لا تغين المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اى اذا وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما
فاستغفره فاذا قضيتم مناسك الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار
او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات
هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وتوقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تاخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون
من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف الا الله ولى التوفيق وهو حسبي ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض و بعضی از مردمان کسی است که شگفت آورد ترا گفتار او در زندگانی دنیا و گواه کرد خدای را
بر آنچه در دل اوست و اوست سخت ترین دشمنان و چون رو گرداند بشتابد در زمین لیفسد فیها ویهلک الحرث والنسل والله لا یحب الفساد
تا تباهی کند در آن و تباه کند کشت و نسل را و خدا دوست ندارد تباهی را واذا قیل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس
و چون گفته شود با وی که بپرهیز از خدا واداشت او را عزت بر گناه پس کافی است او را دوزخ و بد المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
آرامگاهی است و از جمله مردمان کسی است که میفروشد نفس خود را بجهة خواهش خوشنودی خدا و خدا رؤف بالعباد يايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
مهربانست به بندگان ای گروندگان در آیید در اسلام همه ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان
و پیروی نکنید گامهای شیطان را بدرستی که او مر شما را دشمنی است هویدا پس اگر زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز
رو گردانید بعد از آنکه آمد شما را گواهان پس بدانید که خدا غالب است حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
انتظار نمی کشند مگر آنکه در رسد فرمان خدا در سایه های ابر و فرشتگان وقضي الامر والى الله ترجع الامور القراءة مرضات بالامالة والوقف
و تمام شود فرمان و بسوی خدا بر گردد کارها بالهاء على وكذلك يقف على هيهات هيهات وعلى حداثوذات وذات وعلى افرايتم اللات والاة وعلى مريم ابنة ابنه
وافق ابو عمرو في لات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلى الباقون بالكسر والملائكة بالجر ابو جعفر عطفا على ظلل او على الغمام والجوار
وان كان فاعلا يابيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح
الجيم الوقوف قلبه لا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد ط جهنم ط المهاد مرضات الله ط بالعباد كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع
احتمال الجواز مبين حكيم وقضوا الامر ط الامور لتفسيرها الكتاب الحج الى التعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر
يعرف منه مطامح انظار الناس على الاطلاق ليعرف دناءة النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

يعني والصب القرين بغية الوجود وهذا الوقوف يشبه ان الاوان في الوقوف لمن العرفات ومقام ابتغاء الفضل

بیان تقوی اهل القشور وتقوی اولی الالباب

طلب الدنيا

الى النبي ص بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه وقال والله يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي ص مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ص فسمي بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي ص انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الاية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في امثاله وهذه الاية عامة في المنافقين فان السنتهم
احلى وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود الى من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك ثم في
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا لطلب المصالح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق
بيعجبك لان قوله حلو كلامه يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحيرة ولانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب
اما للنبي ص او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف وان يكون بقوله يشهد الله على ما في قلبي من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب منه واللدود هو ما يصب من الادوية
في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر وقيل اللطف وجعل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
في صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد
الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بزرع المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتفريق بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمله قوله ليفسد وقيل افساده هو القاء الشبهة في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل معنى اخر وهذا التفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات في نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى اي صار ذا ولاية وكان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث و
النسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة
بولد كثير والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها لجاجه في ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل ووقع
قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة تشنع الكل وانه على جهل المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق الله
في ارتكابك شيئا من هذه المنهيات والقائل اما الرسول ص قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذته فلانا بان يفعل كذا اي الزمته ذلك وحملته عليه اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه او من قولهم اخذته الحمى لزمته واخذه الكبر اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك
الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم كافيه هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفعه على الخبر يراد
الابتداء اذا كان ما بعده معرفة وعلى الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا لوقوع
المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اي محسب كاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الاخرة وهي عجمية وفيها العلمية والتانيث
وقال اخرون انه اسم عربي سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظ سميت بذلك لغلظ امرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد اي ما مهد لاجله وان المعذب في النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطئة قوله ومن الناس من يشري الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي ص
فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم
دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله ص نزلت فقال رسول الله ص ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

في علي كرم الله وجهه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من
مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البائع ومعنى يشري يبيع
ويشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف هو بذله نفسه في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج
والجهاد وهو الثمن والجنة هي المثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت
حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه والمؤمن يبذل
انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا
قول عيسى وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ اي طلب رضوانه
على العلة الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا وكدا وبالا
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته
انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رأفته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال له ثم انه
يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق
ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا يرجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث وقد اختلف في المخاطبين فقيل المراد المسلمين وهو ايضا يحتمل المنافقين اي الذين
امنوا بالالسنة والقلوب ودوموا على الاسلام فيما تستأنفونه من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ لا تلتفتوا
الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها في المستقبل حالا بعد حال
معلوم وان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يأمرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستأنف
من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين
مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم
او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المأمورين
اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف
المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق والتبدد ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها يمنع الثوب من الانتشار
والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين التقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا
اثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض
شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من
احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع اثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى
يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون بها
في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لادم ونسله وقيل
مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا
فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل
العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما قال الوالد لولده
ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب كما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ
فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تميز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب ويروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكره ولم يقرأ القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شأن المحدثات
المركبات فانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الاية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التأويل
وتفويضه الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القران على اربعة اوجه جلاء احدها السنة ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه
يعرفه من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الايات مجيئا
له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد يأتيهم امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع اخر او يأتي امر ربك
فجاءهم بأسنا وايضا اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها
محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد فالمراد ما يليق

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الايات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهى فلا يبعد ان مناديا ينادى يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه
في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في ان واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل
على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نقوشا منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المأتى به محذوف والمعنى الا
ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء
اي يأتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر الآية ان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طى ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا في السلم
لليهود ان المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله
تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلعم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان
الآية لا تدل الا على ان قوما ينظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون
كذلك الا اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام
ههنا في معنى النفي اي ما ينظرون الا ان يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان
اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة
لظهور الاهوال في القيمة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا واستعير لتتابع
العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقيموا ما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضى الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم
او عما كانوا يوعدون به فلا يملك لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان يأتيهم الله ويقضى الامر فوضع الماضي
موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او السامع كلما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضا
بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلة من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على الملئكة الله
والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امور خلقه ما ادا صار والى الآخرة فلا مالك الحكم بين العباد سواه وهذا كقول
رجع الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه وعلى المكلفان يدخل في السلم كما امر ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما نهى ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى
يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضا قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه
يقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك والمراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة
الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال التاويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة
وترى انها اولى الاولياء ولكنها الحق الاعداء ويسعى في تخريب من القلب بطالحوث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة
وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم
كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق
الله وتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر الاسلام بفنائه في الله بقائه بالله هذا مما يضيق عن علمه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف
الحروف شعر وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر الله ولى التوفيق وحسبه سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من آية بينة
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين — بپرس از بنی اسرائیل که چه قدر دادیم ایشان را دلیلهای هویدا
ع ١٠ — وهر که تغییر دهد نعمت خدا را پس از آنکه بیاید او را نعمت پس خدا سخت عقوبت است — آراسته شده از برای آنها — كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب — که کافر شده‌اند زندگانی دنیا و استهزا میکنند بر آنها که
گرویدند و آنها که پرهیز کردند در مرتبه بالای آنهایند در روز قیامت و خدا روزی میدهد هر که را خواهد بدون حساب — كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — بودند مردمان طائفه یگانه پس برانگیخت خدا پیغمبران را مژده دهندگان
و ترسانندگان و فرستاد با هریک کتاب — براستی تا حکم کند میان مردم در آنچه اختلاف کردند — وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق — واختلاف نکردند در آن مگر آنها که داده شده بودند کتاب را پس از آنکه آمد ایشان را
گواهان بجهت کفری که در میان ایشان بود پس هدایت کرد خدا آنها را که گرویدند بجهت آنچه اختلاف در آن کردند از حق — باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم — بفرمان او و خدا هدایت کند هر که را خواهد بسوی راه راست
آیا چنان پنداریدکه در آئید در بهشت و هنوز نرسیده باشما مثل آنها که گذشت آنها که پیش بودند شمارا — مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب — که رسید بآنها سختی فقر و ناخوشی و هراسان بودند تا آنکه گفت پیغمبر که

ذهب بلعد ان لم يكن احد

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور في موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب
بينة ط لانتهاء الاستفهام إلى الشرط مع تقدير حذف أي فبدلوا ومن يبدله العقاب من الذين آمنوا لأن الذين مبتداء وفوقهم خبره ولو وصل صار
ظرفا ليسخرون أو حالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين
باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لأن قوله ولما يأتكم عطف على أم حسبتم تقديره أحسبتم ولم يأتكم متى نصر الله ط قريب التفسير
انه سبحانه لما أمر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات أي فإن أعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم
بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا أن الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وهذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الآيات التي آتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين
أنا لما آتينا أسلافهم آيات بينات فانكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه هؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا
في العذاب كما وقع أولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فإن كانت
استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد ما آتيناهم من الآيات أهم حتى يخبروك عن كميتها وإن كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الآيات آتيناهم والآيات
الواضحات إما معجزات موسى عليه السلام كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله إياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وإما
الدلائل الدالة على صحة دين الإسلام فمنهم من آمن وأقر ومنهم من جحد بدل ومن يبدل نعمة الله قيل إنها الآيات والدلائل وهي أجل أقسام النعم لأنها
أسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم إن قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها أن الله تعالى أظهرها ليكون أسباب هدايتهم فجعلوها أسباب ضلالتهم
كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وإن قلنا الآية البينة هي ما في التوراة والإنجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وإدخال الشبه
فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من أسباب الصحة والأمن والكفاية فتبديلها أن لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف
بل استعملوها في غيرها أو تبين هي لأجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر وأما على القول الأول فهو أن المراد من النعم الآيات فمعنى مجيئها
التمكن من معرفتها وعرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفها فكأنها غائبة فإن الله شديد العقاب
قال الواحدي الرابطة محذوفة أي له والتحقيق أن ترك هذا الإضمار أولى فإنه إذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك أنه يعاقب المبدل إن
شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك صفة ذاتية ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم إنه تعالى ذكر السبب
الذي لأجله كان التبديل بسيرتهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على
الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين إما لأن الحيوة والاحياء واحد وللفصل مع أن التأنيث ليس بحقيقي عن ابن عباس أن الاية نزلت في أبي جهل
وأضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لأن كلهم وهم في التنعم والترفه
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة أنهم غواة الجن والإنس فحسنوا أمر الآخرة في أعين الكفار وأوهموا أن لا صحة لها
فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال أتترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوك من لبن وخمر قالوا وأما الذي يقوله المجبرة من أنه تعالى زين ذلك فباطل
لأن المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فإذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد أن يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المستحسن له مصيبا وإن كان كافرا
وإصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بأن مزين الكفر لجميع الكفار لا بد أن يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وإنما
المزين من يجعل الشيء موصوفا بالأوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث إنه أخبر عما فيها من اللذات والراحات
وهذا الإخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر قال أبو مسلم الكفار زينوا لأنفسهم والعرب يقولون أين مذهب بك يريدون أين ذهبت به
ومنه قوله تعالى أنى يؤفكون أنى يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك أن يحمل الإنسان على الفعل قهرا فالإنسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق
أن المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث إليه ظهر في الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبائع حب الشهوات والميل إلى الطيبات لا على سبيل الإلجاء الذي لا يمكن تركه بل مع إمكان رد
النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه على المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء ونقول المراد من التزيين أنه تعالى أمهلهم في الدنيا ولم
يمنعهم عن الإقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل إن الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لأن الله
تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا يختص بالكفار وإن قيل المراد من تزيين المباح للكافر أنه دائم السرور به وإن قلت ذات يده لكونه معتقدا
أنه لا عيش عنده إلا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فإن تنعم من طيبات الدنيا وبهجتها وإن كثر ماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الجناية في الآخرة
قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به إلى الاشتغال عن الآخرة مستقبح أيضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الإشكال بحاله
ولا مخلص إلا بإسناد الكل إليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما أخبر الله تعالى عنهم بأنه زين لهم الحيوة العاجلة أخبر عنهم
بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا و
تحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى أنه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة

عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما
بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج
الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبمجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة تستند الى العيان وبعده الرحمن ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة
لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من
الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان فقراء المؤمنين منها على انهم على الباطل فرد الله تع عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق
الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه
ولا يسئل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء
المؤمنين فلعل الله تع يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود
ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من
النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاية بالمؤمنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا غدا لا فناء له
ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ويوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فالفضل بلا حساب والحساب انما يحتاج اليه اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار
يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم
فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى الحساب لما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
الاية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم في الانسان ثم الامة الواحدة
كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تع ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وهذا يدل على ان النبيين انما بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم اولى ومنها
النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح ولعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب
من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات قدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على
الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي
عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقدير الاية فاختلفوا
فبعث الله كما قرا ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر قالوا من وفاة ادم الى زمان
نوح ع كانوا كفارا او بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن
ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر
نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من
ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرائع فلا يكون الا المستفادة من العقل ثم سئل القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان
نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرائع العقلية اولا ثم ان الله تع الى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة
ثم رجع الناس الى الشرائع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل
الكتاب الذين امنوا بموسى ع ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين ومعهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل
ومحمدا صلعم ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم لاهل الكتاب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تع وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم
منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول بتناول الدواء والاول
لكونه مقصودا الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم
الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر

على الحق وحرمان فقراء المؤمنين منها

دون ذلك الكتاب أم لم يرد من معجزا كان أو غير معجز قبل إنزال الكتاب قبل وصول الأمر والنهي إلى المكلفين ووصول الأمر والنهي إليهم قبل التبشير والإنذار فلم قدم التبشير والإنذار على إنزال الكتاب قلت لأن الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبأن المكلف إنما يتحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر إذا خاف أنه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب والخوف إنما يقوى عند التبشير والإنذار فلهذا قدم ذكرهما على إنزال الكتاب قلت فيه فائدة أخرى لفظية هي أن لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالث وبين الأولين أو بين الثالث وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم أي الكتاب لأنه أقرب لا محذور في نسبة الحكم إليه يجوز كالأمحذور في كونه هدى وشفاء واللام للجنس أو أريد مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لأنه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه أي في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق أو في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه أي في الحق إلا الذين أوتوه أي أعطوا الحق وأدوه لمباشرة أسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب أي إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف كأنهم عارضوا الكتاب بنقيض ما أنزل لأجله أنزل لئلا يختلفوا فزادوا في الاختلاف وفيه دليل على أن الاختلاف في الحق لم يوجد إلا بعد بعثة الأنبياء وإنزال الكتب كما في القول الأول قال كثير من المفسرين المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم إما تكفير بعضهم بعضا وإما تحريفهم أو تبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل أن يكون كالبيان لإيتاء الكتاب أي وما اختلف فيه مما اختلف إلا من بعد مجيء البينات التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل أن يكون هذه البينات مغايرة لإيتاء الكتاب ويعني بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على إثبات الأصول التي لا يمكن إثباتها بالدلائل السمعية وإذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يكن في العدول عذر ولا علة ولو حصل الإعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الإنصاف وكثرة الاعتساف من الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى إلى أي هداهم إلى ما اختلفوا فيه كقوله ثم يعودون لما قالوا بإذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بأمره وبما أمر يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الإيمان إنما أراد فهداهم فاهتدوا بإذنه إذ لا يجوز أن يأذن لنفسه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم هو الحق الموصل إلى كمال الدارين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق أو الطلب لا يتأتى إلا باحتمال شدائد التكليف وأعباء الإرشاد والتعليم قال سبحانه أم حسبتم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ تشجيعا للرسول والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من أهل الكتاب والمشركين فإن من كان نظره على مراتب قرب المولى فبلاؤه أقوى وهو بالابتلاء أولى قال في الكشاف أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وإنكار الحسبان واستبعاده قال القفال تقدير الآية فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم أفتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على أن الإتيان متوقع منتظر عن ابن عباس لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة له فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم أم حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم وتتمنون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الأسر والقتل والمعنى أم حسبتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان بي والتصديق لرسولي دون أن تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وأن ينالكم من أذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الأهوال في جهاد العدو كما كان ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليهم والضراء وهي إشارة إلى انفتاح أبواب الشر والآفة إليهم وزلزلوا حركوا وأزعجوا بأنواع البلايا والرزايا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي زلل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لأن الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلبه ولهذا لا يقال ذلك إلا في الخوف المقيم المقعد ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمح وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى إضمار أن ومعنى الاستقبال بالنظر إلى ما قبل حتى وإن لم يكن مستقبلا عند الإخبار ومن رفع فعلى الحال الماضية المحكية كقولهم شرب الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه ألا إن نصر الله قريب أي فقيل لهم ذلك إجابة إلى طلبتهم فكونوا أنتم معاشر المؤمنين كذلك في تحمل الأذى والمتاعب في طلب الحق فإن نصر الله قريب لأنه آت وكل ما هو آت قريب والحاصل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين أذى كثير ولما أذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الأموال ~~ثابت ذكرها~~ والأنفس ما لا يخفى فعزاهم تعالى في ذلك وبين أن حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك والمصيبة إذا عمت طابت ذكر الستة من قصة إبراهيم وإلقائه في النار وأيوب وما ابتلاه به من الناس ومن سائر الأنبياء في مصابرتهم على أنواع المكاره ما سار ذلك سلوة للمؤمنين روي خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان يتأذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب ثم ان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا للقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم وعلموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلاما من احدهما متى نصر الله والثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الاية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنها واما ان يموت واذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم نصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير ثانيا وبل انه تعالى اذا فتح ابواب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه اياته وكراماته فان تعزز باحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس وبدل نعمة الله بعد ما وفقها ورضابها فان الله شديد العقاب بان يغير احواله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم بالسعادة او الشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد وقع السعادة والشقاوة في حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهي معاملاتهم فبها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا
سؤال کنند ترا که چیست آنچه انفاق میکنند بگو که آنچه انفاق میکنید از مال پس از برای والدین است و خویشان و بی پدران و فقیران و راه گذریان و هر چه

تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسٰٓى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْـًٔا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسٰٓى اَنْ تُحِبُّوْا
میکنید از خوبی پس هر آینه خدا بآن داناست نوشته شده است بر شما جهاد و حال آنکه مکروه است شما را و شاید که مکروه دارید چیزی و حال آنکه آن بهتر است شما را و شاید که دوست دارید

ع ١١ شَيْـًٔا وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ وَصَدٌّ عَنْ
چیزی را و حال آنکه آن بد است شما را و خدا میداند و شما نمیدانید میپرسند ترا از ماه حرام از جهاد در آن بگو که قتال در آن بزرگ است گناه و باز داشتن است

سَبِيْلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌۢ بِهٖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهٖ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ
از راه خدا و کفر است باو و بمسجد الحرام و بیرون کردن اهل آن او را از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه انگیختن بزرگتر است گناه از قتل و همیشه در مقاتله باشند با شما

حَتّٰى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ اِنِ اسْتَطَاعُوْا وَمَنْ يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
تا که برگردانند شما را از دین شما اگر قدرت داشته باشند و هر که برگردد از شما از دین خویش پس بمیرد و حال آنکه او کافر است پس آنگروه باطل است کردهاشان در دنیا

وَالْاٰخِرَةِ وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ
و آخرت و آنگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاوید اند هر آینه آنانکه گرویدند و آنانکه هجرت کردند و جهاد کردند در راه خدا آنگروه

يَرْجُوْنَ رَحْمَتَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
امید دارند رحمت خدا را و خدا آمرزنده مهربان است

الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ج شر لكم ط لا تعلمون قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف فيهما ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال منا وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين ان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون في سبيل الله لا لان ما بعده خبران رحمت الله ط رحيم التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنة المرضي من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منها مؤكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية في رجل اتى النبي فقال ان لي دينارا فقال انفقه على نفسك فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لي ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة فقال انفقها على والديك قال ان لي خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح الذي وهو قتل يوم احد كان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سئلوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه انه حصل في الآية ما يكون جوابا لعين السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى فحسن ان يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله

بقرة لا ذلول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقرة بهيمة شأنها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا اصل الشيء
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه حلالا ومصروفا الى مصرفه كما لو سئل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام
آكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلادهم
وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال ومن كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا لجزيل
الثواب هربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي صلعم غير مأذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية يقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ
الايجاب في يكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون دار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل وهو كره
لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس كما ان سائر التكاليف كذلك وكيف
لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها اليس شيء والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا احسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا بحريمهم واستأصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الآخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال فعسى الله ان يأتي بالفتح وقد وجد
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو له معلوما لله تعالى كما بينا في لعل والله يعلم وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما ينشأ منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد فيه ترغيب عظيم
في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يأمر العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كره طبعه فكأنه تعالى يقول يا ايها العبد علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهو
ان هذه الاية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني في قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبي صلعم هل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادى الآخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني
ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما
فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلعم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس
عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس لمعايشهم
يسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلعم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله
انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام
فاخذ رسول الله صلعم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء
اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلعم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان
هذا السؤال كان من الكفار سئلوا رسول الله صلعم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه بخفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي
سئلوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام
واعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سئلوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلعم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار
احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال
ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير
النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل
انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم والصد عن سبيل الله هو
المنع عن الايمان بالله وبمحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له لانهم كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد لهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وايضا
اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصدر عنهم

في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك والقاء الشبهات في قلوب المؤمنين او التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضي الى القتل
في الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة فيصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى انه لما
نزلت الآية كتب عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المؤمنين عن البيت
الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم كي يردوكم عنه كقولك اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كي
ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت بي فلا تبق علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر باق على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة اما في الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الآخرة فيكفي في تقريره قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر
حكما وانها تارة يحصل بالقول الذي هو كفر كجحد مجمع عليه وكسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء
المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة الردة التكليف فلا يصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث اصولي وهو ان جماعة
من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات
الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان
ان الطاري يزيل السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتاثير من الآخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
وايضا شرط طريان الطاري زوال السابق فلو علل زوال السابق بطريان الطاري لزم الدور وبحث فروعي وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم في الوقت
فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فيمت وهو كافر وعند ابي حنيفة لزمه قضاء ما ادى وكذلك
الحج لما جاء في موضع آخر مطلقا ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة ان ياكل الابل شيئا يضرها فيعظم بطونها فيهلك وفي الحديث ان مما
ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم وسمي بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس
العمل لان العمل شيء كما وجد فنى وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق
اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتاخرين من المعتزلة او لا بشرطها كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله
تعالى هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكنه ان ياتي بدلها بعمل يستحق به ثوابا فمعنى حبط عمله انه اتى بعمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او
المراد انه تبين ان اعماله السابقة لم تكن معتدا بها شرعا وروي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم
اجر فنزلت ان الذين آمنوا الآية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم
القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك بذكر من يقوم به فقال ان الذين آمنوا الآية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد ومعنى هاجروا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم
بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة ومن الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهدك الى جهد اخيك في نصرة دين الله كالمساعدة ضم ساعدك الى ساعد اخيك لتحصيل القوة اولئك يرجون
رحمت الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين ولكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كميته وكيفيته وفي وقته ويحتمل ان يراد المنافع التي توقعوها
فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما
ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب ايضا صح لانهم لا يعلمون ان لا يكفروا بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم
في نصرة دين الله فيقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم
يحقق لهم رجاءهم ان شاء ويعمهم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب وروي عن لقمن انه
قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبين يخاف
باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمؤمن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير ثم في طيرانه ومن ههنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا اِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَاِثْمُهُمَا اَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

سؤال کنند ترا از شراب و قمار بگو در انها گناهی بزرگست و منفعتهاست از برای مردمان و گناه ایشان بزرگتر است از نفع انها و سؤال کنند از تو که چه انفاق کنند در راه خدا

قُلِ الْعَفْوَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامٰى قُلْ اِصْلَاحٌ

بگو زیاده از احتیاج را همچنین ظاهر میسازد خدا برای شما آیات خود را که شاید اندیشه کنید در دنیا و آخرت و سؤال کنند ترا از یتیمان بگو اصلاح

وموقع واما ان يبقى

ايلم اي اقرب من ان القتل ثانية

لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا
مر ايشانرا بهتر است واگر بياميزيد با ايشان پس برادران شمااند و خدا ميداند مفسد را از مصلح و اگر خواهد خدا و آينه تنگ گيرد بر شما بدرستي كه خدا غالب محكم كارست و نكاح مكنيد
المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
كافرات را تا وقتي كه ايمان آورند و هر آينه كنيزك گرونده بهتر است از زن مشركه واگرچه بشگفت آورد شمارا و نكاح مكنيد مردان مشركرا تا آنكه ايمان آورند و هر آينه بنده گرونده
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم
بهتر است از مرد مشرك و هرچند بشگفت آورد شمارا آن گروه ميخوانند بسوى آتش و خدا ميخواند بسوى بهشت و آمرزش بفرمان خود وظاهر ميسازد آيات خود را از براى مردمان تا شايد
يتذكرون القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلى والباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن
متنبه شوند اصحابه عن حمزة وجهان فى الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمزة ليدل على اصل الكلمة الوقوف والميسر ط للناس ز قد يجوز مع اتفاق
الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط يتفكرون لتعلق الجار والاخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط
المصلح ط لاعنتكم ط حكيم يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل
اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو بل
الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس فى الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان
حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت فى الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهى
لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحابه قالوا يا رسول الله افتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم فقرأ يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابى وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا
دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء فى مفهوم الخمر
فقال الشافعى كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعى بما روى ابو داود فى سننه
عن الشعبى عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر
العقل اى خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المراة وكذا ما روى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من
التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابى انما خص ذكر هذه الاشيا مخصوصا لكونها معهودة فى ذلك الزمان
وكل ما فى معناها من ذرة وسلت وعصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كان تخصيص الاشياء الستة فى خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا فى
غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام ثم مراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية
كالصلوة وان سلم ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر فى الحرمة والاثم وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل
فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب مسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابى المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر فى الاعضاء
وايضا الايات الواردة فى الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر
كذا فى قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر فى هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر فى علة التحريم وايضا
قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال
معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة فى كل مسكر حجة ابى حنيفة قوله
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون
الا بالمباح وايضا ما روى فى الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح
فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابى الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع
اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاءه رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال انى طبخته وفى نفسى منه شئ قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه
قال لا قال فان النار لا تحل شيئا وقد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا اسكر وان
ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فهو حرام ويتعلق بشربه الحد يروى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه
نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذى

بكر فان ذلك حرام ويحد ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل والذرة حلال نيا كان ومطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سئلوا فيحتمل انهم سئلوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سئلوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سئلوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الآية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد ان هذا السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح ايضا بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الآية طلبا لما هو آكد في التحريم ثقة وطمأنينة كما التمس ابراهيم مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان بعد كونه الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقض في الاديان السالفة ثم شرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر ميسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله ومن اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب قال ابن قتيبة الميسر من التجزية والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للضارب بالقداح ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وعن علي انه مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك فيكون مباحا ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لانهما من اسباب الجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرا بالثاء فمعناه الكثرة فان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها علة لزوال العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جراءتك فقال ما انا باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا للاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة فيكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن اقومها ثمنا يحيى بذلكم يا أن اليها تجرها وتسوقها قال ابقراط في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتفرح الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجات لانهم كانوا يفرقونها على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحصول الدائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل بالعقاب الابدي لا نهاية له الحكم الرابع ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما راوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويبينان عظم ثوابه سئلوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير

الحكم الثاني

والتقتير وعن النبي صلعم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلعم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها ههنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلعم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا ياكله النفقة وعليه الزكوة منه واما الولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم بغير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والقول الاول هو الاصوب لان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والاخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والخلط جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشرب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك انشاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتاكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازي على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول ولو شاء لاعنتكم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم فاستامره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلعم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطي ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطي لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطي بدليل قوله صلعم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلعم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطي فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سئلت ابا علي عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته وزوجته لم يريدوا الا المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا

النهي عن نكاح المشركات

مشرك

شرك محض وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم امر امیرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص ولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق العالم وتدبيره شريك ونظير ونظراء وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من من بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج بيهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وهذا عن الحسن ضعيف لان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق سره العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جاحدا ولأمة مؤمنة هذا اللام في افادة التوكيد يشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن من امة الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي لامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب تتعلق بالدنيا وغاية الدين اولى من رعاية الدنيا انه لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتآلف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يحصل اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسنها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخوانا الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو الى الجنة حيث امر بالتزويج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ الحسن المغفرة بالرفع على الابتداء اي والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل انه تعالى لما تحدى من اجناس مختلفة

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس عن العقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من سباحات تجلي الصفات اذا ادارت الكؤس لتجذب شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجيد عن المواعيد والارواح بالشهود على الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال فهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف لانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب والاستيناس فتحول لمن تغطى هو الوصل كله ومسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا قوم اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس والشراب والساقي والمسقي ههنا واحد كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر واثم الاعراض عن كؤس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب والتفسير في البداية اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانية نفس الكبير واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا

وسؤال كنند ترا از حيض زنان بگو كه آن رنجي است پس دوري كنيد از زنان در حال حيض و نزديكي مكنيد ايشان را تا كه پاك شوند پس چون

تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ

پاك شوند پس مباشرت كنيد ايشان را از جهتي كه فرموده است شما را خدا بدرستيكه خدا دوست ميدارد توبه كنندگان را و دوست ميدارد پاكيزگان را زنان شما كشتزار شمااند پس بياييد كشتزار خود را

أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ

هرگونه كه خواهيد و در پيش فرستيد براي خودتان و بپرهيزيد از خدا و بدانيد كه شما بيننده اوييد و مژده ده گروندگان را و مگردانيد نام خدا را بهانه از براي قسمهاي خود

أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

كه نيكويي كنيد و پرهيزگاري كنيد و اصلاح كنيد در ميان مردمان و خدا شنواي داناست فرا نگيرد شما را خدا به بيهوده در سوگندهاي شما وليكن فرا گيرد شما را

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

بآنچه كسب كرده است دلهاي شما و خدا آمرزنده بردبار است مر آنان را كه سوگند ميخورند از زنان خود انتظار بردن چهار ماه است پس اگر باز آيند پس بدرستيكه خدا آمرزنده مهربان است

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف

واگر قصد كنند طلاق را پس بدرستي كه خدا شنونده داناست

وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة اذى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القراء الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم وبابه كل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده وما اشبه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط اذى ط لان لكونه اذى تأثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلف الجملتان شئتم ز فقد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط حليم اشهر ج رحيم عليم التفسير الحكم الثاني ويسألونك عن المحيض قيل انه تم جمع في هذا الموضع بين ستة اسئلة فذكر الثلاثة الاول بغير الواو والثلاثة الباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقائع الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الآية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالآية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض اسم ومصدر ليصلح عود الضمير في قوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو ذو اذى وفيما قدم قوله هو اذى على ترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله

ان امرأة استحاضت فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي
ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري منه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اي
يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد ويرى انه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة
ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة
وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل
بقاء التكاليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه
على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها
حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين
فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن بتسع سنين وقيل ان اول
وقت الامكان يدخل بالطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا
تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند
الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما بليلتها والقول على كرم الله وجهه ما زاد على خمسة
عشر فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر
يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعر بذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستا وسبعا وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت
جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي بما علمك الله من عادات النساء من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة
اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن
ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري
والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل
الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء
الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية
حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتأكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا
نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم
التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل
الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اي من
المأتى الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان
لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه
والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة
من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثاني نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان
الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان تؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كان اليهود يقولون اذا جاء معها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي
الليلة قال فلم يرد على شيئا فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل
المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل
ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم
فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقى الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزدرع ومنبت للولد هذا على سبيل
التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث فاتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه
اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن وتلوث

وتنفر الطبع لاذى في الدبر حاصل بل فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى أَنَّى شِئْتُمْ كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى
اى فأتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعنى اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل
متى شئتم من ليل ونهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث
اسم المرأة لا للموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله أَنَّى لَكِ هٰذَا اى من اين كلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعدد
وبقوله إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ترك العمل بعمومه في حق الذكور بدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم مساواتها لادلة الحرمة في القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات
غرض التوالد والتناسل الذي به بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى منقصة وذما واذا كان الزنى لكونه سببا للنسب محرما وكذا
الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء
ولهذا اعقبه بقوله وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الآية اشتملت
على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الآخر فكأنه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في بقية الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه
اكد ذلك بقوله وَاتَّقُوا اللَّهَ ثم زاد التأكيد بقوله وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان مسبوقة بالنهي عن
مشتهى فقوله وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من آداب الخلوة وقوله
وَاتَّقُوا اللَّهَ زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات
وما احسن هذا الترتيب ثم قال وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ كيلا يخلو الوعيد من الوعد فلم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا او وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان
يعطي الحكم الناسع وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ وهو نهي عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة
اى معرضا له قال فلا تجعلوني عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل
وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم
ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله أَن تَبَرُّوا علة للنهي اى ارادة أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا
وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه
العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعده برا متحذرا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشيء الذي يوضع في عرض
الطريق فيصير مانعا الناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ اى حاجزا لما
حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر
عن يمينك اى على شيء مما تحلف عليه فيكون قوله أَن تَبَرُّوا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا
فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ لِأَيْمَانِكُمْ برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوه شيئا
يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا وَاللَّهُ سَمِيعٌ ان حلفتم به عَلِيمٌ
بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث واللغو اسم
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة
الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد
من ذلك حجة الشافعي ان الآية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ هو الذي يقصد
الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يعوده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم
يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة ايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الآية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب
ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما ورد

بيان اللغو في اليمين

عائشة عن النبي ﷺ انه قال اللغو اليمين قول الرجل في كلامه كلا والله وبلى والله وروي انه ﷺ مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي ﷺ حنث الرجل يا رسول الله فقال ﷺ كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو
ما كان في الهزل والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كا
الطلاق والعتاق وايضا انه ﷺ قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل
بين الجد والهزل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
اي اقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله بالحلف اذا كفرتم
وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس قال
مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على شيء
وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله
غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون او تتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم
يقال في اللغة آلى يولي ايلاء وائتلى ائتلاء وتألى والالية والالوة والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي آليت ان افعل خلاف المقدرين
الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن
المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الا
سلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة
عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه اريد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين التربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة
المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فان فاءوا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب الاضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك
من الاسباب وان عزموا الطلاق ما عقد القلب عليه من حل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه
معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا
لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في الحكم وعند ابي حنيفة يتنصف برق المراة وعند مالك برق الرجل كما قالا في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير
هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة و
يصح الايلاء في حالتي الرضا والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او كانت
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون
من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المراة رتقاء او قرناء
فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها
في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب
الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة
في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول ﷺ وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب لانه لا ينافي الكفارة كما
ان التائب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة
او صدقة او حج او صوم او صلاة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين
بالوطي يحصلان لو وطي فيكون مما يلزمه بالوطي ما يمنعه من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضارا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى تحقق
بضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه

عليه كفارة اليمين الثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين الوفاء وبين كفارة اليمين الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وكذا النيك والوطى والاصابة ومن كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول ان حلف يوما وهذان المذهبان فى غاية البعد وعن ابى حنيفة والثورى انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطأها اربعة اشهر اجل الاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها الحاكم عليه وعند ابى حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعى ان الفاء فى قوله فان فاؤا يقتضى كون ما بعده من حكمى الفيئة والطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح فى ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج فى ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شئ يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل الحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق فى نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذى يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه ان الفيئة لا بد ان تقع فى الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الى الحق والى الله حسبى التأويل كان للنساء محيضا فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض فى الباطن وهو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة وهى المناجات وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات النفوس كما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدرت الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفا فلذلك نودى من سرادقات الجلال فاعتزلوا الرجال عن اولئك النساء النفوس فى محيض غلبات الهوى حتى يطهرن بالفرار عن مقتضيات الحوائج الضرورية للانسان من المأكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة فى طلب القربة فأتوهن من حيث امركم الله يعنى طهروا شواهد الحق لا زهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين بفناء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلاف الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذنه فكان الدنيا مزرعة الآخرة للقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها انى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد ثبت مشيتهم فى مشيته تعالى وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالآلات الحراثة والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع فى الارض لم ينبت للزراعة لا ينبت وان كان فى الارض من الآلات الحراثة اما ان كان لما يجرى على الظواهر من الجوارح اثر فى القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه وان كان ما يجرى عليه فى الظاهر فان لم يكن له اثر فى القلب كان لغوا ولا يؤاخذه وان كان له اثر فى القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصد وقفة او فترة فى اثناء السلوك من ملالة النفس او نفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يفاوقوه فى الحقيقة ويفاونوه بالهمم العلية وتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء فى الحديث ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الى آخره فان فاؤا الفيئة الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا حظوه بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا ايتام الا المعزولون ربع لا يسكنه الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالهم وهو حسبى

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن

وزنان طلاق داده شده انتظار کشند بنفسهای خود سه پاکی و روا نباشد مر ایشان را که پوشیده کنند آنچه را که آفریده است خدا در رحمهای ایشان اگر هستند

يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف

که بگروند بخدا و روز واپسین و شوهرهای ایشان سزاوارترند به بر گردانیدن ایشان درین اگر خواسته باشند اصلاح کردن و مر ایشان راست مانند حقهای مردان بر زنان به نیکوئی

ع ١٣ وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ٭ الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان

و مر مردان راست بر زنان افزونی بمرتبه و خدا غالب و استوارکار است طلاق شرعی دو بار است پس نگاه داشتن به نیکوئی یا رها کردن بخوبی و روا نیست شما را که

تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما

فرا گیرید از آنچه که داده اید ایشان را چیزی مگر که بترسند که بر پای ندارند احکام خدای پس اگر ترسید که بر پای ندارند احکام خدای را پس نیست باکی بر ایشان

فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له

در چیزی که زن بدهد بعوض آن این است احکامهای خدا پس از حد در مگذرید در آن و هر که از حد درگذرد از احکام خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران پس اگر طلاق دهد او را پس روا نیست مر او را

من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله

از پس طلاق سیوم تا آنکه نکاح کند مر دیگری را غیر از آن پس اگر آن غیر طلاق دهد او را پس باکی نیست بر ایشان اگر باز گردند اگر گمان دارند که بر پای دارند احکام خدا را و اینست احکام خدا

يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن

ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ

ضرر رسانیدن تا که ستم کنید و هر که بکند این پس ستم کرده است بر نفس خود و فرا مگیرید آیات خدا را ریشخند و یاد کنید نعمت خدا را که بر شماست و آنچه فرستاد

عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

بر شما از کتاب و حکمت پند میدهد شما را به وی و پرهیزید خدا را و بدانید که خدا به هر چیزی داناست و چون طلاق دادید زنان را پس رسیدند به آخر مدت خویش پس

تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ

منع مکنید ایشان را که نکاح کنند شوهران خود را اگر راضی شوند در میان خویشتن به نیکوئی این است که پند داده شود به وی هر که باشد از شما که بگرود به خدا و روز واپسین این پاکیزه‌تر است

لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء بيّنها بالنون المفضل الباقون بياء

مر شما را و پاک‌تر و خدا میداند و شما نمیدانید

الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم

غير الاعشى الوقوف قروء ط الآخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقين ولا تمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم مرتان ص لطف التقسيم

باحسان ط حدود الله ط الاول الطائفة به ط تعتدوها ج الظالمون ربع الجزء غيره ط لان الطلاق للزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خلاف

من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون ۵ وسرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعد يعظكم به ط بالمعروف ط

الآخر ط واطهر ط لا تعلمون ۵ التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي وقع الطلاق عليها اما ان يكون

اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة وح اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا واما ان يكون مدخولا بها وح ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى وَأُولَاتُ

الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط او الكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء كقوله سبحانه و

وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت

حرة فعدتها ثلاثة اقراء لهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها من ذوات الحيض الحائل فهذا العام مما يحسن تخصيصه

اذ كان الباقي اكثر من حيث ان جريان العادة بالطلاق لفظ الكل على الغالب المغلوب فيقال الثوب سود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض ومهنا الباقي

قسم الواحد من الاقسام من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه قلنا نقول ما الاجنبية فخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها

فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها

واما الرقيقة فتزويجها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الاغلب مما لم يقل وليتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما

يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا او بناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد تقوّ ولو قيل ليتربص المطلقات

لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلاثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال

نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن القروء جمع قرء او قرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف

ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما

اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي

واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيدة لا لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان

لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلاثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلثة

يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال

عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها

في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة

الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها

قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله تعالى فَطَلِّقُوهُنَّ

لِعِدَّتِهِنَّ اي في زمان عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا للثلث وقيل هذا يقوي استدلال

الشافعي لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما

كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء

الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع اكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لو لم تمتل لما انفتق

لما سال الدم الخارج فمن اول الطهر اخذ في الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال كمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد

بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى

هذا الاصل وقوله ابقاء لاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قرأ خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالعدد الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان الطلاق في طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرفية اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء لان الاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الآخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء اكثر استعمالا من القليل فنزل الاقراء منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة سبوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فاذا ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج آخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها
لتبطل رجعته فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الآية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تعظيم لفعلهن ان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل مبانيه شيء
كان فيه فاسدا عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله تعالى وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتأكيد التأنيث
في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع ولئن رددت الى ربي وفي موضع آخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن لا اضرارا وتطويل العدة كما في قوله وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا الا انا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة
ابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او نقول انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن آخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول برده احق وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونها من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه وخدمته لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر
وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لأتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تعالى وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ وقيل معنى الآية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشى
ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها وبتسرى
وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر آخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كانت نعمة الله

عليه كثر كان صدود الذنب عنها قبح واستحقاقه للزجر اشد قيل بل الغرض من الآية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك
الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص
بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون
هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث الطلاق
هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجوع وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان
فعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو
مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان
ذلك كالمجمل والعام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط
فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتداء والمعنى ان التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي
كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول عن لفظ الامر
طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس
واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود
ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه
بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما
يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف
هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن العشرة وتنعيمه ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق
مرتان قيل له صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو
اقرب لولا الخبر المذكور وبيانه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة
الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها
وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة
اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما ظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة
فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح الامساك راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح
تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل
على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وفي ذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب
وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها
ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم
للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون روي
ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي
الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل
كان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ثم قال فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اى فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ فيما افتدت به نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله عم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده لان ذلك اجحاف بجانب المرأة و ضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويتأكد هذا بما روى ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بما لها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت فيهما درتان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فانها لما ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه كما في الآية وان وقع وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج مكرها صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان نافذا والزوج ماثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل ان لا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق وينتقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع اذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلعم اذن لثابت في مخالعته امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلعم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد تِلْكَ اى المذكورات من احكام الطلاق حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا تجاوزوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف لا والظالم ملعون أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ثم انه ظلم من الانسان على نفسه حيث قدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف او التسريح باحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حَتَّى تَنْكِحَ اى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اى لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف في التكرار في قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زَوْجًا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ويؤيده هذا ما روي عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل وبركاها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان يفترش زوجته رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي صلعم ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة وثنتين ثم نكحت زوجا آخر وابانها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة من حيث

انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث والزوج لغيره المطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثانى يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك وفاعله يأثم به وقال مالك واحمد والثورى هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطى لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبى صلعم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اى الزوج الثانى الذى تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول فى ان يتراجعا بنكاح جديد بدلالة ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوى وظاهر الاية يقتضى ان يحل للزوج الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثانى من غير عدة بدلالة فاء التعقيب فى قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطى لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان فى ظنهما وفى غرمهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين فى الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها او اضرار منه فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأها بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التى تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التى تقدمت هى حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق استانف حكما لامساك والتسريح ببيانين اخرين فى ايتين سابقتين لان جملة الامرين فى الطلاق يؤل الى احد هذين الاول قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذى طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذى يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضى الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف راجعوها من غير تطويل ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضى عدتها وتبين ولما امر بعد الطلاق باحد الامرين استانف حكم كل منهما وقدم حكم الامساك على طريقة النهى لا الامر لان المامور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف فى الحال لكن فى قلبه ان يضارها فى الاستقبال والمنهى لا يمتثل الا اذا انتهى فى كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل على انواع النفرة والعداوة كلها وروى ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها فى العدة لتبقى تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون فى الجاهلية اكثر هذه الافعال لحاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اى لتضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون متعمدين لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب فى التزويج منه ولا فى معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا ايات الله هزوا اى من قرب بها يحبط عمل الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة فى ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن ابى الدرداء كان الرجل يطلق فى الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلعم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروى الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بايات الله ثم انه تعالى لما رغبهم فى اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا فى ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد فى الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلعم ثم خصص نعم الدين بالذكر لانها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به فى محل النصب حالا من ما انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتداء وقوله يعظكم به خبره واتقوا الله فى اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شىء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثانى هو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة فى عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نسائهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اى الرجال والنساء تراضيا وافقا بينهم بالمعروف بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل مهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية وهي ان مذهب ابي حنيفة ان المرأة اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح ولكن للولي ان يعترض عليها
بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء لان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب
في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا
ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها
وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية فكفرت
عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان
رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا
يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يعتد على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه
كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالتهديد والوعيد او يسئ القول فيها حتى ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا
يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشئ بما يؤول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجهن فيكونوا ازواجا
لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالآية
في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان
الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه وسلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن ولكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا
في الزوج وايضا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل نعزله اذ لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن
على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك
التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه وثانيا اكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى
السبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول
ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر تخصيص
لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس
حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر من
ادناس الآثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة
فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم راعى الاصطناع اذا صدر من العبد ما
التشوش والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة رتبة اذ لم يكن له
ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة
فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حقوق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق
برعاية الحق فيقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بد منه بل بلا حساب غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق
حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجرمة
وجرمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله
فان ندم بعد ذلك عن افعاله وذلك الصديق وامثاله ورجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان
ان يعضله من صحبة الاقران فيه ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما
آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الوفاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال الحق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

و مادران شیر میدهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام از برای کسی که بخواهد که تمام کند شیر دادن را و بر پدر که فرزند مراوراست روزی ایشان و پوشش ایشان

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ

بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت او ضرر نرسد بولد مادران ولد و نه از پدر بفرزندش و بر وارث است مانند همین

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

پس اگر خواستند جدائی از شیر از خواهش و مشورت یکدیگر پس نیست گناه بر ایشان و اگر خواستید که بدایه دهید تا شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

برشما چون تسلیم کردید بر اضع آنچه را که قرار داده اید بنوع متعارف و بپرهیزید خدا را و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست و آنان که میمیرند از مردان شما

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

و وا گذارند زنهارا فرمان چنانست که نگاه دارند خود شان را در مدت چهار ماه و ده روز پس چونکه رسیدند بمنتهای مدت پس باکی نیست بر شما در آنچه کرده اند

ع فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ

در نفسهای خود شناخته شده و خدا بآنچه میکنید باخبرست و باکی نیست بر شما در آنچه که متعرض بآن از خواستگاری زنان یا آنکه پنهان کردید

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

در نفسهای خود میداند خدا که شما زود است که ظاهر سازید آنها را و لیکن وعده مکنید آنها را در خفیه بجز آنکه بگوئید گفتاری شناخته شده و آماده نشوید

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

بستن نکاح را تا آنکه برسد مقعده باخر و بدانید که بدرستی که خدا میداند آنچه در ضمیر شماست پس بپرهیزید از او و بدانید که خدا آمرزنده

حَلِيمٌ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ

بردبار است نیست باکی بر شما اگر طلاق دهید زنهارا ما دامیکه مباشرت نکرده ایشان که قرار دهید از برای آنها حصه و بهره دهید آنها را بر مالدار است اندازه خویش و

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

بر فقیر است اندازه او بهره متداول و این ثابت است بر نیکوکاران و اگر طلاق دهید زنها را پیش از آنکه مباشرت کنید با آنها و حال آنکه قرار داده اید برای آنها حصه

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ

پس نصف آنچه قرار داده اید مگر آنکه در گذرند یا در گذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و در گذشتن از آن نزدیکتر است به پرهیزکاری و فراموش مسازید فضل

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ القراءة لا تضارر بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف

در میان خودتان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست في قوله ولا يضار كاتب ما آتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء النساء وبابه بين عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء يحذف الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساي او تماسوهن حيث وقع علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير وعشرا ج بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا ان الله غفور حليم فاحذروه والوقف اليق حليم فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اي متاعا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هي المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات لانها ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي الى ايذاء الولد ليتأذى الزوج وربما رغبت في الزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الطفل والاهتمام بشأنه وايضا انه تعالى قال في الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك بالزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يجب على الام اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين التركيب يدل على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الاخر وليس التحديد بايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع واللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الاخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فعلم من التحديد ان

الارضاع مالم يقع في هذا الزمان لا يعتد بهذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة
ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل اي في المصدر لان كلتيهما تارة تقع مصدرية وقد لا تنصب
وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون
الوالد ليعلم ان الوالدين انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال
الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الآباء يجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كلما لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار
الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه لا يتضار وانما المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون
غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر
من الجوع والعري وتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة
فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد
ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة ثم من قرأ لا تضار بالرفع فعلى
الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل لا تضارر او لا تضارر ومن قرأ بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البناءين ايضا
ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له
امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ويكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان
مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده وتفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر
في شأنها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في
الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما
كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول
عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابرهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على
الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد
من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه
وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو مثاني على فعال كالغشاء والاباء وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه
يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الرأي فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا لقوته وسعة
بعد التحديد ذلك ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحصول موافقة الكل على ما لا يكون فيه ضرار الولد وان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل برفع الحرج فقط ولما بين حكم الام وانها
احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم يقال
ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به والمعنى
التقدير ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت
بزوج آخر وفيها نحو ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوجها زوج آخر ومنها ان تأبى
المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول
عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدناها ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم

فى عدة الوفاة

المراد اى ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرأ ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده ماتيا اى مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه حث على ان الذى
يعطى المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب لنفسها ليصير ذلك سببا لصلاح شأن الصبى ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا مستبشرى
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا للمعاذير ثم اكد الجميع بان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير. الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل
التوفى اخذ الشئ كاملا وافيا وبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ويروى عليه قراءة على رضى يتوفون بفتح الياء والذى
يحكى ان ابا الاسود الدئلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله كان احد الاسباب الباعثة لعلى على ان امره بان يضع
كتابا فى النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على اشهر الاوساط ويذرون
يتركون ولا يستعمل منه الماضى والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء وقد مر وعشرا اى يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها قال
فى الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل فى سبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثوانى وقيل
هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى ليالى استعارة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعى والاصم الى ظاهر الاية وانها اذا
انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج ونقل عن الحسن وابى العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح فى العشر بعد الاربعة
قلت ولعل هذا من الامور التى لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امراة مات
زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرة تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل
والا اذا كانت المرأة حاملا فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم
قائل ان ذلك فى الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبى صلعم حللت فانكحى من شئت وعن على
انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق فى عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول
ورد بعموم الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة فى المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا ترى خلافا لمالك فانه قال لا تنقضى عدتها حتى ترى
عادتها من الحيض فى تلك الايام مثل التى كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض فى كل شهر مرة فعليها فى عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان
تحيض فى كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض فى كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض فى كل خمسة
اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعى انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر
المدة بالاهلة ما امكن فان مات الزوج فى خلال الشهر الهلالى والباقى اكثر من عشرة ايام فتعد ما بقى وتحسب ثلاثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل الباقى
ثلثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذى مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقى دون عشرة ايام فتعده وتحسب
اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقى عشرة من الشهر السادس وان كان الباقى عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال
فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا فى ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعى
انها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام فى العدة لما روى ان النبى صلعم قال امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها يقين موته او طلاقه ولان النكاح
معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل
عليه ان الصغيرة التى لا علم لها تكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج
عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعنى به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلى والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد يحرم عليها ان تختضب
بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من اليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين فى الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف
بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضى وان تركت الاحداد ولكنها تعصى لما روى انه صلعم
قال لا تحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن الشعبى انه غير واجب لان الحديث
يقتضى حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلعم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغ
بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب فى منكم بالمؤمنين والجواب
انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل
احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه
لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما فتستتر المرأة بفعله وفيه دليل على جواز الاحداد

فى بيان ان عدة المتوفى زوجها

بالمعروف الوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب ابي حنيفة الفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال التلويح الكلام الموضوع غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشأن خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشأنا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شأنا ثم النساء على ثلاثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
للتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا مالت الى رغبة فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلاث او عن بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الاية تدل على الحل في حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك من يجد مثلك ولست بايم واذا حللت
فاذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك واتزوجك واخطبك وعن ابي جعفر
محمد بن علي الباقر انه دخل على امرأة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم اي سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا اثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله
تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة معلومة
بالاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك نكتك بالاربعة والخمسة عن ابن عباس وكقوله عسى اجامعك فاذا اتممت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن ويكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يواعدها الا تتزوج باحد
سواه ويحتمل ان يكون السر صفة الموعود به اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهي عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثوق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها
ثلاثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الاية وهو ان لا مهر لها ويجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه
الاية تدل على انه لا مهر للتي لا يكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم

سورة البقرة

المسوّ المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الآية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس لكن كذلك فانه
لاجناح عليه بعد المسيس قلنا لعل الآية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق في هذه الحالة لا يتوهم الاقبل المسيس اذ بعده الى ان يكون الطلاق
في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي كالمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد
من الجناح في الآية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه
نفى الجناح بمدة الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الآية
هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني اوجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي
في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الآية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تأديب للعباد في اختيار
احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انها
لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال وَمَتِّعُوهُنَّ فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وقول
شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في اخر الآية حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ فجعلها
من باب الاحسان ورد بان لفظ على مشعر عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ الموسع الرجل اذا كان في سعة من ماله والمقتر ضده من القترة وهي الغبار فكانه
بالارض لصيرورة ما بيده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر و
القدر لغتان في جميع معانيهما وفي الآية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع خلاف
المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار
الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب الزيادة على نصف المسمى
اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى مَتَاعًا تأكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروءة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر
على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة ونحو ذلك حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه
وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وَإِن
طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ الآية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون
هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض ويكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض
والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وَقَدْ فَرَضْتُمْ في موضع الحال ومعنى قوله فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط
او ثابت إِلَّا أَن يَعْفُونَ اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما رأني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء
يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف فيه ووزنه يفعون والنون علامة الرفع فقوله او يعفو عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة ويروى
عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر مولاته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقدة
النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل
الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم
الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة وحجة اخرى لو كان المراد
به الزوج وقد قال ولا وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ ناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفو على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو
التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها
سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي فاثبت ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس في يد المرأة من ذلك شيء
وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور كما هو الاصل لانهم
ولانه كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه فهو اقرب الى ان يبعد من ان يأخذ حق غيره بعد لانه اذا استحق بذلك
الصنع الثواب فقط انتفى العقاب واحترز عنه وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس هذا امر بالنسيان فان ذلك غير مقدور بل

وعلى القمي ... تفسير ... ومن ابن عطاء ان ... القصار ...

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تتعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل
لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر فيبذل كل المهر او تركه
الا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل
له لم تزوجها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الآية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة
المعلومة فقال إِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ فَإِنْ

محافظت کنید بر نمازها خصوصا نماز صبح و بایستید برای خدا فرمان برداران پس اگر

خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ

بترسید از دشمن پس پیاده یا سواره نماز گذارید پس چون ایمن شدید پس یاد آورید خدا را که آموخت شما چیزهایی که نمیدانستید وآنانی که وفات کنند از شما و

يَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ

واگذارند زنان خود را وصیت کنند وصیتی از برای زنان خود بهره تا تمام سال که بیرون نروند پس اگر بیرون رفتند پس باکی نیست بر شما در آنچه کردند در نفسهای خود

مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

از شناخته وخدا غالب حکیم است واز برای رها شدگان است بهره مقداری معین واین ثابت بر پرهیزکاران اینچنین ظاهر سازد خدا آیات خود را که شاید

تَعْقِلُونَ القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير روح والباقون بالرفع الوقوف قانتين ه او ركبانا ج لان

درک کنید اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه لا للعطف والوجه جواز الوقف لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية و
الوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم ط بالمعروف ط المتقين تعقلون ه التفسير الحكم
السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب
من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه بتحصيل السعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد
اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الآية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا
لزم التكرار بعد ذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب
والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان بأركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان
والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كأنه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم
وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عن المناهي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع وفي الخبر تجيء البقرة وآل عمران
كأنهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدمه
تقول للنار لا سبيل لك عليه في الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوة
وما يروى من اخبار الآحاد لا معول عليها فيجب ان نؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل ذلك اخفى الله تعالى
ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة
في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات
تصبها وعن الربيع ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى
القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس
وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي والوجه ان هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل وآخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين
الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والصبح منفرد بينهما قال
القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقول الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال
عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الآية بالذكر للتأكيد كما خص الصلوة
الوسطى في هذه الآية بالذكر للتأكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروض
صلوة يصح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التأكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك فانه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء
البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الامر بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة الصبح ولهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة
الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم السنة وخصت بالتثويب وهو

يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل
النوم والغفلة وظلمة النوم والغفلة وظلمة الفجر والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد
باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال
كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر وهي مروي عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري
واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلعم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل والنهار الا هذه وانما صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين
بردين الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر وعن
عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلعم فتغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله
وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد فسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس
انها صلوة العصر روي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضه ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه
كقوله صلعم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر من حال
الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال
الناس بحوائجهم عن علي ان النبي صلعم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلعم انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت
رسول الله صلعم يقرأها فاملت عليه الصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب لانها بين بياض النهار وسواد
الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان
بن عفان عن النبي صلعم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح
والجسد فكانه قيل حافظوا على سورة الصلوات بشرائطها حافظوا على معاني الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة تعبدا ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب لانها لو كانت الصلوة ستا فلم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل
من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فهو وسط بين الاثنين والاربع
او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح يتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة
من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلعم قال كل قنوت في القران فهو الطاعة ومن
يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر
لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزئ وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج
الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلعم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا
اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت
وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم
اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا
لله مديمين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حالة الخوف على ان
متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قبل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا
او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام
جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على الابل فان كان على فرس
فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال و
سوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلعم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة

لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار او مع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس و
حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق و
الغرق والسبع كذا الطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار رخص له في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل
فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن يعني بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه
بشرايطه واركانه والصلوة قد يسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه
على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع على لسان نبيه كيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما
مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه اخر والذين يتوفون منكم الاية من قرا وصية بالرفع فوصية مبتداء وخبره لازواجهم و
جاز وقوع النكرة مبتداء لتخصيصه بما يخصص به سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او المراد المفروض او الحكم وصية
فالمبتدا مضمر او كتب عليهم وصية او ليكن بينهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه
جايزة ومن قرا بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد او الزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على
المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او التقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه او نصب على الحال
او نصب بالوصية غير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق
الذين يتوفون منكم عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي
هو الربع والثمن لقوله صلعم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى
لهن وهو قول علي وابن عباس وعايشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فللتحصين لماء
وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة ووافقهما مالك والثوري واحمد وبناء الخلاف
على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله صلعم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما تركني في منزل يملكه كذا
في التفسير الكبير وهو في مكة فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني
على النسخ واخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها ان اختارت السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان
اختارت ان لا تسكن في داره ولا تاخذ من ماله تركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي
مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة
التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان
الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت
زينب بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امراة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها
وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلعم لا مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلعم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن
في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا
صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى يمر لها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طاير فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض
بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام
على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال
ههنا من معروف منكرا لان المراد به من الوجوه التي لهن ان ياتين بها واما في الاية السابقة فاراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك
الاية متاخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها للواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم
الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد
ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض
لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه
الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها ام لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قول الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق
المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول والجديد ان لها المتعة وهو قول علي وابن الحسن وابن عمر لعموم الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في حق نساء

اي انت تسير سير البريد

دخل بهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا مقابلة عوض وهذا استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة
للايحاش وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول اعلم الله

ع

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
آیا ندانی حکایت آنها را که بیرون رفتند از خانهای خود و حال آنکه چند هزار بودند از ترس مرگ پس گفت مر ایشان را خدا که بمیرید پس زنده کرد ایشان را بدرستی که خدا هر آینه صاحب فضل است
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي
بر مردمان ولیکن بیشتری از مردمان سپاس نمیکنند   و جهاد کنید در راه خدا   و بدانید که بدرستی که خدا شنونده داناست   کیست آنکس که او
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ القراءة فيضاعفه
وام دهد خدا را وامی نیکو   پس بیفزاید خدا از برای او مانندهای بسیار   و خدا فقیر کند و وسعت دهد و بسوی او باز گردید   بالالف والنصب عاصم

غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف و
الرفع وكذلك في سورة الحديد يبصط وبابصطة ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد يبصطون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان و
غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ط ويبسط ص ترجعون
التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبرة للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع
والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى التعجب فيكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك لهذا عمل بالي وعلى هذا يجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا
بهذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر
عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى الله اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها
العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد ها ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت
لحما ودما ثم نادها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم ثم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم
بعد حيوتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب اجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال
فخافوا القتال فهربوا وقالوا الملكهم ان الارض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية
ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية فبقي فيهم شيء من ذلك النتن و
بقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا
من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم
لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه تمضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف فقيل المراد به
الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل ثلثون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا
وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم
بينهم ايتلاف ومحبة فكوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الفهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا بالعلم
ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على
انهم ماتوا ميتة رجل واحد لانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله
ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا ارادوا عند الموت من الاهوال
والاحوال ما يصيرها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الاخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية اجالهم ان الله
لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على منكري المعاد
باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا ذلك ان تركب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والالما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه فالخبر الصادق بوجوده
وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه
بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره
وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لهم بكيلا ينكص على عقبيه محب
الحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو
من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القاعد على الجهاد او القاعد على الجهاد ان ينفق على غيره في طريق الجهاد وذا في من ذا اما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع
والذي مع صلتها خبره او موصولة والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم
واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل
من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مستأنفا في الانفاق ماعلى الاطلاق وهو لا يليق بعموم لفظ القرض واما الواجب
منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب او الغير الواجب لان القرض بالتبرع اشبه هذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد
من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة وتشبيه ان
يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما
يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض
في الآية مجاز فان القرض بما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال
الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله
فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال به فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه
مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا
لوجه الله تعالى واضعافا انتصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف وان كان مصدرا الا انه قد يقع
موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر
بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على
اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر
لا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض
والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب
حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والشر والله الموفق والكيس
انتهاء الطريق الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
آیا ننگریستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی در راه خدای گفت
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چه شده است ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شدیم از خانهای خود و از فرزندان
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
پس چون که نوشته بر ایشان قتال روگردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست بستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفه عليكم وزاده
گفتند که کجا میباشد از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاوارتریم بپادشاهی از او و حال آنکه نداده شده زیادتی از مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی را بهر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که نشانه پادشاهی او آنست که بیاید بشما تابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ۝ فلما
که در آن سکینه است از پروردگار شما و باز مانده از آنچه واگذاشتند آل موسی و هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستی که در این هر آینه نشانی است اگر باشید گروندگان پس چون
فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة ع ١٢
جدا شد طالوت با لشکر گفت که بدرستی که خدا ابتلا کننده است شما را بنهری پس هر که بیاشامد از آن پس نیست از من و هر که نیاشامد از آن پس از منست مگر آنکه بیاشامد کفی
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال
بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون که درگذشتند از آن نهر او و آنکه گرویده بودند با طالوت گفتند که نیست طاقت ما را امروز با جالوت و لشکرش گفت
الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ۝ ولما برزوا لجالوت
آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کننده خدا اند بسا گروه کم که غالب شدند گروه بسیار را بفرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۝ فهزموهم باذن الله وقتل
با جالوت و لشکرش گفتند پروردگارا فرو ریز بر ما صبر را و محکم کن قدمهای ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس فرار دادند ایشان را بفرمان خدا و کشت

داود

داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله
داود جالوت را وداد داود را خدا پادشاهی وحکمت وآموخت او را از آنچه خواست واگر نباشد دفع خدا مردم را بعضی از ایشان را ببعضی هر آینه فاسد شدی زمین ولیکن خدا
ذو فضل على العالمين ❁ القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصيغة بالصاد
صاحب فضل است بر عالمیان ابو نشيط والشموني غير النقاش وكذلك بباصط ويبصط الزرقي لا تبصطها كل البصط فما اصطاعوا وما اشبه ذلك منى
الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالضم هو والذين بالادغام
روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع كذلك ما اشبهها فئة ومئة وبابهما غير مهموزتين يزيد والشموني وحمزة في الوقف دفاع الله
كذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى لانه لو وصل صار اذ ظرفا لقوله الم تر وهو محال
في سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما الابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة موقوف
بالجنود لا لان قال جواب لما بتدرج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط اخر اتحاد المقصود مع بيده ج لعطف المختلفتين منهم ج
تعظيما الابتداء امر معظم معظم لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين الكافرين لا لان ما قبله دعاء
وما بعده خبر ماض متصل بكلام بعده طويل ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت منهم قتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين
التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة ولانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة
وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج
اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو ملؤ اذا كان مطيقا له او لانهم بما لا اوثناءى يتظاهرون ويتساندون
والغرض من ايراد هذه القصة عقيب اية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم
يحصل العلم بذلك النبي ع وباولئك الملاء من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود وهو الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي
هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى لكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه
بالعربية اسمعيل عن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها اياه فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية
وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معناه امير اتصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون
عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي
القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل
عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه ما لنا
الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا
وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام
محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن دخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي
شيء لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن
بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يكونون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب القتال تولوا الا قليلا منهم وهم
الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل من كلف في الاسلام على القعود عن القتال
واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم وقوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت
وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمية المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فقد يوافق العبراني العربي
وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الاية تقرير لتوليهم تاكيد لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالنماس
وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح يصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف
فانضمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب منه موسى وهرون والملك كان في
يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فمن
انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازال شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفيه عليكم اختاره دونكم واستخلصه
من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله صدق ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من

والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس ولان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة

لذات الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب والقوة والبطش يكون

الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من انتفاع الغني اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسط في العلم هو وجدانه

فيما طلبوا لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما

يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني

اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك

اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب

الرزق ووسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا

يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته

بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا اكثر معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان

مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل

على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم

واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة

استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك

النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في ذلك

الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت

فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت

مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه وقيل صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى عليه السلام

لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء فيما بين السماء والارض والملائكة كانوا

يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا

في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ

ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس

وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يخرج منه وصاحبه

فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت

وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزة له كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة فعلية من

السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما

ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم على هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم

واقروا له بالملك فانتظم امرهما بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله تعالى في النفس المؤمنة ما انه من الابل اي بسببها وعلى الاول قول

ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده

فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو

وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض

الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك

التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع

قال تعالى ادخلوا آل فرعون واذ نجيناكم من آل فرعون ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري

لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لآية لكم ان

كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف في التقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما

فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان و

الانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روي انه قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا

تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت

قيظا

في تعريف مجيء التابوت

قيظا وسلكوا مفازة فسئلوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي ان كان نبيا ان الله مبتليكم
بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة
قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر
فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين ونهر ونهر بتحريك الهاء وتسكينها لغتان ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء
من الناس انما يكون ليظهر الشيء وثبت ان الله لا يليق به ولا يعاقب على علمه بما يفعل وانما يظهر الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا
بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كأنه
بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن حزبي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء
لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف
بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف
الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا
عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى
منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف
عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من رواء الخلق
العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مادونا ان ياخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة وجرة بحيث كان الماخوذ في المرة الواحدة
يكفيه ولدوابه ولخدمه ولان يحمل مع نفسه الا ان قوله بيده لا يجاوب هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل
منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن
الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم
العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله ثم لم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا
النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز
معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكنا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة الاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا
الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاع وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق
انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء
ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميزا فالظاهر انه لم ياذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده
لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب
لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر وراوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك او لعل ما كان النهر في العظم بحيث
يمنع المكالمة والمراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه وهم
الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب هم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم
قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز
بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها
اطاع اطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله
يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا
لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير دماء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا بما في التابوت من الكتب الالهية
يقين النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة
في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصار واجماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت راسه بالسيف وفأيت اي قطعت
كأن الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتاييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة
والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بتاييد الله والله مع الصابرين
بالمعونة والتاييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض
الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه وفي علم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

الغرفة بالكسر الوطب من اللبن وقد يكون للماء والوطب سقاء من جلد الجذع والجرة قربة

وصوابهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم كما روي في
قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك احول و
الافراغ الاخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فيفيد المبالغة اي صب علينا اتم صب وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه ان كان
جبانا لم يجد بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى الآلات والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقترحوها بقولهم
وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبه وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب
الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ
خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم فهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته
فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف
فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي
واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود
بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذت الحجر وقتل بعده
ناسا كثيرا فحسده طالوت ولم يف له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان
الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث
اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى الله داود
النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله
الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتاء جزاء على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض
الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر بعد حديث الهزيمة والقتل وترتب الحكم على الوصف
المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاحجار معه وقد قهر العدو العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال آخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على
الاعمال ولكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه ادون
منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عليه السلام في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي
وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه
ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب لا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه
على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظ واما
من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين
على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم ان
الله تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسوق
والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج
والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء واما الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس
فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض خبث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى
لو لم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض ويعضد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليدفع بمن يصلي من امتي عمن لا
يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة عين ثم
تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره ويقهره ولطفه وعدله وفضله التأويل
فقوله الم تر الى الملإ اي القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كقوله عرض نقاد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا
عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان بالالسنة يزعمون انا نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله
باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا
قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكبريت شعر تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز
وجار الاكثرين ذليل وانما لم يقبل الدعوى ومقصودهم لانه لم يخلص لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا واوجب
القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعويهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا الا نتوكل

سورة البقرة

بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و
ذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جلت تجلت في جلبات تعاليها عن ادراك العقول
البشرية لكنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك وليس هذا باعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشان آدم محتجا بحجاب ما بنيه والتحية فلما تكبر بنوا اسرائيل قالوا نحن احق بالملك منه حرموا الملك لما تو
طالوت لله وقالوا كيف يستحق الملك وسطي ادنى اسباط بني اسرائيل وبيته ادنى بيت بني اسرائيل فلما تواضعه لله واعطاه الملك لما الموفق الملائكة
ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال ربنا ظلمنا انفسنا باكرمه الله تعالى بسجود الملائكة
وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظهر بتابوت قلبه فيه سكينة من ربكم وهي الطمانينة
بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا فتح فاه تلقف
عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت قلب المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة
وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما
زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن من المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد
منه من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن بحسب الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلعم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي ما يمسك
رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال
جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ولما برزوا
لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن غيره فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا على الايثار بطاعتك الانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم
في الشدة والرخاء ونزول البلاء ومحو احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة
وصفاتها التي هي اعدى عدو ما بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اخذ بحجر الحرص على الدنيا
وحجر الركون الى العقبى وحجر تعلقها الى نفسه بالمهر حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى به
جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب نفث بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها
ثلثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين اجرائها واتاه الله الملك الخلافة والحكمة الالهامات الربانية وعلمه
مما يشاء من حقايق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال ولكل قوم هاد لفسدت ارض استعدادهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدر صفاتها
ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول
تربيتهم ووفقهم على التشبث بما فيه سيرهم وثبتهم على الرياضة في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي
من يشاء تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ (ع ١)
این آیات خداست میخوانیم آنرا بر تو براستی و بدرستی که تو از فرستادگانی این رسولان افزونی دادیم ما برخی از ایشان را بر برخی از ایشان
مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ
کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی از ایشان را مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم او را بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا
اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
اختلاف نکردندی و نه کارزار کردندی ایشان که پس از پیغمبران بودند از پس آنکه آمد بایشان نشانهای ظاهر ولیکن اختلاف کردند پس از ایشان کسی هست که گرویده و از ایشان کسی هست که کافر شده و اگر خواستی خدا مختلف نشدندی
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا (ع ٢)
ولیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای گروه گروندگان خرج کنید از آنچه روزی کردیم شما را از پیش آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت و نه دوستی و نه
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع
درخواست کردن و کافران ایشانند ستمکاران والتنوين وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم فيها
الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى
بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدل القدس ط من كفر ط ما يريد ه لا شفاعة

الظالمون التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الاية في اتيان التابوت وغلبة الجبابرة
على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل وفيه تشريف عظيم لجبرئيل
كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله بالحق بالوجه اليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها
حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من مثل ليعملوا واشد في الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب
ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد ذلك بقوله وإنك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيه ايضا تسلية للنبي
فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا ذكره فقال تلك الرسل اي
الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى ورفع بعضهم درجات
قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اي الى وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في
موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايد عيسى بروح القدس ومع ذلك قد قاتلهم
من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم اولئك ولكن ما قضاه
الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك وقرن ذكره بذكره محمد رسول الله في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء
ومنها انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله
ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد بلغ الى الف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على الفي معجزة او يزيد لان التحدي وقع باقصر
سورة وهي الكوثر وانه ثلث آيات وكل ثلث آيات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم
قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من
الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم
فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن
المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والا لم ينسخ به
سائر الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان يكون امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر
لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن
يا موسى إني انا الله وناديناه ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي ص فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون
خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا (اتخذ ابراهيم خليلا) وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فماذا باعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر (ماذا باعجب) من آدم اصطفاه الله عليهم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه
واسجد له ملائكته فسلم رسول الله ص على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك
وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله ص اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه فضائل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي ص
هذا سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان خاير
كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد ص اعم من نبوة سائر
الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن
العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤت احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدين بان معجزات سائر الانبياء كانت اعظم
من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم القي في النار فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد
في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس
بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجود الملائكة

لا يوجب كونه افضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبرئيل اخذ
ركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود
ايضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تأمل كتب دلائل النبوة
وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا
التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل
التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث انهم يزدرون بشأنه ويتعجبون
من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك قال انا اكرم الاولين والآخرين وانا سيد العالمين وحيث انهم يزدرون بشأن بعض الانبياء زجرهم
عن ذلك فقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن
الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا حقية جميع الانبياء
وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب ليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله
قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه انما الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت
كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيفية ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى قد كلمه الله واختلف في ان محمدا
ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله
ابليس حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل
الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كما لموسى ومكالمة الغضب وهي
الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم وكما في اهل النار اخسؤوا فيها ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد
بيان ان الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا واعطي داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة
والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على
المناصب والمراتب اما اذا حملناها على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء اوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى
من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسب للطب
لان ذلك كان غالبا على قومه ومعجزة محمد هي القرآن تضاهي ما عليه الناس في تلك من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات
متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة
الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت ان محمدا كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى ومعجزته ابقى وقومه اكثر ودولته اعظم
واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له
لمن فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله
فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات
الكثيرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا
للتعظيم وتعظيم المؤتي يدل على عظمة الايتاء واما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر
هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا
وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف اقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك
الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله اي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا و
لكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند
انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسألة خلق الاعمال ومسألة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي
تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة تقيد المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الالجاء والقسر كما يقال لو شاء
الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله
وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت اعقبه
تارة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان ياتي يوم كالوعيد انه

لا يوجب الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب ليس في الاية وعيد وانما الغرض ان يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب او يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه او لان الخوف اشد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسوق فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك آيات الله اسراره وانواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة طواغيت الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم نطقت عن بضاعة لي مع الله وقت وبليت لبشارة جبرئيل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من شرب سقيت فما اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومنامهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال عليه السلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص يمتاز به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدء الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله وجعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روي عنه عليه السلام انه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم عليه السلام في السماء السابعة وان محمدا عليه السلام ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن فضيلة الخواص انها كانت تفضيلا اياهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن جزاء الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملكا وما لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال ولا نفس في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل بنوع كان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق واعدنا الثواب حذرناهم العقاب فما اعذر ممن انذر والله المستعان

اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ
خداى يكيست نيست معبودى مگر او زنده پاينده نگيرد او را سنه خواب و نه خواب مر او راست

مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
آنچه در آسمانها وآنچه در زمين است كيست آنكه درخواست كند

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
نزد او مگر بدستورى او ميداند آنچه پيش از ايشان است وآنچه بعد از ايشان است واحاطه نكنند بچيزى

مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَ
از دانش او مگر بآنچه خواسته است فرا گرفته كرسى او آسمانها و

الْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
زمين وگران نمى آيد بر او نگاهداشتن آن دو وهمو برتر بزرگ نيست اكراه در دين

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ
بدرستى كه ظاهر شد راستى از گمراهى پس هركه كافر شود به بت و

يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ

سميع

سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

شنوای داناست خدا دوست انانست که گرویدند بیرون اورد انها را از تاریکیها بسوی روشنی وانانکه کافر شدند دوستان انها تبهایند بیرون اورند شان

مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمَاتِ اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة نعرفهما الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا

از روشنی بسوی تاریکیها انگروه یاران اتش اند که ایشان دران جاویدانند عن الضمير وخبر مبتدأ محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا

نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم

الخلق المقيد بمشيئته مبتداء ما بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الغي ج لان من الشرط مع

فاء التعقيب الوثقى قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي مستمسك بها غير منفصمة لها ط عليم آمنوا

لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لان يخرجونهم

حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام

وعلم القصص ما تقرير دلائل التوحيد اما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا الاسلوب رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان

جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وبصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وقد

قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده فذكر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي عليه السلام سمعت نبيكم وهو

على اعواد المنبر يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها

اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي عن علي انه قال لما

كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت

وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف

المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة

ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية

النصوصات ولنشتغل بالتفسير اما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب اما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ

لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ واما الحي القيوم فقد سلف ايضا معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده

ما روينا من تضرعه به ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقت الشدة في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر وهو

الدراك الفعال فاورد عليه ان هذه لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك فنحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه

الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال اَحْيَيْنَا الْاَرْضَ فان كمال حال الارض

ان يكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة

حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه الكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق

بالمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين

يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد منزه بجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في

تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين

فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم قد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في

جهة لان جهة اليها والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم لا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك

ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته

ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما

لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في

الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل وقال ابن الانباري اصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء

مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة

والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قوّوما على فعول لقيل قوّوم وعن عمر انه قرا الحي القيام وقرئ القيم ثم انه بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله

لَا تَاْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدها والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تاخذه

ابن ربيع الابرار في فضيلته

انت سيد العالمين

نعاس فضلا ان ياخذه نوم او نقول نفي الاخص وهو النوم لا يستلزم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخص
لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك وسنان
نائم ومما يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين
فجواز طريانها يوجب جواز زوال العلم الله تع فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون
حيا ولا قيوما هذا خلف روى عن النبي ص ان موسى ع سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين
مملوتين في كل واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام في اخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان انه
لو كان ينام لم يقدر حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز
على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكما وقوله له ما في السموات وما
في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه ان يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شيء
من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع وفيه رد على المشركين
والقائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كونه غنيا متصرفا في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم
بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين الشهداء
عن مجاهد وعطاء والسدي اي يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الاخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات و
قيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا
يعلمون ان الله تع اذن لهم في تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان
يراد ولا يعلمون الغيب الا بعد اعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء
لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات و
والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الانهاء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض
يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به قال ص لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله
التركيب والتلبيد ومنه الكرسي والكرس الابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركيب
خشباته وللمفسرين في معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش
وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي انه تحت الارض
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان تحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه ككونه موضع قدم
الروح الاعظم او ملك اخر عظيم القدر عند الله تع وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بمحادم اسراره
وقيل المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي اصل كل شيء الكرسي او لانه تسمية
للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي
الارض كما قال العلم اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال
والزمخشري وتقريره انه خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت
ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك وكذلك
ما ذكر في القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف
عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا و
لما توافقنا ان المراد من الفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي ولا يؤوده
لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره مع كونه مقوما للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن التحيز
ومقدس عن المترسمات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم المكان ومديم الزمان قوله
سبحانه لا اكراه في الدين لا بين لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر في اقامته على الكفر الا ان يقسر على الا
ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختيار وفيه بطلان الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يعني ظالما

الشئ واستبان فتبين وبين ايضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه اي تميز الحق من الباطل والايمان
من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت واصله طغيوت
الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يقع
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتأنيث لارادة الالهة واما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان
وعن سعيد بن جبير الكاهن قال ابو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسبابا للطغيان
لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر
لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق
به والوثقى تأنيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس هو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير ان يبين فصمته فانفصم المفصوم
من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى وقيل ان الموصول ههنا محذوف اي التي لا انفصام لها
كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم اما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك بل يكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه
ولا يكرهون وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلعم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي
لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب
وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلعم يحب اسلام اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة و
كان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد صلعم عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا اي متولي امورهم
وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان
الطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان ومن
الضلالة الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا
في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع مشابهة ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار ويروى انه صلعم سمع انسانا قال اشهد
ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله صلعم قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها والله اعلم وكل ما في القرآن
من الظلمات والنور فانه اراد بهما الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة
لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية انوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في
موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق ما يرجع الى طريقة واحدة وهو ايضا في نفسه واحد واما الباطل
فلا حصر له ولطرقه كان الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من يتسبب الى
الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وينتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار او هم مع
من يدعيهم من الوسائط والوسائل اصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم اعاذنا الله من ذلك التأويل الحي القيوم اشير بهما الى الاسم الاعظم لان
اسم الحي مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسم القيوم
دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بمعاني الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم اذ سلب الحي حي
اسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفي التعدد وثبتت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية
فقد ذكره بالاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى لانه يخرج ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة
الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حاله عند غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم اللهم لا حد محمد ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم اخ
الموت والموت ضد الحيوة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحيوة من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبى كانه قيل من ذا
الذى يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه مأذون فى الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم
من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى الف عام
وما خلفهم من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب طلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشئ
من علمه وانما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم كلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امورا خرتهم واحوال اهل الجنة و
النار وهم لا يعلمون شيأ من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش فى عالم الانسان قلبه ومثال الكرسى سره
وسوف يجئ تمام التحقيق ان شاء الله تعالى فى قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى
سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانسانى حفظ اسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما اظهر المخلوقات من العرش
والكرسى لقلب المؤمن وسره علوا فى المرتبة وعظمة فى الخلقة اظهار الكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء
هو الملك البديع الثنا فقال وهو العلى العظيم من علي فى الاخرة والاولى فاعلاء من عظم فتعظيمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لا
اكراه فى الدين كما قال عليه السلام ليس الدين بالتمنى مع ان التمنى نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الله
ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح معنى الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت تبرأ منه فطاغوت العوام
الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان
الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله وانابة القلب الى الفنا
فى الله احلاء السر للبقاء بالله هذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلى تبت اليك اى عن هذه
الافاقة وكان مخصوصا عن غالبى امته بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت
به من بينهم وحدى ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من الحدثان المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا يكون
انقصم من بطشه والا كانت منفصمة بل يكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعات
وللخواص مزيد العناية والمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تقيهم عن ظلمات الغيرية وتفنيه بنور الربوبية ولهذا قال عليه السلام جذبة
من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين اعمالها فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب
لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر و
الضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء
والمحبة من قبل الكفار لهم اولياء الطاغوت كقوله اندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان
او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها
فوق بعض ودركات بعضها تحت بعض اولئك اى ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم يكن من
جلتهم لكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربى الذى ٣ع

آيا نديدى بسوى آنكه حجت كرد با ابراهيم در پروردگارش كه داده بود خداى او را پادشاهى چون گفت ابراهيم كه پروردگار من آنست

يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر

كه زنده ميكند وميميراند گفت من هم نيز زنده ميكنم وميميرانم گفت ابراهيم پس بدرستيكه خدا مياورد آفتاب را از سمت مشرق پس بيار تو آنرا از سمت مغرب پس درمانده گشت آنكه كافر بود

والله لا يهدى القوم الظالمين او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها

وخدا راه ننمايد گروه ستمكاران را يا چون آنكسيكه گذشت بر ديهى كه آن فرود آمده بود ديوارهايش بر سقفهايش گفت كه چگونه زنده كند اين را خدا پس از مرگش

فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك

پس ميراند او را خدا در مدت صد سال پس زنده كرد او را گفت كه چه قدر درنگ كردى گفت درنگ كردم روزى يا نصف روز گفت بلكه درنگ كردى صد سال پس بنگر بسوى طعام خود وشراب خود

لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم

كه متغير نشده وبنگر بسوى خر خود وتا گردانيم ترا نشانه از براى مردمان وبنگر بسوى استخوانها كه چگونه برداريم آنها را پس بپوشانيم آنرا گوشت پس چون ظاهر شد مر او را گفت ميدانم

ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

پس فراگیر چهار عدد از مرغان پس جمع کن آنها را بسوی خود پس بگذار بر هر کوهی ازان مرغان جزئی را پس بخوان آنها را بیایند بسوی تو شتاب و بدان که خدای غالب

حَكِيمٌ القراءة ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ واشباه ذلك متسنه بالهاء مثل فبهداهم اقتده ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزه وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كشكل الحمار بالامالة علي غير ليث والي حمدون وحمدويه النجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزه في رواية ابن سعدان وابي عمر وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد وجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرا ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ وامت ط لكفر ط الظالمين لا للعطف بل وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب في الجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما مع وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحاط النظام البنا له لا لان قال جواب لما قدير الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم لانه لا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان اتاه الله اي لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وروي ان الكافر دعا شخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عم لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الدليل الى دليل اخر اوضح من الاول فقال فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول وفي المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب عند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابرهيم عم لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر تدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم عم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لابد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهو اذن محرك الارض والسموات قلت وفيه ايضا طريق اخر نذكره في التاويلات ان شاء الله تعالى فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما و

معنى ابراهيم مناظرة ملك ان ...

وافصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائى والله لا يهدى القوم الظالمين
فلهذا لم ينفعهم الدليل وان بلغ فى الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره وبمشيئته وارادته القصة الثانية
قوله سبحانه او كالذى مر ذهب الكسائى والفراء والفارسى واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارايت كالذى حاج ابرهيم او كالذى
مر ونظيره من القران قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة
والتقدير الم تر الى الذى حاج ابرهيم او الى الذى مر وعن المبرد انما يضمر الفعل فى الثانى والتقدير الم تر الى الذى حاج الى ابرهيم او لم تر الى مثل الذى
مر واختلف فى المار بالقرية فعن مجاهد عليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا فى البعث لان قوله انى يحيى استبعاد وانه لا يليق
بالمؤمن ولانه تعالى قال فى حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله واعلم ان الله على كل شىء قدير وذهب
سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال انه
ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبى الذى بعثه الله عند ما خرب
بختنصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير على ما يجىء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيى هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و
بانه تعالى يصح منه الاحياء فى الجملة والاستبعاد انما هو فى القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم فى قوله قال كم لبثت وفى قوله وانظر ولنجعلك
وفى نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روى عن ابن عباس ان بختنصر غزا بنى اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء
بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف فى القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اى من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك فى القدرة بل بسبب اطراد العادة فى ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصير
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله فى منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى
عنه فى موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودى من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا
عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية انى جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل
عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت
الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير وقال اعلم ان الله على كل شىء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا
اباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه
يقرأ التورية فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد دفنت فى موضع
واخرجت فعورضت بما املاه فما اختلفا فى حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت
المقدس وقال ابن زيد هى القرية التى خرجت منها الالوف حذر الموت معنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا
سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت
على سقوفها المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى
معنى عن اى خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال فى الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا
بعد خبر كانه قيل هى خالية وهى على عروشها اى هى قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان
وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان
الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اقرب فيكون ادخل فى كونه اية
ثم بعثه اى احياه كما كان او لاعقلا لانه مستعد للنظر والاستدلال فى المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اى
كم مدة فحذف المميز والحكمة فى السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم
ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت لما
شاهد من نفسه فى حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اى لم يات عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكانها لم تات عليه وعلى هذا فالهاء
اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات فى الجمع وسنية فى التحقير وقولهم سانيت الرجل مسانات اذا عاملته سنة واما اصلية على
ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة فى التصغير وقولهم اجرت الدار مساناة وقيل اصله يتسنن اما من السن هو التغير قال تعالى من حما مسنون
اى متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على ما نقل الواحدى من ان اصل سنة يجوز ان يكون سننة بدليل سنينة فى تحقيرها وان كان قليلا وعلى

النقد بر من ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي الفارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير حاصلا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فراه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث راى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول المدة لمشاهدة عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انجعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر كانه قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحيوة يكون كالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب للنشز وهو ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فراها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق لمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وفي قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا او التقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا اوردنا القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر ح يعود الى شيء آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستانف من الزمان اي ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيها بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة الثالثة قوله عز طوله واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الم تر الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهو انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم اثنى على الله اولا بقوله ربي فاري ذلك في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه راى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه بزوال الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسئل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم في درجات العبودية واداء الرسالة

وفي قصة ابراهيم عليه السلام نكات

خطر ببالي لعلى اكون ذلك الخليل فسئل الله احياء الموتى فقال الله أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي على انى خليلك الرابع لا يبعد ان يقال
انه لما جاء الملك الى ابرهيم اخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الاتى ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في
الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيى الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله من عيسى وانه من اولاده السادس امر بذبح الولد
فسارع الى ذلك فقال الهى امرتنى ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فامرنى بان تجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصصه الله بهذا
التشريف في الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الاخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما
ان ابرهيم عم كان شاكا في المعاد فلا ينبغى ان يعتقد فيه ومن كفر النبى المعصوم فهو بالكفر اولى كيف يظن ذلك بابرهيم عم وقوله بلى اعتراف بالايمان
وقوله لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذى جاء في الحديث من قوله عم نحن احق
بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الاية قال بعض من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلعم تواضعا منه وتقديما لابرهيم
على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أَوَلَمْ تُؤْمِن للتقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا
وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه عم كان مؤمنا بذلك عارفا به ان المقصود من هذا السؤال شيء اخر واللام
في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اى ولكن سئلت ليزيد قلبى سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف
المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء اخر فلا اشكال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ
عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اى املهن واضممهن اليك قال الاخفش يعنى وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها
وحلاها كيلا يلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها ولك في الاية حذف كانه قيل املهن وقطعهن ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ومعنى صرهن قطعهن
قطعهن فلا اضمار يروى انه امر بذبحها وينتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال التى بحضرته وفي بعضها على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم عم لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر
عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اى فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس
لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ اى الطيور لا الاجزاء يَأْتِينَكَ سَعْيًا وزيف قول ابى مسلم بانه خلاف
اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية واتقان ظاهر الاية تدل على انه اجيب الى ما سئل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة
ولان قوله عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله عَلَى كُلِّ جَبَلٍ جميع جبال الدنيا
فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال
على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكان سبعة ما قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا
فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعى هو الاشتداد في الحركة
مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالاية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا
على السعى والعدو قال القاضى دلت الاية على انه لا بد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول الموت لا يدل على وجوب
المفارقة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول الادراك لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست
شرطا للحيوة وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب على جميع الممكنات حَكِيمٌ عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التاويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا
قبله ادعى الربوبية بما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف
لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فيتوجه كل الى نفسه ما الى عالم الحس موافقا البشرية الطبيعية لانه مخلوق من تراب طبعه ليميل الى السفل فيرى الكمال
في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار
الجبابرة فيقول انا احيى واميت انا ربكم العالم ربى ما اجملا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية
النبى عم ومن ينوب منابه هو الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ يعنى كن فانيا عن وجودك
بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غيره وجوده فافهم جدا وان لم تكن مجدا فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى
ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ عرض على
قول الكافر انا احيى واميت والمراد انا رسال النفس الناطقة للبدن بل البدن لطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك انا هذا
فيتانى منك فامسكها عنده وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه ايضا الفناء ثم من مات فقد قامت قيامته فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ لانه ان امكنه
ان يدعى الاحياء بمعنى انفاذ الروح فهو طلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعى الاماتة بمعنى قبض الروح من غير الة القتل فهو الاتيان بالشمس من

المغرب فهذه طريقة عند لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي وحجته عقيب الدعوى بقوله تعالى أو كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اقرارهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتعوقت بالعلوم الكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن بعد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب بحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورأفته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بان امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزير الروح حيى معه حمار الجسد كما ان عزير الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس مشربهم شربنا واهرقنا على الارض قسطها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة من خليله وذلك قوله رب ارني كيف تحيي الموتى فيفوح منه رائحة قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير الغضب والتعب ودب بادب الخاطي الجاني وعرك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان ينبسط تارة مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك ويعربد اخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل حاول قدمه في اداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انا اول ما شاب شيبة ابرهيم ويجوم غدا بالكسوة ان اول من يكسى ابرهيم ولما ابتلي في ماله فبذله للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبرئيل فقال اما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من تاب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر العداوة لغير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب ارني ولا تنقص ان تسأل شيئا فقال اوب ما يكون وقت سؤاله شعر ولست حديث العهد شوقا ولو عتقت حثيث هواكم في حشاي قديم * ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير بسؤال نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل فرصته لما مول فادرج في سؤال السؤال ما خفي سره وهو ادنى في علته وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى فاول ما فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلثة معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في لفظة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة ببلى سر السرى بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان او الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سألتك ليطمئن قلبي بما تريد او بلى امنت بميعاد رؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق واضطراب قلبي من غاية يقيني او بلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توامان وفي مذهب الملاح الطلب والسبيل سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يري جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب فيقول انظر الى كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الجليل من اضطراب قلبه واضطراب حالة وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه وحقق رجاه وقال فخذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب مني بحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فمهما تموت عن صفاتك تحيي بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان من التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهذه الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص يكون معه حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما والنار في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابرهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلثة الحيوانية والطبيعية والانسانية في الملكوت فهذه الجبال كالاشجار و

والزروع واجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك وينزلي بتربيتها ويتصرف فيها
الروح الانسانى فيجيبها بنور وهو من خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات ميتة عن صفاتها حيّة باخلاق الروحانيات هذه الخواص الخلق الذى
الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد محو هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيى فيحيى هذه الصفات الفانية
عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد فى تلك الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش كما ان اميا يقول لكاتب ربى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه فى يد الامى واخذ يده
بيده ليكتب فيظهر الكتابة من يد الامى على الصحيفة ففى تلك الحالة يظن الامى انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومنى فنيت بك
عنى ؛ ادنيتنى منك حتى ظننت انك انى ؛ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامى فعلم الامى انه امى والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو
الكاتب والى الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اى ذنب حسبان انك كاتب وانت منى امى عربى بما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله
عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهى صفة المحيى لمن اراه من آياته وهى كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج
كما قال لقد راى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارنى والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هى وذلك لعلو مرتبته وهمته
ورفعة وكمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا
تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة فى الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية
الاشياء فقال كما هى وهذا هو الملك الحقيقى الذى لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره
الا من يليق بذلك من مخلوقاته مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِيْ كُلِّ سُنْۢبُلَةٍ مِّائَةُ ع
مثل آنهائى كه خرج كنند مالهاى خود را در راه خدا چون مانند دانه ايست كه برويانند هفت خوشه كه در هر خوشه صد
حَبَّةٍ وَاللّٰهُ يُضٰعِفُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ اَلَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُوْنَ مَآ اَنْفَقُوْا
دانه باشد و خدا مضاعف مى كند براى آنكه خواهد و خدا محيط و داناست آنانكه خرج كنند مالهاى خود را در راه خدا پس از پى در نيارند آنچه را كه خرج كرده اند
مَنًّا وَّلَآ اَذًى لَّهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ قَوْلٌ مَّعْرُوْفٌ وَّمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَّتْبَعُهَآ اَذًى
منت و نه آزارى مر ايشانراست مزد ايشان نزد پروردگار ايشان نه ترسى بر ايشانست و نه ايشان اندوهناك شوند گفتار نيكو و آمرزش بهتر است از صدقه كه در پى آن رنجى باشد
وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيْمٌ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُبْطِلُوْا صَدَقٰتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى كَالَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهٗ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ
و خداى بى نياز است و بردبار اى آنانكه ايمان آورده ايد باطل مسازيد صدقهاى خود را بمنت نهادن و آزار كردن چون كسى كه خرج كند مال خود را بجهت نمايش بمردمان و نگرود بخدا
وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهٗ وَابِلٌ فَتَرَكَهٗ صَلْدًا لَا يَقْدِرُوْنَ عَلٰى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوْا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي
و روز واپسين پس مانند او مانند سنگى كه بر روى آن خاكى باشد پس برسد آنرا باران تند پس بگذارد آنرا سخت و توانائى ندارند بر چيزى از آنچه كسب كردند و خدا راه نمايد
الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِۢرَبْوَةٍ اَصَابَهَا
گروه كافران را و مانند آنانكه خرج كنند مالهاى خود را از جهت خواهش خوشنودى خدا و از جهت پايدارى نفسهاى خود چون مانند بستانيست در بلندى كه برسد آنرا
وَابِلٌ فَاٰتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَاِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُوْنَ لَهٗ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيْلٍ
باران پس بيارد ميوهاى او دو چندان پس اگر نرسد آنرا باران پس شبنمى و خدا بآنچه ميكنيد بيناست آيا دوست دارند يكى از شما كه باشد مر او را بستانى از درختان خرما
وَّاَعْنَابٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ لَهٗ فِيْهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهٗ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَاَصَابَهَآ اِعْصَارٌ فِيْهِ
و انگورها كه روان باشد از زير آن جويها و مر او را باشد در آن از هر ميوه پس برسد او را پيرى و مر او را فرزندان كوچك باشد پس برسد آنرا بادتندى كه در آن
نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف و
آتش است پس بسوزد همچنين ظاهر كند خدا از براى شما نشانها را كه شايد شما انديشه كنيد هشام وسهل يضعّف بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف
وبابه رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشمونى والحرابى عن ابن فليح وحمزة فى الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلى غير ليث وابى
حمدون وحمدويه ورويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القران بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون
بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع وابو عمرو وفيما اتصلت بالهاء والانف بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل
الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ج عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون اذى ط حليم والآخر للتعلق كاف
التشبيه اى ابطالا مثل ابطال الذى الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين صعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير
الانهار لا لان ما بعده صفة الجنة الثمرات لا لان الواو للحال الضعفاء من والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط لتناهى مقصود الاستفهام
والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا فى حال كذا تتفكرون نصف السبع التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام
اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضى فى كيفية النظم انه تعالى لما اجمل فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

حل

فصل بعد ذلك بهذه الاية الاضعاف مما ذكر من الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر
لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك واكملت نعمى عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتى على
المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن
الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبى ليرغبوا فى المجاهدة بالنفس والمال فى نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى
لما بين انه ولى المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن فى سبيل الله وما ينفق الكافر فى سبيل الطاغوت قلت
لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التى يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه حكاية فقال مثل الذين ولا بد من اضمار
ليصح التشبيه اى مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة ولم توجد على انه قد يوجد فى الجاورس والذرة و
غيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلثة قروء فى اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اى تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين فى الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك فى مشيته والله واسع كامل القدرة على
المجازاة لانه فيض غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل
عنده ثم لما عظم امر الانفاق ردف ببيان الامور التى يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال
تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح سائله ومن ومنع نائله وضن وذلك لما فيه من
انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوى الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطى هو الله اذ كان العبد
فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا تتجاوز نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار
الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما
اذله فيقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وما علم الله ما بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما اولى لانهما نكرتان فى سياق النفى لهم اجرهم وقال فيما يجىء فلهم اجرهم لان الموصول هاهنا لم يضمن معنى
الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنالك
الانفاق وتمهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا يخافون
فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب
ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل
الكبائر حيث تخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان
ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى
لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف يقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن وعدة حسنة ومغفرة عفو من
السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رده بغير مقصوده ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وعفو عن جهة السائل
بان يعذره المسئول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الاعطاء الايذاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب
النفع بعقاب الضرر اما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فيه فكان الاولى من الناس من خصص الاية بالتطوع
لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق بما وجه المن حليم
عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذى وغير المؤذى مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير كالذى اى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائى بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب
الاخرة ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه
المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقى
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذى ولعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا
الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان
على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط
والتكفير وعلى مذهبنا العمل لفظا كالتراب والمان المؤذى والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان
مشبه بما اذا طرح بذرا فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقى مستوعا بذره خاليا لا شئ فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

الثان بالمرائى المنافق ثم شبه

فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى فى ذلك التراب الكائن على
الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين فى قرن
شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى ماله ان من والذى متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه
اشير بالذى الى الجنس والجنس فى حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب
الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والله لا يهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم
عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله لطلب مرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون
انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه ويعضده
قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها فى موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة
والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض
نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره فى الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم ومن
على هذا للابتداء وخرجوه بالثواب هو المراد بالتثبيت عن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا فى طلب المستحق وصرف المال فى وجهه قال
الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من
حظوظها فهنالك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد بحصول ملكة
الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤه
ونوريتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله كمثل جنة بربوة وهى البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع
ومنه الربو لزيادة التنفس والربا فى المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده
عن الماء وربما يضربه الرياح كما ان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة
حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل فى مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغى ان يكون هذه الارض
بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اى ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد وقيل مثلى ما يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل
يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها لكرم منبتها والمراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل او كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع
كسبه قل او كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازى بحسب
النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا آخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار
البالغ اى لا يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب لان الجنة انما تكون منهما الكثر فيها الثانى
تجرى من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد فى رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب بالذكر لانها اكرم الشجر
واكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اى صبيان واطفال فاصابها اعصار
ريح تستدير فى الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل فى المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له
جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح شاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة
فكم يكون فى قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق المن والاذى كان ذلك كا
الاعصار الذى يحرق تلك الجنة ويورثه الحسرة والندامة التأويل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم
وقلوبهم فى سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير فاخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى
قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعين حتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال ما بينا صفاء الاوقات
وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام بامورهم فى تشفى ما فى صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا
ليصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فى طلبه لا فى طلب غيره من الثناء او الجزاء
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك فوجب لى
عليك اجرى ولا اذى بان يطلب من الله غير الله رأى احمد خضرويه ربه فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى لهم اجرهم عند
ربهم نزلهم فى مرتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله فى طلب المعروف ومغفرة له

والله

وانلم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذى طلب غير الحق من الحق والله غنى عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار
فى الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض
ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن بطل حقوقه فى الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك فى الصدقة
طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال لولا الفقراء لهلك الاغنياء اى لم يجدوا سبيلا
الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغنى لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائى كمثل صفوان عليه تراب
هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شىء مما كسبوا اليتوسلوا به الى الله والله لا
يهدى القوم الكافرين بنعمة طلبته وجماله بحرمانهم عن وصاله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتخليصا لقلوبهم فى طلب الحق ومرضاته من حظوظ
نفسهم كمثل جنة هى قلب المخلص بربوة فى رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت
اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطى
اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطى اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطى اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطى اهل
الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولا استيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم
ضرب مثل الروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق فى احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس
السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنة هى منظور نظر العناية تجرى من تحتها الانهار الهداية واصابه لصاحبها ضعف الانسانية
وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية فى غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البرفيه نار من الرياء و
النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون فى احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطرى فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم فى طلب امالكم وتستعدوا للموت قبل حلول
اجالكم والله المستعان وهو حسبى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
اى زمره گروندگان خرج كنيد از پاكيزهاى آنچه كسب كرده‌ايد واز آنچه بيرون آورديم از براى شما از زمين وقصد مكنيد
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد الشيطان يعدكم الفقر و
ناپاك را از ان خرج كنيد وحال آنكه نيستيد گيرندگان آن مگر كه چشم پوشانيد در آن وبدانيد كه خدا بى نياز ستوده است شيطان بترساند شما را از فقر و
يامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
وا دارد شما را بخصلت ناشايسته وخدا وعده كند شما را آمرزش از او وزيادتى وخدا محيط وداناست ميدهد حكمت را بآنكه خواهد وهركه داده شود حكمت پس
اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين
داده شده است خوبى بسيار ومتذكر نشوند مگر صاحبان خرد وآنچه خرج كرديد از مخارج يا نذر كرديد شما از نذر كردنى پس بدرستى كه خدا ميداند آنرا ونيست
من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله
ياورى اگر ظاهر سازيد صدقهارا پس خوبست آن واگر پنهان داريد آنرا وبدهيد آنرا بفقرا پس آن بهترست مر شمارا وببرد از شما نشانهاى شمارا وخدا
بما تعملون خبير ليس عليك هديهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء
بآنچه ميكنيد باخبرست نيست بر تو هدايت ايشان ولكن خدا راه مينمايد آنرا كه خواهد وآنچه انفاق كنيد از مال پس مر نفسهاى شماراست وآنچه خرج كنيد مگر بجهت خوشنودى
وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون
رضاى خدا وآنچه خرج كنيد از مال تمام باز داده شود بسوى شما وشما ستم كرده نشويد مر درويشان آنانكه بازداشته شدند در راه خدا نتوانند
ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله
رفتن در زمين را پندارد ايشان بيخرد مالداران از خودداری مى شناسى ايشان را بعلامتها سئوال نكنند مردم را بالحاح وآنچه خرج كنيد از خوب پس بدرستى كه
به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ع
خدا بان داناست آنانكه خرج كنند مالهاى خود را در شب وروز در پنهانى وآشكارا پس براى ايشانست مزد ايشان در نزد پروردگار ايشان ونيست ترسى بر ايشان ونه ايشان اندوهناك شوند
القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزى وابن فليح التاقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اى من يؤتيه الله الباقون بالفتح
فنعما هى ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هى بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلى وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما
بكسر النون والعين والميم مشددة فى القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلى ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر
وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلى

اقبل على الباطل فقد

ابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف من الارض ج لعطف المتعففين تعرفهم بسيمٰهم ج الحافا ج
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب وعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ج وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب يعلمه ط انصار فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون
او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتغاء
وجه الله ط لا يظلمون في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ج لان تعرفهم يصلح استينافا
والحال وجه اى يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استينافا
فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا عليم ج عند ربهم ج يحزنون ه التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اى من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن علي والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فقال النبي ع بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكتسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روى انه ع قال الصدقة في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله ص
فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعي بالعث وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها واتفقوا انه لا يجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي ع قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها فهو مذكور في الفروع
فلذلك لطولها المنتزع فيها واما المراد بالطيب في الاية فقيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون بر
ذالة اموالهم فنهوا عن ذلك لان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد بما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا
وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان الماخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردي فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من ردي مالك ولا يكلف ان يجعله من اجوده
لقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتاممه كله بمعنى قصد ثم محل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اى لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البائع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذره عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله في الشر مجوزا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق

للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا الا الجيد كله والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه وعلى تقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص وفي المغفرة تكفير الذنوب وفي التنكير فيها دلالة على الكمال والتعظيم لا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق حصل الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز ما وعد عليم يجازي من تفق ثقة بوعده ويجازي من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما زينه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى بمعنى النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القران بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب لذلك سأل ابراهيم رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اي محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية عطاء من الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا انهم وسعوا الدائرة اذ لابد من الانتهاء اليه نه سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول اما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما لزمه ما عليه عند ذلك تقدم او تجمع ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثها عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه

وما انفقتم

او دخل او لم يخرج فللعلماء ثلاثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث
التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او
رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان
يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لاطلاق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي
واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا وكنذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر
في معصية الله ثم ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد وذبح نفسه واذا لم ينعقد نذره بفعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى
لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكر فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة
والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها
اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام
والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة
المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا
قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير
تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي وللرياء او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع نصير
كالاصحاب في صاحب جمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف
لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل الثاني عام في حق كل الظالمين وفي كل
الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا
على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية
فنزلت ان تبدوا الصدقات فنعما هي والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره
اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد
كما له في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فهو على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما روي في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة
ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تأويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجبائي تما
ان يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فانه هي مخصوص بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات
فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس
فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة
والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها
في طريق الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال
افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل
من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر
الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة وظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال
المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز
اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى غيره به ولم يبعد الحال التهمة فان يكون الاظهار افضل وروى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال السر افضل على من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك

مطلب الصدقات

الشهوة

الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا
كما روي عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته
وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان
يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى
واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب
الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه صلعم كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفرض
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف
الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خَيْرٌ لَّكُمْ انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاۤءَ لان المقصود
من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة
فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ من قرا بالنون مرفوعا
فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتداء محذوف فقوله
فَهُوَ خَيْرٌ في تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة
ومن قرا مجزوما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرا ويكفر بياء الغيبة مرفوعا
فالاعراب كما في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان و
معناه وَاِنْ تُخْفُوْهَا يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله مِنْ سَيِّاٰتِكُمْ يحتمل
ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن احوال العبد
ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة
وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلعم عمرة القضاء وكانت معه
اسماء بنت ابي بكر فجاءها امها قتيلة وجدتها تسئلانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلعم فانكما لستما على
ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰىهُمْ فامرها رسول الله صلعم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي
ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوهم ان يسلموا واستامروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلعم لا تصدقوا الا على اهل دينكم
فانزل الله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰىهُمْ فقال رسول الله صلعم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه
غيره ومعنى الاية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم
وذلك انه صلعم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمه الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا للدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا ولم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم
الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا
وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاۤءُ اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الالجاء والمثبت الثاني ومنه يعلم
ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك
ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِيْ
مَنْ يَّشَاۤءُ يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظ قوله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰىهُمْ انه خطاب مع النبي ولكن المراد به امته لانه قال
عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ خَيْرٍ من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم ولا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وَمَا تُنْفِقُوْنَ اِلَّا ابْتِغَاۤءَ وَجْهِ اللّٰهِ اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم وسد خلة
مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا
وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا
قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مط وابهم قول القائل فعلت هذا
الفعل له يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ خَيْرٍ يُّوَفَّ اِلَيْكُمْ جزاؤه في الاخرة
اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وَاَنْتُمْ لَا تُظْلَمُوْنَ لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين

يجوز صرف الصدقة الى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء او الفقراء هم كما لو تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا فى سبيل الله اى حصروا انفسهم ووقفوها على الجهاد فى سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع الصدقة فيهم يكون اوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات فى الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا فى الارض اى سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يفرغون للكسب بالتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم التعفف اظهار العفة وهى ترك الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد او كل احد بسيماهم والسيماء العلامة التى يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزن فعلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدى اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابن زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهيئة فى العيون وقيل اثار الفكر يروى انه كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسئول لزوم اللحاف الستر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف قيل معنى الاية انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحفوا واورد عليه انه ينافى التعفف الذى وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفى السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغنى عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثانى وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله قل لقول لما اذا ما تنازعنى لعلى او عسى وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفى السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح فى بعض الاوقات كانه يقول اذا ارقت ماء وجهى فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون فى حال سكوته انطق مما يكون فيرق له القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير خالقهم عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسئل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذى هو اعظم المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الاية المتقدمة فانه لما رغب فى التصدق على اهل الاديان قال فى آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذى حسن عنده موقع خدمته انى بحسن خدمتك عالم ومحقق عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشد فى خاتمة الايات الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى فى اى فى الليل او النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اى فى اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اى انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق قيل لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الاية وفى تقديم ذكر الليل تقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة السر افضل وعن ابن عباس ما كان لعلى الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فنزلت الاية وقيل نزلت فى ابى بكر حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل المرتبطة فى سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية والله تعالى اعلم

التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها الوفاء بطيب الحلال فليتقبل الله منه ولو قرن بالجودة فليجز به بجوده وثانيها الثبات على التعظيم لامر الله وثالثها الثبات على الشفقة على خلق الله ورابعها الثبات على الايثار ويؤثرون على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الثبات على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسب يده وفى الاية

معنى خر لطيف انفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
وليكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة الالتفات والنظر في الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فالله قبول طيب من الوسايط فيأخذها بيده ويربيها قبل ان يقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في
انفاقها فالله قبول طيب فانما ابلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فالله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من
اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله ان الله طيب لا يقبل الا الطيب ولستم بآخذيه هذا الخبيث لا في اصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب طينة طيبة فالروح من الطيب طائب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتقبلوه تكلفا وقرا كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غني فمن كمال غناه اراد ان يغنيكم بثواب الانفاق حميد على انعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال الابدي الشيطان يعدكم
الفقر ظاهرا فهو ويأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفو والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة
وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب سوسته فسوف يبتلى بهذه الافات اضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق فاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله
واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه ابواب حكمته عاجلا كما
قال يؤتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجور للمنفق في المفروض والمندوب وما
للظالمين الذين وضعوا الشئ في غير موضعه فبدلوا الانفاق بالنفاق والاخلاص بالرياء من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ابدا الصدقات
ضد اخفائها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله عم سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي
عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل صدقته يوم القيمة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة
وان كانت في طلب الهوى كان في ظل الهاوية فعني قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها للطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب بحظ فنعما هي فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلائق على رب العالمين لكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية مخصوصا بمشيئتنا ولوايح برهاننا
انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي احصره المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له في المشرق مذهب ولا في المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كأن فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما يزداد
ملولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغرة وليائي تحت قبابي لا يعرفهم
غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيري ما رأيت اذ رأيت ولكن الله رأى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم
لا يرى بالبصر الانساني بل يرى من نور الرباني فمن سيماهم في الظاهر من ظهور آثار احوال الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا الا بتعليل ولا بكثرة لان
آثار انوار قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او
خدمة بالنفس او اكرام وارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم في الظاهر انهم اذا وجدوا
مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا
على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الاخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ربنا

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
آنانکه میخورند سود را برنخیزند مگر چنانکه برخیزد کسی که بربایند اورا دیوان از رسیدن این بآنجهت است که ایشان گفتند که جز این نیست که بیع مانند ربوا است
واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
و حلال کرد ایند خدا بیع را و حرام کرد ربا را پس هر که آمد او را پندی از جانب پروردگارش پس باز ایستاد پس مراو راست آنچه پیش فرستاد و کار او با خداست و هر که بر گردد پس آن گروه یاران
النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
آتش اند ایشان در آن جاویدانند نابود میکند خدا سود را و افزون میکند صدقها را و خدا دوست ندارد هر ناسپاس گناهکار را بدرستیکه آنانکه ایمان آوردند و کردند کارهای شایسته

الله فالمراد ان المرء يكون في ظل

منزل

وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ
و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوه یابند ای گروه آنانکه گرویده اید بپرهیزید خدا را
وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ
و واگذارید آنچه را که باقی ماند از سود اگر هستید باور کنندگان پس اگر نکردید پس اعلام کنید بجنگ از خدا و رسول او و اگر توبه کنید پس شما راست سرمایهای شما
لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ وَاتَّقُوْا
ستم نکنید و ستمکرده نشوید و اگر بوده باشد تنگدست پس مهلت دهید او را تا زمان فراخی و صدقه دادن شما بهتر است مر شما را اگر باشید دانشمندان و بپرهیزید
يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا
از روزی که باز گردید در آن بسوی خدا پس تمام داده شود هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستمکرده نشوند اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله
وما آتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابوبكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير
همزة اي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة
بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد
الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب غير عباس يحيى الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا
كيلا يظن ان ما بعده من قولهم ان امكن جعل واحل حالا الا باضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج
النار ج خالدون الصدقات ط اثيم صندبهم ط يحزنون مؤمنين ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف وحال عامله معنى الفعل في لام
التمليك ولا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا
مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما امر بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالكسب الحرام وهو
الربوا والحلال هو البيع وما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين يأكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بمعظم
مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلعم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف الى المأكول فيؤكل
فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف
والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة
وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا
المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه
كان لا يحرم الا القسم الاول كان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى
الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا
بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اراني والياك في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن
سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني ان رسول الله
حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس قوله تعالى واحل الله البيع مثلا ولبيع الدرهم بالدرهمين قوله وحرم الربوا لا مثلا وله
لان كل زيادة ليست محرمة فوجب ان يبقى على الحل وانه لا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة وقد تاكد هذا الرأي
في السنة وفي رواية ولا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سئل البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله فسئلنا
رسول الله صلعم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسيئة فلا يصح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسيئة
فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت
فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى معمر بن
عبد الله قال كنا نسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام مثل بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق
كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلعم قال الذهب بالذهب وزنا
بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز
وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت ويصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى ثبت الربوا في الجص والنورة
وعن احمد روايتان كابي حنيفة والاخرى كالجديد اما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية
الغالبة فيثمن التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال
احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا

ثلاثة ارباع

بما روی عن ابن زید ان النبی ع قال الربا صح

فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم من غير عوض واخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله ص حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزايد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزايد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل انه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ
ما لا زايدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشوا وتخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تع طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان يمس بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تع وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا وذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله مِنَ الْمَسِّ متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي لهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يوم اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فاربا الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تع إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا وذلك ان الشيطان يدعوه الى طلب
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثه الخبط في الاخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه
وبين الله تع ذلك العقاب بسبب قولهم إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
البيع به الا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع من حق القايلين ان يشبهوا محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسية فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والمبايعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال شديد
الحاجة الكثيرة في المال فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تع عنها بحرف واحد وهو قوله
أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس مرة الله تع بالسجود فعارض النص بالقياس وقال
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما يحصل لهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل
الربوا من الكباير ويجب ان يصل مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لانه لو جعل من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تع عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ لايقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي
في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله المبايعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله ص من الدنيا وما سألناه عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضنا قطعا
وجب الرجوع الى بيان النبي فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ فمن بلغه وعظ من ربه فَانْتَهَى امتنع من استحلال الربوا واتبع النهي فَلَهُ مَا سَلَفَ فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ عن الزجاج التنوين في موعظة للتعظيم وللتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف نيا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي وقال السلف النقد
ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تع لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان قد بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب المرئي ان كثر ما له من الربوا عاقبته الى الفقر وتزول البركة عنها وعن ابن مسعود

ان النبي صلعم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه ببغضهم اياه ولسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله
منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا تقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت فيبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضرب به فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل ويميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه حتى اشتهر منه انه منتهز لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كما يقال الاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو فعيل
المبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ووجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكرام والالجاء فتبقى الآية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل الخطاب ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام ليسا اهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الآية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة وورد بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد ذلك النقد حاضر
متى شاء البايع اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انهم لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله لما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف قال الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان
كان اخا ما كان الكرم ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان ويا ايها الذين آمنوا بالسنتكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت ووطن نفسه
على ان ذلك الزيادة حصلت له فنفطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الآية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف في بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلعم فنزلت هذه الآية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمن بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف
وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي

الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فأذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اى فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فأذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربوا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وهم المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فأذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا
من لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس فى علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة
فى الابلاغ اكد ومن قرأ فأذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اى كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء فى الخبر من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا فى قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد فى كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر مانعى الزكوة وكذا
القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا ومن معاملة الربوا فلكم رءوس اموالكم لا
تظلمون الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان
هى التامة بمعنى وجد الشيء وحدث فتكتفى بفاعله لا بمعنى حدث موصوفية الشيء فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان
كان الغريم والمشترى ذا عسرة وقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشترى بل يعم غيره من ارباب العسرة وهى اسم من الاعسار
وهو تعذر الموجود من المال فنظرة النظرة التأخير والامهال وفى الاية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على الامر اى سامحه بالانظار او ناظره اى صاحب الحق منتظره او صاحب نظرته مثل مكان عاشب اى ذو عشب الى ميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا فى ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام فى الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدى وابرهيم الاية فى الربوا قال الكلبى قال بنو عمرو لبنى المغيرة هاتوا رءوس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فاخرونا الى ان ندرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة فى كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو
فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابى حنيفة والشافعى والاعسار
فى الشرع هو ان لا يجد فى ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له مال لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا وثوبا لا يعد من ذوى العسرة اذا امكنه
بيعها واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يوم لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم هل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب
الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه به لا يلزمه القبول اما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا
ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة فى اعساره جاز ان يحبسه الى
ظهور الاعسار وكذا لو ادعى الغريم ان كان الدين الذى لزمه حصل له عن عوض كالبيع او القرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك (واذا ادعى الاعسار)
وان لم يكن عن عوض كالاتلاف فحينئذ هو مصدق فى القول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين بدل
على ان فكر المسرة ذكر راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى ان كنتم تعلمون ان التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يأمركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وضعف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام
الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال ولا اتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصى وفعل الاوامر فى الدنيا فهذا القول
يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اى الى ما اعد
لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا ولا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى
فضاء وهنالك يرى للابوين ولغيرهما تصرفا فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا او فى الحقيقة الا لله تعالى فكانه عاد الى
الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى جزاء ذلك او المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل المال يحصله بتجارته والمراد ان كل
مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول
كيف يليق بأكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى اوقع نفسه فى تلك الورطة لان الله تعالى مكنه
وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وامهله هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق و
المالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظالما عن ابن عباس انها آخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على راس المائتين والثمانين

[illegible]

من البقرة وعاش النبي بعدها احد وثمانين يوما وقيل احد وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم اويل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا اكلة الخضر فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي يأكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في العقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فيشق امعاؤها فتهلك وبقا
الهلاك والاخر للمقتصد وذلك قوله الا اكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه وان كان
له حرص في الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضربه احل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون مما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ما
المنهي مرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة المعصية وامره الى الله يرزق من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم
عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين امنوا ايمانا لتصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى باقامة الصلوة وعن ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين امنوا باللسان
اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اي اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا اكل زيادة تمنعكم
فاذنوا بحرب من الله ورسوله ببعد منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رءوس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
ما اعد له عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت حصوله اليه اجلا وان تصدقوا ابذلوا فيما يتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدم
همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع القران خلاصة الكتب كلها وبترجيع في خاتمة الوحي خلاصة اي القران فقال واتقوا يوما الاية وذلك
فائدة جميع الكتب جعل الى معينين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف و
حجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الامامة
بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من هٰهنا
تقوى الخاص بخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب صفاتهم الى رحبة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون
بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من هٰهنا تقوى خاص الخاص فتخرجهم العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين
نهاية حجاب النفس بداية انوار القدم وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة واخرجناك الجذبة
وبها اصطفى ادم وكرم بنيه لهذا لم يقل ولقد كرمنا اولاد ادم لانا اهل الكرامة منهم من هو يوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا
الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من الحق
ويحتسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته فهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة
وضيقه فلا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ع
اي زمره انکه گرويده چون معامله کنيد با يوامي تا مدتي نام برده پس بنويسيد انرا و البته بنويسد در ميان شما نويسنده بعدالت و اباکند نويسنده
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق
که بنويسد چنانکه اموخت او را خدا پس بنويسد و بايد که املا کند انکه بر او ست حق و بايد که بپرهيزد خدا را که پروردگار اوست و نکاهد از ان چيزي را پس اگر بوده باشد انکه بر او است حق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
بي خرد يا ناتوان يا انکه نتواند که املا کند او پس املا کند ولي او براستي و گواه گيريد دو گواه را از مردان شما پس اگر نبوده باشند دو مرد پس يک مرد و دو زن
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا
از انکه خواهيد از گواهان تا انکه اگر فراموش کند يکي از انها پس ياد آورد يکي از زنها ديگري را و سر باز نزنند گواهان چون خوانده شوند و ملول نشويد

أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

که بنویسید آنرا چه کم باشد یا بسیار تا مدت آن این راست‌تر است در نزد خدا و درست‌تر برای گواهی و نزدیکتر است که بشک نیوفتید مگر آنکه بوده باشد سوداگری نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا

که دست بدست گردان کنید در میان پس نیست بر شما باکی که ننویسید آنرا و گواه گیرید چون خرید و فروخت کنید و زیان نرساند نویسنده و نه گواهی و اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ

پس بدرستی که آن نافرمانیست بشما و بپرهیزید از خدا و می‌آموزد شما را خدا و خدا بهر چیزی داناست و اگر بوده باشید در سفر و نیابید نویسنده پس گرو بدهید گرفته شده

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

پس اگر ایمن داند بعضی از شما بر بعضی پس باید که وا دهد آنکه امین شده امانت او را و بپرهیزد از خدائی که پروردگار اوست و مپوشانید گواهی را و هر که بپوشید آنرا پس آن گناه کرده است دل او و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. القراءة الا ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل

بانچه میکنید داناست

الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحبلة فتذكر بالرفع من الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار

وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن

بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم

للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول الى اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم

الله ط عليم مقبوضة ط لابتداء شرط واستيناف معنى اخر ربه ط للعدول الشهادة قلبه ط عليم. التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين

وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمالها الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار

ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والحث وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال

لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه

لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا

تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فبقي

ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض

فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليص التداين بمعنى المجازات او

التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر

لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل

ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله

ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل ونقول العلة هي المداينة والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى

الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة

والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين اوثق

وآمن من النسيان والنفاوت والمخالفة في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء

وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما

حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما

المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود امين كثير من الدنيا بل من له استيهال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب والمراد لكن يتم على الاملاء

ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ

المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكتبه

متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب

ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله تعالى ثم قيل قوله بعد ذلك فليكتب تاكيد للاول

فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد

فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة

المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا

شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

فيكون الحكم خاصا في الكل

الا ان يكون ما

ان يكتب كما علمه الله يعني انه ينتفع به ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف بعقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الذي اي الذي له الدين يمل قبل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن او فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم ياذن له السيد فعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان ينساها لغلبة البرد والرطوبة على مزاجهن واتحاد النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ههنا غرضان احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة انه قال فتذكر معناه فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال عليه السلام على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فالذي ليس بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين بنص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه قضى بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي دعوا فقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل من التحمل

اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا انما جرت العادة بكتبته كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرت مداينا ته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا او كبيرا كتابا فربما مل لكثرة الكتب فقضى المقام زيادة الحث والمبالغة ويجوز ان يكون الضمير للكتاب فان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي تتفقا على تسميته ذلكم الكتب او ذلكم الذي مر تكرمه من الكتب والاشهاد اقسط اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما امران من اسقط وافام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما من قوم وقاسط بمعنى ذي قسط على طريقة النسب لا فالقاسط الجائر ولا يصح ان يعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب نبه الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل عند الله والثانية يتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يشك في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما احسن هذه الفوائد وما ادخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى عن الامر ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكن اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يجري فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني أسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي تفع شره وعلا وذو كواكب اي شديد يقال لليوم الشديد لانه تبدو الكواكب فيه ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريبا الى اجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما خص تعالى هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل حال حرج عليهم ولان خوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة يخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع او كاليا لانه احوط وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وهو قراءة عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرفا او يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وهو قراءة ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يعجلاهم عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد فان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم او اتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الآية على الغالب فان الغالب انه لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد ادوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرئ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش وكبش وقيل ان احدهما جمع الاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله

بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع
والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر
باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض
الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بامانته وانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن الداين به
سمي الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع
الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الآخر والايتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدخل في خلده
جحود واخيانة وفي الاية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول
ومن الناس من قال هذه الاية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على
الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه
وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ
وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان الى ان يشهد لصاحب الحق
بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد
قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان
في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان
وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو ان افعال
الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن
الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح
بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل العارف المأمور والمنهي هو القلب والله بما
تعملون عليم فيه تحذير للكاتم ولهذا يروى عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان
الشهادة التأويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملائكة
الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما امركم ان لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا امر الملائكة ان يكتبوا اعمالكم الصغيرة
والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال يا قوي الظلم
ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه صباحه ومساءه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل
والكثير انما يملي ما طاب بالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق بالحق فان كان الذي عليه
الحق سفيها جاهلا بالاملاء الحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق
والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في ذلك لانه لا يجزيه تيسره فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان
الى السرور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من ارباب القلوب ثنتين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فان لم يكونا رجلين
من ارباب القلوب فرجل منهم وامرأتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة ممن ترضون من
الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من
شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف
في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب معاملاته
فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما
السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجل رجلة الشريعة قال الله
في قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا اي السيار الذي تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما
قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب اليمين وقال لي امل علي شيئا من معاملات قلبك
لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله فقلت له حسبك الفرائض والحاصل ان لقيد التوكيل من ان يؤدي حق صاحب الحق ويكون مقاربا منه فاما الذي

التأويل

تحقيق

اناء الليل واطراف النهار بعدد ويروح في طلب غريمه ما يبرح في حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الباب يكون وكيلا وحفيظا
للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائرين رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب ليس فيها
غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب
بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد شغف منها مضاق مذهبه فهوى من غير مطلبه كل امر في الهوى عجب وخلاصي منه اعجبه وانما يحتاج الى
الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لتحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين
لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها والقى بجملها فلما حملها واستحق منها ما تفرد به من صحابه جاءت له من الحضرة القاب
فنسب في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما
جهولا هذا امر عجيب وفيه شيء غريب من لم يطع في حمل الامانة وابى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل
الامانة واتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة
وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مراة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر بصلاح
كتمان امر الامانة وغيرة يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة بدل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا
لادم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن
امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق بالاقرار وقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها
الى ملفوفة بلفاف التقوى لا ايمان عريان ولباس التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير شواهدك وهذا من نتائج خيانة
قلبك امانة ربك فلا تشاهد قلبك الا شواهدك ولا تؤدي سر حقيقة امانة ربك الا الى ربك لربك لله ما في
السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
خدا راست انچه در آسمانهاست و انچه در زمین هست و اگر ظاهر سازید انچه را که در نفسهای شماست یا پنهان دارید از ان حساب کند شما را خدا پس بیامرزد از انکه خواهد و عذاب کند از انکه خواهد
والله على كل شيء قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا
و خدا بر هر چیزی تواناست ایمان اورد پیغمبر بانچه فرستاده شد باو از پروردگارش و مومنان هر یک گرویدند بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او
نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
جدائی نیست در میان هیچ یک از پیغمبران او و گفتند که شنیدیم و پیروی کردیم بخشش ترا میخواهیم ای پروردگار ما و بسوی تست بازگشت تکلیف نکند خدا هیچ نفسی را مگر بقدر گنجایش ان
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا
مر اوراست انچه کسب کرد و بر اوست عقوبت انچه کسب کرده پروردگارا و بار مکن بر ما انچه که یارائی نیست مر ما را بان و در گذر از ما و بیامرز ما را و ترحم کن بر ما توئی آقای ما پس نصرت ده ما را
على القوم الكافرين القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجملة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
بر گروه کافران بوفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرا حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو عون
ابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القران وكتابه على وخلف الباقون وكتبه
جمعا لا يفرق بالياء العبسي يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارءتم الوقوف وما في الارض ط بالله ط لمن قرا فيغفر بالرفع على
الاستيناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ط والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه ط المصير ط وسعها ط ما اكتسبت
او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك ارحمنا كذلك لتفصيل
بين انواع المفاصل لاعتراف بان الطاعنا غير واحد الكافرين التفسير تم لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل
التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرايع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات
وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون
عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون عالما بها محيطا باجزائها
وجزئياتها وقيل لما امر بالوثوق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به قال الشعبي
وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ
لمسلم لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلعم فاتوا رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله

اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم قال نعم
الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق وراء الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن
عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب
وروت انها سألت النبي صلعم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به نفسها ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبه ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص بغير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن سخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى آخر السورة او يقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين في آخرها ان الذين مدحهم في اول السورة
هم امة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال هاهنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال هاهنا
غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هناك ربنا
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او يقول انه تعالى سبحانه لما ذكر في هذه السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول عرف
المعجزة دلالة على صدق الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي اخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف ولبس الشيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق في دعواه وهو المرتبة
المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بسبب ترتيبه
ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز باسلوبه ارادوا ذلك ثم هاهنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
امن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين امن ولهذا وحد مثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه ما كان مؤمنا بربه ثم من فحصل علم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل عم ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبدة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال
اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرايع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي نزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به ثم اعلم ان الآية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله والبشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانها الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي فمثال الملك في عالم الصور نجوم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وبهذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسايط والانضمام الى مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل علوم لانبيائهم وهذا سر تطلع منه
على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو

ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية او سلبية واضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة تعالى بها وما لا يصح كذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك ان مشية الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الخلق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال كما مر في قصة آدم وان تعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن انبياء ورسل كما كانوا وان فرق بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل للكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر وحال واحد في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلح لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقوله سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة ونقول ان للانسان اياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدأ واليوم البحث عنه يسمى علم الوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب هو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليومك غد سيصل اليك فيه نتائج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذب به من حضيض عالم الاجسام الى فسحة عالم الانوار نقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى القبول اي سمعناه بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

الكتابه

على غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اى اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تعدموا جزاءه وفى
الكشاف اى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال واستغناء به عن فعله
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما
يأتون ويذرون او لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل
قوله وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات فى جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى
عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اى ننزهك عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اى كل الحمد له وان كنا لا نقدر
على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا اما القيد الاول
فمعناه اطلب المغفرة منك لانك الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة ان يعطى عطية كاملة وذلك لا يكون الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدل
حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فبها يتراحمون ويتعاطفون وادخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيمة ولعل العبد يقول لكل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها فى محل معين فلولا الوجود
بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجناياته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك
ورأفتك فانا الطالب للغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حقى وفى حق امثالى من المذنبين واما القيد الثانى فمعناه ربيتنى انا وجدتنى مع انك لو لم
تربنى فى ذلك الوقت لم تتضرر به لانى كنت باقيا فى العدم الان لو لم تربنى تضررت به فاسئلك ان لا تهملنى وربنى حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربينى وقد افنيت عمرى فى توحيدك وربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى شفيعا اليك فى ان تربينى فى المستقبل او ربيتنى
فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه وإليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف
بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم انهم قالوا كيف نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما فى وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم ذلة الا على سبيل السهو والنسيان فلاجرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى
ما جعل فى الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم ان المعتزلة عولوا فى نفى تكليف ما لا يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان
العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثانى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق اما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابى لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين فى التكليف بامر لكنه ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذى هو محل النزاع لكن الاشعرى لما كانت حجته قوية
عنده خصص الاية بانها انما وردت فى التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على
انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال ان ما حكاه عنهم فى معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدى ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل فى الاكتساب مزيد اعمال وتصرف ولهذا اخص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به
بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة فى الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالاحباط
لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما زوال الاخر وقال
الجبائى تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية فى ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها فى
اثبات ان الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان
المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى فى الجار على الاصل ومنها ان القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكرى وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

ان نسينا

إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافر وعاقبت اللص وقيل معنى النسيان تركهما ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه
وطرق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقب بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله ما اخذ المذنب بالذنب فالمذنب يأخذ به فالعفو
الكريم اى يتمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتاويل فاسد كما ان الخطاء
هو ان يفعل الفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ اى تركوا العمل لله فترك ان يثيبهم واما ضد الذكر وقد ورد عليه ان النسيان والخطاء معفو
عنهما في قوله صلى رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فمن راى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسيه فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القران حتى
نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وورد انه صلى كان اذا اراد ان يذكر حاجته شد خيطا في اصبعه فثبت
ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء
والمراد بهما ما هو مسبب عنهما من التفريط والاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغي الا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة او لغير ذلك كقوله تعالى قُل رَّبِّ احْكُم بِالْحَقِّ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وقالت الملائكة فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالاية والحديث فلما كان
ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه
جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطاء لا بد ان يعتبر
بما بين العمد والقصد الحاصل بما لا ينبغي اذ لو فسر بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا
فسر بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثاني من الدعاء رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا الاصر لغة الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر
العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما ياصرني على فلان اصر اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ وقال صلى رفع عن
امتي المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب للعقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء ان اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم
في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ
الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس لنا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان
معنى قوله لا طاقة لنا اي يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا
يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الاية المتقدمة يكون ح واحدا فضلا لو عرفت ذلك فما لو المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله
سلمنا انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ لا يدل
على جواز ان يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم ع وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ لا يدل على ان خزي الانبياء جائز وقيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي
لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحامل فيما لا يطاق هو المتحمل دون المحمل فلما طلب ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء لا اقل من هكذا الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي
كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول طلب
ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمه اي لا نطلب مني
حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لانه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع من الدعاء وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وانما حذف النداء
وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله و
الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص

عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب
الثواب هو ايضا قسمان جسماني هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وَارْحَمْنَا وروحاني وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله أَنْتَ مَوْلَانَا
وفيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد
الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه بالامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام
ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية
الداعية الى ما سواك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن
نبي قبلي وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي عليه السلام الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل كرمك بحسن الثناء
بقوله آمَنَ الرَّسُولُ فسله وارغب اليه فعلمه جبريل عليه السلام كيف يدعو فقال النبي عليه السلام غُفْرَانَكَ رَبَّنَا فقال الله قد غفرت لكم فقال لَا تُؤَاخِذْنَا فقال
الله لا اؤاخذكم فقال لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا فقال لا اشدد عليكم فقال لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ فقال لا احملكم ذلك فقال وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا عليه السلام كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا
يقولون آمين التأويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل
منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية
واليه الاشارة في قوله إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة أَوْ تُخْفُوهُ بابراز
ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح
لقبول ظلمات النفس فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه
ببعد قربة العلي الكبير وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قَدِيرٌ لما عرج بالنبي عليه السلام الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فاجابه بقوله السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمَنَ الرَّسُولُ عيانا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ فقال من كمال رأفته بامته وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ الى قوله سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
فقال الله تعالى ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي عليه السلام غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ يعني هم يطلبون الآن لسترهم بسترها بفضلك ويكون مصيرهم
اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك قال الله تعالى جوابا له لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا انه مقام لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا
قال له جبريل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين فكل طائفة منهم في سماء واقفون حسبما هم وحتى كليم
يحرقهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف اكلف امتك الضعيفة المرحومة بهذا المصير انه بضعف حالهم يصيبهم ما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الى
الكرام ان اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا
في متابعتك فقل لهم إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ فبقدر ما اكتسبت امتك من انوار متابعتك يستحقوا المصير الى حضرة جلالنا وشواهد
جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك نشأ اهل المصير في دركات السعير فتارة اسكره لذة هذا الخطاب واخرى اقحمته سطوة هذا
العتاب فقال رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا اي لا تعاقب متى ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان تحبوك ولا تحبوا غيرك واخطأت طريق
طلبك ولكن ما اخطأت طريق عبوديتك فلم نعبد واغيرك وانت قلت إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى وثنات الشهوات كالعبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف
عنا حجبات انيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولانا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا
على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وعناني المصير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من حدثك يوم نبلك اني تزاحم ما رفع بجودك اني
من البين وحسبنا الله

سورة آل عمران وهي مدنية حروفها ع٢ع٣ كلماتها ٣٤٨٠ اياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداى بخشنده مهربان

ع الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ
منم خداى كه نيست معبودى بجز او آن زنده پاينده فرو فرستاد بر تو قرآنرا براستى تصديق كننده مرانها كه پيش از او است و فرستاد توريه و انجيل را
مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ
از پيش راهنماى مردمان و فرستاد قرآنرا بدرستى كه آنها كه كافر شدند بايات خدا مر ايشانراست عذاب سخت و خدا غالب خداوند انتقام است

التأويل

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
بدرستی خدا پوشیده نیست برو چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه تصویر کند شما را در رحمها چنانچه میخواهد نیست معبودی بجز او غالب استوار
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
اوست آنکه فرستاد بر تو قرآن را بعضی از آن آیتهای استوارست که آنها ام الکتابند و دیگر مانند هم اند پس اما آنها که در دلهای ایشان میل است پس متابعت کنند
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ
متشابه را از جهة خواهش فتنه و جستن تاویل آن و نداند تاویلش را مگر خدا و ثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
از نزد پروردگار ماست و آگاه نگردند بجز خداوندان خرد پروردگارا میل مده دلهای ما را پس از راه نمودن ما را و ببخش ما را از نزد خود رحمتی بدرستی که تو ئی
الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ
بخشنده پروردگارا تو ئی گرد کننده مردمان را در روزی که شکی در آن نیست بدرستی که خدا خلف نکند وعده خود را بدرستی که آنها که کافر شدند کفایت نکند از ایشان مالهای ایشان
ع١٠ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ
و نه فرزندان ایشان از خدا چیزی و آن گروه ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون و آنان که پیش بودند که تکذیب کردند آیتهای ما را پس گرفت ایشان را خدا
بِذُنُوبِهِمْ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ
بگناهان ایشان و خدا سخت عقوبتست

القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولة بفتح الميم التورية ممالة حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد وكذا حيث كان بغير همزة ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم ج لاختلاف القراء فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ط والانجيل ط الفرقان ط شديد ط انتقام ه في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط للاستيناف مع تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو يصلح استينافا وحالا والوقف على الا الله مذهب اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلمه الله ومن لم يجوز غير هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص عليها فعطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله آمنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ه تجنح للابتداء بربنا ولاحتمال لام التعليل او فاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه فيه ط الميعاد ه شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدل مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال له ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلاثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وجعلت فلما حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم

ان ربنا قيم على كل شئ يكلأه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء
فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام
ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام
ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال
بلى قالوا فحسبنا فنزل فيهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجئ فى آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم
عجيب ونسق انيق وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه فى شأن الالوهية او فى امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حى قيوم كما مر
فى تفسير آية الكرسى وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة
عنى قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثانى فقوله نزل عليك الكتاب بالحق
كالدعوى وقوله وانزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن
بهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجزة قائمة فى كون القرآن نازلا من عند الله كما قام فى الكتابين واذا كان الطريق
مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن نازعه فى دينه فلا جرم ختمه بالتهديد
والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا
فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق فى
ما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق فى العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق
الباطل او انه قول فصل وليس بالهزل قال الاصم اى بالحق الذى يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف
فى المعاملات وقيل مصونا من المعانى الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى قوله مصدقا لما بين يديه
انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا
استحال ان يسلم من التحريف والانحراف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع
التى هى صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مثلا فى معنى التقدم والغاية لظهور تلك الاخبار جعلها كا
الحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكام اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة
على احكامها ثابتة الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة
فى ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا يختلف والتوراة والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية
فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح
وظهرت النار قال واصلها تورية بفتح الياء والراء وهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طى
فانهم يقولون فى ناصية ناصاة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل
فقال الزجاج افعيل من النجل الاصل اى هو الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته اى انه تعالى اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيبانى التناجل
التنازع سمى بذلك لان القوم يتنازعون فيه ومعنى قوله من قبل اى من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين عائدا اليه
الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال فى اول البقرة هدى
للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق فى نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما
فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اى جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق
بين الحق والباطل وقيل اى الكتب التى ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقيل اى
الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هى
التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا للفضل وفى التفسير
الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام الخلق
ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عنها لان خصوص السبب لا يمنع عموم
اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب لاحد لقدرته ذو انتقام
له انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقم اذا كافأه عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب
وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثانى صفة الفعل وقوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه
حى قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها

وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات فاشار الى ذلك بقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ و
الثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله إِنَّ اللَّهَ
لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا من العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية
واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ و يحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احديهما تتعلق
بالعلم وهو انه عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وفي ذلك قوله تعالى وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما فازال شبهتهم الاولى بقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فمن المعلوم بالضرورة من حال عيسى
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض الغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال
انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اولئك
الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتته بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يديه والعجز عن اماتة
البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات اليقينية
الى المقدمات الالزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله فالجواب عنه بقوله ايضا هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
لان هذا التصوير لما كان منه تعالى فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قالوا للرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل الحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل وتفويضه الى علم الله وذلك قوله هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ الآية فظهر انه ليس في المسئلة
حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات عليها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل وهذا فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف بين
اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف و
قيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد
طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ الر تِلْكَ
آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ والمراد كون كله كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن وفي الاعجاز والبراءة من التناقص والتناقض ثم ان هذه
الآية هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فنعني
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي
الانسان اليه متشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ محكم وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ متشابه
والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ محكم وقوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ متشابه والسني بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه
على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

الراجح الى المعنى المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلاً فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى
من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ما هو لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على
مجاز وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض
في تعيين التاويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة
الانعام قل تعالوا اتل الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل
السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم
المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لا شبهة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات
البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل جلائها وبالخفاء خلاف ذلك
فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته
بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ايضاً يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري يلتبس في ذلك
الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب لعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط مقدماته تقليلاً وضبطها محكماً والذي هو غير ذلك متشابهاً وقيل كل ما امكن تحصيل
العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف
فذلك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً من الملاحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه الذي هو المرجوع
اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي
فيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة بقوله يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي لها بقوله ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه
لو جعل كله ظاهراً جلياً خالصاً عن المتشابه نفياً كان اقرب الى الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق
وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضاً لو كان كله محكماً كان مطابقاً لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه
والانتفاع به واذا كان مشتملاً على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في تامل معانيه فبعد الفحص والاستكشاف
صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فيتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضاً اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة
بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر ايضاً الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان
واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ثم ما في المتشابهات من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي هو ان القرآن
كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا
متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطاً بما يدل على
الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم الحال في آخر الامر من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب
الام في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلاجرم صارت المحكمات
اصولاً للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله
وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخر ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون
ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروحاً منه قال بلى قالوا
حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في
آخره وما يعلم تاويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن الخلق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث
باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به
الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما تاتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة
قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان
والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكاً بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة
على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا لتسلسل فيكون
حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجباً فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز
للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية يوافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية يخالفهم فهي
المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة اقسام احدها ما يتاكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقاً وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

امتناع ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه ايضا بحسب ما يرتبه كل فريق ويخيله صادقا في
نفس الامر مادة وصورة فكل فرقة يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه فيتأكد به الظاهر الذي يتعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي
ونور الهي ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه
فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بامرأته يشعره فكان المتمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا عاشقا لا ينفك
عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في
البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع
اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد وجدوه في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما
ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ثم انه تعالى قال ﴿وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن و
مالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لانه وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت في التعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان ما فيه معنى التفصيل لبيّنة وهذا انما يستقيم لو قد
واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسائل القطعية مثاله
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان
في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن
انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال فاما
﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ﴾ وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم متوجه على الكل
وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهؤلاء
الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ لان كل من عرف شيئا
على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن
كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى
شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله
بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام
الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه
﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به
الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين
فيلزم ترك الظاهر ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ اي ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق
ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض ويحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان لم نعرفه نحن وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى
حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً﴾ سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم
بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل لهم في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت
سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات
وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ودوام رؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك
تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية
كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر

منها ما يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم
والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلعم
يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيتين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات
بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات
وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كليتهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان
ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد ان يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وقد زيف
بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى يزيغ عندها القلوب
والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في
التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ
كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه
وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية
لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية يوجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول
عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما
الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية
والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس
للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم
فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد
لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه
تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال
الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده
وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا
فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد
كرما وانشد اني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود
والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم
العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال
لاخيه اني علم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله
في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب
المؤلمة اما الاول فاشار بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانها اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق
الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير واما الثاني فاشار اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في
الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل
رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد
ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء وتقديره من عذاب
الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا ومن زائدة لتاكيد النفي اي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من
بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودءوبا فهو دئب وداءب ثم اراد
الداءبان الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك واصله من داب ثم اطلق الاسم الخاص على العام
اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم او شانهم وصنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم
فكذلك نهلك هؤلاء وقوله كذبوا بآياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا

كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة مع

التفاسير

بالمعران

بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ اى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المأسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كداب الله فى آل فرعون اى يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه فى آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال
يحتمل ان يكون الاية جامعة للمضافة الى الله وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من قبلهم
فى ايذاء الرسل وعادتنا ايضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤب والداب اللبث والدوام والتقدير دءبهم فى النار
كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا
آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم مثل ما انها لا تنفع فى ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذى عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغنى عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فسينزل بمن كذب بمحمد امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبى والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة
بقوله فيما بعد قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ والثانى المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وَتُحْشَرُونَ اِلٰى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ التأويل الم الالف اشارة
الى الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد فى ذاته وصفاته فى وضع الحساب منفردا بالاولية والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف ويشير باستقامته
وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحدانى ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف
معوج ثم فى اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اشارات الى ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان ولكن لا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة
الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد وتوقعه فى المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود
والالف سابق عليه وفيه الانكسار ليشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح
ودل ان الميم اول حرف من اسم المبدى واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كما ابداه المبدى حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر
الالف اشارة الى وجود حقيقى ثم بدانه واللام يشير الى اثبات ونفى فالاثبات فى لام التمليك له ما فى السموات وما فى الارض والنفى فى لا النافية اى لا
وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفى فالاثبات ميم اسم القيوم والنفى ما النافية اى ما فى الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين
فى الم اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفى الشرك عن وجوده واثبات وحدته فى وجوده والحى القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفى جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معانى هذه الاية فى قوله الم فمعنى قوله الله اودع فى اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع فى اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحى القيوم اودع فى اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما
اودع فى اخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا فى الاية من اول حرفها مكتوبا فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على
المعنى الذى هو فى الكلمة الاولى وهى الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذى فى الكلمة الثانية وهى لا اله الا هو والميم من اخرها دالا على المعنى
الذى مودع فى الثالثة وهو الحى القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا فى الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو القرآن ومضمونه كما روى عن
ابى بكر وعلى ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة فى الم بقوله اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ اظهر الطاف ربوبيته المكنونة فى اسرار العزة
مع حبيبه محمد فقال نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ نزل حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن غيرك فصرت مشاهدا
لسر الله المودع فى الم وهو الذى بين يديك اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذ لم تعلم
تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة لامر الطيار بين ولا من السيارين وَاَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْاِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ فلا تظن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلى انواره باسراره وحقائق بينى وبينك
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة فى صحائف والواح يقرؤها كل قارئ ليستوى فى هداها
الانبياء والامم قاطبة هُدًى لِلنَّاسِ وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلى انوار القرآن بالتنزيل على قلبك بين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا يتدارسون الكتب وانت محظوظ بالقرآن فشتان بين نبى يجيئ هو بذاته نور ومعه كتاب
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وبين نبى يجيئ وهو من الكتاب قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ وشتان
بين نبى تشرف بكتابة الموعظة له فى الالواح وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وبين نبى تشرف امته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم اُولٰئِكَ كَتَبَ
فِى قُلُوبِهِمُ الْاِيمَانَ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ من هذا العمى والحرمان وهم خسران من الركون الى هذا النقصان وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يعز اهل العزائم بنيل المرام وينتقم
من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر تعالى عن كمال علمه بقوله اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وكيف يخفى وانه هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ عن نقض الاحكام الحكيم فيما يجرى من الازل الى الابد جفت به الاقلام وفى الاية اشارة الى

للعادة م

الى آخر حرفه م

اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق ليستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهى بمثابة ملك الارحام فى تصرف المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصيبه منه حركة عنيفة او يجد له بحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى بتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتاييد الحق يربيه فى كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس الى منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين فى رحم القلب هو طفل خليفة الله فى ارضه فيستحق الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يُلقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ كتب فى قلوبهم الايمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ البث قلوبهم غطاء الريب فحجبوا انوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ليضلوا باهوائهم وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ليضلوا الناس بآرائهم وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ بما شاهدوا من انوار الحق فى تحقيق التأويل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ الذين خرجوا فى متابعة النبى من ظلمات قشور وجودهم النفسانى الى نور الباب وجودهم الروحانى وهم الراسخون فى قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق ولباب العلوم اللدنية مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ وفيه الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم فى الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بشواهد الربوبية أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فشهدوا تلك الشواهد وكن فى جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى وبيندرج فى علم التوحيد كل العلوم كما قال وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بتقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام ثم مات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة ببلى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية فانسيه تلك العلوم النطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذى اجاب به الرب فقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود فالسمع المجيب فى الميثاق فسمع قشر ذلك السمع الذى سمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذى بصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذى فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التى تعلمت من الحق فالنبى انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التى كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ بما يتذكر اولوا الالباب رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا عن صراط بتلبسات ظلمات طبايعنا وطباعنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحضرة جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التأويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تجذبنا منا لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن فى مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طلابا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب الطالب وان بعد هذه الدار دار القرار توفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب فى الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ طاغوت أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ انوار اللَّهِ التى حجبوا عنها وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ نار الفرقة والقطيعة نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ لا نار الجحيم التى لا تحرق الا قشور الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات فنعم ما قيل نوائب الحب نار هو احرها نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشد ما بالنار خوفنى قومى فقلت لهم: النار ترحم من فى قلبه نار

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ

بگو مر آنها را که کافر شدند زود است که مغلوب شوند و محشور شوند بسوی دوزخ و بد جایگاه است بتحقیق که هست شما را نشانی در دو طائفه که ملاقات کردند گروهی کارزار کند

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ

در راه خدا و طائفه دیگر که کافر بود که میدیدند آنها را دو چندان در بادیه نظر و خدا قوت دهد بیاری خود هر که را که خواهد بدرستی که در این هر آینه عبرتیست صاحبان بینش را

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

آراسته شده از برای مردمان دوستی شهوات را از زنان و فرزندان و پوستهای پر از طلا و نقره و اسبان با نشان و حیوانات

وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ

و زراعت این است بهره زندگانی دنیا و خدا در نزد اوست بهتر بازگشتی بگو که آیا خبر دهم شما را به بهتر از این مر آنهاراست که پرهیزکردند در نزد پروردگارشان

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ

بهشتها که روان است از زیر آنها جویها جاوید مانند در آن و زنان پاکیزه و خوشنودی از خدا و خدا بیناست به بندگان آنان

نصف

يقولون

آل عمران

يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ۝ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
میگویند که پروردگارا بدرستی که ما گرویدیم پس بیامرز گناهان ما را و نگاهدار ما را از عذاب آتش ۝ آن صبر کنندگان و راستگویان و فرمان برندگان و انفاق کنندگان

والمستغفرين بالاسحار ۝ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
و استغفار کنندگان ۝ گواهی داده است خدا بانکه نیست خدایی بجز او و فرشتگان و صاحبان دانش ایستاده کنان بعدالت نیست خدایی بجز او که غالب درستکار است

ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات
بدرستی که دین در نزد خدا اسلام است ۝ و اختلاف نکردند آنها که داده شدند کتاب مگر پس از آنکه رسید ایشان را دانش از روی رشک در میان ایشان و هر که کافر شود بآیتهای

الله فان الله سريع الحساب ۝ فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم
خدا پس بدرستی که خدا زود حسابست ۝ پس اگر محاجه کنند با تو پس بگو که تسلیم کرده ام خود را از برای خدا و هر که تابع من است و بگو مر آنها را که داده شده اند کتاب را و بی سوادان آیا اسلام آوردید

ع ۱۱ فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ۝ ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
پس اگر اسلام آوردند پس هدایت یافته اند و اگر رو گردانند پس جز این نیست که بر تو رسانیدن و خدا بیناست به بندگان ۝ بدرستی که آنها که کافر شوند بآیتهای خدا و میکشند

النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ۝ اولئك الذين حبطت اعمالهم
پیغمبران را بدون حق و میکشند آنها را که امر میکنند بعدالت از مردمان پس مژده ده آنها را بعذاب دردناک ۝ آن گروه آنهایند که باطل است کردارشان

في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين ۝ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم
در دنیا و آخرت و نیست از برای ایشان یاوری ۝ آیا ندیدی آنها را که داده شدند بهره از کتاب را که خوانده شوند بسوی کتاب خدا تا حکم کند

بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ۝ ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما
در میان ایشان پس برگردانند گروهی از ایشان در حالیکه ایشان رو گردانندگانند ۝ این بجهت آنست که گفتند نرسد ما را آتش مگر روزهای شمرده چندی و فریب داد ایشان را در دین ایشان آنچه

كانوا يفترون ۝ فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۝ القراءة سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف
بودند که دروغ گفتند ۝ پس چگونه است وقتی که گرد کنیم ایشان را از برای روزی که نیست شکی در آن و داده شود تمام هر نفسی آنچه کرده و ایشان ستم کرده نشوند

وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل يخيبنهم رأي العين بغير همزة ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة او نبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقية ولي شعيب ونافع غير قالون اؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس في قية وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافق يحيى وحماد الا في من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر غير البخاري عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي ومن اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصر الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ۝ التقتا ط لان التقدير منهما فئة واحديهما العين من تشاء ط الابصار ۝ والحرث لا نياج للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج للاية على جعل الذين خبر مبتداء محذوف اي هم الذين او مدحا على اعني الذين ويجوز انه نعت للعباد او للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقفا جوز نصبا على المدح بالاسحار ط الا هو ط للعطف ولو وقفا حترازا عن وهم دخول الملائكة واولوا العلم في الاستثناء والشاكرين في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الا من قرأ ان بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط للاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ومن اتبعن ط للابتداء امر يشمل اهل الكتاب العرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة اجزاء الشرط اسلمتم ط لتناهي الاستفهام الم الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف البلاغ ط بالعباد بغير حق لمن قرأ ويقاتلون لعدم المعنى من قوله يقتلون اليم والاخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون ۝ معدودات ص لان الواو للعطف او الحال يفترون لا يظلمون ۝ التفسير عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد نكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوا واجمعوا امرهم وقالوا لنكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الاية قال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك

لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون ثم تهزمون
وتحشرون إلى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرأ
بتاء الخطاب فمعناه الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر أي بلفظ الإرادة ومن قرأ بالياء فالأمر متوجه إلى حكاية هذا اللفظ أي
قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية احتجاج الفقهاء بتكليف ما لا يطاق فإنه تعالى أخبر عنهم بأنهم يحشرون إلى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا لانقلب الخبر
كذباً وفيها دليل على صحة البعث والحشر بأخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر إخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
نظيره في حق عيسى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم إنه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين
التقتا يوم بدر فئة أحدهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لأنهم يقاتلون لنصرة دين الله وإعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش
وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه أحدها أن المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد والعدد كانوا ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلاً مع كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها أنهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها أن ذلك
ابتداء غازية في الحرب لأنها أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل في المشركين أضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً وفيهم أبو سفيان
وأبو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وأهل الخيل كلهم دارعون وفي الرجالة دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات وإذا كان كذلك كان غلبة
المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر عن ذلك بإخبار الله تعالى في قوله وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين يعني جمع قريش وعير أبي سفيان
وكان أخبر قبل الحرب بأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والإخبار عن الغيب معجز وثالثها إمداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة وفي الأنفال
قوله يرونهم مثليهم وفيه أربعة احتمالات لأن الضمير في يرون إما أن يعود إلى الفئة الكافرة أو إلى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير
في مثليهم إلى كل منهما فهذه أربعة الأول أن الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من ألفين الثاني أنها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفاً وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة نافع من قرأ ترونهم بتاء الخطاب أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي أنفسهم ودليل الاحتمالين
جميعاً أن عود الضمير في يرون إلى الأقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولأنه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب
أن يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك أن يهابهم المشركون
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم لاختلاف الوقتين فكأنهم قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة وإظهار الآية الاحتمال الثالث أن الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى
إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريباً من ثلاثة أمثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع
أن يكون الراؤن هم المسلمون ثم إنهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن أن يقول به أحد لأن هذا يوجب نصرة الكفار
وإيقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو أن أول الآية قد بينا أنه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون أيها
اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو أن الاحتمالين الأولين الثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئياً والاحتمال الثالث يوجب أن يكون
الموجود الحاضر غير مرئي أما الأول فهو محال عقلاً والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيراً وهذا
يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصباً على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فإن من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل أنه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يساعد ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وأما الثاني فهو جائز عند الأشاعرة إذ
عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الإدراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزاً لا واجباً والزمان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة
فعندهم الإدراك واجب الحصول عند استجماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بأن الإنسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ
فيدرك البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعاً عن إدراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعاً عن رؤية ثلث العسكر أو يحدث في
عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين كل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء إما بالغلبة كيوم بدر وإما
بالحجة والعاقبة كيوم أحد إن في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة أي نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل إلى مقام العلم لأولي الأبصار ذوي العقول
الذي يبصر القضايا بأعينها كالشاهد للمعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لعبرة الإنسان وهو أنه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم
الروحانيات خير وأبقى لأنها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة وأما ما يتعلق بالقصة فإنا روينا أن أحبار نجران علمهم
الضمير لا عز ولا خيبة ما فيه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه يمنعهم من اتباعه حب المال والجاه وروينا أيضاً أنه لما دعا اليهود إلى الإسلام بعد غزوة بدر أظهروا
وأمن أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية أن تلك الأشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين
هو الله تعالى أما عند الأشاعرة فلأنه خالق أفعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور
المعتزلة فالحكمة الابتلاء إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ولأنها وسائل إلى منافع الآخرة وهو أن يتصدق بها أو يتقوى بها

على طاعة الله واشتغل بذكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب والثاني ان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وظايف الخدمة كان اشق وكان اكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالتزيين
فيه من الله تع وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم كان يحلف بالله على ذلك احتجاج في الاية
بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير لهذه الغاية لا يليق الا بمن جعل
الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تع جعل الاعيان المشتهيات شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الاية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف
يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تع والمحبة من افعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات
واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تع حكاية عن سليمان ع اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان
الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب في الاكثر الا في اوقات قلائل بعد
التعميم فقال ما اعطي للاغلب حكم الكل على ان من همته بجوامعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع
الاحيان على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي الامهات ورتبها في سبع مراتب الاولى النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال ع ان اخوف ما اخاف
على امتي الشهوات النساء الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل
الحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطارا لان
الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي ع القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن
وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملوء مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير ثمانون الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب
والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل المشتري بوجه في القدر ولولا التقى لقلت جلت قدرته وصفة
المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنساء
وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت
الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم اي
تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها غلب
عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه
او من غيره والاول اصل وهو المراة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها
فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهي الخيل او للحمل واللحم وهو الانعام واما ان
يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقران يخاطبهم اولا لانهم والله
عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب
وافسح من بطن الام فكذلك الاخرة افسح واوسع من الدنيا ولانه لما علم ان نعم الدنيا انما هي منافع الاخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير
أؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددناه ثم استانف ببيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل ادلكم على
خير من فلان عندك رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت
فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالبقاء فبهن يحصل الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد كمال النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله
ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى سما منصبه وجل منزلته وكان المولى وما يملكه للعبد كما ان العبد
وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم

الغرة الغنى والثروة

شبا الفرس قام على رجليه

م المتقون برفع جنات على الخبر اى هو جنات وبعضه قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين ان
يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من
تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعم فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد
عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق
او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد
حكى الله تعم ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما
زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعم وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب الوقوع عبث فلا يصلح للمدح ويمكن
ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل لاظهار الذل والعبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لو يقع
فى حيز القبول فعلى المتقى ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى
كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى فى اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن و
الشدائد وقف رجل على الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعم فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ
الشبلى صرخة كاد يتلف وهو الصادقين اى فى الاقوال و فى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين
المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر لهم من طيب مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبيل
طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم او للاستغفار
بالاسحار مزيد اثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال
المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطايف واما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر
يشمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال
والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف
حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله صلعم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصر المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه
هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلعم الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى صلعم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد صلعم قال نعم قالا وانت احمد
قال نعم قالا انا نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلعم سلانى قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله
فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلعم ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا
اننا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلان الشهادة من الله تعم ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون
كذلك اما الاول فنقرره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعم و فى
حق الملائكة وفى حق اولى العلم اما من الله فذلك انه اخبر فى القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسى وغيرهما والتمسك
بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلعم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله
تعم بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعم اظهر
ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت
انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى صلعم ان وحدانية الله تعم امر
قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى
وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد صلعم على ذلك فانه هو الاسلام واما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعم على توحيده عبارة
عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعم ان الله وملائكته يصلون على
النبى صلعم فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد
بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم
حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا وجه كون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا ولا رجل
الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى اداء هذه الشهادة الثانى ان يكون صفة
للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد راينا هم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

كقوله

كقوله شعر وَبِأَوْبِيْ لِنبوة عُطَّل وَشعثا ۞ مراضيع مثل السعالي ۞ ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب فيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شئ من الاشياء وعدم النقص والنقض في شئ من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شئ الا على وفق العدالة وقضية السوية وغاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم العدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن ينسب الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعرف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال الى ابد الاباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته وارادته فقد كذب ابن اخت خالة الله لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن ۞ هو المسك ما كررته يتضوع ۞ ثم اكد كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سمي الدين لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في الصفات كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب فيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرا بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب فاته سلم التورية الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قال في تفسير الكبير ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه ويجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه معنى العمل وقيل اي اسلمت وجهي على الله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه الواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد عرفهم في هذه السورة ابطال الهيته عيسى واثبات نبوة محمد ثم

والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو صح

بين نفي الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعن فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكر المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيها ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قال
فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركوا العرب الذين
لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هداك الله اليه ولهم الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام او عن اتباع لك فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولين
بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي ببعضها لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
ووحدته وعلمه وشيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي
المعهودين لانهم قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون وقرئ ويقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروى ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اي الجهاد افضل فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لانه
وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القابل ويقول وصفوا
بسيرة اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان ان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل
والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
تجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعا النبي صلى الله عليه وسلم اياهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض او للبيان والكتاب يراد به غير القرآن العلم
من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف الثاني للعلم به ويراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا راجعوا في ذلك رسول الله
رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير
في هم اما ان يرجع الى الفريق لانهم جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما

ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قدح صف العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومنقذيهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب
اي هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون في امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هي ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب من ابن لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد والقران وذلك كفر صريح وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم في هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد في يوم الخميس ما اذا قلت جمعوا في يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي وفي ان ولها الاية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
رايات الهوى فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامرهم الى النار والنار وبل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلي بالشقاوة وربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلي الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده في معاشه قد كان لكم اية في فئتين التقتا ان الله تعالى في الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس الغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولي الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجري من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولى لهم الدنيا ان ري على اوليائه
ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا اقرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه السرمدي على ذاته
الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر
الذي كان عما كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
ولربوبيته موضح وعلى فردانيته شاهد ولكن ماء التوحيد القدم تجري في مجاري انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولي العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بمشربية والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها الى سكران والندمان ولعم
شيء خصصت به من بينهم وحدي تحقيقه معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو تاليا لاولي العلم الذين لهم شركة مع الملائكة في مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء
التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذي لا يشاهد عزته الا اعزته من بين البرية الحكيم الذي بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف في الصورة من نتايج تناكر الارواح في عالم المعنى والارواح فما تعارف منها في الميثاق لتقاربهم في الصف
او لتقابلهم في المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم في الصف ولتدابرهم في المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود
منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان في قبول فيض اللطف
ان يفدي نفسه في متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه في قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا حبط اعماله ولا يرجى
توبته ابلس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتي حظا من العلم فعليه ان ادعي الى حكم من احكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى
ان يمتثل ويتقاد الا ان كان مغرورا بالدنيا والدعوى وهذا حال الكثر من اوتي نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل العزة بالله
فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

که خواهی و خوار کنی هرکرا که میخواهی در دست تست نیکی هر آینه تو بر هر چیزی توانائی داخل کنی شب را در روز و داخل کنی روز را در شب و برون آوری زنده را

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ

از مرده و برون آوری مرده را از زنده و روزی دهی آنرا که خواهی بی اندازه فرا نگیرند مومنان کافرانرا دوستان بجز مومنان و هرکه کند

ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ

اینرا پس نیست از خدا در چیزی مگر آنکه بترسید از ایشان ترسیدنی و میترساند شما را خدا از خویش و بسوی خداست بازگشت بگو که اگر پنهان دارید آنچه را که در سینهای شماست یا ظاهر

يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ

میداندش خدا و میداند آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و خدا بر هر چیزی تواناست روزی که بیابد هر نفسی آنچه را کرده از خوبی حاضر آورده و آنچه کرده است از

سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

بدی دوست دارد که بودی میان آن و میان او زمانی دور و میترساند شما را خدا از ذات خود و خدا مهربانست به بندگان بگو که اگر میباشید که دوست دارید خدا را پس پیروی کنید مرا تا دوست دارد شما را خدا

ع ۲ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

و بیامرزد مر شما را گناهان شما را و خدا آمرزنده مهربانست بگو که اطاعت کنید خدا را و رسول را پس اگر روگردانید پس بدرستیکه خدا دوست ندارد کافرانرا بدرستیکه خدا برگزید آدم را

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد

و نوح را و آل ابراهیم را و آل عمران را بر جهانیان فرزندانی که بعضی از بعضی اند و خدا شنونده داناست على فعيل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة و

علي وخلف وسهل ويعقوب غير عاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيعل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف ممن تشاء ز لان ما هي الجملتين المتضادتين معنى الجملتين مثلها وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه في الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه بنصف الخبر يعلمه الله ط وما في الارض ط قدير ه محضرا ج لاحتمال ان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين ه لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم ه لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اي سميع دعاءها وعليم رجاءها حين قالت او واصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته في يا الله عند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من غير تخفيف الهمزة ومع اثبات حرف النداء واجيب بانه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون آكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء ما اكرمه في التعجب مالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقد اجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم اضاءت لي قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال صلى الله عليه وسلم اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك بانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي قسمته له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد وان

المتعدين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا
المنصب العظيم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقول النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وعددنا في تفسير قوله قل للذين كفروا
ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي ﷺ بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو
النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من
بني اسرائيل ووضع في العرب بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يقتضي ولي من لم
يكن في ظلمة الكفر قط ومثله اولتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور عودهم اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر
وهو الاقتدار على المال وانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس جميعا غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى
فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة
وخمولا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات
الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب فاعل الكل ومدبر الامور
وناظم مصالح الجمهور : لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي ، لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق : ومن الدليل
على القضاء وكونه : بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق : وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم ينزعه عن العادل لمصلحة
تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب
الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهذا كقوله ﷺ كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ و
القدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل
من الاعزاز والاذلال في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده وكاذلة الكفر وعزة الدنيا
كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره
بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر فان كان بيده الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك
او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى
المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير وكلها خير او لان القادر على ايصال الخير قادر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن
لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم
ونظامه او ياتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم ياتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه
فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي
من الميت المؤمن من الكافر اومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة
وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة وتقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو
قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله فقال
لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اولياءه دون اعدائه فقال لا يتخذ
المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الذال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرؤ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر
وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج
بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد هؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله
بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس رض في رواية الضحاك
نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي ﷺ يوم الاحزاب قال له عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل
من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود
والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد
كرر ذلك في ايات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان
يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه والثالث

كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن
بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقة
والرضاء بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدده فقال ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ اي من ولايته ومن دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة
غير متصور وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني ❊ صديقك ليس النوك عنك بعازب ❊ قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب ان اذا ازاد احد ان يعم الحكم لا بد له ان يزيد عليه
اذا كانوا في مرتبة واحدة ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة والتاء فيهما واو وكذا تراث فالتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقي مثل ضرب الامير المضروب به فالمعنى ان يخافوا من جهتهم امرا يجب تقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز ان تكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد لان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح
عند الائمة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي يحذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجازا اقامة للظرف مقام المظروف ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا لما هو اشمل فقال ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال انما امهلكم للتحذير ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وفي عامله وجوه قال
ابن الانباري ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وقيل ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله تعالى تعظيما لشانه مثل ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ والامد الغاية التي ينتهي اليها كانت
او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحملها على انسوا الا ان الحمل هاهنا على الابتداء والخبر اوقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تاكيد للوعيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعى القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخرسوى طريق التهديد والتحذير فقال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون

فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلعم وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه
وترك الحب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا وتعرضوا على ان يكون الثناء والاولى محذوف ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله
لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفو وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عم مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة واما محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فقوله صلعم زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابرهيم عم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس يستبعد
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال عم
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع غطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي صلعم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب عم ريح يوسف من مسيرة ايام وقال عم ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندر وفيه نظر اذ لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملائما للاعجاز او لخاصية اودعها في
المنافي حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي علمني رسول الله صلعم الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي صلعم وعروج عيسى عم الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس و
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس واكمل ولهذا
بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من
البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القران دل على ان اولى الاشياء صطفى الله وخليفته ثم انه وضع كمال
اصطفى ادم

القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم عم شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية المحمدية وجعل اسحق مبدأ الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلعم فلما ظهر محمد صلعم نقل نور النبوة ونور الملك اليه عم وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بال ابرهيم اولاده عم وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده عم فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا لله او لان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل منهم سوى ادم بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم
كانوا متوالدين من ادم وقيل يعني ان الال ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان

ولاوي

سليمان بن داود بن ايشا بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما اخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال
العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فمجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف التاويلات قل اللهم مالك الملك هو مالك الوجود
فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتى الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتعطى بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد
بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النورى وتذل من تشاء بذل الفيض القهرى بيدك الخير انك على كل
شئ قدير تضمين الدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذى يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات
الصفات البشرية النفسانية فى نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحى بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن
الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان
والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه فى شئ الا ان تتقوا
من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فواسوها كيلا تعجز عن السير بالجوع والضلال فى الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله
نفسه اى من صفات قهره قل ان تخفوا ما فى صدوركم من معاداة الحق فى ضمن موالاة النفس ويعلم ما فى سموات قلوبكم وما فى الارض نفوسكم
يوم تجد كل نفس ما عملت اثر الخير والشر ظاهرا فى ذاتها وصفاتها بحسب ذلك يبيض وجه قلبه ويسود ولكنه فى غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب
النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه فى
متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات ولمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع
فالاولى درجة عوام المؤمنين وهى متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهى متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهى متابعة احواله
واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهى مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير
الاحسان وهو لشائبة الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب وما انا بالباغى على الحب رشوة ... ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قال رابعة احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل
لذاكا ... ويضطر هذا المحب فى هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر ما عبد الله
لا رجوا مثوبته لكن تعبد اعظام واجلال ... والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهى ناشئة من الجذبة الالهية فى مكان من كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة لسبق العناية شعر قد كان لنا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ايتينا
ايتيا طائعينا ... وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا هو نار لا تبقى
ولا تذر واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه فى الحقيقة صفات
المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن فى ذاته واجب به فليس فى الكون الا الله وافعاله قرأ القارئ
بين يدى الشيخ ابى سعيد ابى الخير رحمه الله قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس فى الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع
اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مورودها على الخلق بحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت
عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة
بالرحمة وهم اهل الاعمال فقيل لهم فاتبعونى بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التى صدرت منكم على خلاف السنة
وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل وهم اهل الاخلاق فقيل لهم فاتبعونى بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل بتجلى صفات الجمال ويغفر لكم
ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات وهم اهل الاحوال فقيل لهم فاتبعونى ببذل الوجود يحببكم الله
يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبهم من روضة المحو
وعدم الاثبات احياء غير اموات يكون فى هذا المقام الحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائى فى المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون
الرائى والمرئى والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدق دعوى محبته لكم ان الله اصطفى ادم وذلك ان الله
تعالى خلق العالمين بسبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع فى ادم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو
تشريف ونفخت فيه من روحى فصار المظهر لجميع اياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق ادم على صورته ثم ذكر خواص اولاد ادم
نوحا وال ابراهيم وال عمران والمراد بالال كل مؤمن تقى بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء العالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله
سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت
بهم يمطرون وبهم يرزقون — چون گفت زن عمران پروردگارا نذر کردم از براى تو آنچه در شکم من است آزاد پس بپذير از من بدرستى كه تو

وحقيقة هذه المحبة

هو محله

على صورته

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

شنونده دانا است پس چون که نهاد حمل را گفت که پروردگارا بدرستی که من نهادم حمل را که دختر است و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست جنس نر مانند جنس ماده و من نام نهادم او را مریم

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

و من پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگارش قبولی نیکو و تربیت داد او را پرورشی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت که

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

در آمد بران برزکریا در محراب یافتی در نزد او روزی گفت که ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که آن رزق از نزد خداست بدرستی که خدا روزی میدهد آنرا که خواهد بی اندازه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

از آن زمان خواند زکریا پروردگار خود را گفت که پروردگارا ببخش مرا از نزد خود فرزندان پاک نهاد بدرستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان در حالتی که ایستاده بود نماز میکرد

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ

در محراب که خدا مژده میدهد ترا بیحیی باور دارنده مر بنده از خدا را و پیشوا و پارسا و پیغمبری از نیکوان گفت که پروردگارا از کجا

لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

مرا فرزند شود و حال آنکه دریافت مرا پیری و زنم نیز نازاست گفت که اینچنین است خدا که میکند هرچه خواهد گفت پروردگارا قرار ده از برای من نشانی گفت نشان تو آنکه گفتگو نکنی با مردم سه روز

إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ القراءة مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر

مگر بطریق رمز و یاد آر پروردگار خود را بسیار و بپاکی یاد کن او را در شام و صبح

و يعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر

ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو

بكر وحماد بالمد النصب ههنا الباقون بالمد الرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث في المحراب بالامالة

۲۰ حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر الالف ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد

۲۱ لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف مني ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم انثى ط لمن قرأ بما وضعت

الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها

على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن كفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى مفعول

كقوله اكفلنيها المحراب لا لان وجد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ه ج لما قلنا في رزقا

طيبة ج للابتداء ولجواز لانك الدعاء في المحراب لا وان كسرت لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء آية ط رمزا ط

والابكار التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وهي حنة بنت فاقود اخت ايشاع

التي كانت تحت زكريا بن اذن روي ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها

للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران

وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق

وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة

ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع و

يجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا ان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار

له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت

مطلقا اما لبناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت

لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تأويل النفس او النسمة او الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر

بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم ادخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي

في بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب اني وضعتها حال كونها انثى ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام آخر

الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي

يعتد به والحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لا ضعا علام الله تعالى فقالت

والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم

والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان

تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت علما بحال ما وضعت فلعل

لك فيه سر او ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وهو حاضر ذهني
لكنها في الذكر لحاضر ذهني تقديرا لدلالة انما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى لحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرا بما وضعت بسكون
التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما
علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى
امراة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان راضيا بها في بطنها
فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكي انه لم يسمع غيره واجاز
الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم
بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر
ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل ومن ذلك قولهم استقبل
الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كان تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل
المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها
فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث
مرات ففي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول
الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر
وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وفي التركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه
كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت
في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم
وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلعم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة واني اعيذها ومنها تكلمها
في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع
اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلعم لها انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلعم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلعم
علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق
من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي
الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال
بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها
دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير
العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه
يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم
جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس
ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان
والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة وبعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت

اخر ويصرح على ان اثر من الشيطان ويحسبه يظهر في هيئات النفس واحوالها ولطائف امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام
فيه يستدعي فهم استعداد اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي الا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال
ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا راى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى
لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا الا انه كان
يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا
لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كان نواهر يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا راى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق
اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات توجيهها الشك في القرآن وفي الحديث والعصبية المحضة على
انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان معتادا ومن عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد
اخبارها في نوال النعمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على
نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا
فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد فيه تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد
عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا راى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس
وان ذلك خارق للعادة نطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا
في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب غاية الوقت لان في الطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص
الانبياء قالوا ان زكريا لما راى اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي
لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا تكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد
التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يعطه الله عليه ويصرف عنه ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة و
تخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال
فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا
في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير
انك سميع الدعاء يعني سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة
ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ذكر ان المنادي كان جبرئيل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب
من هذا الجنس ويأكل منه ولان جبرئيل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء
رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد سمي يحيى كما
يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر
ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله
ويسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة للقصيدة والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت
يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن
عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا
بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقائق والاسرار كما
ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان
او لانه ورد في البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي كنت اقول او تكلم
به منها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم
وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الة وزيف بانه
من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل هو الذي لا ياتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس
النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلو ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على
ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام
وهو منع النفس عما لا ينبغي يروى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الامر

فانه ليس بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اى من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين او لان صلاحه كان اتم بدليل قوله عم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح
هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمن بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر ادركتني السن
العالية واثرني طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك ولذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين يجوز
بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت
البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ومثاله من لم يلد عاقر اى لا تلد شيئا فان قيل لما كان زكريا هو
الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون من اين يحصل لى غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد
انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة انه دعا وكان قبل البشارة بستين سنة فكان
قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامرأته
ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه
كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى الله ليزيل ذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا في
قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل
ما يشاء وهو ما جملة واحدة اى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه لتطلع
سروره وتعظم بكرمه به وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال آيتك
آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اى بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اى لا تقدر على التكلم
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ
الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر
وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عم عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت واحسن
العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق
واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبتها
للواقعة حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن الاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او رأس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان
لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤدا مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل
من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لا
لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات حركة من حركاتها اسرارا
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن طعام طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة
بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى المحرر لا الى المحرر اى تقبلها مني ان تكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها اى تقبلها
ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكريا وقبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال زكريا فتربيته كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج
عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهم وجد عندها رزقا اى فتوحات الغيب الذى يطعم الله به خواص عباده الذين
يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله عم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بما لم يكن في حسابها
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كانه تعالى جعل طعام
الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب بالواسطة

الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو لارواح الاولياء الحجب بينه وبين الله ثم حجاب الصف الاول بخلاف الصف الثالث الذي هو
لارواح المؤمنين بخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلي بنائر سره في الملكوت
يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بالموت كما يموت القلب بالمعاصي ولا يموت العمر
لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا
اي حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول رب اني يكون لي غلام لم يكن
من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة اتيك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان
الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة في تلك الحالة بشواهد الحق في الغيب فلا تفرغ لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا
لهذا يقوى الروح الحيواني ويستمد منه القوة البشرية فيحيي الله تم الشهوة الميتة فيهي ما تولد من الشهوة الميتة التي احياها الله يحيى ولاستمرار
هذه الحالة في الايام الثلاثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبي الله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك ع ١٣
وچون گفتند فرشتگان ای مریم بدرستی که خدا برگزید تورا
وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب
وپاک ساخت تورا وبرگزید تورا بر زنان جهانیان ای مریم فرمان برداری کن مر پروردگار خود را وسجده کن ورکوع کن با رکوع کنندگان این از اخبار پوشیده است
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة
که وحی میکنیم آنرا بسوی تو ونبودی تو نزد ایشان چون انداختند قرعهای خود را که کدام از ایشان در پذیرد مریم را ونبودی نزد ایشان وقتی که نزاع میکردند چون گفتند فرشتگان
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في
ای مریم بدرستی که خدا مژده میدهد تورا بکلمه از او که نام او مسیح عیسی پسر مریم است باجاه در دنیا ودر آخرت واز نزدیکان باشد وسخن گوید با مردمان در
المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما
گهواره ودر سنی واز نیکوکاران است گفت مریم که پروردگارا چگونه باشد مرا فرزندی وحال آنکه مس نکرده است مرا آدمی گفت که مانند این خدا میآفریند آنچه میخواهد چون بگذراند کاری را پس
يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من
میگوید مر او را که بشو پس میشود ومیاموزد او را الکتاب ونبوة وتوریة وانجیل را وپیغمبریست بسوی بنی اسرائیل ومیگوید بدیشان که آوردم شما را نشانه
ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى
از خدا که میسازم از برای شما از گل چون صورت مرغ پس میدمم در او پس میگردد مرغی بفرمان خدا وشفای میدهم کور مادرزاد وناخوشی برص وزنده میکنم مردگان را
باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما
بفرمان خدا وخبر میدهم شما را بآنچه میخورید وآنچه را که پنهان دارید در خانهای تان بدرستی که در این هر آینه نشانیست مر شما را اگر باشید گروندگان وباور دارنده مر آنرا
بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
که پیش از من بوده است از توریة وتا حلال گردانم از برای شما پاره چیزهائی که حرام شده بود بر شما وآورده ام شما را نشانه از پروردگار شما پس بپرهیزید خدا را واطاعت کنید مرا بدرستی که خدا پروردگار
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار
وپروردگار شماست پس عبادت کنید او را این راه راست است پس چون دریافت عیسی از ایشان کفر را گفت که کیست یاور من بسوی خدا گفتند حواریون که ماییم یاری دهندگان
حزب
الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا و
دین خدا گرویدیم بخدا وگواهی ده باینکه ما مسلمانانیم پروردگارا گرویدیم بآنچه فرو فرستادی وپیروی کردیم پیغمبر را پس بنویس ما را با گواهی دهندگان ومکر کردند
ع ١٤
مكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل
ومکر کرد خدا وخدا بهترین مکر کنندگانست چون گفت خدا که ای عیسی بدرستی که بمیرانم تورا وبالا برده ام تورا بسوی خود وپاک کننده تورا از آنها که کافر شدند وگرداننده
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين
آنها را که متابعت کردند تورا بر بالای آنان که کافر شدند تا روز قیامت پس بسوی من است بازگشت شما پس حکم کنم در میان شما در آنچه که بودید که در آن اختلاف کردید پس اما آنان
كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
که کافر شدند پس عذاب کنم ایشان را عذاب سخت در دنیا ودر آخرت ونباشد مر ایشان را یاوران واما آنان که گرویدند وکردند کردارهای شایسته پس تمام دهد
اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه
مزدهای ایشان را وخدا دوست ندارد ستمکاران را این را میخوانیم بر تو از نشانها وپند استوار بدرستی که مانند عیسی در نزد خدا چون مانند آدمست که آفرید او را
من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين القراءة وبعلمه القرأة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل
از خاک پس گفت مر او را بشو پس شد حق از پروردگار تست پس مباش از شک آرندگان

ويعقوب الباقون بالنون انى اخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع انى اخلق بالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة
فى الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فتكون بتاء التانيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك فى المائدة الباقون طيرا انصارى الى
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرا فنبئه ابو عمرو وطريق ابى الزعرا بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون
الوقوف العلمين ○ الراكعين ○ اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ○ منه قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة فى اسمه ولكن المراد
من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من
المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين بشرط يشاء ط فيكون ○ والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على
ومن الصالحين ومنصوبا بمحذوف اى ويجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرا انى اخلق بالكسر باذن الله ج
والثانى كذلك للتفصيل بين المعجزات فى بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ○ فاعبدوه ط مستقيم الى الله ط انصار الله ج لان
امنا فى نظم الاستيناف مع امكان الحال اى وقد امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ○ الشاهدين ○ ومكر الله ط
الماكرين ○ القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاخرى للابتداء بالنفى مع ان النفى تمام المقصود ناصرين ○ اجورهم ط الظالمين ○ الحكيم ○ ادم ط لان
الجملة لا يتصف بها المعرفة فيكون ○ الممترين ○ التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل فى اذ ههنا هو ما فى قوله اذ قالت امراة عمران لمكان
العطف والمراد بالملائكة ههنا جبرئيل كما يجئ فى سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فارسال جبرئيل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا
لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبى من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث
فى الروع والالهام كما فى حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاءان
بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور فى اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى
ومنها قال الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام
الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة فى حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر
والمعصية كما قال فى حق ازواج النبى ص واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن
الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثانى فهو ما اتفق لها فى اخر عمرها من ولادة عيسى بغير اب وشهادته ببراءتها عما قذفها
اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى انه ص قال كمل من نساء العالمين اربع مريم واسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد
وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى امر بالعبادة على العموم واسجدى
امر بالصلوة تسمية للشئ باعظم اركانه كما فى قوله وادبار السجود وفى الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله ص اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثانى امر بالصلوة فى الجماعة
وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغيير العبارة وقد يسمى باحد اركانه واما لتسمية للشئ باعظم اركانه بناء على ما قيل الركوع افضل
من السجود لان الراكع حامل نفسه فى الركوع فالمشقة فيه اكثر او للتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعى مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع
بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتى الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدى واركعى استعمال كل منهما فى وقته اللائق به و
الواو يفيد التشريك لا الترتيب او المراد انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم لا فى عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما
لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روى ان مريم بعد ذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها
وسال الدم والقيح منها اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن اقل فى خدمتك من احد النساء ذلك الذى سبق من انباء حنة
وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفى من اشارة
او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبرئيل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت
المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة فى حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى ومثله فى القران غير
عزيز وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق
الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام فى شئ على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض فى استحقاق
ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روى فى الخبر انهم كانوا يلقونها فى الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء

قال لها ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم قال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها اسمائهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي تتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل تنافسا في كفالتها وذلك لرغبتهم فيها لانها بنت امامهم عمران ولانها من خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي والاشبه انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرق من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبرئيل كما مر متعلق اذ هو متعلق واذ قالت كان هذا بدلا من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا للكل فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب ممكن في نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على التولد كتولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غاية الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء طعنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته مما يؤيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما يكون اسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المرأة بوجه آخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار تأثير كلمة كن في حقه اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد اما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا يجوزون ان يقال المسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح الاوزار والآثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص كان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبرئيل مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال لضربه في الارض اي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لها تنبيها على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب وفي الآخرة بالشفاعة لامته المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الاناء المعروف لاضجاع الصبي كيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي وروي ان عمره بلغ ثلاثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد وكهلا على حد واحد

وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلباً في الاحوال من الصبى الى الكهولة فان التغير
على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه
يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك
ان مثل هذه الواقعة يكون بحضرة جمع عظيم ويتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها النصارى
لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان
كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليه من السوء وكان الحاضرون جمعاً قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء و
بتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى
ان نطق القرآن بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك اوصاف يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم
هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر لم تقل ذلك استبعادا او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما
مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق
المولود بغير اب ولهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على
يبشر او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لانه
في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب فكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل
به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك
وشرفه باطلاعه عليه فهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا
على وجيها وما بعده الى بنى اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم انى قد جئتكم
يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا بانى قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين
يدى فمعطوف على قوله بآية اي آية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدى جئتكم لاجله وفي الكشاف تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا بانى قد
جئتكم وناطقا بانى اصدق ما بين يدى وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا بانى قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس
لا الفرد لانه عدد انواعا من الآيات ثم ابدل عن الآية قوله انى اخلق فيمن قرأ بفتح انى ويحتمل ان يكون مع ما بعده اي هي انى اخلق ومن قرأ
انى اخلق فللاستئناف او للبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب هذا احسن ليوافق قراءة الفتح و
المعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيأت الشئ واصلحته فانفخ فيه اي في ذلك الطير المصور والشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو
اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة
واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح
ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شئ كان نفخه موجبا لصيرورة
ذلك الشئ حيا وذلك انه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس
الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق
الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه
والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا ورواه الخليل عن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في
ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه
وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم
حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر وما ذلك
يكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا اخذ جلده بالابهام والسبابة واشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة
خرج منه دم او رطوبة موردة ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز فيروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيي الموتى احيا عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من
قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى

يحيى الكلام وات

يحيي الاموات باحياء قوم و كرر قوله باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول
امره يخبر بالغيوب وروى السدى انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا
فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في
البيت فقال عم فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت
نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك وفي الادخار وافتعال من ادخر قلبت كل
من التاء والذال دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك المخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسئلة
بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يقع لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها
كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل ومصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه
من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى عم
تقرير احكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب في ذا الوقت لكن التأبيد مذكور
فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعن وهب بن منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التوراة
وانه ما وضع الاحد بل كان يعظم السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم
شرايع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما
قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل
القول اية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الايات واطيعون فان طاعة الرسول
من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى
الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا
عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس او انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدى
لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قومه كامر محمد صلعم بمكة وكان مستضعفا
فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما
حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان يجعل على كل رجل منا يوما ان يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي
والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال عم يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن
واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عم اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور
طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة
فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى عم وطلب منه ذلك
فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا
بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في
التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين
وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى
انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في
الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة
اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه على ارادة القتل وكان هو في الهرب منهم قال لاولئك الاثني عشر من
الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود
لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم اخذ عم اذن العبد
فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال

موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من أنصاري الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل النقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسئله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا الحواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا ينتقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا وسموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى المخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهد بن فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق وقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه وروي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامره جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبريل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على غيره فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليهم فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسئلهم عن عيسى فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طيباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ططيطوس غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل الهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه

وسموا انهم

الروزنة

طيباريس

اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الى ان بل رافعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الى وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك وجسدك جميعا فرافعك الى دفعا لوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل جاعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره وهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الى ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الى فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قوله ابرهيم اني ذاهب الى ربي انما ذهب من العراق الى الشام وقد سمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم او المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا للبشارة ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الاية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا ثم بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القران دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فلي ان اجوز ان هذا الذي ايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان اخر القي شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس فاذا جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب اوله سفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في النبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور تدارك له بان الامة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر عنه فهذه

بأني ثم

اليهود

الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولى الهداية قال ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وفيه بشارة
لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين به والجاحدين وتفسيره قوله فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا بالقتل والسبي والذلة
وانواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح
وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو وان اراد كفر الكافر الا انه لم يوصل الثواب اليه قالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى
انه لا يريد ظلم الظالمين ذَلِكَ الذي سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نَتْلُوهُ عَلَيْكَ والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد
هو ذكر الشيء بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر وخبر مبتدأ محذوف والمراد بها الآيات القرآن
ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ
فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ القرآن وصف بصفة من هو سببه كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم لانه
أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ اى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر انه تعالى انزل
هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال عليه السلام وما اقول قالوا تقول انه عبد
قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فأرنا مثله
فانزل الله عز وجل إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ اى حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بلا
الوجود من غير اب بل آدم اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ اى قدره جسدا من طين قبل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها و
اسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم عجمي كآزر ووزنه فاعل لا افعل والضمير عائد
الى آدم الموجود كقولك هذا الكوز اصله من الطين ثم قال الراى لذلك المقدر كُنْ فَيَكُونُ وهذا كقوله ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ وانما لم يقل فكان
الا انه حكاية حال ماضية او ما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله فَأَضْرِبُ بِهَا الْبَحْرَ فَأُحْرِقَتْ والمراد اعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما قال له ربك كن
فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر كقول القائل اعطيت زيدا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين ثم انا اخبرك اني
اعطيته امس الفين فكذا قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ اى صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى
بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا
وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها لما فيه من الظلمة والكدورة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوأ الاجرام
السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج
ماء البحار وابقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر
على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج الى الخالق بلا امتزاج علاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا إِنِّي خَالِقٌ
بَشَرًا مِنْ طِينٍ ثم انه سل من لطيف اجزاء الطين وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثم جعل طينا لازبا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ
ثم بتسنه وغيره وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق يعني الذي انبأتك من شأن عيسى
لا الذي اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار والحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل
من الشيطان فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا
وفي هذا النهي عن عليه السلام في زيادة الثبات والطمانينة ولطف للامة وقد مر نظائره في سورة البقرة التأويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء
على غير الجنس إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ولم يكن مجانسا حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله
لولاك لما خلقت الكونين وقال عليه السلام آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ يا مريم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
لاصطفائه ايماه وَطَهَّرَكِ عن الالتفات بغيره وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ لتنال درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف الا الانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه

عن الخبر

مما يجب

الآية

فيه فهو ايضاً كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه معرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل
المركب بتركيبه الشريعة المرتبي بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى بهذا الاسم اعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعداً
لهذا الكمال في ابتداء امره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في
المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وروى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وجنيني حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان
سبح في بطني وانا اسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر ادم فاستخرج منه ذرات ذرياته لم يرده الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات
بالرجوع الى ظهر ادم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي الممسوح وكهلاً اي كما هو حال النبوة لان بلوغ
الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء في تعليم الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير
ذلك من الايات التي هي من نتايج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر لاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول
انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي ايات المعجزات
وعلى الولي امارات الكرامات ولما كان روح عيسى وذرة طينته المستخرجة من ظهر ادم محتبسة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة
ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل انوار الصفات في بدو امره فكلم الناس في المهد وكتب يقرأ التورية والانجيل من غير تعلم
ويحيي ويبرئ الى غير ذلك من الايات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري
الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله امنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون
لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا امنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطايف والحقايق واتبعنا الرسول الوارد من
نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين اتباعها في هلاك عيسى الروح
ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى
ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف والقهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح
فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا بحجاب الغفلة وبالاشتغال بغير الله وفي الاخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون
انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها
في تكوين ادم من تراب بلا اب وام وخلق حوا بلا ام وخلق عيسى من مريم بلا اب خرقاً للعادة ودلالة على اختياره ودفعاً لما يفهم من قال بالايجاب
في الايجاد فلا تكن من الممترين في الكينونة قاله في الازل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد پس هركه حجت كند با تو دران پس انكه آمد ترا از دانش پس بگو بيايد تا بخوانيم
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو
فرزندان مارا و پسران شمارا و زنهای مارا و زنهای شمارا و خودهای مارا و خودهای شمارا پس سوگند خوريم پس گردانيم لعنت خدارا بر دروغگويان بدرستی که اين آيينه
ع القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب
حکايت راست و نيست هيچ خدائی بجز خدای و بدرستيکه خدا هر آيينه اوست غالب استوار پس اگر برگرديد پس بدرستی که خدا داناست بفساد کنندگان بگو ای اهل کتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا
بيائيد بسوی سخنی که برابرست در ميان ما و ميان شما که نپرستيم بجز خدارا و انباز نياوريم با وی چيزيرا و فرا نگيرد برخی از ما برخی را خدايان از غير خدای پس اگر برگشتند
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون
پس بگوئيد گواه باشيد بانکه ما مسلمانانيم ای اهل کتاب چرا حجت کنيد در ابراهيم و حال آنکه فرو فرستاده نشد توريه و انجيل مگر از بعد او آيا پس درک نکنيد
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهودياً
آگاه باشيد اي گروه که حجت کرديد در آنچه شمارا بآن دانش است پس چرا حجت ميکنيد در آنچه نيست شمارا بآن دانشی و خدا ميداند و شما نميدانيد نبودی ابراهيم يهودی
ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
و نه ترسا و ليکن بودی يگانه منقاد و نبود او از مشرکان بدرستی که سزاوارتر بابراهيم هر آيينه آنانيند که پيروی کردند او را و اين پيغمبر و آنان
امنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب
که گرويدند و خدا دوست گروندگانست دوست داشتند گروهی از اهل کتاب که گمراه کنند شمارا و گمراه نکنند مگر خودشانرا و درک نکنند ای اهل کتاب
لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون الثلاثة ها انتم بالمد
چرا کافر شويد بآيات خدا و حال آنکه شما گواهی ميدهيد ای اهل کتاب از برای چه ميپوشانيد حق را بباطل و پنهان داريد حق را و حال آنکه ميدانيد

وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمزة والوقف الكاذبين ه القصص
الحق ج الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لنا هي جملة وافية الى ابتداء شرط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا
تعلمون ه لا مسلما ط المشركين ه والذين آمنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه التفسير روي انه صلى الله عليه وسلم لما اورد الدلائل
على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك
فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار
على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان صلى الله عليه وسلم
احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني
لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلى الله عليه وسلم
فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل
عام الفي حلة الف في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد
تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم
علي ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق
الوحي والتنزيل فقل تعالوا اي هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل تعالوا من العلو وذلك ان
بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار
من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى
تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والمباهلة ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من
رحمته ومنه قولهم ابهله اي اهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها
فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسئل الله ان يلعنه
وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد
يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في
الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس
المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذا نفس علي هي
نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى آدم
في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه
ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا
الانسان على ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد فكذا في حق
سائر الانبياء واما افضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وفلذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا
ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة واما قوله فان النبي لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج
والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله ومن في افادة
معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب
عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالبا

غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد ان الاله يجب ان يكون غالبا لا يدفع ولا يمنع
وهم يقولون انه قد قتل فلم يقدر على الدفع وبان يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا لاجل
العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم
الخبيثة ثم انه صلعم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا او رضوا بالصغار وقبلوا الجزية
امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية
من تمام قصتهم وقيل لانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد به يهود المدينة وقيل اليهود
والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلعم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى و
قالت النصارى يا محمد صلعم ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا
اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على
صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه او المراد الى كلمة سواء مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى
جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت
بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ابن مريم وحيث
اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم
من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النفس ورؤية الامور من الوسائط افرايت من اتخذ الهه هواه
ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا
عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء
فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح على هذا القول وبالاشتراك ايضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع
في التحليل والتحريم والانقياد والايتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلعم قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال صلعم هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف
باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعدما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا
او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه
وبين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين
انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد عبادة المسيح الصحيح النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في
دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلعم او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم
وعن الاخفش ها انتم اصله آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين من اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح
فان قيل لكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع
لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون
للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ
تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشرع مع ابرهيم ثم
موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روي انه حكى عن اصحاب رسول الله صلعم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الادم
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلعم ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل اليهم احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه ونحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي تبعوه اصدقني قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله صلعم وهو بالمدينة
قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلعم والذين آمنوا في اخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصرة والتاييد والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ هذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلعم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس الاية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بايات الله قيل اي التوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلعم وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل ما الكفر بما يدل عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الايات الدالة على نبوة محمد صلعم ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلعم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الاية اخبار عن الغيب

بالتحية التي يحييك

انزله

فيكون

فیکون معجزا وقیل ایات الله هی القران وشهادتهم انهم یعرفون فی قلوبهم انه حق وقیل ایات الله جملة المعجزات علی النبی ﷺ فمعنی تشهدون انکم تعرفون دلالة المعجزة علی صدق المدعی ثم لما وبخهم علی الغوایة اردفه التوبیخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات فی البین وهو معنی لبسهم الحق بالباطل او اما باخفاء الدلیل وهو کتمانهم الحق عن الحسن وابن زید حرفوا التوریة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا عنه فی اخره تشکیکا للناس وقیل ان فی الکتابین ما یدل علی نبوة محمد ﷺ والبشارة به وفیهما ما یوهم خلاف ذلک فیکون کالمحکم والمتشابه فی القران فلبسوا علی الضعفاء احد الامرین بالاخر کما یفعل کثیر من المشبهة وهذا قول القاضی وقیل کانوا یقولون ان محمدا معترف بان شرع موسی حق ثم ان التوریة دلت علی انه لا ینسخ وکل ذلک القاء الشبهات واما کتمان الحق فان الایات الدالة فی التوریة علی نبوة محمد ﷺ کان الاستدلال بها مفتقرا الی التدبر والتامل والقوم کانوا یجتهدون فی اخفاء تلک الالفاظ التی بمجموعها یتم الاستدلال کما یفعل المبتدعة فی زماننا وانتم تعلمون انکم انما تفعلون ذلک عنادا وحسدا او تعلمون انکم اهل المعرفة وتعلمون حقیتها او ان عقاب من یفعل هذه الافعال عظیم

وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ ع ٤

وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بآنکه فرو فرستاده شده بر آنها که گرویده اند در اول روز و کافر شوید در آخر آن شاید

يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ

که برگردند و مگروید مگر مر آنرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خدا است که داده شود یکی مانند آنچه را که داده شدید یا حجت کنند شما را در نزد پروردگار

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَمِنْ

بگو که بدرستی افزونی در دست خدا است میدهد آنرا بهر که میخواهد و خدا محیط و دانا است مخصوص کرداند برحمت خود آنرا که میخواهد و خدا صاحب افزونی بزرگست و از

أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را مال زیادی باز گرداند بتو و از ایشان کسی است که اگر امانت دهی او را دیناری باز نگرداند بتو مگر مادامیکه هستی بر او ایستاده این بجهة آنست که ایشان گفتند

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝

نباشد بر ما در زنا نویسندگان راهی و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود و پرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ

بدرستی که آنها که میخرند بعهد خدا و سوگندهاشان بهای کمی آنگروه بهره نیست آنها را در آخرت و سخن نگوید با آنها خدا و ننگرد بایشان

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

در روز قیامت و پاک نگرداند ایشانرا و مر ایشانراست عذابی دردناک و بدرستی از ایشان گروهی که میپیچانند زبانهاشانرا بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب و نیست آن از کتاب

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ

و میگویند که آن از نزد خداست و حال آنکه از نزد خدا نیست و میگویند بر خدا دروغ را و ایشان میدانند سزاوار نیست هر آدمی که بدهد او را خدا

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ

کتاب و داوری و پیغمبری پس آنگاه بگوید بمردم که باشید بندگان من غیر از خدا ولیکن بگوید که باشید خدا پرستان بجهة یاد گرفتن شما کتاب را

وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ القراءات

و بجهة خواندنتان الکتاب را و نفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان و پیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر پس از آنکه شما مسلمانید

یؤتی بهمزتین

وتلیین الثانیة ابن کثیر الباقون بهمزة واحدة یؤده ولا یؤده بالاختلاس یزید ... ابن کثیر ونافع غیر قالون وابن عامر وعلی وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ویزید عن یعقوب قرء ابو جعفر وقالون ویعقوب غیر زید وابو عمرو فی روایة الزیدی طریق ابی ایوب الهاشمی بالاختلاس الباقون ساکنة الهاء تعلمون بالتشدید عاصم وعلی وحمزة وخلف وابن عامر فیحذف المفعول الاول العلم به هو الناس الباقون تعلمون بالتخفیف من العلم ولا یامرکم بالرفع ابن کثیر وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلی والاعشی والبرجمی وابو زید عن المفضل وقرا ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب الوقوف یرجعون ج للعطف دینکم ط هدی الله لا لان التقدیر ولا تصدقوا بان یؤتی احد مثل ما اوتیتم الا لمن تبع دینکم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرا ان یؤتی مستفهما وقف علیها عند ربکم ط بید الله ج لان یؤتیه لا یتعلق بما قبله مع ان ضمیره عائد الی الله من یشاء ط علیم ط لاحتمال الاستئناف والصفة من یشاء ط العظیم الیک الاول ج لتضاد الجملتین معنی مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبیل ج لان الواو للاستئناف مع اتساق معنی الکلام یعلمون المتقین یزکیهم ص الیم وما هو من الکتاب ج لعطف المتفقتین مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج یعلمون تدرسون لا لمن قرا ولا یامرکم بالنصب عطفا وعلی ان یؤتیه ارباب ط مسلمون التفسیر هذا نوع اخر من تلبیساتهم وقوله بالذی انزل یحتمل ان یراد کل ما انزل الله علیهم ویحتمل ان یراد بعض ما انزل ما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدی تواطأ اثنا عشر حبرا من یهود خیبر وقری عرینة وقال بعضهم ادخلوا فی دین محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار ای اوله والوجه فی اللغة مستقبل کل شیء لانه اول ما یواجه منه

ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد الربيع بن زياد: من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار: يجد النساء حواسراً يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فيعني البيت من كان مسروراً فليأت ترتشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فما وجدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا ذلك غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث الشافي انه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال ابو مسلم معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الآية كقوله وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيراً مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شأن القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح وآخره صلوة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين وفي الآية فوائد احدها ان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك اعظامهم وثانيها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزاً ثم قال تعالى وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ وكذا قوله قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ الى آخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ [رَبِّكُمْ] من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عد الآية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى ألأن اي امن اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وتعديد ذنوبه عليه قد احسن اليه من قبل احساني اليك امر اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذاك ونظيره قوله أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ومعنى قوله حكاية عنهم وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ على هذا الوجه لا تصدقوا الانبياء بغير شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شئ من احكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلاناً ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه ديناً فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال ألأن يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى قلتم ما قلتم ثم قال أَوْ يُحَاجُّوكُمْ يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام بمحذوف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم ويقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الآخرة لانه يظهر لهم في الآخرة انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة

معناه

فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف والمعنى اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال و
معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم اى ستركم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله
وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خواصكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى الحكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الهدى هدى الله ان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الفضل آية
الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله
وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما آتيتم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم
بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى
في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد و
الكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين و
اخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تأمنه
بقنطار يؤده هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار لا يؤده هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه و
قطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يغتر بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال
امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها او الاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والعين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله
على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرته واخرته انكره ومنهم
من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان المطالب للشيء يقوم فيه والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة
قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال او ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال

العرب بسبيل الخطاب والعتاب اما لانهم بالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين
بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلاجرم قال تعالى وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بادعائهم ان ذلك في كتابهم وَهُمْ
يَعْلَمُونَ انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي صلى الله عليه وسلم الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سئله
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال
اهل الكتاب لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيب انفسهم بَلَى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا
لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك ما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس
علينا جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف
على بلى وقيل ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود واوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من
الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه صلى الله عليه وسلم ولم يحرفوا كتابه وفي عموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ
والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم
الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى ياتي بها
على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين
او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا الا جرم اردفها
بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلاجرم قال إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الاية واختلف
الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم
وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا
من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسئلهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم
علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسئلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت
الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن
قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق
بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه
ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله ما اتفقوا والايمان هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر الله تعالى او
صفة من صفاته وما يجري مجراه بالثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا
قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اشارة الى ما يحصل
لهم هنالك من صنوف الالام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم
لان من منع كلام غيره في الدنيا غيره فانما ذلك لسخط عليه فاذا امره بحجبه عنه يقول لا اكلمك ولا ادري وجهك اذا اجري ذكره بالجميل قال في
الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فيمن يجوز عليه النظر الكناية
من اعتد بالانسان التفت اليه واعاده نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب
الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الاية على ان النظر المقرون
بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي سيخص
الله تعالى به اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وعلى هذا لجاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

قد حنثتم

من نفى رؤيته اراه العباد ايضا وحينئذ نفى رؤيته لا يرونه حينئذ فان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف
غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب
قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان الليّ عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف فاقول ان ذلك لان لي اللسان اشبه بالتشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفى اولا كونه من الكتاب ثم
عليه نفى العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التوراة فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خائفين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان
وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التوراة او اعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق
الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم و
الغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما زعمتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله وصل لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك يمنعهم الله منه نظيره ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه و
للحكم وهو فهم ذلك الكتاب باسراره وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب فاذا كانت
كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي في تصاريف امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه مثل ما كان لله ان يتخذ من ولد على
سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل معناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كونوا ولكن م
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو
الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بامرهم والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة فالربانيون هذا
التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

وسواء كانت عربية يدل على الانسان الذى علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس
مات ربانى هذه الامة والباء فى قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القرائتين فيعلم منه ان التعليم والعلم والدراسة
وهى القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضى ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما و
مواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا ان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر
وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة توقع بمنظرها ولا ينتفع بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع
ومن علم لا ينفع وفى الاية دليل على صحة قولة العلماء ورثة الانبياء فامل تفهم باذن الله ولا يامركم من قرا بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل
لا مزيدة لتاكيد النفى المتقدم اى ما ينبغى لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يجاوزه الى ان يامر الناس بعبادة نفسه و
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهيننى ولا يستخف بى والثانى ان يكون حرف النفى زائدة فيرجع المعنى
الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين عيسى وعزير كانه اخرج نفسه
بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرا بالرفع على الاستيناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير فيه على قراءة الرفع
قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى عليه السلام وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملئكة
وعبادة المسيح ايامركم اى البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اى انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين
كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له قلت وضع الشيء ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما
صح ولا يعقل ان يامر النبى امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى
الايمان بالله والله ولى التوفيق

ع وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيْثَاقَ النَّبِيّٖنَ لَمَآ اٰتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتٰبٍ وَّحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
وچون گرفت خدا پیمان پیغمبران را چونکه دادم شمارا از کتاب و دانش پس آید شمارا پیغمبری باور دارنده مر آنچه را که باشما است هر آینه ایمان آرید
بِهٖ وَلَتَنْصُرُنَّهٗ قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلٰى ذٰلِكُمْ اِصْرِيْ قَالُوْٓا اَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوْا وَاَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشّٰهِدِيْنَ فَمَنْ تَوَلّٰى
بان هر آینه یاری دهید او را گفت که آیا اقرار کردید و فرا گرفتید بر این عهد مرا گفتند که اقرار کردیم گفت که پس گواهی دهید و من با شما از گواهانم پس هر که برگشت
بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ اَفَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ يَبْغُوْنَ وَلَهٗٓ اَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا وَّاِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ
پس از این پس آن گروه ایشانند فاسقان آیا پس غیر از دین خدا میخواهند و مر او را اسلام آورده هر که در آسمانها و زمین است برغبت و اکراه و بسوی او باز گردانیده شوند
قُلْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ عَلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَمَآ اُوْتِيَ مُوْسٰى وَعِيْسٰى
بگو که گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بما و آنچه فرستاده شد بر ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان او و آنچه داده شد موسی و عیسی
وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْاٰخِرَةِ
و پیغمبران از پروردگار شان جدائی نمی‌داریم در میان احدی از ایشان و ما او را تسلیم کننده‌ایم و هر که خواهش کند بجز اسلام دینی را پس پذیرفته نشود از او و او در آخرت
مِنَ الْخٰسِرِيْنَ كَيْفَ يَهْدِى اللّٰهُ قَوْمًا كَفَرُوْا بَعْدَ اِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوْٓا اَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَّجَآءَهُمُ الْبَيِّنٰتُ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى
از زیانکاران است چگونه هدایت کند خدا گروهی را که کافر شدند پس از گرویدن شان و گواهی دادند که پیغمبر حق است و آمد ایشان را گواهان و خدا راه نمی‌نماید
الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ اُولٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ اَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِيْنَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
گروه ستمکاران را آن گروه پاداش ایشان اینست که بر ایشان است دوری خدا و فرشتگان و مردمان همه جاویدان در آن که سبک نشود از ایشان عذاب
وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ اِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا مِنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ وَاَصْلَحُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْدَ اِيْمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوْا
و ایشان مهلت داده نشوند بجز آنان که توبه کردند از پس این و صلاح کردند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربان است بدرستی که آنانکه کافر شدند پس از ایمان پس افزودند
كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْ اَحَدِهِمْ مِّلْءُ الْاَرْضِ ذَهَبًا
در کفر پذیرفته نشود توبه ایشان و آن گروه ایشانند گمراهان بدرستی که آنانکه کافر شدند و مردند کافران پس قبول نشود از یکی ایشان پری زمین از طلا
وَّلَوِ افْتَدٰى بِهٖ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ وَّمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ القراءة لما بكسر اللام حمزة والجزاز الباقون بفتحها اتيناكم على صيغة جمع المتكلم
هر چند فدیه دهند آن را آن گروه مر ایشان راست عذاب دردناک و نیست ایشان را یاوران ابو جعفر و نافع الباقون اتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة ويرجعون
بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو غير عباس وقرا عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرا يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون
بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملاء بالهمزة الارض بغير الهمزة روى النجاري عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همزة
فيهما الباقون بالهمزة فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصرى ط اقررنا ط الشاهدين الفاسقون يرجعون من ربهم ص منهم ج مسلمون منج
لعطف المختلفين الخاسرين البينات ط الظالمين ه اجمعين ه لا ينظرون لا للاستثناء رحيم توبتهم الظالمون افتدى به ط امد يكه ناصرين

التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعاً لاعذارهم واظهاراً لعنادهم ومن جملتها
اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب وفي اضافة الميثاق الى النبيين اما
ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه وهم او من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما
يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل
عن علي عليه السلام انما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما
روي انه ﷺ قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم
لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد ﷺ الا ان الميت لا يكون مكلفاً وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنوا اسرائيل على حذف المضاف وامة
النبيين فقد ورد كثيراً في القرآن لفظ النبي ﷺ ويراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون اهل الكتاب فقد ورد
على زعمهم تهكماً بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة عن محمد ﷺ لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى على ان الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد ﷺ
فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروي عن
ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤن واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن و
اللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي
آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال
اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط ويحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان
والنصرة فالاصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جواباً للقسم ظاهراً ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام في
الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر بهذا ان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جزاء الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم
يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام فللتعليل وفيه وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة ولمجيء رسول الله ﷺ موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق
سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وما بعدها الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل اصله لمن ما اي لمن اجل
ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احداها للتخفيف فيؤل المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من
اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطباً لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار وكأنه قيل واذ اخذ
او اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ
اخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه و
النبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب لكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او الكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم وجعل الداعي للكتاب الى
العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه في زمانكم وان
كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها وان
وقع الخلاف فيها فذاك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد ﷺ
ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد ﷺ فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس
مجيئه تصديقاً لما كان معهم وقيل الظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقاً لما معهم قيل يحتمل ان يكون الميثاق
اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولاً عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته في
كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله ﷺ مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له وانما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او
اممهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في الزمان
فيكون معنى الآية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتاباً وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقاً لما معه وينصره بان
يظهر حقيته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وفي قواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الآية تمهيداً لما يجيء بعد من
قوله قل آمنا بالله الآية قال الله او كل نبي لامته مستفهماً بمعنى الامر أأقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة
منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلك اصري عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها

قلت اى لا يقبل و اخذ الصدقات اى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يوصر اى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال
فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيل عليهم تحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا الخطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر فى الجهل به واصله ان الشاهد هو الذى يبين
تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشئ المعاين له ويكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصره فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد
الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان
يراد ايتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
فى اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير الاول الى الفاسقين وفى الثانى الى جميع
المكلفين والاصل افتبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضى تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغى و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرر انهم يعلمون ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه
فهو ذليل بين يدى قدرته خاضع لجلال قدرته فى طرفى وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا او
نظير الاية ولله يسجد من فى السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما
من جنس الفعل اى طائعين وكارهين كقولك اتانى ركضا اى راكضا ولو قلت اتانى كلاما اى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها فى غيره من الالام والمكاره التى تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون فى الدين كرها اى خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض قول ذلك لان السفلى ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه بما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس لاعتبار بذلك الاسلام الفطرى بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبى واليه ترجعون اى الى حيث لا مالك سواه
ظاهرا او باطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق كل رسول كان قبله
امر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد فى قل فظ بناء على ما قلنا واما وجه الجمع فى امنا فللتشريف امته
بانضمامهم معه فى سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته او لاجلال قدر نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل
وفى ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين فى شئ حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبى ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور فى تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتى بعده فيكون فى الاية دليل على انه لا نبى بعده
واعلم ان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فيجوز ان يعدى تارة بعلى كما فى هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما فى البقرة فنطق القران بالاستعمالين
جميعا وقيل عدى ههنا بالى لمكان قولوا فان الوحى ياتى الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحى بطريق الاستعلاء
وزيف فى الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها فى كل موضع وانما ادعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شئ اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو فى الاخرة
من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظى لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلى فلا فرق بينه وبين الايمان كما فى هذه الاية وان اريد

لاسبيل الى معرفته

الاقرار

الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا وقولوا اسلمنا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم البينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا
ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه
الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقرأهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله لاصدق
منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف
ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب
الدلائل قالوا المراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله
فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي
الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لانه
في تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان
فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا سيما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم
الشواهد الدالة له على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف
مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين بالشيء في غير موضعه ذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة
المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان ذلة العالم اقبح من ذلة الجاهل ولهذا صرح في آخر
الاية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم ردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب المستحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا
انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المتقدمة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر
الى كفر وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب آمنوا بمحمد قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا
كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا
بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة
في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة
بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت
والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل هو محمول على
ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري هو من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه واقول
ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر مائتون على الكفر لانه
فعلهم من قساوة القلوب المفضية الى الرين والمنجرة الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا
اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية لا تكون
كلية فكم من مرتد ومن يهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فالكناية بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول
التوبة جريا للكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول وعلى
وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل اليهود

المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا تقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والا
السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سيق
لاجله الاية التي بعدها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على
الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة وملء الشيء قدر ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما
الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد وبمعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الاية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب
الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فماذا يجيبون لعل ولعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع انها من الاشياء
المنقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد
والله اعلم اما الواو في قوله فلو افتدى به فانها يشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثرت اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه قيل الها للبيان التفصيل بعد
الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و
يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله فلو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كما انه يراد به في
نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم ان
الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع في الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب
كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا للاخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى
تخليص نفسه من عذاب به ثم صرح بعقابهم وفي نفي من يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق وماتوا
اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم ۝ كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما

هرگز نرسید نیکوئی را تا که خرج کنید از انچه که دوست دارید و انچه که خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بان داناست همه خوردنیها بود حلال از برای بنی اسرائیل مگر انچه

ع ١

حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ۝ فمن افترى على الله الكذب

که حرام کرد اسرائیل بر خودش از پیش انکه نازل شود توریه بگوای محمد بیاورید توریه را پس بخوانید از اگر بوده باشید راستگویان پس هر که دروغ بندد بر خدا

من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ۝ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ ان اول بيت وضع

پس از این پس انگروه ایشانند ستمکاران بگو که راست گفت خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا

للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ۝ فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس

از برای مردم هر اینه انستکه در مکه است بابرکت و راه نماینده مرجهانیانرا در ان ایات روشن است جای ابراهیم و هر که در اید در ان میباشد اسوده و مر خدایراست بر مردم

حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ۝ قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله

قصد خانه کعبه هر که بتواند بسوی او راهی و هر که کافر شود پس بدرستی که خدا بی نیاز است از جهانیان بگوای اهل کتاب چرا باز دارید از راه خدا

من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ۝ يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين

انرا که گروید میطلبید در ان کجی را و شما گواهانید و نیست خدا بی خبر از انچه میکنید ای زمره انها که گرویده اید اگر پیروی کنید گروهیرا از انان که

اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ۝ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم

داده شده اند کتابرا برگردانند شمارا پس از ایمانتان کافران و چگونه کافر شوید بخدا و حال انکه خوانده شود بر شما ایات خدا و در شما پیغمبر اوست و هر که در اویزد

بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ۝ القراءات تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء

بریسمان خدا پس بدرستی که راه نموده شده براه راست

يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف الى الاربع تحبون ط عليم
تنزل التورية ط صادقين الظالمون حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط
مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين بايات الله قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون
كافرين رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى جمع جوامع خصال الخير في قوله تعالى

ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باجر
خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان لي حائطا بالمدينة يعني به رحى وهو احب اموالي الي اصدقة فقال صلعم بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن
كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلعم اسامة فوجد زيد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتحت مدائن كسرى فلما رآها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارا اليه دخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجملتها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
والثاني الجنة اي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس بر من فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني و
قال تعالى ان تبروا وتنفقوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وارفعها هو كل
كام وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي
الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه ويعلم الوجه الذي
لاجله تنفقون من الاخلاص او الرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلعم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد صلعم على انكار النسخ فاورد عليهم
ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي ان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلعم لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف
تاكل لحم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه لسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التوراة وثالثها انه لما نزل
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الايات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من ذلك لانه يقتضي وقوع النسخ
ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وانما هو قديم فنزلت كل الطعام اي
المطعومات كلها دلالة لفظ كل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم او لا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود
في وقت نبينا صلعم انها كانت محرمة على ابراهيم صلعم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبي صلعم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء
في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب وفرة
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم وفي ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفته

الاتحريم

فى ذا الـ

في تلك الحكم كان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على
اسرائيل فلما نسب التحريم الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه قال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده
احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب وفي معنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان
قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وحرمنا الى اخر الاية ثم ان القوم
نازعوا رسول الله صلعم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا فالزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبي صلعم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون
الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
يقلدهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض تكذيبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي التي عليها محمد صلعم ومن
تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات
التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلعم على دين ابرهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلعم بحله حكم
ابرهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابرهيم كليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى
وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت
المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلعم وقيل
ان الاية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلعم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة
وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته ذكرها بفضيلة البيت ليفرع عليها
ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم
واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد
منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس
يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول
انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين بالفي سنة
وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق ادم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد
والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض
تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلثة صفوح منها كتاب في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس
والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته و
من قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وويل لمن كان الشر على
يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلعم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا
بعد وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبياء وانه قال
تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم
غير الكعبة لم تكن هي اول بيت وضع للناس وهذا احتمال ضعيف القول الثاني يروى ان النبي صلعم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير للاولية في البناء
في هذا المقصود وان كان لا بد من ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت ان
الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابرهيم الخليل والتلميذ ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات
ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمأ

الصفا ان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء او مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت حجارته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لعوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء بدعوة خليله ابراهيم وانه من عظم الآيات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبعد عن ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث جود ارباب الحظم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لاجعلهم في الآخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كالراتب والراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن قولهم بكة اذا زحمه وفيه عن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر يصلي فيمر امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانما سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي لا بأس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الآية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها من قولك مك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر ولقلة مائها كان ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لانه يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكان ان يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم او مغرب او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة ودائم بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الآيات والاعاجيب او لانه هدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج وجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات هي بيانه وتفسيره وقوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانه بعض الصخرة دون بعضه آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة التفسير للآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعيد لتصحيحه مبني على ان الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوي ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة وقال مقام ابراهيم وامن من دخله ولله على الناس حج وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع

والمراد مقامات ابرهيم هي ما اقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بيّنة
على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم حده بيانا وأما حديث من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة
البقرة في قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان آمنا من النار لما روي عن النبي صلعم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيمة
آمنا وعند الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير
حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلعم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت أردفه بإيجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما
مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله
على من استطاع من الناس حج البيت قال الفراء يجوز أن ينوي الاستئناف بمن والخبر والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع
إليه سبيلا فلله عليه حج البيت قال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كأنه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل
هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع لأن الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لأن الدهري مكلف بالايمان
بمحمد صلعم غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع أن الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على أن الاستطاعة مع ان شرط صحة الايمان بمحمد
قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجابت الاشاعرة
بأن هذا أيضا لازم عليكم لأن القادر اما أن يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لأنه تكليف بما لا يطاق او بعد حصول الداعي
وح يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان
وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب بأصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال
خطبنا رسول الله صلعم فقال يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال أفي كل عام يا رسول الله صلعم فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب أكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو
الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويحج بهما
لما روي عن ابن عباس أن النبي صلعم مر بامرأة وهي في محفتها فأخذت بعضد صبي كان معها فقالت ألهذا حج فقال رسول الله صلعم نعم ولك أجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلعم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز أن يحرم ويحج بإذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات و
لوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولأن التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن
يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة
وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة
مباشرة بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بأمور أربعة أحدها الراحلة والناس قسمان أحدهما من بينه وبين مكة
مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي أو لم يكن لما روي أنه صلعم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد
والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له أن لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل
ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد
شريكا يجلس في الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل وبأجرة
المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد وأوعيته وما يحتاج اليه في السفر فهذه يعتبر ذهابا وايابا سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا لحب
الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب وأجرة البدرقة فكل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حتى العود
وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانة او لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق
من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لأنه واجد للزاد والراحلة في الحال
ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف
الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة لا له

الرصدي

بلا عوض من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قالت الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة
ما يمكنه المسير فيه الى الحج اكسير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلتين او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكن ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان
ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة
تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة بالاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة
عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله
تعالى فهو احق بالقضاء عنه وان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة
واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ اي حق واجب
له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال
ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايراد للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ
ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار
الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه او فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال
عَنِ الْعَالَمِينَ ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد
عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود فانهم قالوا ان
الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث
الواردة في تأكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة
الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي ما امهلوا بل عجل عقوبتهم ثم انه سبحانه لما بين اهل الكتاب في الخطاب
فقال قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات وبعد وضوح الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة
ووجوب الحج وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجترؤا على الكفر بآياته ودلائلها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما
نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك
والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او بتذكير ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعود والمثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير
تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا والمراد انكم تتبعون انفسكم
في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا عوجا
اي انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس
او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني احبارهم
وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ كقول السيد لعبده وقد
انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله وَاللَّهُ شَهِيدٌ وهذه بقوله وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ لان ذلك فيما

اظهروه من الكفر بنبوة محمد صلعم وهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ
بعد توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه واليق بها لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة و
يروى عن زيد بن اسلم وجابر انهما ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس و
الخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا
قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي
احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب
الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا
عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الآيات فجاء النبي صلعم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته صلعم انصتوا له صلعم وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلعم سامعين مطيعين فانزل الله
عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلعم فاومى الينا بيده وكففنا واصلح الله ما بيننا
فما كان شخص احب الينا من رسول الله صلعم فما رأيت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام
بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلعم في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله
يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا في
ما يعن لكم الى الكتاب والنبي قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق
بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته صلعم وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال صلعم اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا
كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى
يوم القيامة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم
والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله هداية بل قالوا انه بفعل
العبد تأولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي اي
فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم
ان الفراش لا ينال من بر الشمع وهو شعلته حتى ينفق ما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلاثة اصناف الملك النوراني العلوي
وغذاؤه الذكر خلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلتين وغذاء روحانيه
الذكر وجسمانيه الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلاثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في
غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه
وقوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس
وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا
ملة ابراهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون
مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس لا لله لانه غني عن العالمين وان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب
الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي به جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب ينفتح له والسمع فبي
يسمع وبي يبصر وبي يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده
منها مقام ابراهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد لرضا خليله كان آمنا
من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه سبيلا وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وآداب السير وكان منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمالوفات والتطهير عن الاخلاق المذمومة والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بعد ما ان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين هي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون منه قل يا اهل الكتاب الخطاب معهم باطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا منه تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

ای زمره ایمان که گرویده اید بپرهیزید خدا را سزاوار ترسیدن و میرید مگر آنکه شما مسلمان باشید و در آویزید برشته خداوندی همه و پراگنده

تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

نشوید و یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون بودید دشمنان پس دوستی انداخت در میان شما پس صبح نمودید بنعمت او برادران و بودید بر لب گودی

مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

جهنم پس نجات داد شما را از ان اینچنین ظاهر میکند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند بسوی نیکی و امر کنند

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

بنیکی و نهی کنند از ناخوش و آنگروه ایشانند رستگاران و نباشید چون آنان که پراگنده شدند و اختلاف کردند بعد از آنکه آمد ایشان

الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ

گواهان و آنگروه مر ایشانراست عذاب بزرگ در روزی که سفید شود رو ها و سیاه شود رو ها پس اما آنها که سیاه است رو هاشان گویند ایشان که آیا کافر

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

شدید بعد از ایمان خود پس بچشید عذاب را بجهة آنکه کافر شدید و اما آنها که سفید است رو های ایشان پس در رحمت خدا اند یعنی بهشت ایشان در ان جاویدان

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ

اینست آیات خدا که میخوانیم آنرا بر تو براستی و نیست خدا که بخواهد ستم از برای جهانیان و مر خدا راست هرچه در آسمانها و هرچه در زمین است و

ع٣ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

بسوی خدا باز گشت کارها بودید شما بهترین گروهی بیرون آورده شده از برای مردمان که امر میکردید بخوبی و نهی میکردید از بدی و ایمان آوردید بخدا

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ

و اگر گرویدندی اهل کتاب هرآینه بهتر بود مر ایشانرا بعضی از ایشان مومنانند و بیشتر ایشان فاسقانند ضرر نرسانند شما را مگر آزاری کم و اگر با شما کارزار کنند

يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا

برگردانند پشتها پس یاری کرده نشوند

لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون المنكر ط للعدول المفلحون البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود ط وجوه ج اسودت وجوههم ص لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون بالحق ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خير الهم ط الفاسقون قيل لا وقف عليه وقيل عليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقي وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا ليس فرق بين الآيتين لناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف نزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات في صلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق على الاراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجتمعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي على مكان مرتفع
بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقي ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام للوثوق
بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق
دقيق والسائر عليه غير مأمون ان يزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل هاهنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين متخالفة
فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روي عن علي بن ابي طالب عن النبي ص انه قال اما انها ستكون
فتنة قيل فما المخرج منها قال ص كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي ص هذا
القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي ص اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي
وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق
الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال ص ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحدة فقيل ومن هم يا رسول الله ص قال الجماعة
وروي السواد الاعظم وروي ما انا عليه واصحابي وقال ص لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يتمسك بالاية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية
ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب
التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته
عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين
متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق
فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امر يرفق ناصح لا بعنف معير وكان محبه محب الله
ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين في الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل يريد
الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب بقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ
الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما
حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف
لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لابد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم
هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتأنيث ومنه يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في
منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم
الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة لما زجر قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين اي ليس في صغير
من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الاية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كانه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا
ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول وسائر الالطاف حتى امنوا وقال اهل السنة
جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الاية دلت على
ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة
ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر نظائره في سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين
في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته
فلا جرم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض
فذهبت طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله
تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من
غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر
فروض الكفايات وقال الاخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى
والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف في مذهبه جهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا ا

آل عمران

اجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يامرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويامرهم بصلوة العيد الثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل الشرب او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذوو المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او تزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل وتحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا وليبدأ الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة ان يامرها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل : وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض : والقران ينعى عليهم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر المازن الواصل الى اصحابه افعل كذا او كذا احب يا عبد الله لكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي لم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم انجر الكلام الى امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما تختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله وتفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسئل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظيره في القران وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان قولان احدهما واليه ميل ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا والثاني

الحسن بن علي الى معاوية فقال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب يا بياض القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف فيعظمونهم او يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور وويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الآخرة ذلك احد الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر آثارها كما هي الا بعد المفارقة الى الآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه تعالى جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدأ بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تغليبا على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع فانه فن بديع في الفصاحة ومن المراد هو الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من الدلائل على التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي وكفروا به بعد بعثته قال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى ابو امامة رؤساء منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه فقال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم هذا ما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه كذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله فالسر حينئذ فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا لا محالة اشارات الى ان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب كيف لا وقد اورده فيه بقوله تلك الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد وانقضى ذكرها آيات الله نتلوها عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او متلبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلابد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب انه لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السماوات وما في الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك لكل ما في السماوات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الآية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم فلا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم

والا كان عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس يستحق الظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ
سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضروريات صفات الكمال فوضع كل منهما في
مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ على ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى لانها من جملة مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله
وايضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا
لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو
مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل
على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر
لازما من هذا الوجه وَإِلَى اللَّهِ اي الى حكمه حيث لا مالك سواه تُرْجَعُ الْأُمُورُ فالاول اشارة الى انه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى انه
معاد الكل اليه قوله عز من قائل كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امرهم ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على
الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية
وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ بمعنى انهم
استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة
لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى
الكل اليه اتبع ذلك مزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية انجعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف
انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين
قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الآية
قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اي وجدتم والاكثرون على انها ناقصة فقيل ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية
في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وقيل
المراد كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم
خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص
بقوم معينين من اصحاب رسول الله وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن
الانباري بان الزائد لا يقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله
قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطائفة
المجتمعة على الشيء الواحد وامة محمد هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة في
نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال للكل ممن جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد
قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ وقوله للناس
اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل
بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة
حجة لانها لو لم يحكم بالحق لم يكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاث كانت حاصلة لسائر
الامم فذلك لان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات
الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع
وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي انا نبي السيف امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في
قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله ويقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر
المنكر وفائدة القتل على الدين انه لا ينكره منصف فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم
فاذا خوفوا بالقتل دخلوا في دين الحق ثم كرها الى ان تالفه مدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب

ملك لا اصالة

وجعلتم خير امة

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عداه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتاكد القيام به ولهذا ذكره بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم ولبعلم ان التكميل افضل من الكمال بنفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير له نوعا بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وفي تيسير ارادان يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الامم فلا تبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعتدة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد من ايتاء الاجر مرتين على ما هم فيه من الاستتباع بعض الجهلة مع العوام وشيء نزر من الرشى بعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد والسابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيقال الكفر او بزاد فيه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال تعالى وهو آية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى لا اضرارا الايجا وزادي بقول كطعن في الدين او تهديد او تحريف نص او القاء شبهة او اظهار كلمة الكفر باشراكه عزيرا والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ولهذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل يرفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتفية عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ايما كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الايات مخصوصة باليهود واسباب النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال فلم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا بنفس وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لانه شرعهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب في سيرهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين ابنة الاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم الهم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاء مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة لانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله معجزة مخصوصة نتلوها عليك بالحق نظهرها عليك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم بشوم عصاتهم وعفو عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها انهم لعنتوز لا نشارحنو ومنها شكا منهم الينا وشكرهم الينا قبل وجودنا ولو آمن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم منازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضرب

عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْاَنْبِيَاۤءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

بر ایشان بینوائی این بآنجهت است که بودند که کافر شدند بآیات خدا و میکشتند پیغمبرانرا بدون حقی این بآنجهت است که نافرمانی کردند و بودند

يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاۤءً مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ قَاۤئِمَةٌ يَتْلُونَ اٰيَاتِ اللّٰهِ اٰنَاۤءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ

در گذشتگان نیستند یکسان از اهل کتاب طائفه که برپا ایستاده‌اند میخوانند آیات خدا را در دل شبها و ایشان سجود کنندگانند میگروند

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاُولٰۤئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

بخدا و روز واپسین و میفرمایند به نیکوئی و نهی میکنند از بدی و پیشی میگیرند در خوبی و آنگروه از نیکانند

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ

و آنچه میکنید از خوبی پس کافر نشوید آنرا و خدا داناست باحوال پرهیزکاران بدرستی که آنها که کافر شدند بی‌نیاز نشوند از مال و نه اولاد از خدا

شَيْئًا وَاُولٰۤئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا

چیزی را و آنگروه یاران آتش‌اند ایشان در آن جاویدند مانند آنچه خرج کنند در این زندگانی دنیا چون مانند باد است که در آن

صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ فَاَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ

سرما باشد که برسد بکشت گروهی که ستم کردند بنفسهای خود را پس نابود کند آنرا و ستم نکرد ایشانرا خدا ولیکن خود را ستم کردند ای زمره آنان که

اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاۤءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

گرویدید فرا مگیرید همرازی یعنی آشنائی از غیر شما که تقصیر نکنند در تباهی شما دوست دارند مشقت شما را بدرستی که آشکار شد عداوت از کلام ایشان و آنچه پنهان است

صُدُورُهُمْ اَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيَاتِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا اَنْتُمْ اُولَاۤءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

در سینهای ایشان بزرگتر است ظاهر کردیم از برای شما آیاترا اگر باشید دانشمندان آگاه باشید شما آنگروه دوست دارید ایشانرا و دوست ندارند شما را و ایمان آورید بکتاب

كُلِّهِ وَاِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

همه آن و چون ببینند شما را گویند که گرویدیم ما و چون با هم شدند گزیدند بر بعض شما انگشتها را از خشم بگو که بمیرید بخشم خود بدرستی که خدا داناست بآنچه در

الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَاِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

سینه‌هاست اگر برسد شما را خوبی بد آید ایشانرا و اگر برسد شما را بدی شاد شوند بآن و اگر صبر کنید و پرهیز کنید ضرر نرساند شما را کید ایشان

شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ القراءة ويسارعون وبابه بكسر الراء ونسارع بمالة قتيبة وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما

چیزی بدرستی که خدا بآنچه میکنند محیط است يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم

وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب

ابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوما ثم محركا للساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون

محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قيل لا وقف عليه لان ضمير ليسوا يعود اليه ضمير منهم موقف

المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا

لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع

الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور

تسؤهم للابتداء بشرط اخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الذم لهم وابتداء شرط على المؤمنين

شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار عن مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل

والسبي والنهب بما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين

فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فح يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من

العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس

ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا

تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا

بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زايلة بعد اعتصامهم بالذمة

وقال الاخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر

والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع

التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

كالذين هم اصابتين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الاخيرين نعيا عليهم وتقطيعا لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة
اشارة الى الحق الذي اذن الله ان يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية اي بغير ما هو حق اصلا
في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل
الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه اختصر لذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا
قال ابو ذؤيب: عصاني اليها القلب اني لامره مطيع فما ادري ارشد طلابها. اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا
يستويان زيد عاقل دين ذكي فيغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك قيل وهو اختيار ابي عبيدة ان امة مرفوعة بليس على لغة
من قال اكلوني البراغيث وهو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي
تفسير اهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واضرابه قالت احبار
اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت و
عن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد الثاني انهم كل
من اوتي الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشرهم انه لا يصلي هذه
الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هذه الآيات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال ولا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون
كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين امنوا بمحمد فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي ينام
فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا ان يقال المراد كل من امن بمحمد فسماهم الله اهل الكتاب كأنه قيل اولئك الذين سموا
انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى اهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان
فيكون الغرض من هذه الآية تقرير فضيلة اهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة
له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الآية دلت على ان المسلم قائم بحق العبودية
وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اي امة
قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكأن التلاوة هي اتباع اللفظ آيات الله القرآن وقد يراد
بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها آناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معى وانى وانو مثل نحى ونحو الصفة الثالثة وهم يسجدون
يحتمل ان يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤون القرآن في السجدة تخشعا الا ان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا يأباه
وان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم
سجدا وقياما قال الحسن يريح راسه بقدمه وقدمه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة
تسمى سجدة وركعة وتسبيحا وان يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا منع من كونه
حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الاخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم
بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلتين في شيء بسبب
تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق
التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات
كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت ففي التأخير آفات وما روي انه قال العجلة من الشيطان
مخصوص بهذه الآية على انها تفيد كلية الحكم لان القضية اهملت اما الاكيف والامور متفاوتة فمنها ما يحمد فيه التأخير لكونه مما يحصل على
على تمهل وتدريج فلو طلب منه خلاف مقتضى ذلك ضعف فات الغرض وضاع السعي ولكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتأمل ومنها ما
يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين وذلك
ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى
المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تأكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما
تفعلوا من خير فلن يكفروه اي لن تحرموا ثوابه بل لن تمنعوه وضمن الكفر معنى الحرمان لهذا تعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية
الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله
عليم بالمتقين مع انه عالم بجميع الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان التقوى

النفرم

لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الجبار الذي لا غاية لكرمه لا نهاية لعلمه فما ظنك بمثيب هذا شانه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله في اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا يغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد في الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمعنى الاية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى صرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة او يكون في تجريده كما يقال رايت فيك اسدا اى انت اسد ان ضيعني فلان ففي الله كاف كما قال وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه مبطل للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله في هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جمع العساكر عليه صلى الله عليه وسلم في كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل يحسبون خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قدموا الاخرة راوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين ولا يبعد فيه تفسير الاية بجنبهم في الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الاخرة كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات ما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدله خيرا منه في الدنيا او في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه نفع بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه وفي غير وانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين اى ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول ولاصحاب الحرث اى ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويواطئون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف في الجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره اى اموره اللاصقة بالقلب الواحدة شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من دونكم يتكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذي بشانه اعنى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر بالواو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا وجهدا على التضمين اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا انتصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفسادكم ودوا ما عنتم اى عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد جموا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج لم يخل ذلك غير زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط فحذفت الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو ولانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكسرهم عن الانياب وعدم النفقة في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب واما من المنافقين فذلك ان المداجي لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم اكبر لان فلتات

اللسان متناهية وكوامن الصدور غير متناهية وتكون ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير مخلصين لكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استانف للتحذير نمطا اخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها لا تكاد تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما يابى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا وهو يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها [illegible] فان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعناه اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب من خفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون ثم قول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة الرجاء او الاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا اخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول لشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا اصاب العدو بلية عظيمة كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا يكون ثمة غاية الحقد فاذا كان حال القوم مع المسلمين في القسمين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكائد الاعداء بالصبر والتقوى ومن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك قال بعضهم اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التاويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بحبل الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في نكايتكم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرحوا بما فاتكم

آل عمران

من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل
والحقد أكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الأرواح واختلاف حال الأشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في
القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وإن موقعها في الغيظ والحسد إن تمسسكم حسنة كرامة
من الله وقبول من الخلق سيئة إنكار من الجهال وطعن وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ع
وچون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مؤمنان را در جای خود از برای جهاد و خدا شنونده داناست
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
چون قصد کردند دو طائفه از شما که متفرق شوند و خدا دوست ایشانست و بر خدای پس توکل کنند گروندگان وهر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر و شما
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
ذلیلان و خواران بودید پس بترسید خدا را تا بود که سپاسگزاری کنید چون گفتید مر مؤمنان را که آیا بس نیست شما را که یاری دهد شما را پروردگار شما بسه هزار از فرشتگان
مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ح
فرود آمدگان آری اگر صبر کنید و بپرهیزید و بیایند شما از عقب ایشان که گفته شد که امداد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان با نشان
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ
و نگردانید آنرا خدا مگر مژده از برای شما و تا محکم شود دلهای شما بان و نیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از آنها را
كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَلِلَّهِ ع
که کافر شدند یا آنکه سرنگون سازد ایشان پس برگردند زیانکاران نیست بر تو از کار ایشان چیزی توبه پذیرد بر ایشان یا که عذاب کند ایشان را پس ایشانست ستمکاران و مر خدای را
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة تبوي المؤمنين بغير همز
آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است میامرزد از برای آنکه خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و خدا آمرزنده مهربانست ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والأعشى
وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح أيضا مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم
وسهل ورويس الباقون الوقوف للقتال ط عليم لا لأن إذ بدل من إذ غدوت ويتعلق بالوصفين أو بقوله تبوئ أن تفشلا لا لأن الواو للحال وليهما ط
المؤمنون أذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى
الفعل في النصر خائبين ربع الجزء ظالمون وما في الأرض ط من يشاء ط رحيم التفسير إنه سبحانه لما وعدهم النصر على الأعداء إن هم صبروا
واتقوا وخلاف ذلك إن لم يصبروا أتبعه قوله وإذ غدوت من أهلك لقد نصركم الله ببدر يعني أنهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين
للقتال فلما خالفوا أمر الرسول ص انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على
خصومهم ووجه آخر في النظم وهو أن الانكسار يوم أحد إنما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وذلك يدل على أنه
لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال أبو مسلم هذا الكلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي قد كان لكم مثل تلك
الآية إذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على أنه منصوب بإضمار اذكر عن الحسن أن هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد أنه يوم الأحزاب
وأكثر العلماء بالمغازي على أن هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن إسحق والربيع والأصم وأبي مسلم روي أن المشركين
نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ص أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار
يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت
فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين
وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال ص إني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به ص حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه
قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله ص والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ص ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن
يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من أهلك عن مجاهد
والواحدي أنه مشى على رجليه إلى أحد وأصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن
رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال ص لأصحابه اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم وولوكم الأدبار فلا تطلبوا المدبرين
ولا تخرجوا من هذا المقام ثم إن رسول الله لما خالف رأي عبد الله بن أبي شق عليه ذلك فقال أطاع الولدان والصبيان وعصاني ثم قال لأصحابه

ان محمدا صلعم انما يظفر بعددكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا غابوا انهزموا فاذا رايتم اعداءكم انهزموا فليستتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر
محمد صلعم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل اولادنا وانفسنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا
وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة الاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام
القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول صلعم
ولم يعلموا ان ظفرهم الله يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلعم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله صلعم
وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه صلعم ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف
ابو سفيان وقال أفي القوم محمد صلعم فقال النبي صلعم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال ان
هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان مر نجز اعل هبل اعل هبل
فقال النبي صلعم اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلعم اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلعم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير تبوئ اي تنزل بوأته منزلا انزلته فيه مقاعد اي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى
استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلعم لما امرهم
ان يلبثوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو
فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت
طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر
انهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها
الى الثبات والصبر فلا باس به افضل وعن معاوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن
الاطنابة اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت
ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيها اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من
مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين مع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا
يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ما بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي
باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلان الذي للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم
كانوا قليلي العدة ايضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين او لعل
المراد انهم كانوا اذلة في زعم المشركين في اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل او لعل الصحابة كانوا قد هابوا
الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في قوله اذ نصركم او حصل
يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر اقل
وكان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف
من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلاثة الاف وخمسة الاف واجيب
بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصار ثلاثة الاف ثم زيدت الفان اخريان فصار خمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف
وهو كما روي انه صلعم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة وانهم لعل اهل بدر امدوا بالف ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين
بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم

فانهزموا

فانزل الله الفا من الملائكة بعد الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة الاف ان تصبروا وتتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن
لكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم يعني يوم احد هو الذي كان يأتيهم الاعداء اما يوم بدر فهم ذهبوا
الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي
ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان اتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم
قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة
احد ثم انزل الخمسة الالاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا
جرم فات المشروط واما انزال ثلثة الاف فانه وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي
عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد لكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في
صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه
قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه ما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد
الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلثة الالاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الالاف مشروط بالصبر و
التقوى ومجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر فقد ورد فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع
تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد الفان فصح
ان يقال وعدوا بثلثة الاف ثم زيد الفان اخران فوعدوا بخمسة الاف واجتمع اهل التفسير والسير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم
قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان
نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك
الواحد يكفي في اهلاك اهل الدنيا ايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكونوا
بحيث يراهم الناس او لا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الاف او اكثر ولم يقل احد بذلك لانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم
ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤس وتمزق البطون و
اسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم و
الموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه
الشبه لا يليق ايرادها بمن يقول بالشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها
مع ان نص القران ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه
تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب كذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد
اشاعة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فله الحمد على ما اولى و
له الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزل الباس فلا جرم اظهر القدرة و
جعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه
لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر اشبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك مد الملائكة جعل
المدد على عادة الامداد بالعساكر والا فملك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة
وانما جيء بلن الذي هو تأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة
والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل امده يمده وما كان على
الزيادة قيل فيه مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم
قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غليت
ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف
فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار
على الفور فلما لم يوجد هذه الشرائط كلها او بعضها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم
ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول

وقوله مُسَوِّمِينَ من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيل
واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلعم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها اذا ارسلتها
للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين لتهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المرعى
وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى هي اسم من البشارة اي الا لتبشروا
بانكم تنصرون وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمانينة لقلوبهم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا
من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند
الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا
يعجز عن انجاحها لِيَقْطَعَ طَرَفًا اي طائفة وقطعة مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط
الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ أَوْ يَكْبِتَهُمْ والكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ غير
ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع كنقيضه الظفر واما الياس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ او بقوله وَمَا النَّصْرُ ويحتمل ان يكون من تمام قوله وَلِتَطْمَئِنَّ ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا
من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فيه
قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلعم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلعم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن
هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فتاب الله على هولاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وذلك انه صلعم لما راه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين
انهزموا فمنعه الله عن ذلك وروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت وقال القفال كل هذه الامور وقعت
يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية على الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهو ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة
وهم سبعون الى بني عامر ليعلموهم القران فلما وصلوا الى الموضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع
من ذلك رسول الله صلعم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعدما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن
لحيانا ورعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش وابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه
الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا هو قدح في عصمته صلعم ومناف لقوله وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى والجواب ان المنع
من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ مع انه ما اشرك قط و
لعله صلعم شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع
تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل
وايضا ان دعاء النبي صلعم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسئوله قد وقع فهو بالحقيقة سؤاله صلعم كانه
سأل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهارة وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة
ومن شان هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي والمراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك من امر خلقي شيء الا ما يكون امري و
حكمي او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم و
يجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلعم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض
العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ عطف على ليقطع وما بعده وقوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذاك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او
يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق
العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا التفسير بان العقل وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف فيه والعزم

اذنابها ع

لبشارة بالنصر ع

جمعا سبعين من القراء

ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى في التسلسل فهو اذن بخلق الله ثم
واما المعتزلة فقد فسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن ان تعذيب بسبب شركهم او
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اى هما والحقايق والماهيات التى فيهما لله
فليس الحكم عنه فيهما الا اله ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من اولى الابسة الغراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب
الكبير خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهى الى الله فعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فناقشوا في ذلك وروا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع
والله اعلم التاويل الخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبداء من اهله اى صفات نفسه الحيوانية والبهيمة تبوئ المؤمنين اى صفاتك الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعنى القلب والسر وصافة والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبى يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند معاملة الشيطان
ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التى لا يدركها الحواس
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من
الصفات النفسانية التى ينشا الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفرهم وما النصر الا من عند الله بعزته بحكمه من يشاء
على ما يشاء والله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار

المستعلى على ما تصفون   ای زمرهٔ انسانی که گرویدید مخورید   سود را   افزوده تو بر تو   و پرهیز کنید خدا را شاید که رستگار شوید   و بترسید از آتشی

التى اعدت للكافرين   واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون   وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

که آماده شده برای کافران   و پیروی کنید خدا و پیغمبر را شاید که رحم کرده شوید   و بشتابید بسوی آمرزشی از جانب پروردگار و بهشتی که عرض آن

كعرض السموات والارض اعدت للمتقين   الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

وسعت آسمانها   و زمین است   آماده شده از برای ترسندگان   آنان که خرج کنند در خوشی   و تنگدستی   و فرو برندگان خشم   و درگذرندگان از

الناس والله يحب المحسنين   والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر

مردمان و خدا دوست دارد نیکوکاران را   و آنان که چون کنند کرده ناشایسته   یا ستم کنند نفسهای خود را یاد کنند خدا را پس طلب آمرزش کنند مر گناهان خود را و کیست که

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون   اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها

گناهان را بجز خدا   و اصرار نکردند بر آنچه کردند و ایشان میدانند   آنگروه   مزد ایشان آمرزشیست از پروردگارشان و بهشتها که رود از زیر آن

الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين   قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان

جویها   جاویدان   در آن و خوبست مزد کارکنان   بدرستی که گذشت از پیش شما طریقها پس بگردید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده است

عاقبة المكذبين   هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين   ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون

عاقبت تکذیب کنندگان   این بیان است از برای مردم و راستی و پندیست مر پرهیزکاران را   و سست مشوید و محزون مگردید و شما باشید بلند مرتبها

ان كنتم مؤمنين   ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين

اگر باشید گروندگان   اگر برسد شما را زخمی پس بدرستی که رسید کفار را زخمی مثل آن   و این روزهایی است که بگردانیم در میان مردمان و تا بیازماید خدا آنها که

امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين   وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين   القراءة سارعوا

گرویدند و فرا گیرد از شما گواهان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را   و تا پاک کند خدا آنها را که گرویدند و برطرف کند کافران را   بغير واو العطف ابو

جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص في جبلة الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفق
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرا سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض لا لان ما بعده صفة الجنة ايضا اى جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والذين

لمن يشاء او يعذب من يشاء وعلى الذنب الصغير او لا يعاقب على الذنب الكبير التفضل بالعفو ولا يليق بالكرماء انما هو المقرر في التسلسل ذاتا معمم

بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب طابن يقول الروح
لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين للمتقين مؤمنين مثلها
بين الناس ج لان الواو مقحم او عاطفة على محذوف اى ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي يجمعوا الاموال فينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهى عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الايات ابتداء امر ونهى وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى
الاصلح فى امر الدين وفى باب الجهاد وليس المراد النهى عن الربوا فى حال كونه اضعافا لما علم انه منهى عنه مطلقا وانما نهى عنه مع توبيخ بما كانوا عليه
فى الغالب المعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد فى الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشىء الطفيف مال المديون
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فيه ان اتقاء الله فى هذا النهى واجب وان الفلاح يقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ كان ابو حنيفة يقول هى اخوف اية فى القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها دون اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله فى صفة الجنة أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد فى ان من عصى الله ورسوله فى شىء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم
يحمل الاية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرا بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشىء الواحد
لانهما متلازمان ويتمسك كثير من الاصوليين به فى ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا وفى الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية فى العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن على بن ابى طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابى العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهى عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
لقوله فى موضع اخر كَعَرْضِ السَّمَاءِ والمراد المبالغة فى وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التى عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له
فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه فى العادة ادنى من الطول
واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ لان البطائن فى العادة يكون ادون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروى ان رسول هرقل سأل
النبى صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة افى الارض ام فى السماء فقال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
فى حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
الفقير انكر عليها فقالت احسب كم هى من مثقال ذرة وقيل فى عرس او حبس والمراد فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم
لا يدعون الاحسان الى الناس فى حالتى فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان مخالفا لطبعهم لا يتركونه وفى افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم فى ذلك الوقت لاجل

الذين ينفقون

الجمعة

الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال ص من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب

ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه ص غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال ص لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم ع ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذاك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس وفيه قيل والجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الاية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس رض في رواية عطاء ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي ص وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله ص بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله ص بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله ص فاسأله عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبريل ع بتوبته فتلا على رسول الله ص والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي ص ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي ص فنزلت فقال النبي ص الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم بين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لان النبي كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه وانه سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب عنه لكن صفة الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولاسيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله ص يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي ع قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله ص يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى رأسه اصر

ايضا عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا حرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب اردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتميز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي
الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما اردت في المثال المذكور نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وهي اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على
عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان
اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ان امر كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا
يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال
قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كأنه اجراه على النهج واحد من سننت النصل احددته
او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب
في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر
ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال احد
القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا
في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى
السير لان لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه
اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم
اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات ويحته نوعان
احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص
الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول ليشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين باي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني
والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص
المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن احوال القرون
الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد
وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وخرج وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد او وانتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة
الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا
تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل
الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال
راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله اهكذا
تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز و
قيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع
قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا
تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف

وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكى من قوله تعالى
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ والمماثلة وعد بالقتل والجرح عيرهم بما تكون المثلية في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوفا وصفة مبتدأ وخبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد والضمير
لا يوصف فيكون تلك اشارة الى الوقايع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل لما تقدم تغيرت من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور ويتوالى الغم لعدوه ويوم اخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بوقفة
النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا اشير في قوله سبحانه وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل
مذهب في تقرير الفوائد والتقدير نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية ونحوها
كقوله وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ ومنها ويل الايات اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه
او مقدوره فكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما عليا يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم و
على الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فان كونهم كذلك
منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا
دار الاسلام كما ما تو انجلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اي المشركين ان الشرك
لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى فهو اعتراض بين بعض العلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ
والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية انه ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو اثار الكفار وهذه
مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج وفصل
ليقطع طرفا بعضها من اطرافها النار ولا تأكلوا الربوا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا
يملأ جوف ابن ادم الا التراب فَاتَّقُوا اللَّهَ خطاب الخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ عن حجب ما سوى الله وتظفرون
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسائط بقوله وَاتَّقُوا النَّارَ اي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوزوا في
بقدم طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمصارعة النفس والجنان عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ اي المسافة بين العبد وبينها هذا لان
الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية
ينفقون اموالهم في السراء وارواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه رؤيته ومن يغفر ومن يستر بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية
الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وبه
من اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم ثم لهم

على الكافرين واخرى

بالقناعة

تا

فتبيروا في الارض نفوا الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء تاويكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه
المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية و
انتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما محنة ويوما منحة وليتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد
والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة و دولة
وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه اخر البلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب
ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحق شها اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ ۝ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَلْقَوْهُ
بهشت را و هنوز خدا معلوم نکرده است خدا آنهارا که جهاد کردند از شما و معلوم نگرده است صابرانرا و هرآینه بودید شما که آرزو میکردید مرگرا از پیش آنکه ببینید
ع فَقَدْ رَاَيْتُمُوْهُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ۝ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاۡئِنْ مَّاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
پس هرآینه دیدید اورا و حال آنکه مشاهده میکردید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران آیا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید
عَلٰٓى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَّنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّٰهُ الشّٰكِرِيْنَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوْتَ
بر پاشنهاتان و هرکه برگردد بر پاشنهٔ خود پس ضرر نرساند خدارا چیزی و زود است که مزد دهد خدا شاکرانرا و نباشد مر نفسی را که بمیرد
اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ كِتٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهٖ مِنْهَا وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهٖ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشّٰكِرِيْنَ
مگر بفرمان خدا نوشته است با مدت و هرکه بخواهد ثواب دنیارا میدهیم اورا از آن و هرکه بخواهد ثواب آخرت را بدهیم اورا از آن و هرآینه پاداش دهیم شاکرانرا
وَكَاَيِّنْ مِّنْ نَّبِيٍّ قٰتَلَ مَعَهٗ رِبِّيُّوْنَ كَثِيْرٌ فَمَا وَهَنُوْا لِمَآ اَصَابَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوْا وَمَا اسْتَكَانُوْا وَاللّٰهُ
و چه بسیار از پیغمبری که مبارزت کردند با وطائفهٔ بسیاری پس سست نشدند بآنچه رسید ایشانرا در راه خدا و ناتوان نشدند و مستاصل نشدند و خدا
يُحِبُّ الصّٰبِرِيْنَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ اِلَّآ اَنْ قَالُوْا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَاِسْرَافَنَا فِيْٓ اَمْرِنَا وَثَبِّتْ اَقْدَامَنَا
دوست دارد صابرانرا و نبود گفتار ایشان مگر آنکه گفتند که پروردگارا بیامرز مارا گناهان مارا و زیاده روی مارا در کارهای ما و استوار کن قدمهای ما را
ع وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ۝ فَاٰتٰىهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْاٰخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ
و یاری ده مارا بر گروه کافران پس داد ایشانرا ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد نیکوکارانرا ای زمره آنانکه
اٰمَنُوْٓا اِنْ تُطِيْعُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يَرُدُّوْكُمْ عَلٰٓى اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا خٰسِرِيْنَ ۝ بَلِ اللّٰهُ مَوْلٰىكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النّٰصِرِيْنَ
گرویدید اگر پیروی کنید آنهارا که کافر شدند برگردانند شمارا بر پاشنهاتان پس برگردید زیان کاران بلکه خداست صاحب اختیار شما و اوست بهتر یاری دهندگان

القراءة رايتموه بغير همزة يعني بالتليين ونحوه راوك وراوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف بردنوا
وبابه مدغما ابو عمرو وشان ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير
وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب على بغير نون في الوقف وكاى الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو
وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعد
يصلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين مؤجلا ج لابتداء الشرط منهاج للعطف
منها ج الشاكرين قتل ط ليكون قتل النبي صلى الله عليه وسلم الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل و
التقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فلان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا ط
الصابرين الكافرين لا الاخرة ط المحسنين خاسرين مولكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها
ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى
لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم
كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل
الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وابعد انما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها
وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال
مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة
على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو
الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل النقد بل ظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين ووجه اخر وهو ان يكون مجزوما

بعطفه

ايضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وعن الحسن يعلم بالجزم على العطف وروى عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتال قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رايته بعيني اي رايتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رايتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم من غير جد منكم في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما راى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما وظن ابن قميئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فانزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فخلوا كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة فيلزم من قتله او موته الارتداد عما كان هو عليه من الدين وما يلزمه كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات فلم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة باي طريق كان بدليل قوله وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها الصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى او هو الترديد والتشكيك اي سواء فرض وقوع الموت والقتل فلا تاثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تاتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فنعى امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل توهم

بأن القتل مثل الموت في أنه لا يحصل إلا في الوقت المقدر وكما أنه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين
على الجهاد بإعلامهم أن الحذر لا يغني عن القدر وأن أحدا لا يموت قبل الأجل وإن خوض المهالك واقتحم المعارك أو الغرض بيان حفظه
وكلاءته للنبي فإنه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر إلا وقد حصل إلا أنه تعالى لما كان حافظا للنبي ولم يقدر في ذلك
الوقت أجله صلى الله عليه وسلم لم يضره ذلك وفيه تقريع لأصحابه أنهم قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قال المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الأخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله وقال ابن عباس الإذن هو قضاء
الله وقدره فإنه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته فأورد الكلام على سبيل التمثيل كأنه فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله
فيه وذلك أن إسناد الموت إلى النفس نسبة الفعل إلى القابل لا إلى الفاعل وقال أبو مسلم الإذن هو الأمر والمعنى أن الله تعالى يأمر ملك الموت
بقبض الأرواح فلا يموت أحد إلا بهذا الأمر وقيل المراد التكوين والتخليق لأنه لا يقدر على خلق الموت والحيوة أحد إلا الله وقيل التخلية
والإطلاق وترك المنع بالقهر والإجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل إلا بإذن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه أنه تعالى لا يخلي
بين نبيه وبين أحد ليقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما أرسل به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك
بإرجاف مرجف وقيل الإذن العلم أي لن يموت نفس إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على أن المقتول ميت بأجله
وأن تغيير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه لأنه كأنه قيل كتب الموت كتابا
مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والأجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الأجل والرزق مضافان إلى الله تعالى وأما الكفر والفسوق والإيمان و
الطاعة فكل ذلك مضاف إلى العبد فإذا كتبه تعالى فإنما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا
والجواب أن هذا تعكيس للقضية فإن الله تعالى إذا علم من العبد الكفر استحال أن يأتي هو بالإيمان وإلا انقلب علم الله جهلا وإذا كان هو غير قادر
على الإيمان خرج فما معنى اختياره ثم إنه كان في الذين حضروا يوم أحد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة كما أخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها أي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الآية مدح للفريق الأخروي
وأن فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين
فأبهم الجزاء وأضافه إلى نفسه تنبيها على أن جزاء الذين شكروا نعمة الإسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وإنما كان يأتيهم
بنعيم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وإن وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الأعمال بالنيات وذلك لأن المؤثر في جانب الثواب والعقاب
القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الأرض وقت ظهر الشمس إما أمر فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الإيمان وإن قصد
تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الأكثرون على أنها في الأصل مركبة من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الإبهام إذا قطعت عن الإضافة كما
أن كذا مركب من الكاف وذا المقصود به الإشارة فكأين مثل كذا في كون الجزأين مبهمين عند السامع إلا أن في ذا إشارة في الأصل إلى
ما في ذهن المتكلم بخلاف أي فإنه للعدد المبهم ومميزها منصوب ومفرد على الأصل والأكثر إدخال من في مميز كأين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا و
كأين في الأصل عن الكاف كما مر أو أي كما في مثال رجلا لأنك تبين أنه كذا رجلا وكأين رجلا أن مثل العدد المبهم من أي جنس هو ولم تبين العدد
المبهم في الأصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون
آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة لها خطا ولأجل التركيب تصرف فيه فقيل
كائن مثل كاعن ويباطن بعضهم أنه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال فهاتان اللغتان فيه مشهورتان وبهما قرئ
وفيه لغات أخر غير مشهورة تركنا ذكرها لأنه لم يقرأ بها لعلك تجدها في كتبنا الأدبية ومحل كأين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل
أو قاتل خبره والضمير يعود إلى لفظ كأين فإنه مفرد اللفظ وإن كان مجموع المعنى والربيون معناه الألوف والجماعات الكثيرة الواحد ربي عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربوة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الأئمة و
الولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية أن كثيرا من الأنبياء قتلوا هم
والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم أسوة حسنة فيكون المقصود
من الآية حكاية ما جرى لسائر الأنبياء ليقتدي بهم هذه الأمة ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم
قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال ومما يؤيد هذه القراءة ما روي عن سعيد بن
جبير أنه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل أن ينزل القراءة الأولى على هذه الآية أيضا بأن يقال المعنى وكأين من نبي قتل من
كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من إخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم إنه تعالى
مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده

فأقيم القابل مقام الفاعل ح

كما قال ع إنما الأعمال ح

وما استكانوا

وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك
عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء
الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف
يلحق القلب والضعف مطلقا الاختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي ببعد بمعنى منتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كان صاحبه
تغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك
النصر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه
وعلى عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجاء اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على
صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب التثبيت والنصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وقرب
الى الاستجابة ثم انهم عموا الذنوب الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا
لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية وارضية توجب انهزامهم كهبوب
ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية ارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان
او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فيها من المنافع و
اللذات وذلك غير حاصل في الحال والمراد انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اي امر اراه الله
سيأتي قال القاضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما ماتوا احياء وثواب الاخرة كله حسن فما ظنك
بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورة صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان
يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل
وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن
العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسئلوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا
بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم
وتستأمنوهم وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم انما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار وان خصوص
السبب لا يقدح في ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم
وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام
والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء لدى العقلاء وفي الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله
مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة
على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض
فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التأويل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب
على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون الموت موت النفوس
عن صفاتها بالتزكية لها من قبل ان تلقوه بالمجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا
وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتموه هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تفدون ارواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد
في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند

اعدام المقلد من ابوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين في قولهما لمن ربك فيقول هنا الا ادري فيقولا
زماط نقول في هذا الرجل فيقول هنا لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان بالايمان الحقيقي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن
اوصافها الدنية واخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبة اشراق نور كما ان ظلمة الليل لا ينمحي الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق
فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت فيه انشد خليلي هل ابصرتما او
سمعتما باكرم من مولى تمشي الى عبد اتى زائرا من غير وعد فقال لي لاني اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره
على النعمة فثوابه في الاخرة وسيجزي الله الشاكرين اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدى العدو الذي بين جنبيه
ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا لاحتمال الذلة
والالتفات الى ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله
وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم زود است كه بيندازيم در دلهاي آنانكه كافر شدند خوف را بجهت انباز آوردن ايشان بخدا
ما لم ينزل به سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه
آنچيزي را كه نفرستاده به غلبه وجايگاه ايشان آتش است وبد است آرامگاه ستمكاران وبدرآينه راست گردانيد بشما خدا وعده خود را چون كشتيد كافران را بفرمان او
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
تا چون بددل شديد ونزاع كرديد در كار ونافرماني كرديد پس از آنكه نمود شما را آنچه را كه دوست داريد برخي از شما كسي است كه ميخواهد دنيا را وبرخي از شما كسي است كه ميخواهد
الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلون على
آخرت را پس بازداشت شما را از ايشان تا كه بيازمايد شما را ودرآينه درگذشت از شما وخدا وند صاحب فضل است برگروندگان چون بالا ميرفتيد ومينگريستيد بر
احد والرسول يدعوكم في اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل
احدي وپيغمبر دعوت مينمودي شما را در جماعت ديگر پاداش داد شما را غمي بغمي تا اندوه نخوريد بر آنچه فوت شد از شما ونه بر آنچه رسيد شما را وخدا مطلع است بآنچه ميكنيد پس فرستاد
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
بر شما از پس آن غم آسايش ونيكي را كه فرو گرفت گروهي از شما را وگروهي غم افكنده ايشان را نفسهاي ايشان گمان مي‌بردند بخدا ناحق را چون گمان اهل
الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون
جاهليت ميگفتند آيا هست ما را از كار از چيزي بگو بدرستيكه كار همه آن در دست خداست پنهان ميدارند در نفسهاي خود چيزهائي را كه ظاهر نميكنند از براي تو ميگويند
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
كه اگر بود در دست ما از كار چيزي كشته نشديم در اينجا بگو كه اگر بوديد شما در خانهاي خود هرآينه بيرون آمدندي آنانكه نوشته شد برايشان كشتن بسوي كشتنگاه ايشان
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى
وتا بيازمايد خدا آنچه را كه در سينهاي شماست وتا پاك گرداند آنچه را كه در دلهاي شماست وخدا داناست بآنچه در سينهاست بدرستيكه آنانكه برگرديدند از شما در روز بهم رسيدن
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين امنوا
دو گروه جز اين نيست كه لغزانيد ايشان را شيطان ببرخي از آنچه كسب كردند ودرآينه درگذشت خدا از ايشان بدرستيكه خدا آمرزنده با تأني است اي زمره آنان كه گرويده‌اند
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
نباشيد مانند آنهائي كه كافر شدند وگفتند مر برادران خود را اگر چون سفر كردند يا بودند جنگ كنندگان كه اگر بودندي در نزد ما نمي‌مردند وكشته نميشدند
في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة
در راه خدا يا بميريد هرآينه بخشايشي است از خدا ومهرباني بهتر است از آنچه گرد آورند وهرآينه اگر بميريد يا كشته شديد هرآينه بسوي خدا گرد آورده شويد پس بسبب رحمت
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا
از خدا نرم شدي از براي ايشان واگر بودي بدخوي سخت دل هرآينه متفرق شدندي از گرد تو پس درگذر از ايشان وآمرزش خواه از براي ايشان ومشورت كن با ايشان در كار پس چون
عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
اراده كردي پس توكل كن بر خداي بدرستيكه خدا دوست دارد توكل كنندگان را اگر ياري كند شما را خدا پس نيست غالبي بر شما واگر زيان كند شما را پس كيست آنكه ياري كند شما را
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون
پس از آن وبر خداي پس بايد توكل كنند مؤمنان العين وما اويهم ونائبه بغير همز ابو عمرو وجعفر وشجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة

غير الله

فاصابكم

في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلي وخلف
الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة
الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف ووافق حفص الا ههنا الجواز فلم الباقون
بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط
الظالمين باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء اظهر لاقترانه اذا مع حذف الجواب اي فعلتم وفعلتم انقلب الامر ويمنعكم
نصره والوقف على تحبون ط في الوجهين الاخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفى عنكم ط
المؤمنين اصابكم ط تعملون ط طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو
مقحم او عاطفة على محذوف اي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور الجمعان لا لان خبر ان انما استزلهم كسبوا ج لاحتمال الواو حالا او استئنافا
عنهم ط حليم وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير يجمعون
تحشرون لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل اولى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج
لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين لكم ج لابتداء شرط اخر مع لوا ومن بعده ط المؤمنون التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات
وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم اسباب
الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم
احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يقهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلعم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب
كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لوروده في سياق تلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى
مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوه وفروا منهم من غير سبب حسي روي ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن
ابي كبشة يعني رسول الله صلعم اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجاب عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب
فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه
الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه
لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا
اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه و
اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذلك الاخر ينصرني فلا يحصل الاجابة فيلزمهم الرعب
والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة فكيف وشانهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا اي الهة لم ينزل الله باشراكها
حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالعصر
قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان ههنا حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة
ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم
من يبالغ فيقول ما لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع وقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات
اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم يكن اسند لنا بعد الدليل
على وجود الشريك على نفيه اما اذا اسند لنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي
الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الاخرة فقال وماويهم اي المكان الذي ياوون اليه
النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه
اذا اصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلعم رأى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكر من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان
الوعد هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول صلعم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء
هذا الوعد بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال اخرون

انه المجاز ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف وكان في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما انهزم المشركون ورماتهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر ان يكون بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا اي ضعفوا في انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انه هل يذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ وفائدة قوله مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير قالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز معاتبتهم على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال لِيَبْتَلِيَكُمْ والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الاية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم لِيَبْتَلِيَكُمْ بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه إِذْ تُصْعِدُونَ وما بعده نصب باضمار واذكروا او ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب تقترفوه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه او عنان دابته وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة ويحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو فِي أُخْرَاكُمْ في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فَأَثَابَكُمْ قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تُصْعِدُونَ لانه بمعنى اصعدتم بدليل انه يقال ثاب اليه اي رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك

السيف

السيف تحيتك الضرب اى جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو فى الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء
فى بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم
لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحتساب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد
غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفى الكشاف يجوز ان يكون الضمير فى فاثابكم للرسول اى فآساكم فى الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من
كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام فى نسلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما
الاحتمال الثانى ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثانى ما حصل عند الهزيمة او
الاول غم فوت الغنائم والثانى ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثانى
خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم فى انفسهم واموالهم والثانى غم الارجاف بقتل الرسول او الاول
خوف عقاب والثانى غم التوبة فانها لا يتم الا بالعود الى المحاربة واذا امروا بالمعاودة بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم
خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط فى سلكها
ثم اللام فى قوله لِكَيْلَا تَحْزَنُوا يحتمل ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ لان فى عفوه نعم ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فَأَثَابَكُمْ فيكون
المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب
من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد فى مقابلة
ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قالت الاشاعرة معناه اثابة الغم
من الله ثم خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار
وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه بخلق الله فلا غاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية
ولكن الغرض ان لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول
فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لِئَلَّا يَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى
كما فى قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وقعنا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطلبتم الغنيمة
وقعتم فى غموم اخر كل واحد منها اعظم مرة فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية
بزاجر دنيوى زجرهم بزاجر اخروى فقال وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عالم بجميع اعمالكم ومقاصدكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان
الذين كانوا مع النبى صلعم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا يؤدى الى الاستيصال والاخبار
الصادقة ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا واراد هؤلاء بقوله
يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور فى اوائل النوم واستغناب منه على انها
حال متقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع امن
كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشانا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلعم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا
النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا وعن ابن مسعود النعاس فى القتال
امنة والنعاس فى الصلوة من الشيطان وذلك لان فى القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون فى الصلوة
الا من غاية البعد عن الله وكان فى ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا فى الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلعم موجبة
لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم فى الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس
يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا لحراصا على قتلهم فبقاؤهم
سالمين فى تلك المعركة وهم فى النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلأته معهم وَمِنَ النَّاسِ من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية
الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى
النعاس وبنصره كونه اقرب وكون المبدل فى حكم المنحى وموافقته لقوله فى قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس
وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس هو الامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير والتأنيث سواء واما الفريق الثانى فهم المنافقون
الذين كانوا فى شك من نبوته صلعم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابى ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبى ولا المسلمين يقال اهمنى الامر الشديد يقال اهمة ذلك الامر اى اقلقه
اخزنه فالمعنى اوقعتهم انفسهم فما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والتباكى والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ و

واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس كانت اسباب الخوف لنفسهم هناك موجودة والدافع لذلك وهو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به ظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق اديان كثيرة واردأها مقالات اهل الجاهلية فذكروا اولا انهم يظنون بالله
ظنا ما طلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان اردأها كما يقال فلان دينه ليس بحق دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر غير الحق تاكيد يظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي الظن المختص بالملة الجاهلية
وهي زمان الفترة قبل الاسلام او يظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن انهم كانوا منكرين الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات ومنكرين النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من بعد الصالح في افعاله واحكامه فلا واما عندهم
يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر
الناس الى معرفة الحق وكان منافيا للتكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون راي عبد الله بن ابي
وان النبي لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى منه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والغلبة
شيء وثالثها انها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاء الله وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل
في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا
فيها الان فيما كتبه في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد ومن ذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي
في الصدر والتمحيص مورده الشبهات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الاية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ واهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي وثم او ومنهم طائفة اهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استئنافا على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تاكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استئناف
وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف اما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة وكان لسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول
العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبي ان يجيب عن هذه الاعتقادات
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق عن المنافق كما
في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

قوله عز من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم
ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله صلعم قتل ثم بعده رجال فدخلوا على نسائهم فجعل
النساء يقلن اعن رسول الله صلعم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل غزلي قال بعض الرواة ان المسلمين لم
يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر
الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على
الجبل الى ان صعد النبي صلعم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو ومع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم
رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلعم لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين
ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من
الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان
ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة
والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلعم نحو من ثلثين
كلهم يجيء ويجثوا بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ تقول زللت يا فلان تزل زليلا
اذا زل في طين او منطق والاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ للاستعانة مثلها في كتبت
بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال
الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا
لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب
مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم ذلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على
دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ لان الكسب قد يكون جرا
كقوله لها ما كسبت ولان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ قال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال
اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التائيد وتقوية القلوب
حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون عملا آخر اما في هذه الغزوة او
قبلها ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه اي ذنب هو والظاهر انه
التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكن ان كان من الصغائر
فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر
لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة
والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفى عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار
غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس
عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ مثل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ وذلك انهم قالوا ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان
المناسب ان يقال لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا
مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الابعاد فيها للتجارة وغيرها ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ قصد
محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سائق وسوق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون ان ضربوا وحين
ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا
ما ماتوا وما قتلوا فمن اخبر عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي
لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة
كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال
الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما اللام

اى لاجل اخوانهم

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فهي متعلقة بوجهين الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك لكل حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف يستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت ولم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان تتعلق
اللام بقوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم ثم الله يحيي ويميت رد لمقالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق مشيته
واحكامه ونقضه وابرامه وكل مسير لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرا على الغيبة فالظاهر للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما ذكر
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله شيء من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر وغيره لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان لتلك خير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
فقد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعله
ما نعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وتبعد
صفاؤها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واصفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتمكنتم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية
الخيالية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو عرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي جهة يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وكانه قال
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وقضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تعالى ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه ما احسن هذا التنويع روي ان
عيسى عليه السلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الاثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

ان يمنعكم رحمته ثم ترهقوم ثالث وراى عليهم سيماء العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الاية دلالة على ان المقتول ليس بميت الا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم وروي ان امراة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عثمان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي الا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وروي انه قال حين اعياني ازواج الاخوان ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه زاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعن نبيه قال انما انا مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو الزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وانقادوا لاثار الشفقة وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقران دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يانس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فللنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلا محالة زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فباي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا لله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره لا تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه على جاش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصله فظظ كحذر من فظظت يا رجل فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتاثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد وهذا التركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الاية على واقعة احد فقال

فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في الزاني ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع ان الفضيلة هي الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ واحتجت الاشاعرة بالاية في مسالة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف والثواب بالجنة فقد اكتسب بنفسه وبحسب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو عنهم في الحال كما انه تعالى قد عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم قبل عفوك عنهم فاني قد عفوت عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر المشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اي جنيته واستخرجته من موضعه وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب يسمى مشوارا

يقال اولى الخطب فيها مشاورة كثير المشاورة والتركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الاراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واكملهم عقلهم فوايد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكانت سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق باموار الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس الطاهرة مطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكونون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات ومنها انه ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامر بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلمهم انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى فيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر فيها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للعهد وهو ما تولي في ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي بالنزول على الماء فقبل منه واشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين ثم قيل ان المشاورة من جملة ما خص النبي بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد يروى عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله البكر تستامر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لا اعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والراي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا ارشدتك الى شيء والزمتك اياه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لانه لا راد لفعله عليه وهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علموا ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسايط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله ايها الطلاب وعده الامن طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وخالفتم في امر الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته نحو زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة قرئ هذه الاية عند الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلاء ها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفى عنكم يعني بعد ابتلائكم عفى عن التفاتاتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى العبادي الي عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلب الله فلا يخيب سعيكم ويوفي جزائكم ثم اخبر عن انزال الحقايق لصنوف الطاف على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصحابة واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب المكاشفات من معدن النعاس فان اكثر ما يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب النفوس ومدعي الاسلام لاهم لهم الاهم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من الامر من شيء من النصرة والظفر ما قتلنا ههنا بالباطل على يدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب بنشر

الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استعز
من معدن الانسان حديدة ما كسبوا من التولي ليجعلها مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرار الا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا اموا فقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول
حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحزنون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير قد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي
كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب تلاشت واختلت
حكمة البدن ونقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط
ولا يخرج عن قانون الشرع وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
العقل كما تقدم الله حسيبي
وسزاوار نيست مر پيغمبري را كه خيانت كند و هر كه خيانت كند بيايد بآنچه خيانت كرده در روز قيامت پس تمام داده شود هر نفسي آنچه را كسب كرده و ايشان
يُظْلَمُونَ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ستم نشوند آيا پس آنكه پيروي كرد خوشنودي خدا را چون كسيست كه باز آمد با زيادتي از خدا و قرارگاهش دوزخ است و بد جايگاهيست انها صاحبان پايهاييند در نزد خدا
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
بيناست بآنچه ميكنند هر آينه منت نهاد خدا بر مومنان وقتي كه برانگيخت در ايشان پيغمبري از ايشان كه ميخواند برايشان آيات او را و پاك ميكردشان و مياموخت ايشان را
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
كتاب و حكمت را و اگر چه بودند پيش از آن هر آينه در گمراهي ظاهر آيا هر گاه رسيد شما را مصيبتي كه رسيده بوديد شما دو مانند آن گفتيد كه از كجاست اين
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
بگو كه آن از نزد خود شماست بدرستي كه خدا بر هر چيزي تواناست و آنچه كه رسيد شما را روز بهم رسيدن دو طايفه پس بفرمان خدا بود و تا بداند گروندگان
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
و تا بداند آنان كه نفاق ورزيدند و گفته شد بايشان كه بشتابيد جهاد كنيد در راه خدا يا دفع كنيد گفتند كه ميدانستيم كارزاري هر آينه پيروي كرديم شما را ايشان براي كفر در آن روز
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
نزديكترند از ايشان از براي ايمان ميگويند بدهانهاي خودشان آنچه نيست در دلهاشان و خدا داناتر است بآنچه پنهان دارند آنان كه گفتند مر برادران خود را و نشستند
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
اگر پيروي كردندي ما را كشته نشدندي بگو پس دفع كنيد از خودتان مرگ را اگر باشيد راستگويان و مپنداريد آنها را كه كشته شدند در راه خدا مردگان
بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
بلكه زندگانند در نزد پروردگارشان روزي داده ميشوند شادمانند بآنچه كه داده است ايشان را خدا از فضلش و مژدگاني دهند بآنها كه نرسيده اند بايشان از عقب ايشان كه نيست ترسي
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ
برايشان و نه ايشان اندوه يابند مژده دهند بنعمت از خدا و زيادتي و بدرستي كه خدا ضايع نكرداند مزد گروندگان را آنانكه اطاعت كردند مر خدا را و
الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
پيغمبر را پس از آنكه رسيد بايشان خستگي مر آنها را كه نيكوئي كردند از ايشان و پرهيز نمودند مزديست بزرگ آنان كه گفتند مر ايشان را مردم كه مردم جمعيت كردند
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
از براي شما پس بترسيد از ايشان پس افزودشان ايمان و گفتند كه بس است ما را خدا و خوب كارگذاريست پس برگشتند بنعمت از خدا و زيادتي كه نرسيدشان بدي و پيروي كردند
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
خوشنودي خدا را و خدا خداوند زيادتي بزرگست جز اين نيست كه اين شيطانست كه ميترساند دوستان خود را مترسيد از ايشان و بترسيد از من اگر هستيد گروندگان

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير روح الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة المطوعي عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

ع

على الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف
الوقوف ان يغل ط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانها جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ه نصف الجزء جهنم ط المصير ه عند الله ط بما تعملون ه
والحكمة ج لمكان العطف مبين ه مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ه وليعلم المؤمنين ه لا نافقوا ج لاحتمال
العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط بما يكتمون ه
لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين ه امواتا ط عند ربهم ص يرزقون ه لا لان فرحين
حال من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون ثم للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار الا للذين يحزنون
وفصل لان التقدير وبان ومن كسر وقف ه الجملة ح اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا
او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا ق و
الوصل اولى للعطف والاتصال الوكيل ه للسابقين القلب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ه اولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد
ذكر التخويف مؤمنين ه التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من
اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وقال ص من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان
واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعل النبي ص من الكبائر عن
ثوبان عن رسول الله ص من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قام فينا رسول الله ص ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك
لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله ص اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله ص اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على
رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ه معنى الاية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان
لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار
في الآخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض هيهات فاللام منقولة والتقدير
وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما
يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه لما كان اجل منصبا كانت
الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت
كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ افحش وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت
الرجل جعلته كافرا ونسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي
وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل
وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما
يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ص اخذها
وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان لا نشرك ما
كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس
في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه ص لما وقعت غنائم
هوازن في يده غل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما
اسباب النزول اكثرها يروى انه اخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال ص لو كان لكم مثل احد
ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي ص من الغنائم
بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من
اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم ص الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال ص بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه ص بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت

مبالغة في النهي لرسوله يعني ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القران وفيه عيب دينهم وسب الهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره و
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه
الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت فذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك حينئذ يكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره وينتقض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله
وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات الجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم توفى ما كسب ثم فصل
ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون
وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأواه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوي بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا انهم
ذوو درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن
ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب ولانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله
ان منهم ضحضاحا وغمارا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب هل يعذب احد
عذابي فالاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب بحسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسبها قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة
ومنها كانه تعالى قال لا اكتفي في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما
يقدر عليه ويكون باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه ووجه المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزيل فتورهم ويجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من امن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم ع
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتورية والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اى من جنس الانس لا من الملائكة
لان الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلعم وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرأ من انفسهم بفتح الفاء اى اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون
عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ليصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلعم واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت
لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا
واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي صلعم الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله
انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة
احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومفعول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصر واعلينا
ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم ثم المراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون
هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل
مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما
وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم
عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رايه الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة
الثاني ما روى عن علي رضي الله عنه قال جاء جبرئيل الى النبي صلعم يوم بدر فقال يا محمد صلعم ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى
وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلعم ذلك
لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيتقوى به على قتال العدو ونرضى ان تستشهد بنا بعدتهم فقتل يوم
احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد
اختيارا في الفعل والترك لانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون
الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه لامتناع ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء
الكل الى مسبب الاسباب يؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية
للمؤمنين لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن يخلى بين المأذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرت المصالح
فذاك قد وقع ليعلم المؤمنين اى ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير
انهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم فقال انشدكم الله في
نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الآخرة
وطلب مرضاة الله اى كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل ان يسأل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم وعليه و
لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راى عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في
الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم
والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد اما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج
الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان كذلك لجاز لهم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المبني عن الدغل و
النفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال
الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الاتي بكلمة
التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم

خلاف

خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون
وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار
او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه وعن الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا
في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن
يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يحترز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب
للرسول او لكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي ولا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لانه لان الكلام عليه مذكور كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء الدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا
فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسئلك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا
رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم
نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء
منعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فمن طائفة انها على سبيل المجاز فقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة
من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء
امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم
فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء
والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر ومن ان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل
هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن
ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل
يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى
يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال
والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى اخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه
حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا واما ان الله يعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر و
ثوابه ويزول الشبهات ومن تامل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام
والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن
من الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة

في هذه المسئلة عند كخلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تنتقل الى بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله
الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد
الباطلة والملكات الذميمة والذي اقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها
وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة
في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء
والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة
الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم
اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع
قرع نعالهم لعل السر فيه انه اكتفى بهذا القدر من التصرف لانه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وافضى
الامر الى الالجاء وهو السر في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى
بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا وتعجيل الثواب كما عجلوا الى الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب
عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة بها تثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة
كقوله فالذين عند ربك او المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما
يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين
بما آتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون
الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب
التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور و
مصدر الكمال ويستبشرون بالذين اخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم
انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله
يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا
الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى بما ازال ذلك التعلق اعلمهم امن اخوانهم
من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حال انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم ولغيرهم وذلك قوله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد
وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى
مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد بعرفنا وكلاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي
ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم باتيان
جميع المامورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه
كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ومن في قوله للذين
احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي
بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي و
دفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال النبي للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل
به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها
وابنها فلما رأت الرسول وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروي عن ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف
من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما حضر
الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا

على صاحبه ويتوكأ

فقال

فقال له نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان
خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما
هذا الرأي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء
لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني
نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان
الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله او يرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال
نعيم ذلك القول الجأ من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس
بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين
عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تزايدها ونقصانها
واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقال ولا ان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكما انهم اظهروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين القي في النار فاظهروه باللسان و
قالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل والكافي والكافل والموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا
فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل هو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل
ولا جراح وصفهم بما به حصل لهم الملايم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني ولكن ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا
ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم لم ينج احدا عمله الا
ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان هو الشيطان لعتوه وتمرده
واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة لاسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك
بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة
الى اضمار حرف الجر الله حسبي التأويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فلا يبعد ان يقال ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاء له على تعجيل ذائقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا
الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرعوا
مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل طبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه
سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا احياء
في الجنة والذي جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله
ذلك جسما لطيفا شبه طائر يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما
كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما
سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير وانا ارجو ان اكون مصيبا فيها والعرض على الله تعالى ورسوله اعلم بمراده هنا ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان

ولهم

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ

آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نرسانند خدا چیزی و مر ایشان راست عذابی دردناک و مپندار تو ایشان را که کافر شدند که آنچه مهلت میدهیم بایشان مر خود ایشان را

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

جز این نیست که مهلت میدهیم ایشان را تا زیاده شود گناه و مر ایشان راست عذابی خوار کننده نباشد خدا که واگذارد گروندگان را بر آنچه که شما بر آنید تا که جدا کند ناپاک را از پاک

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

و نباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب و لیکن خدا اختیار میکند از پیغمبران هر که را خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیزگاری کنید

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا

پس مر شماراست مزدی بزرگ و مپندارند آنانی که بخل کنند بآنچه که داد بایشان خدا از افزونی خود آن بهتر است مر ایشان را بلکه بد است مر ایشان را زود است طوق کرده شوند آنچه

ع١٠ بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

آنچه را که بخل کردند بآن در روز قیامت و مر خدا راست میراث آسمانها و زمین و خدا بکردهای شما مطلع است بدرستی که شنید خدا گفتار آنها را که گفتند که بدرستی که خدا محتاج

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

و مائیم مالداران هر آینه ثبت کنیم آنچه را که گفتند و کشتن ایشان پیغمبران را بدون حق و میگوئیم که بچشید عذاب سوزان را این بآنچه است که از ایشان صادر شد

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگان را آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا که بیاید ما را قربانی که بخورد آنرا آتش

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

بگو که هر آینه آمد شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه گفتید پس چرا کشتید ایشان را اگر بوده باشید راستگویان پس اگر تکذیب کردند ترا پس تکذیب کرده شدند

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ

پیغمبران از پیش تو که آورده بودند گواهان و نوشتها و کتاب واضح هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در روز قیامت

فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

پس هر که منع کرده شود از آتش و درآید در بهشت پس بدرستیکه بمقصد رسیده و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ

و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتاب را از پیش شما و از آنهائیکه انباز آوردند آزارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیزکاری نمائید پس بدرستیکه این

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

از تیره در کار است و چون فرا گرفت خدا پیمان آنها را که داده شدند کتاب را هر آینه ظاهر نمائید از برای مردمان و پنهان ننمائید پس عقب سر انداختند آنرا

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

و خریدند بآن بهائی کم را پس بد است آنچه را که میخرند و مپندار تو آنها را که شاد کردند بآنچه یافتند و دوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکرده اند

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ القراءة ولا

پس مپندار ایشان را رستگاران از عذاب و مر ایشان راست عذابی دردناک و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی توانا است يحزنك من

الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا ويزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا

خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن بما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء فلا تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها

بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على

الغيبة والاخران بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس مخيرا الباقون خفيفا بفتح الياء وكسر

الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء

وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب

الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح من مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه

بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج

للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام او الفا شيئا ط في الاخرى ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا ج لما ذكر في الاخرة ط

اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكرانه مهين من الطيب ط ورسله ط عظيم خيرا لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض خبير اغنياء م لئلا يصير ما

بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يتعطف

ع

على قوله سيكتب مع اتساق النظم الحريق للعبيد لاحتمال الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف ولكنه لا يظلم العبيد فظلم العبيد لو
نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ه المنير ه الموت ط يوم القيمة ط لابتداء شرط في امر معظم فقد فاز ط
الغرور ه كثيرا ط الامور ه ولا تكتمونه ز لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يعطف الى ظرفه قليلا ط يشترون ه
من العذاب ج لما ذكر اليم ه والارض ط قدير ه التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا
الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهره هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة
احد ويؤيسونهم النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلب احد
وقيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر بك وفسر بعضهم
هذا القول بان المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم في الاخرة
انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبطه وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما قدر للنبي من الانتفاع بايمانهم و
انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يلحقه بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن
على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهي عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه في نظيره لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك بخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي دينه شيئا من الضرر يريد الله
الا يجعل لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم
عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل
اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف
البتة ثم انزل في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان اكثرهم
ينازعونك في الدين لا لاجل شبههم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو انه يبيع بالقليل
من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الاية في المرتدين فالمعنى
ان اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان المضطرب الحال لا يقدر على ايصال
الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ
بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وان مع ما في
حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض الا احد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع
السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبنهم
اصحاب ان الاملاء خير لهم او لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له ||| اي طول لهم
وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملا الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا و
برهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب اولا بالعظيم ثم بالاليم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا
يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير ففيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وايضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبرهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون
منه الا على ازدياد البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا
الاملاء ليس خيرا من موتهم شهداء اذ الاية من تتمة قصة احد لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بانه بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه
لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شيء اخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الا للاضلال يقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في
تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم
مزدادون اثما علة لتقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وترتيبه
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية و
رد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته
ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقايع كما في قصة
احد لله در النائبات فانها صدأ اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من
اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما الفئتان

الشيء بعضه من بعض لهم وميزا هيئة تمييزا وفي الحديث من ماز أذى عن الطريق فهو له صدقة وجمع لفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا
لانه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لورائه فان
الميز يقع على الادون والاهون وبم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح
فمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل
بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبنا الكلام
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول
ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن
وذاك منافق الثالثة ان هذه آية تختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلانا
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي يتميز بها الفريقان
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول
ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرضت على امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال
ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل بالغ في التحريض على بذل
النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف لدلالة
التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكوة ثم رتب
الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا يوعد بخيلا لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي
حكم الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم
عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من آيات
بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل
له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين
يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق ومن امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه قال كثير من
من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان
اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومثله وورث سليمان داود اي انفرد بذلك بعد ان كان داود مشاركا له فيه والله بما
تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب

كانت تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافهم بالعتاب ثم شرع فى حكاية شبه الطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق فى سبيل الله قالوا لو كان
محمد صادقا فى ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما
يطلب المال لاجل ان يجئ نار من السماء فتحرقه كما كان فى الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبى فهذا بيان النظم وليس
فى الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم فى موضع اخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات فاذا عجز
عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غنى ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدى ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابى بكر الى يهود
بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو
من علمائهم ازعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم فى وجهه وقال لولا الذى بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر
ما الذى حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابى بكر
وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا لما طلب منهم الجهاد
ببذل النفوس والاموال كانوا قد قالوا لو كان الا لاغنياء فاى حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان
يقول هو يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة
فبان فى هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض وبذلك يرتبط امور
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة وروده فى القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى
لا يحتاج فى ذاته ولا فى شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك فى كمال غناه فى وجوده فقد عاد
بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا فى صحائف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كالمر يعدوا الله حق قدره حتى نسبوا اليه
نبوة فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول
كالاليم بمعنى المولم وسميت باسم صاحبها اى ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا
القول يحتمل ان يقال عند الموت وعند الحشر وعند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد ان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او
الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدى لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب
وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما فى سورة الحج
قال الجبائى قوله وان الله اى وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنب
وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان
الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير
عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضى بان العذاب الذى توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على
حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم
عنه فى قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم
ان تصدر عنه كانه قال ان تخيل اليكم ان فى الوجود شرا بناء على ما فى ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل لتبعية الخير الكثير فاعلموا انه
منزه عن صدور الشر الكثير منى وان هذا من الشر القليل الذى فى ضمنه خير كثير او نقول اراد نفى الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل
من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا فى التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند
الله حتى يأتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قالت عطا كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون
الثروب واطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله ع لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم
بقربان تاكله النار الا المسيح ومحمد فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الاية المعينة وح لا يكون ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تع الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الايمان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك اي رسل والمصيبة
اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب قال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح — الموضح
المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة او الاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت
فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تع منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك كذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله — كالذات ثم
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تع كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون
باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية بالكلية فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال ع القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزحزحة التنحية والابعاد والزحزحة تكرير الزح فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به قال ع من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو لالتقاء الساكنين ولم يجب قبلها من الضم المراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف وفي اهليه واغراء المخالفين وتحريضهم
عليهم والمنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة وتصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص للعاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم
الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الاحوال والامر بالقتال

الدنيا في الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي صلعم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلعم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروي ان رسول الله صلعم ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
ورائه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله صلعم فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله صلعم فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلعم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلعم دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله صلعم
اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفى عنه رسول الله صلعم وانزل الله هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق
بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها وايضا من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله باضمار
اذكروا الضمير في لتبيننه قيل للكتاب لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه قيل له آلله لتفعلن ولا يكتمونه قيل الواو
للحال اي غير كاتمين وقيل يحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح المتروك عن علي عم ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا و
قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان خطير من الدنيا
فبئس ما يشترون هو وعيد يدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لمبارهم وللتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود وعدهم عليه تسلية
رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه اي بمكان
الفوز وقال الفراء اي ببعيد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبي صلعم يهود فسالهم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس بنبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نحن اولياء الله فذلك قوله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله صلعم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا
اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسئل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر والغالب التاويل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخا بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبهه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشا معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون اذا مات
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله

فقير ونحن اغنياء فيان ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فينعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات
الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار فالت
يهود صفات النفس البهيمية السبعية والشيطانية لا نعقاد لرسول اى لخاطر رحمانى او الهام ربانى حتى ياتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها
نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله
فلا تاكل نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذى قلتم اى بجعل الدنيا قربانا
فلم قتلتموه غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الوارد ان كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء ولا بد لهم من موت فمن كان
موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظ
ومن اهل الريا اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم
الامور اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل و ع

بدرستى كه در آفريدن آسمانها وزمين وگردش شب و

النهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض

وروز هر آينه نشانهاست مر صاحبان خرد را آنانكه ياد آورند خدا را در ايستادن ونشستن و بر پهلوهاى ايشان و انديشه نمايند در آفرينش آسمانها و زمين

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين

پروردگارا نيافريدى اينرا باطل منزهى تو پس نگاهدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستى كه تو هر كرا در آرى در آتش پس رسوا كردى او را و نيست ستمكاران را

من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا

ياورى پروردگارا ما شنيديم بانگى را كه ندا ميكرد از براى گرويدن كه بگرويد به پروردگارتان پس گرويديم پس بيامرز گناهان ما را و برطرف كن بديهاى ما را

وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب

و بميران ما را با خوبان پروردگارا بده ما را آنچه وعده كردى تو بر پيغمبرانت و رسوا مكن ما را روز قيامت بدرستى تو خلاف نمى‌كنى وعده را پس مستجاب كرد

لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى

از براى ايشان پروردگارشان كه من ضايع نميكنم كردار شما را از مرد و زن برخى از شما از برخى پس آنانكه ترك وطن كردند و بيرون شدند از خانهاشان و آزار كشيدند در

سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله

راه من و كشتند و كشته شدند هر آينه برطرف كنم از ايشان گناهان ايشان را و هر آينه در آورم ايشان را در بهشتها كه روانست از زير آنها جويها ثوابها از نزد خدا

والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد

و خدا در نزد اوست نيكى ثواب فريب ندهد ترا گردش آنها كه كافر شدند در شهرها بهره ايست كم پس آرامگاه ايشان دوزخ است و بد جايگاهيست

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار

لكن آنهائى كه پرهيز كردند پروردگارشان از براى ايشان بهشتها كه روانست از زير آن جويها جاويدانند در آن نعمتى از نزد خدا و آنچه در نزد خداست بهتر است مر خوبان را

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا

و بدرستى كه از اهل كتاب هر آينه كسى است كه ميگرود بخدا و آنچه فرستاده شد بسوى شما و آنچه فرستاده شد بايشان فروتنان مر خدا را نميفروشند آيات خدا را ببهاى

قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله

كم آن گروه مر ايشانراست مزدشان در نزد پروردگارشان بدرستى كه خدا زود حساب كننده است اى زمره آنها كه گرويده ايد صبر كنيد و امر بصبر كنيد و پيوند كنيد و پرهيزيد خدا را

لعلكم تفلحون القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجا الكسائى والبخارى عن ورش وخلف وابن مجاهد النقاش

شايد كه رستگار شويد عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد النقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى
وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد
نزلا حيث كان باختلاس عباس الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة صفة او مستانفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعنى
الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف اى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء سبحانك تعظيما والا فالقول متحد و
التعقيب متعقب النار اخزيته ط انصار فآمنا قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف
على آمنا اى انا آمنا فاغفر الابرار ج للاية وللعطف يوم القيمة ط الميعاد انثى ج لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتداء من بعض ج و
الانهار ج لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب البلاد ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم المهاد من
عند الله ط للابرار لله لا لان ما بعده حال اخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب تفلحون التفسير انه لما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكام

عاد

عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد الكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة
هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله ابتكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي ان النبي كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من
من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا احدق الى مرئي امتنع
تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما
وقع الاقتصار على دلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله وكبريائه اسهل وايضا قال في تلك السورة
لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال
يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان
مع الوجهين فقوله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اشارة الى عبودية اللسان وقوله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وهو في موضع حال اخرى معتمدين
على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق
لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع
على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذاك وضع الغافلين
وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد قوله وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اشارة الى عمل
الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله
لقوله تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل
بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان
الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن
حصول صورة الشيء في النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته
سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف
اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف ان في كل ذرة من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما
خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف وفي الاخير وجهه فيقول سبحانك اي نزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ
من الاستغراق في بحار العظمة وجهه الجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبائع
والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج
السموات وذلك قوله فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ اي ابلغت
في اخزائه نظيره قوله فَقَدْ فَازَ وفي كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سئل بالايمان بمحمد وذلك قوله رَبَّنَا
إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه التحقيق والله اعلم باسرار كلامه عن النبي
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك انه كان يتفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض عشرة لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق
او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال و
باطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله
تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سُبْحَانَكَ جملة معترضة تنزيها له من العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة

ولعله يريد يتفكرون في خلق السموات والارض ١٢ ع

فوجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن المكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انك خلقتهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية متانة التركيب بصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان تكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن وهو مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزيا وايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين دخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت العاقبة عاقبة الخروج وقوله لا يخزي نفي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزي بهذه الاية والمقدمات باسرها يدخلها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول لجزئية الموضوع كما تقرر انفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل معنى الاية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز لهم هذا الحكم بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورضوا بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق والى الطريق فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء منادي الامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة ومعناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد او الاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلق والمجمل وكونه اوقع في النفس فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء

وقيل الاول

وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول ما بعدها ما تقدمه منهم والثاني المستانف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و
ذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم فالتباعهم او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساوله في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة التعقيب في فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تع
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول عقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا
لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهلا لاخزائك وطلبوا تعجيل النصرة على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل منه دليل
على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاؤ الحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة والنار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اوائل دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة
من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق ع من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تع حكى عنهم في هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى والاضاعة للعمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من
بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي قال صلعم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلعم اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد الدين وقاتلوا وقتلوا من قرا بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل اي قطعوا
ومن قرا اقتلوا وقاتلوا اما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبيعي فاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قوم منه عشيرته واما باضمار قد اي قد قتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا
يختص به ويقدر عليه وبفضله لا يثيب غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا
نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم قال الكسائي هو منصوب على الحال اي مثابا
وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تع
اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل راسا عن الحسن خبر الله تع انه استجاب لهم الا
انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تع لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمعه اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او له والمراد هو فليعلل السبب في
عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه وقيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم

والترتيب

على القطع ايضا

في المكاسب والمزارع والمتاجر لان التقلب للكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه بالنسبة لمدته الى ما بين امدى الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الابدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الاية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء اخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله خير للابرار اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب وفي هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل
كما في الاية والمراد بما انزل اليكم القران وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان
هذا الوعد حسبما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بقرب حصول الاجر ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامره بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وافاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامره بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب و
ترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الاية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لاداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد قال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما اكثر ترغيبه في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الا ترى انه
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك
الرباط ثلث مرات والله اعلم التاويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها وحرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لايات لاولي الالباب الذين عبروا بنفي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر وبنواظر الضمائر انه ليس للعالم الهاء فادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا
هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بالعدل عنا
عذاب نار قهرك والبعد منك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل

ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى فى حقيقتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا
عن الاوطان والاوطار الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة ودیارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلى صفات الربوبية واوذوا فى طلبى بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجرى من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر لمن يؤمن بالله نور الله
الذى دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال اذا تجلى الشئ خضع له لا يشترون لما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل فانهم
اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا فى مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله فى الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون تفوزوا بالبقا بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

مدنية

سورة النساء

حروفها ١٦٠٣٠ وكلماتها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ٢ يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
اى گروه مردان بپرهيزيد پروردگار خود را آنكه آفريد شما را از يك نفس و آفريد از آن جفت او را و پراكنده گردانيد از آدم و حوا مردان بسيار و زنان بپرهيزيد خدائى را كه سؤال ميكنيد
به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان
بوى حوائج خود را و بپرهيزيد از قطع ارحام بدرستيكه خداى باشد بر شما نگهبان و بدهيد يتيمان را مالهاى ايشان و بدل مكنيد بد را بطيب و مخوريد مالهاى ايشان را با مالهاى خود بدرستيكه آن
حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما
گناهيست بزرگ و اگر بترسيد از آنكه عدالت نورزيد در باره يتيمان پس نكاح كنيد آنچه پاكيزه است از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسيد كه عدالت رفتار نكنيد پس يكى را و يا آنچه
ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
در تصرف داريد از كنيزان اين پست ترست بآنكه ميل نكنيد و بدهيد بزنان مهرهاى ايشان را كه در شرع دينى است پس اگر ببخشند از طيب نفس از مهر چيزى را پس بخوريد آنرا گوارا
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
و مدهيد بيخردان مالهاى خود را كه قرار داده خدا از براى شما قيام و زندگانى و روزى دهيد ايشان را و بپوشانيد ايشان را و بگوئيد بايشان گفتار خوش آينده و بيازمائيد يتيمان را تا چون برسند
النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
بحد نكاح پس اگر دريافتيد از ايشان ترقى پس بازپس دهيد بايشان مالهاى ايشان را و مخوريد آن مال را از روى اسراف و پيشى گرفتن بر بزرگ شدن ايشان و هر كه صاحب چيز است پس عفت دارى كند و هر كه بى چيز است
فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل
پس بخورد باندازه پس چون رد كرديد بسوى ايشان مالهاى ايشان را پس گواه گيريد بر ايشان و بس است خدا محاسبى مر مردان راست بهره از آنچه گذاشتند پدر و مادر و خويشان آنچه كم
منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين
زنان يا زياد بهره واجب و چون حاضر آيند قسمت را خداوندان خويشى و بى پدران و بينوايان پس بدهيد ايشان را از آن و بگوئيد مر ايشان را گفتارى خوش و بايد كه بترسند آنها
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
كه واگذارند از عقب خود فرزندان ناتوان كه بترسند بر ايشان پس بايد كه بپرهيزند از خدا و بگويند گفتارى محكم بدرستى كه آنانى كه ميخورند مالهاى يتيمان را بستم جز اين نيست كه ميخورند
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد بادغام التاء
در شكمهاى خود آتش را و زود است كه داخل شوند در جهنم التفاعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب لا امالة لحمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون
بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف عليهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل القراء يزيد قياما ابن عامر ونافع الباقون
قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل
الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى اموالكم ط كبيرا ه ورباع
ايمانكم ط الا تعولوا ط لابتداء حكم اخر نحلة ط لان الشرط خارج عن اصل الموجب مريئا معروفا ه النكاح ج اموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين
متضادتين فليستعفف ج بالمعروف للعوالى حسيبا ه والاقربون الاول ص او كثر ط مفروضا ه معروفا ه
خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام

وايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والديات ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من المناسبات ومكارم الاخلاق التي يتأتى بها صلاح المعاش والمعاد فتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول صدرت بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة وفي هذا القيد وجوه امّا القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شأن العبد امتثال امر مولاه في كل ما يأمره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة والعلة الموجبة كان كلهم على حد واحد ولنسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخرى منها انه تعالى عقبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد ادعى لان يتعاونوا على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا آدم عليه السلام والتأنيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها اكسرتها والحجج من الطبائعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض لنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشأها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يلزم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو والا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب في شيء من النسق والا كان الاتيان بها عبثا بالفائدة العطف بالواو وفي الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى اعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معنا محمول على ما عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لهنات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التأكيد فلا بأس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسآل وهو سؤال البعض للبعض اسألك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى او يتسائل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بذكر النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب فلفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه رباك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب قوى السطوة قال العلماء في الآية دليل على جواز المسألة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى في الآية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما

من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله ﷺ
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى اصحاب ابي حنيفة
على هذا الاصل مسئلتين احديهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن
الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها لان ذلك احد اصول الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الاية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراعيا يحفظ عليكم جميع احوالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفاء
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال ﷺ لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم ففي الجواب طريقان احدهما
ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ
وقال ﷺ تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الاية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله ﷺ فنزلت الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي ﷺ من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي ﷺ ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال لا توهم بعد واصنعوا لليتيم اموالهم وآتوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى الاعتزال عنها حتى تتلف
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل بل يريد ان الباء في تبدل تدخل على المأخوذ وفي تبديل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبدلا ثم وجهه
لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون ايضا فيه موضع وقيل معنى الاية ان يأكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
فيكون مستبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم في الانفاق سووا بينها لما لم يحل لكم انه اي الاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى
ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين
عنها بما رزقهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم
وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اي ذا الذي بالنصف فلزمه العدالة والتسوية وعلم
ان قوله ان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها و
جمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد
هذه الاية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الاية فقوله فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الاية وهي قوله
وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الاية
المتقدمة في اكل اموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج

والاكثر

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان لا تقسطوا في اموال اليتامى عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاث وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال اهل الظاهر النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس يقول ما عندك فيقال رجل وامرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك وما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله ابحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستقل بنفسه لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال عندنا لتعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما يبقى بعد ما اخرجه اية التحريم فلا اجمال واما قوله ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ لم يوجد في كلام الفصحاء الا احاد واحادا او موحد وجوز والى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت لم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك ان نوبتها انقسام مرة ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه غير العدد مكررا على الاطراد في كلام العرب نحو قرات الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف لا الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فنحو على البدل وضعف بعد جي بانه على المعارف ولو نوع حالا فمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ومن قرأ بالنصب اي فاختاروا وانكحوا او الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم فسوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر ولا عليك اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل ولما كان التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الآخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقارنة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة الضرورية ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان للرق تاثيرا في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد الصحيح استثناء كل عدد منه وقوله ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ثم انا امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كما يروى

الربع

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون
مجملا ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب او الرضاع وايضا القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل
على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة
على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث ثانيها اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم
فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتد به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن
الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق
لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام
فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية ولغيره ثان بالتثليث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو ذلك
ادنى ألا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا او لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه الا تفتقروا ورجل عائل اي
فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا يكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة
معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال اعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاووس ان لا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قبل الآية وان خفتم الا تقسطوا
وايضا فيه انه نقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تغيير
اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية
في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى ألا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من
كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم
وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما لا
يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله
ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن
يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكان مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن
اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب
كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا
فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى
اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهور التي
سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ويلزم موم
ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة
وديانة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء
بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى
نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد
النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل قال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء
الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات
اباح لهم جواز قبول برها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن ولا اهن انفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه
للصداق والمذكور وفي قوله طبن بناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه
على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار او سوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثلهن على تقليل الموهوب لهذا
ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لا انه لا يجوز هبة كل الصداق اذا
طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال
للمريء مجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن التحلل

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتا المصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد توقف على
قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين في الدين قال بعض
العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها
ذلك وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم حال السفهاء وان بلغوا اوان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فوردان الاشكال لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال
الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه
لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة
ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة
والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد
اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة
في اموالكم لا يفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا
كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلثا وان السفهاء النساء الا امرأة
اطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم اولاده والخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والتحقيق ان المراد بالسفهاء كل من ليس
له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل
الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام
اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء للاعلال فعله فان لم يكن معله
لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال
ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني فقد صانتني عنها وقيل لبعض الحكماء من اصلح ما لقد
صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجلبة والبؤس مرذلة والسؤال مبعدة وكان يقال الدراهم مراهم لانها
تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه ومال
الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب
من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب
عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا
يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه بذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فانها من خبثه وتداخله ثم انه سبحانه امر بعد ذلك
بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم يأكلونها بالانفاق بل امر ان يجعلوها
مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كلا من الرزق والكسوة بحسب المصلحة
وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقول لو اذا ربحت
في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم بما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها
وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكلما يسكن اليه النفس واحبته الحسن عقلا او شرعا من قول

والنوال العطاء

او عمل فهو معروف وما انكره منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد
منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني وبدخل وقت مكانه باستكمال تسع سنين فهو بمنزلة بلوغ خمس عشرة سنة فانه قرينة عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية
ولها امارتان اخريان الحيض والحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد
في الاية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى
وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف
على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف
ذلك البيع والشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك
يتم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ
الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال ويعتبر غلبة الظن
انه رشيد وتنكير رشدا يدل على ان المراد نوع من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة لا الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من
الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث يفك الحجر عليه بعد ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله
وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى المصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن
فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه
اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زاد عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله وان لم يونس منه رشدا ولم يونس ثم قال ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد
والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما تشتهون
قبل ان يكبر اليتامى فيمنعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه ولينزه كرمه في الستين زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان ياخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة
عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان ياكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما
افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى
عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا
واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وايضا قياسا
على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان ياخذ
بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما جاز في اصول الاموال
من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي
الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا ياخذ لا على سبيل القرض ولا الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واجيب
بانها عامة وقوله فلياكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل
الوصي مال اليتيم ظلم اولا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم
بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه
قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على
الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي
ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك ولتنفير الناس من قبول الوصاية وكفى
بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا كالترهيب يعني لتشاور ونهي يهدد للولي وللمتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا
والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس
ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كجة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذ

ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكراً انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون
لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كجة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات
وترك علي بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئاً
فدعاهما رسول الله صلعم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً ولا ينكأ عدواً فقال رسول الله صلعم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله
لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئاً فان الله قد جعل لهن نصيباً
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعدها ان الفطم
من المألوف شديد فالتدريج في الامور دأب الحكيم وهكذا قد نزل الاحكام والتكاليف شيئاً بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي
مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيباً مفروضاً نصب على الاختصاص بتقدير اعني نصيباً مقطوعاً مقدراً لا بد لهم ان يحوزوه
او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد
البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار نصيبهم غير مذكور ههنا الا انا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد
المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى قال نصيباً مفروضاً وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وايضاً الواجب عندهم ما علم ثبوته
بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وايضاً ليس المراد
بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اذن اقرب الناس الى الوارث مما ذكر الا الوالدان والاولاد ودخول
الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار ثم انه تعالى امر كما قال المفسرون انه لما ذكر في الآية للنساء اسوة بالرجال في ان
لهن حظاً من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية
ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم
النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن كان الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى
والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولاً معروفاً كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك
فيكم وعلى الاستحباب هو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كباراً اما اذا كانوا صغاراً فليس الا القول المعروف
كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما
ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله
الموصي ان يجعل لهم نصيباً من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولاً معروفاً وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون
وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزه صلة
الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء
امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً او امروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون
على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب العفيف هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم
بيا بني ويا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وما تأخر من الآيات الواردة في باب الايتام فهم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون
ذلك اجلب ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حباً بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقاً
بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك فلا يزالون يامرونه بالوصية الى الاجانب
الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية نهياً للحاضرين
عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلعم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رض
يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الآية بما قبلها فيكون امراً للورثة بالشفقة
على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ابي ثابت سألت مقسماً عن الآية فقال
هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصي
له وعلى هذا يكون نهياً عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ثم اكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلماً اي ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته لا بالمعروف فانما يأكلون في بطونهم ناراً اي ملء بطونهم ناراً اي ما يجر الى النار
وكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان
ياكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلعم قال رأيت ليلة اسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم
ثم يجعل في افواههم صخراً من النار يخرج من اسافلهم فقال جبرئيل هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من

سيصلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق ومن الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد
السعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة
لا يجوز ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله بل لابد ان يكون مقدارا مخصوصا وهو خمسة دراهم لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في آية الكنز في منع الزكوة
ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد
فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب
فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر او على
السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلتنا وضعفنا بعزته وقوته التاويل ذكر الناسين
بعد خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد ﷺ قال اول ما خلق الله روحي فخلقوا بالارواح وخلق من روحه
زوجه وهي النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا
الله الذي تساءلون به اي اتقوه ان تساءلوا به عزة والارحام ولا تقطعوا رحم روحي بصلة غيري وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن صفة الحرص
والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروة و علو الهمة والقناعة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن صفة الخيانة وتحلية
بالامانة وسلامة الصدر ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما
فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك ادنى ان لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء
صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات
الى رعاية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال
ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله فادوا
شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه الادبي طعامك بذكر الله كما قال اذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب السالكين بانه
توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع
على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف فيما ملك
سيده كالعبد الماذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تاكلوها اسرافا اي فان آنستم يا اولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في احوال
الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة المشيخة ولا تجعلوا المشيخة ماكلة لكم غيرة وغبطة عليهم ان يكبروا بالمشيخة ومن كان
غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فلياكل بالمعروف
فلينتفع باعانته وليجز له بالمشيخة مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام المشيخة فاشهدوا عليهم
الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة
وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وانوارهم نصيبا مفروضا
على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمعتقدون لآثارهم
فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتشهير هوان الدنيا عند الله وعزة اهل الله في الدارين
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات المفازة في سفر او موت فليتقوا الله
اي يوصيهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى مداومة الذكر حظوظا ان يوصلان العبد الى الله ان
الذين ياكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما ياكلون في بطونهم نار الحسرة ويوم القيامة لا ينفع ندمهم

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ ع٣
میفرماید شما را خدا در بارهٔ فرزندان شما مر پسر راست مانند بهرهٔ دو دختر پس اگر بوده باشند دختران دو یا بالاتر از دو پس مر ایشانراست دو ثلث آنچه گذارده است و اگر
كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
باشد یکی پس مر اوراست نصف ترکه و مر پدر و مادر اوراست از برای هر یک از آن دو شش یک از آنچه نهاده است اگر بوده باشد مر او را فرزندی پس اگر نباشد
لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
مر او را فرزندی و وارث برد او را پدر و مادر پس مر مادر اوراست سه یک پس اگر باشد مر او را برادران پس مر مادر اوراست شش یک پس از وصیتی که فرماید بران
أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
یا دینی پدران شما و پسران شما نمیدانید کدام ایشان نزدیکتر است مر شما را از روی نفع فرض کرده شده از خدا بدرستیکه خدا هست دانای حکیم

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ
و مر شمار است نصف آنچه نهادند زنان شما اگر نبوده باشد از برای ایشان فرزندی پس اگر باشد مر ایشان را فرزندی پس مر شماراست چهاریک از آنچه نهادند پس از

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ
فرموده که بفرمایند بها یا قرضی و از برای ایشانست چهاریک از آنچه نهادید اگر باشد مر شمارا فرزندی پس اگر باشد مر شمارا فرزندی پس مر ایشان راست هشت یک

مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
از آنچه نهادید پس از فرموده که فرمایید بآن یا قرضی و اگر بوده باشد مردی که میراث برده از او کلاله یا زنی و مر او را برادری است یا خواهری

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
پس از برای هر یک از آن دو است شش یک پس اگر بوده باشند بیشتر از این پس ایشان انبازانند در این ثلث از پس فرموده که بفرمایند بآن یا دینی

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
نه زیان رساننده فرموده از نزد خدا و خدا داناست و بردبار این است قرارهای خداوندی و هرکه پیروی کند خدا و رسول او را در آورد او را در بهشتها که

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
از زیر آنها جوییها جاویدان در آن و این است بهره بزرگ و هرکه فرمانی کند خدا و پیغمبر او را و درگذرد از اندازهای او در آورد او را

نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً ع
در آتش جاوید در آن و مر او راست عذاب خوار کننده و آنانی که مرتکب شوند زنا را از زنان شما پس گواه گیرید بر ایشان چهار نفر

مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا
از شما پس اگر گواهی دادند پس حبس کنید ایشان را در خانها تا وقتی که در رسد ایشانرا مرگ و قرار دهد خدا برای ایشان راهی و آن دو مردی که بیایند زنا را

مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ
از شما پس آزار کنید ایشان را پس اگر توبه کردند و باز آمدند پس رو گردانید از ایشان بدرستی که خدا توبه پذیر مهربانست جز این نیست که توبه بر خداست از برای آنانکه

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
میکنند بدی را از نادانی پس توبه کنند از نزدیکی پس آن گروه می پذیرد خدا توبه ایشان را و هست خدا دانای بردبار

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ
و نیست توبه مقبول مر آنان را که میکنند گناهان را تا آنکه در رسد یکی از ایشان را مرگ گوید من توبه کردم الآن و نه آنانی که میمیرند

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا
و حال آنکه کافرانند آن گروه مهیا کرده ایم از برای ایشان عذابی دردناک ای زمره ایمان آورندگان روا نیست مر شما را که میراث برید از زنان بناخواه

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
و گرفتار مسازید ایشان را که ببرید پاره از آنچه داده اید بایشان مگر آنکه مرتکب شوند ناشایسته هویدایی و زندگانی کنید با ایشان بنیکوئی

فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
پس اگر ناخوش آید شمارا از ایشان پس امید است که ناخوش دارید چیزی را و بگرداند خدا در آن منفعت بسیار و اگر اراده کردید که بدل کنید زنی را در جای زنی

وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ
و داده باشید یکی از ایشان را مال بسیار پس فرا مگیرید از آن چیزی را آیا فرا گیرید آن را بهتان و گناهی هویدا و چگونه فرا گیرید آن را

وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
و حال آنکه رسید بعضی از شما بسوی بعضی و فرا گرفتند از شما عهدی استوار و نکاح مکنید آنچه را نکاح کردند پدران شما از زنان

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع البا قون بالنصب
مگر آنچه در پیش گذشته بدرستی که آن میباشد ناشایسته و دشمنی و بد راهی است فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي

البا قون بالفتح يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل ووافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية البا قون مبنيا
للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر البا قون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون
ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب عباس عن البا قون بالتخفيف
كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف البا قون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح البا قون كلها بالكسر الوقوف للانثيين ما ترك فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد فان كان له ولد

فللاناث الثلث او دين ابائكم وابنائكم لتفديرهم ابائكم وابنائكم ولاحتمال كون اباؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد بين منهما السدس بزيادة
لان غير حال عامله يوصى مضار لاحتمال نصب وصية كما يجيئ من الله حليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها الا ان ما بعده اعتراض مقرر
للجزاء العظيم خالدا فيها الا ان ما بعده من تتمة الجزاء مهين او بعده منكم لا ابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات الآن
حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت تصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار اليما كرها الكعدل لعل الاخبار الى النهي مبينة للعارض بين المتقفين
بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا سبيلا التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا
ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث ونقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كان يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار
ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيئ في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم وكان التوريث
بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة
ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة كان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر
في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روي ان رسول الله ورث بنت
حمزة من مولى لها وورآء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة
كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا
لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال لضايع الله لا يرجع ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما
الحالة الاولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها اذا خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة
فله سهمان ولها واحد ثانيها اذا خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها اذا خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون
سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما هو
حظه لذلك لان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل
لهم كفى للذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من الميراث اقل من نصيب الرجال فلنقصان
عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن ولكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة
فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرءة وعن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت
حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى ادم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرءة نصف
نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهن اكثر من اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم
القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف من قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود
الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود الى غائب حكمي اي ان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء
وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة
تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما
النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد العير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فلزم ان يكون للبنتين الثلثين وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر
الثلث فلأن يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على
انثيين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن من العدد ما بلغن لم يجاوز الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة لنساء او خبر بعد خبر للتاكيد او ليخرج اقل الجمع وهو اثنتان زائد
كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي
الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال لي رسول الله ادع لي المرءة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة
وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكره في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

الثلثين واعط

للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال وما
ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سكت عن ولد الولد فقيل
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل يقاس ولد الولد على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه لا يستحق
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا ياخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانها تاخذ تكملة
الثلثين ولد الصلب كل الميراث في ابناء الابناء واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين والمرتد ماله في لبيت المال سواء اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسب في الاسلام يرثه وارثه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود وقالوا الاصل في التوريث
للمال ووراثة العلم او الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث من الرسول
عليه الصلوة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وقيل
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص
الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد واما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي
او بالتفاوت ولو قيل لكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير وقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد
توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى
فههنا ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الولد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبى فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا لا ملتفات الى الاطفال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولد وبقية حال الولد اهم عند الوالدين من رعاية حال انفسهما الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولا نزاع في فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بتمامه والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكور والاناث فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا استحق منه شيء قسم ما بقي
الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين وهذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان الواحد من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كالثلثة
لما علم ان الاثنين جمع لوجود التعدد في الثلثة فما فوقها صح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين مع الاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلعم
في المنام فسئله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال الاثنان فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمن فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمن لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم عند بعض

للأب الثلثان فلا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الأسداس للأب وذهب ابن عباس إلى الأول وذهب الجمهور إلى الثاني إذ لا يلزم من كون الشخص
حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر إلا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الأبوين ثم ذكر أن هذه الأنصباء إنما تدفع إلى
هؤلاء مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق وإذا لم يكن دين أو كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فإن
أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنكم لتقرؤون الوصية قبل
الدين وإن الرسول قضى بالدين قبل الوصية والمراد أنه لا عبرة بالتقديم في الذكر لأن كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وإنما استفيد الترتيب من
السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض فكان أداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين
فإن نفوس الورثة مطمئنة إلى أدائه فكان في تقديمها بعث لهم على أدائها ولهذا جيء بكلمة أو للدلالة على التسوية بينهما في الوجوب لأن كلا منهما
ليس يحصل منه الأمر إن يجيء بواو الفاصلة ليدل على أنه إن كان أحدهما فالميراث بعده وكذا إن كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة أن سهام
أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة أنه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في أنصباء أصحاب الوصية كما في الإرث
بخلاف الدين فإنه يبقى بحاله ثم قال آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة في موضع
نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لأنها من أفعال القلوب أو لمن الجائز أن لا يكون من أفعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان
أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين
قوله فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم
وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله عرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا
وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا
وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب
الأدنى وقيل عن ابن عباس أن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل
أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذاك وقيل قد فرض الله
الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي إلى كنه تلك المقادير فلو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال في
غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الإنفاق والتربية فلا بد أن الابن يحتاج إلى أن ينفق الأب
عليه والأب يفتقر إلى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك وبالضد والقول هو الأول فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ نصب على أنها صفة
تقوم مقام المصدر المؤكد أي فرض الله ذلك فرضا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد
حَكِيمًا لا يأمر إلا بما هو الأحسن الأصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لأنه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان
لكنه من الأزل إلى الأبد عليم حكيم وقال سيبويه إن القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم إن الله كان كذلك أي لم يزل موصوفا بهذه
الصفات هذا واعلم أن الوارث إما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الأول فسبب الاتصال إما أن يكون هو النسب أو الزوجية
فهذه ثلاثة أقسام الأول قرابة الولاد الفروع والأصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الشفقة
ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الأول وذلك قوله وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ
إلى قوله يُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً فما أحسن هذا الترتيب ولما
جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الأنثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه في الآية
على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن والولد
في الولدين الذكر والأنثى وكذا ابن الابن وبنت الابن وكذا ابن البنت وبنت البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لأنه لا يرث وههنا مسألة قال الشافعي
يجوز للزوج غسل زوجته لأنها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ وقال أبو حنيفة لا يجوز لأنها ليست زوجته
ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وأجيب بأنه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع أنه
لا يحل له وطؤها لزم التخصيص وإذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول
الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن
الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الأصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد إلى أصل الحرمة أما
حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول
فيه برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه
الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لأن يكون بينهن الرسول لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها الكلالة

والجلالة والربو وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق
ورثتم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها
بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس بخلاف نحو
الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال تنبت ثنايا كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب فانه تعالى في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة
ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة
والاخوات حال وجود الابوين لا يرثون فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين ايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر
الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد
ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث
ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد انه ليس له والد ولا ولد
ولذا يقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والوكالة واذا جعلت صفة للوارث او المورث كانت بمعنى ذي كلالة
كما يقال فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى
وان كان رجل يورث منه خبرها لان الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون مأخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب
كلالة على الحال او على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا
للمفعول من اورث فالرجل هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة قيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله
اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا تقول من كان له
اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية اولى
لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بناء قيل احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت
من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر
على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد
من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه انه قال في آخر السورة قل الله
يفتيكم في الكلالة ثم اثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع
فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم اخياف وهناك
الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآيتين خاصة
كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي او علم
انه ثم موصيا او الضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه الموروث والى الميت الذي يدل عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وضرار
الورثة بان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه لله وقد يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى با
لانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على
قانون العدالة وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر موقوفا ومرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في
وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله ينتصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول
لا يضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله
عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود
الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها
ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما ان الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في امر مخصوص
ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين و
خالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها فان قيل

المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية
والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي
في هذه الحدود ولجيب عما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها
مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا ولكن لا يخلدوا الا في حق الكافر فعلم خروج
منه ما يخصصه بدليل عقلي كما ذكرنا من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله
يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود
المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز طوله واللاتي يأتين الفاحشة
الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل
والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي الافراط والتفريط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات
اللائي بالهمزة واللواتي واللوائي فكأنهما جمعا الجمع قد يحذف التاء من الاربعة وقد يسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة
لقراءة ورش واللاء بلسان المجيض وقد يقال اللائي بياء ساكنة بعدها الف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال
اللات كاللاغات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان اللاتي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية
اللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من
يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى هاهنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة
لان القوى ثلاثة نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالها وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة
الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر ومن نسائكم المؤمنات والثيبات اقوال فا
ستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين
بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه ادخل ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر
ولا يقع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم
حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها
منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما في النكاح مندوحة عن هذا
فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد
فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن التعرض على الامام واعلم ان للعلماء اختلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول ثم امر بان يؤذيا
الزانيين ولا يتعرض واما حبس النساء في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى
الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول
والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور
وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم
بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى
نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه تقرر في الاصول ان استنباط
تأويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكيفية ذلك ليس في الآية ولا دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح له
وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنى وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك
وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد
وعن اصحاب ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلالة بل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا
يكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال قال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان
الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال خذوا عني الثيب يرجم
والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم انه جرى المستحقين لعدم قبول
فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله

الذي من الحيوان الخ

ثم صار الحق من النص

قبول التوبة من المستحقين

فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حينئذ لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم
له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد انه يكون جاهلا بكونها
معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية
معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان التائه والساهي لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن من العلم
بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الاية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون
واجبا على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت
ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجال وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت فانها
الى طرفي الازل والابد كالنقطة في العدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب لابتداء
الغاية اي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا لما قلنا اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب بعيد الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب مثله قوله ان الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك او المراد بالاول التوفيق للتوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما اتى بتلك
المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوع الشدة
بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة ح اولى بالقبول
لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية
كما لاهل الاخرة وح يسقط التكليف عنه اذ لم يتوجه نحوه شرائط الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان
اهل القيامة لا يتأملون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون انواع اهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف
يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم
على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا تنفعه طاعة العبد ولا تضره ذنبه وايضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق
بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري منافيا للتكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الاوقات وبعده اخبر عن عدم قبول التوبة في وقت اخر وله ان يقلب الامر
فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا يسئل عما يفعل واقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وامره
حق وقد عين لعبيده حالين بينا وغيبا وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم تعكس الامر ثم
ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فليس ببعيد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا
له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على
الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذا المسوف الى حضرة الموت
لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذا الايمان لا يقبل عند القرب من الموت
او المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الاخرة لا يقبل توبتهم اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله
عليهم في الوعد لتبيين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون
فساق لكنهما مشتركان في العذاب الاليم فيثبت حكمهما واحد اجيب بان اولئك اشارة الى اقرب المذكورين وبعضهم ان الكفار اشنع فعلا
من الفساق والطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر وتابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه
كنمرود مثلا قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء
النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك انواع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوا وفيه قولان احدهما الوراثة تعود الى المال اي لا يحل
لكم ان تمسكوهن حتى تموتوا فترثوا اموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه
من غيرها او بعض اقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان اخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها
وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزويج لمن شاءت واراد ليستبدل امرها المبيت ما اخذت من الميراث كما كا

يفعله أهل الجاهلية وقيل إنه نهي للأولياء عن عضل المرأة وللأزواج كما في سورة البقرة قال في الكشاف وإعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلنا الظاهر أنه نهي لعطف الأمر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر إلى ما قبله وقد غفل عما بعده إلا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأها بالفتح فلأن الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وإنما الله تعالى هو الذي يبينها أو الشهود أو يعتدهم يبينوها ومن قرأها بالكسر فلأنها إذا تبينت فظهرت صارت أسبابا للبيان كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم إنه استثناء مما ذكر قبل من أخذ المال أي لا يحل له أن يحبسها ضرارا لتفتدي إلا إذا زنت فحينئذ يحل لزوجها أن يسألها الخلع وكان الرجل إذا أصاب بامرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها وقيل استثناء من العضل لهوا عن حبسهن في بيوت الأولياء والأزواج إلا بعد نحو الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم أن هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فإنهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة بأحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الإجمال في القول والإنصاف في المبيت والنفقة فإن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم إلى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومنه كثير اليمن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى إن عنتم في مفارقتهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بأن تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر أوفق منه النوع الرابع من التكاليف وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك أنه لما أذن في مضارتهن إذا أتين بفاحشة بين تحريم المضارة في غيرها لأن الفاحشة روي أن الرجل منهم كان إذا مال إلى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الأولى بالفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج المرأة التي يريدها فقيل وآتيتم إحداهن قنطارا المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر إيتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الوقوع وهو موضع الحال أي وقد آتيتم ومعنى الإيتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال إليها أم لا واعلم أن النشوز إن كان من قبل الزوجة حل أخذ مال الخلع وإن كان من قبل الزوج لم يحل إلا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهي عنه ثم إنه يفيد الملك أتأخذونه استفهام بطريق الإنكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بأمر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لأنه يبهت عنده أي يتحير وفي الحديث إذا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أي ببهتان وقيل بمضمر أي مصيبين بهتانا أو سبب تسمية هذا الأخذ بهتانا أنه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو أنه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر إليها وأن لا يأخذه منها فإذا أخذه منها صار القول الأول بهتانا أي باطلا أو كان من عادتهم أنهم إذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الأمر واقعا على هذا الوجه في الأغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة إن أخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث إنه مشعر بأنها أتت بفاحشة وقبض على ما لها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه وقيل المراد عقاب البهتان والإثم كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا ثم عجب من الأخذ مستعظما فقال وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة وإليه ذهب الشافعي أن المراد بالإفضاء الجماع إذ الإفضاء الساحة ويقال أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء وهذا المعنى إنما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الإفضاء أن يخلو بها وإن لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب أبي حنيفة أن الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بأن الكلام ورد في معرض التعجب وإنما يتم إذا كان هذا الإفضاء سببا قويا في حصول الألفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الإفضاء إلى الأبدان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه إليها لأن كلمة إلى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك إذ لم يحصل فعل من أفعال أحدهما إلى الآخر فإن قيل على هذا يجب أن يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الإفضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب أنه باطل بالإجماع إذ القائل قائلان قائل بتفسيره الإفضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الإفضاء وقد اشتبه معناه أنه الخلوة أو الجماع فوجب الرجوع إلى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ومعلوم أنه إذا ألجأها إلى أن تبذل المهر فقد سرحها بالإساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق وإليها أشار في الحديث صلى الله عليه وسلم فروجهن بكلمة الله وقال آخرون أخذن منكم بسبب إفضاء بعضكم إلى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بأموال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسألة خلافية قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال الشافعي لا يحرم حجة أبي حنيفة أن النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح أي الوطء لأن أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزاني لا ينكح إلا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لأنها منكوحة أي موطوءة وعورض بالآية الدالة على أن النكاح هو العقد كقوله وأنكحوا الأيامى منكم ما طاب

فانكحوا

كم من النساء وبقوله تعالى النكاح سنتي ولا شك أن الوطء من حيث إنه وطء ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبأن من حلف من أولاد الزنا
أنهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا أن الوطء مسمى بالنكاح لكن العقد أيضاً مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكرتم أولى من حملها على ما ذكرنا مع
إجماع المفسرين على أن سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة في الوطء مجاز في العقد لأنه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء لا في العقد
وإنما أطلق النكاح على العقد إطلاقاً لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معاً فيكون الآية
نهياً عن الوطء وعن العقد معاً أو لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهياً عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون
نهياً عن القسمين فإن النهي عن التلوين يكون نهياً عن التسويد والتبييض لا محالة وأجيب بأنه خلاف إجماع المفسرين وبأن استعمال اللفظ المشترك في كلا
مفهوميه غير جائز وبأن معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا أن النكاح بمعنى الوطء ولكن لم قلتم إن قوله ما نكح لا يتم لأنها موصولة لأنها حقيقة في غير العقلاء
وإنما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فإن أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مؤقتة ومع تراض فنهوا عن مثل هذه الأنكحة قاله محمد بن جرير الطبري
سلمنا أن المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكن لا نسلم أن من يفيد العموم وإذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم إن النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا أن
النهي للتحريم لكن لا نسلم أنه غير صحيح لأن النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد في صوم يوم النحر وإذا كان منعقداً كان صحيحاً ثم إنا
نستدل على جواز نكاح مزنية الأب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن إلى غاية نفي إيمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد
تلك الغاية على الإطلاق مزنية كانت أو غيرها إلا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله إذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الأكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في إناء من الماء
فحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسألة فوضح الكلام على قول الشافعي وطء حمدت به ووطء رجمت به فكيف
يشتبهان أما قوله تعالى إلا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد أنه على المعنى فإن النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب
المنهي عنه فكأنه قيل إنكم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فإنه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غير أن
سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فإنه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فإن الله قد
تجاوز عنه وقيل إلا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي بعد موتتهم الأولى وقيل إلا ما قد سلف فإنكم مقرون عليه قالوا إنه
أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وإنما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحد على نكاح
امرأة أبيه وإن كان في الجاهلية وروي أنه بعث أبا بردة إلى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله إنه أي إن هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة عند
الله تعالى إن هذا الفعل كان أبداً ممقوتاً عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الإسلام لأنه كان في علم الله وحكمه موصوفاً بهذا الوصف
والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار وحصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم
مراتب القبح ثلاث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة إشارة إلى القبح العقلي لأن زوجة الأب تشبه الأم والمقت إشارة إلى القبح العادي وساء
فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب تعالى والله تعالى أعلم التأويل الوراثة الدينية أيضاً سبب ونسب فالسبب هو الإرادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه
بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم لأنهم ظاهراً وباطناً مستسلماً لأحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية
من صلب ولايتهم ومن هنا قال عليه السلام الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد إنما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية النسبية
والذكورة والأنوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثون العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الأنبياء وقول موسى للخضر هل
أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الأمارات بالسوء فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي من
خواص العناصر الأربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والأنوثة والشره والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فإن شهدوا بأن يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن
في البيوت في سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى يموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلاً
بانفتاح روزنة القلوب إلى عالم الغيب واللذان يأتيانها منكم أي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهراً في الأعمال وباطناً في الأحوال و
الأخلاق فآذوهما ظاهراً بالحد وباطناً بالرياضات وترك الحظوظ فأعرضوا عنهما بالتلطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أي بصفة
الجهولية وهي داخلة في الظلومية لأن الظلومية تقتضي المعصية والإصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب العمل السوء إذا كان مصدره
الجهولية فحسب يكون على عقبيه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية قال عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن
يقال من قريب أي قبل أن يموت القلب بالإصرار فإن الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لأنها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه إشارة إلى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الأمهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية إلا
ما قد سلف من التدبير الإلهي في ازدواج الأرواح لضرورة اكتساب الكمالات فإن الركون إلى العالم السفلي يوجب مقتاً للحق والله أعلم

الجزء الخامس

٥ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ

حرام کرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خالهای شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما

اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

آنهائی که شیر دادند شما را و خواهران رضاعی شما و مادران زنان شما و دختران زنهای شما آن دختران که در حجرهای شمااند از زنان شما

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

از زنانی که صحبت کرده اید با ایشان پس اگر نبوده اید صحبت کرده با ایشان پس نیست گناهی بر شما و زنان پسران شما آنچنان پسرانی که از صلبهای شمااند و آنکه

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک شد

١ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

دستهای شما نوشت خدا بر شما و حلال شده بر شما آنچه غیر از این است که بجوئید بمالهای خود زن کنندگان نه زنا کنندگان

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

پس هرچه برخورداری گیرید از ایشان پس بدهید ایشان را مزدهای ایشان را قسمت و نیست باکی بر شما در آنچه راضی شدید بآن از پس از بازدیدن

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

بدرستی که خدا هست دانای داور و هرکه نتواند از شما توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از آنچه مالک شده است

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ

دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید ایشان را باذن اهل ایشان و

آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

بدهید ایشان را مزدهای ایشان را بنیکوئی پارسایان از زنا نه زنا کنندگان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوهر دار شوند پس اگر کنند زنا را

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

پس بر ایشان است نصف آنچه بر زنان آزاد است از عذاب این مر آن راست که بترسد از زنا از شما و صبر کردن بهتر است شما را و خدا آمرزنده مهربان است

٤ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَاللَّهُ يُرِيدُ

اراده کرده است خدا که واضح کند از برای شما و بنماید شما را طریقهای آنها که از پیش شما بودند و بپذیرد توبه شما و خدا دانای کار است و خدا میخواهد

أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

که قبول کند توبه شما را و میخواهند آنهائی که متابعت میکنند خواهشهای نفس را که رو گردانید از حق رو گردانیدنی بزرگ اراده کرده است خدا که سبک گرداند از شما

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

و آفریده شده است آدمی ناتوان ای زمره آنچنان کسانی که گرویده اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر آنکه باشد

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

سوداگری که از رضای طرفین از شما باشد و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا هست بشما مهربان و هرکه مرتکب شود این را از روی دشمنی و ستمگری

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ القراءة والمحصنات كل القران بكسر الصاد الاولى والمحصنات من النساء

پس زود است که داخل کنیم او را در آتش غریب و هست این بر خدا آسان

على الباقون بالفتح واحل تحت مبنيا للمفعول بهما حمزه وعلى وخلف وعاصم غير ابو بكر وحما الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزه وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزه وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن لان الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف رحيما للعطف الجزء الخامس ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل مصدر محذوف اى كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا لهاى حرمنا كتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين لابتداء حكم المتعة فريضة الفريضة حكيما فتيات المؤمنات بايمانكم من بعض لعطف المختلفين اخدان لذلك من العذاب العنت منكم خير لكم رحيم ويتوب عليكم حكيم عظيما يخفف عنكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اى يخفف لضعفكم ضعيفا انفسكم رحيما نارا يسيرا التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة من جهة النسب وهي الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذا في الابن المتقدم والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذا التحريم

بجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الآية فليست اضافة
هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات اولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب من العلم بالضرورة من دين محمد ان المراد منه تحريم
نكاحهن والاستمتاع وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم وعنه قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى خصال ثلث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت
انشاء للتحريم كقول القائل بعت وطلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وخطاب
لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتأبيد ما لم يمنعه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل احد امه
خاصته وبنته خاصته واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان آدم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان الا ان زرادشت نبي المجوس زعم
قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان آدم عليه السلام وانما حكم بذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول
انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن ابناء آدم ويرد عليه ان هذا النسل لا يكون محض ولد آدم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات والبنات
ان الوطء اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة ووزنه فعل وقيل اصلية ووزنه فعلة وقد يجيء جمعه على امات وقد يقال الامهات للاناسي
والامات لغيره وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك ومن جهة امك بدرجة او درجات باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك لا شك ان لفظ الام حقيقة
في التي ولدتك اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة وذلك ان يكون اللفظ متواطئا فيهما ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما وتكون الآية نصا في تحريمهما او يكون
مشتركا بينهما وجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمهما ايضا والا فطريقان احدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني
انه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين بكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامه ودخل بها لزمه
الحد وقال ابو حنيفة لا يلزمه حجة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونها محرمة قطعا في حكم الشرع فيكون وطؤها زنا محضا الصنف الثاني
المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة
او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنى تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا له شرعا لقوله الولد للفراش
وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبتت له ولاية الاجبار عليها ولوجب عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن
التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم وايضا ان ابا حنيفة اما ان يثبت كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول
باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها في داره الى ان ولدت فهذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت
نسبه الا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل
باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزاني من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط
ومن الام فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت اب امك وكل
انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك ولا تحرم اولاد العمات واولاد الخالات الصنف السادس والسابع
بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في بنت الصلب الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعة
امهات تشبيها لشأنهن كما سمى ازواج النبي امهات لحرمتهن ولئن قيل قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا
كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق به تسمية الامومة ويعلم من تسمية المرضعة اما والمرضعة اختا انه اجرى
الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والثانية بطريق الاخوة وهي الاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم
انه اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك
او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الآباء والامهات او ولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنتك من الرضاع
كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدته من الابناء او البنات واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدتها المرضعة
او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل انثى من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه
ومن جهة الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من
ارضعتك من النسب او الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعت اباك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن
مرضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن وبنته من الرضاع او النسب او رضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكذا حكم بنات اولاد من
ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك بنات اولادهما من الرضاع او النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه والرضاع
اذا كان احدها المرضع ويجب ان يكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة
ومالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم وان تغير بحموضة او انعقاد
او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمائع حلال او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي

مقدار الرضاع المحرم

اختلف ... في الرضاع او ... الخمس ...

الحولين اثر للحضانة ولا بعد الحولين لهذا لبن الا للوصول الى معدة الصبي لمنبت لا بد مع ذلك من خمس رضعات لقوله ﷺ لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان
ولما روت عائشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الحادي عشر قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب في مثله وهو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي
انه جعل كونها في بيته له وكونها في حجره شرطا وهو اسناد الحسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه
سواء كانت في تربيته ولم يكن لما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله ﷺ من خديجة ولما
عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انما يحرم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه الظاهر تعلق الشرط بالثانية
واذا تعلق بها كان الحكم للجملتين فلا حاجة الى تعليقه باخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان
ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان اهل التفسير
منه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون ح مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفين فاصلة
لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي ﷺ انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول فله ان يتزوج امها فلو ذلك ان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما اقام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها او ضرب عليها الحجاب معنى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنى موجب للمصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله ﷺ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وظاهر قوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فههنا قد خصص عموم القرآن بخبر الواحد واتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله واراد بالتابيد الا ترى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انهن من المبهمات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التابيد اتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد ويحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فتناولها الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي حرم عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب لا كنسا او بنات ويحتمل الخصلة ويمكن ان يقال الواو تاب الفعل المطلوب من غير اعتبار
تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشتري الاخرى فقد اختلفت الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يحل الجمع بينهما
لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز وطيهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي ورد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطي
احداهما حرم وطي الثانية عليه لا تزول هذه الحرمة ما لم تزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطيها
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فمعقول متى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح الا ترى ان استنا
عليه ﷺ لا ينبغي واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا مخاطبين
في فروع الشرائع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفه بالفروع ما دام كافرا فمن يعامل معاملة الفروع في الاخرة كما يعاقب على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي

مات وان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن اربعا وفارق سائرهن مطلقا ولم يتفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا فرقهما وعلى
الترتيب في الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان تجمعوا عام فيهما اول المومن والكافر فالكافر خالف طلبه حيث حمل النهي الا على الفساد والكافر مخاطبا
بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب
ثم بعد الاسلام نقرهم على ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفو بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول
الله الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا
والآخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت اختها وبنات الاولاد اختها وكذا بين المرأة وبنت اخيها وبنات اولاد اخيها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا يوجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة ثم بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط
تحريم الجمع بعبارة اخرى بين احديهما تحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة
يمنع صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته
من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى وقرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شراء الامة وبيعها وارثها فان كلا منها لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج
حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفرقة بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الاربع او الاماء اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة ومن حضور الولي والشهود وغير ذلك القول هو الاول لما روي عن ابي
سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او ببيان النبي كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين
وغيرهما وقد دخل بعد هذه العناية في الآية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومن الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان
ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف دقيق
او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لانه لا ابتغاء بالمال اسم للاعيان لا المنافع
وكذا قوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان
كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وانه فهل
خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا تدل على نفي ما سواه ومما تدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج والآية
في شرع من قبلنا ثبت الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها للنبي لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال له هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه تعليم جواز اعتاق الامة صداقا فالها الا اسما وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من الجماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فسقط الراجع للعلم به ويجوز
ان يراد بها النساء ومن للتبعيض او البيان الا لابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة واقيمت مقام ايتاء لان الايتاء المفروض او مصدر موكد اي فرض

منها استمتعتم به

ذلك في نفسه ولا يخفى ان استمتعتم بها لدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علمائنا ان الاية في النكاح مؤبد
قيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم فيجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون منهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما يقال قلت هل لها
عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشنيعا في المتعة قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق
لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع من ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن
الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها اية تنسخها وامرنا بها رسول الله وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برايه ما شاء يريد
ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي وحجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطي لا يحل الا في الزوجة
او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالاشهر والتوالي باطلة بأسرها بالاتفاق وروى عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ولم ينكروا عليه احد منهم فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها
فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امر النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم ومما روى عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح بامرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال من منع منا الزكوة فانا اخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال
من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وذكر الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله
نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم حمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسندا ظهره الى
الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمهر على سبيل التابيد وعلى سبيل التوقيت بل الاية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان
اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد كما ايضا قال في اول السورة فانكحوا فناسب
ان يحمل هذه الاية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر ثم اكثر الروايات انه اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزوبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن ينسخ بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قول عمر
وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الاية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا او بعقد او معين فلا حرج ان يحط عنه شيئا او يبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها او يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان
التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل
فاما ان يرتفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقد مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الاية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيديني في الايام و
ازيدك في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا غلبه فتمكن من فعله
المحصنات ههنا الحرائر المؤمنات لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اجنبية فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجاريته نفسه من فتياتكم المؤمنات المملوكات يقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنتان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد
ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في اخر
الاية والثالثة في المنكوحة وهو ان يكون الامة مسلمة ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من
فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيرهم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد
تابع للام في الحرية والرق فيتعلق الولد رقيقا على ملك الكافر الا ان هذا القيد الغاه اكثر الائمة لان الولد اذا رق للكافر يبيع عليه في الحال واما فائدة

العبد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين من الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطء ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها
ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فيحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات
واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان الاية دالة على الحذر عن نكاح الاماء وان قدر
عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لاتباع الولد الام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وربما تعودت بسبب ذلك فجورا وفجرا ولما للمولى عليها
من حق الاستخدام فلا يخلص للزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على تمهيرها من زوجها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم
اولاد آدم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت
اليه وفيه توهين ما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتانيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن
باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها تعطيل على السيد
اكثر منافعها موجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث وهو ما روي عن النبي ﷺ اذا تزوج العبد بغير اذن
سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة
ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة ينبغي ان يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع
هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة
ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها
واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضا المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه ايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى
ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله ﷺ العاهر هي التي تنكح نفسها اقتضى لزومه ان لا يكون لها عبارة في نكاح
مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت الانصاف ان سند كلام الشافعي لانهم قالوا بل لهم ان يقولوا لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انه نادر وان سلمنا
فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الاماء في الاية ينبغي تعلقها بصفة الرق فكونها مثل قول القائل لا اتكلم هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم عرفا ان المراد به ذات الشاب
من حيث هو لكنه كقول الحالف لا اتكلم شابا فانه لو كلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه انه على
وجوب مهرها اذا سمى لها المهر ولم يسم في قوله بالمعروف لا دليل على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار
واحوجها الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كون هذه امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها
كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا آجرها للخدمة كان هو المستحق
للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها للمولى لا لها كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي
كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا
لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها ثمن بضعهن فلذلك اضيفت الاجور اليهن وليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر
ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن لكنه كما قال العبد وما يملكه لمولاه او المراد وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال
من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تؤاجر نفسها اي رجل ارادها ومتخذة الخدن هي التي لها صديق معين كان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن
بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو
قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند
اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يراد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار
على الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت او لم تكن فيعود على
فلا تنتج الاية بمجموع الامرين اي الاحصان والزنى والجواب انا نختار القسم الاول ونسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد
بها تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يتغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت فقد وجب تخفيف حدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا
القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف
الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الاية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الجلد ان
كان من الامور ما لا يجب فيه تبعيضه كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى الوقوع

في مرهقات وللمفسر ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الآخرة والثاني ان
الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كاوجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان
تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت
والله غفور رحيم تأكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم اقيمت اللام
مقام ان في قولك اردت ان تقوم وقيل زيدت اللام وقدر ان وذلك لتأكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب وقيل في الآية اضمار
الاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد
ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شأن النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في
نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة
فلا جرم بينها وازاح الشبه عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط في الاتيان بها واشعارا بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه لو اراد التوبة
منا وجب ان تحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآيات وقد حصلت هذه التوبة وكذا
الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
عن الحق الى الفساد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم
تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال
نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الجمادات فظاهر ولهذا
اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخائر والمعاملات الى غير ذلك من كثرة وزاد واما ضعفه عن امره ودواعيه
فلهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات ولا سيما عن النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس ثماني آيات في سورة النساء هو خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لك نحن صمنا وعبدناك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر في ابتداء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهور والنفقات
بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه وقد مر تفسيره
في قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في آخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال
المستفادة بنحو الهبة والارث واخذ الصدقات والمهور واروش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق متعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل مال الغير
بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل
على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي
وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر اذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا
الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الآية قد حصل وقال الشافعي ثابت لان هذا التراضي يقتضي الحل
الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل
ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار
فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان
من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار
جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ
بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت
باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقيل معنى الآية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته
نهاكم عما يضركم عاجلا وآجلا وقيل من رحمته انه لم يأمركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا
وظلما لا اخطاء ولا قصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عائد الى كل ما نهى الله عنه من اول
السورة وتنكير النار للتعظيم او للنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

يريد الله ليبين لكم

لان المؤمنين

التأويل حرمت عليكم امهاتكم الآية كلها اشارات الى النهي عن التعلق ومنع التصرف في الامهات السفليات والمتولدات من اوصاف الانسان وصفات الحيوان ان الله
كان غفوراً بانواع غفرانه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس في المحسوسات عند الضرورات بالامر لا بالطبع رحيماً بالمؤمنين بما اعفهم
اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هي الدنيا التي تصرف منها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا محصنين غير مسافحين حرائر من الدنيا وما فيها غير مسافحين في الطلب مياه وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضرورات فآتوا حقوق تلك الحظوظ
بالطاعة والشكر والذكر ان الله تعالى احب زاهد قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب زاهد فراشه فقال ومن لم يستطع اي من لم يقدر ان يتنحى عن الدنيا
الصالحة بأسرها ويجعلها منكوحة له ويخصها بتصرف شرايع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما فليتصرف في القدر الذي ملكت يمين قلبه من
الدنيا ولم يملك قلبه لانها مأمورة بخدمته وهي مؤمنة له بالخدمة كما قال حكاية عن الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والقناعة
غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فلما احصن بالاخلاص في العطاء والمنع والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة هي
غلبات شهواتها على القلب فليبذل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا في الله تصحيحاً وغرامة هي حدها كما ان محمد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول من رجال
فانت بفاحشة اهلكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلوة وانت بفاحشة حب الخيل
فطفق مسحاً بالسوق والاعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهي
وان تصبروا عن التصرف في الدنيا بالكلية خير لكم كما قال يا طالب الدنيا البر تركها اتم خيراً يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المؤنة قال ابرهيم
اني ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم
آياتنا والمعونة هي الجذبة التي توازي عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى
ولا منه التقرب لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وسلكه
وخلق الانسان ضعيفاً ولهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان لسعيهم الى الابد ضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله
والا فهو اقوى في حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضاً من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه
لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقاني يقول لولا ان نفسي الم ابو عبد الله الانسان يصبر عن الله لعلمت الجنة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي
كما انه كان يغان على قلبه كان يقول كلميني يا حميراء وكان الشبلي يقول لا معك قرار ولا منك قرار والمستغاث بك منك اليك ضعف الانسان
سبب كماله وسعادته فسعادته بضعف صفات البهيمية وسعادته بتنسم نسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء في الحديث الرباني انا ملك حي
اي تجارة لا اموت ابدا فاطعني عبدي لعلك تكون ملكا حياً لا تموت ابداً الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولا تقتلوا انفسكم ولا تهلكوها في شهواتها فان الله
بنفسها القاتل انه كان بكم رحيماً اذ بين لكم هذه الآفات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى عدواناً عن امر الله وظلماً على

إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا
اگر پرهیز کنید گناهان کبیره را که نهی کرده شده اید از آن بریزانیم از شما گناهان شما را و درآوریم شما را در جایگاهی بلند پایه وآرزو مکنید
مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ
آنچه را که زیادتی داده است خدا بآن برخی از شما را بر برخی از برای مردان بهره ایست از آنچه کسب نمودند واز برای زنان بهره ایست از آنچه کسب کردند وبخواهید خدا را
مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
از فضل او بدرستی که خدا هست بهرچیزی دانا واز برای هریک قرار دادیم ورثه از آنچه واگذاشتند پدر و مادر وخویشان وآنان که بسته شده
أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ ع
سوگندهای شما پس بدهید ایشانرا قسمت ایشان را بدرستی که خدا هست بر هرچیزی گواه مردان مدبران امورند بر زنان بآنچه که زیادتی داد خدا برخی را
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
بر برخی وبآنچه که خرج کردند از اموالشان پس زنان شایسته عبادت کننده گانند ونگاهدارنده گانند حقوق مرد را در غیبت بآنچه حفظ کرد خدا و آنها از زنان که میترسید از
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بلند پروازی آنها پس پند دهید آنها را و ترک کنید ایشان را در خوابگاه و بزنید آنها را پس اگر اطاعت کردند شما را پس نخواهید برآنها راهی بدرستی خدا هست
عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بلند مرتبه بزرگ واگر بترسید نزاع را درمیان آنها پس برانگیزید داوری را از جانب مرد و داوری از جانب زن اگر خواهند اصلاح را موالفت میاندازد خدا
بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
درمیان آنها بدرستی که خدا هست دانای باطلاع وبپرستید خدا را وانباز قرار ندهید باو چیزی را و بپدر و مادر خوبی کنید وبخداوندان
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
خویشی

أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم

وستمهای شما بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که متکبر باشد و خودستا آنان که بخل کنند و امر کنند مردم را ببخل کردن و میپوشانند آنچه را که داد ایشانرا

الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله

خدا از فضل او و آماده گردانیدیم از برای کافران عذابی خوار کننده و آنانی که خرج کنند مالهای خود را بجهت نمودن بمردم و نگروند بخدا

ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر

و نه بروز واپسین و هر که بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشینیست و چه میشد برایشان اگر گرویده بودندی بخدا و روز واپسین

وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت

و خرج کردند از آنچه روزی کرد ایشانرا خدا و هست خدا بایشان دانا بدرستی که خدا ستم نکند مقدار ذره و اگر باشد حسنه را بیفزاید بران و دهد

من لدنه أجرا عظيما القراءات بكفرهم ويدخلكم بياء الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك في الحج أبو جعفر ونافع الباقون بالضم

از نزد او مزدی بزرگ واسألوا وما بعده مما دخل عليه واو العطف أو فاؤه بغير همزة ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الوقف عقدت من المعاقدة عاصم

وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالإمالة ابو هشام وحماد وقتيبة ونصير وأبو عمرو وحمزة في رواية

ابن سعدان وأبي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف

المفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر

ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالألف الوقوف كريما ه على بعض ط مما اكتسبن ط من فضله ط عليما ه والأقربون ط بناء على أن ما بعده مبتدأ نصيبهم ط شهيدا ه من

أموالهم ط لأن ما بعده مبتدأ بما حفظ الله ط واضربوهن ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا ط كبيرا ه من أهلها ج لأن إن مع الشرط اتحاد الكلام بينهما خبيرا ه

وابن السبيل لا للعطف أيمانكم ط فخورا ه بناء على أن الذين بدل من مختالا من فضله ط مهينا ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والعطف باليوم الآخر ط وإن جعل الذين مبتدأ

لأن جزمه محذوف أي فأولئك قرينهم الشيطان قرينا ه رزقهم الله ط عليما ه ذرة ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى أي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعف

عظيما ه التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو

كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو منكرا القدر وضعف بأن الذنوب لو

كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وبأنه نص

على ذنوب بأعيانها أنها كبائر وبقوله تعالى وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر

العصيان احتج المانع بما روي عن ابن عباس أن الذنب إنما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي منه ولجلال الله ولا شك أن نعمه تعالى غير متناهية وأنه أجل الموجودات فيكون

عصيانه كبيرا وعورض بأنه أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب

ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت وإذ قد عرفت أن الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها أو باعتبار

فاعلها فذهب إلى كل واحد طائفة من الأولين من قال هي كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى وأكل

مال اليتيم وغيرها وزيف بأنه لا ذنب إلا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود

أن الكبائر هي ما نهى الله تعالى عنه في الآيات المتقدمة وضعف بأنه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور أيضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بأنه إن أراد

بالعمد أنه ليس بساه فما هذا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد أبطلناه وإن أراد بالعمد أن يفعل المعصية مع العلم بأنها معصية

فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرة وهو باطل بالاتفاق وأما الذين يقولون الكبائر تتميز عن الصغائر باعتبار فاعلها فهم يقولون لكل طاعة قدر من الثواب

ولكل معصية قدر من العقاب فإذا وجد للإنسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وإن كان ممكنا بحسب العقل إلا أنه غير ممكن بحسب السمع وإلا

لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح أحدهما ويلزم منه الإحباط والتكفير

والحق في هذه المسئلة وعليه الأكثرون بعد ما مر من إثبات انقسام الذنب إلى الكبيرة والصغيرة أنه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه

الآية أن الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الإقدام على الصغائر أما إذا عرف أنه لا ذنب

إلا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع إخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الإجابة في ساعات الجمعة

ووقت الموت في جملة الأوقات هذا ولا مانع من أن يبين الشارع في بعض الذنوب أنه كبيرة كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله

والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن

عباس أنها سبعة فقال هي إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى السبعمائة وعن ابن عمر أنه عدها تسعا الإلحاد في البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة

القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة وأما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال

هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر او الاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالاية على الوعيد اهل الكبائر لانها يدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وادا الامانة واجب منه اولم يامنه سلمنا ان الاية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته تفضلا انه يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا قرئ بفتح الميم اي مكانا للدخول ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكريم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن ونقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضاء بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر لا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليت كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون الساعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من لم يسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سوائي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعن الحسن لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الاخرة فلن نحن احوج لان ضعفاء واقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى الرسول وقالت رب الرجال والنساء واحد انت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حواء فما السبب ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال ان للحامل منكم اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر واذا ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا للنساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيص لا تضيع ما لك بتمني ما لغيرك او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسألوا الله من فضله نعمه من خزائن الانعام ما لا ينفد مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله سبحانه وتعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتأخير اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل المحذوف والعائد محذوف وكذا المبتدا والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله تعالى انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمته في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد في الاية لانه هو الالبق بها كقوله انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله والذين عقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه مما توسط الفاء بين الفعل ومفعوله مفسرا ايضا باتيانهم واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع يمين اليد والحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك اي ما اهدر من دمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله

أو أيضاً أن الواحد منهم كان يتخذ إنساناً أجنبياً ابناً لهو هم الأدعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمؤاخاة فنسخ وقيل لم ينسخ ومن زعم أنها غير منسوخة قال قوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى أن ما ترك الذين عقدت أيمانكم فله وارث هو أولى به فلا تدفعوا المال إلى الحليف بل إلى الوارث فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قاله أبو علي الجبائي أو المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة تعقد بينهما ثم الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله أبو مسلم وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بإيتاء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الأصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله وإذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يرث المولى الأسفل من الأعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد أنه قال يرث لما روى ابن عباس أن رجلاً أعتق عبداً له فمات المعتق ولم يترك إلا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على أن المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي إلى الغلام لفقره وقال أبو حنيفة لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الأقطع أن هذه الموالاة لا تصح عند أبي حنيفة إلا بين العرب وبين العجم لوجاوه عقدهم في أمورهم إن الله كان على كل شيء شهيداً لأنه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا ولما قدر أن النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه ذكر في هذه الآية ما يشتمل على بعض أسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء القيم المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال قواماً والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعاً أي إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء والحكماء وفيهم الإمامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلاة وأنهم أهل الجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الأنكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه وتحمل الدية في القتل الخطأ والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب كل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع إلى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك أنهم فضلوا عليهن بما أنفقوا أي أخرجوا في نكاحهن من أموالهم مهراً ونفقة عن مقاتل أن سعد بن الربيع وكان من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت آية القصاص فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني وأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص إلا في الجرح والقتل أما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بأنهن قانتات مطيعات لله ولأزواجهن حافظات للغيب قائمات بما يجب من حقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن الواجب حفظ غيبة الزوج أن تحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وأن تحفظ أسراره عن الإفشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعاً وعرفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الآية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف أي بالذي حفظه الله لهن أي عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن في قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك أي هذا في مقابلة ذاك أو مصدرية والمعنى أنهن حافظات للغيب بحفظ الله إياهن فإنهن لا يتيسر لهن حفظ الغيب إلا بتوفيق الله أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الأمانة وأوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما إما موصولة أي بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم أو مصدرية أي بسبب حفظهن حد الله وأوامره فإن المرأة لولا أنها تحاول رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ أوامره لما أطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والأمارات نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء إذا ارتفع ومنه نشز للأرض المرتفعة فعظوهن هو أن يقول اتقي الله فإن لي عليك حقاً وارجعي عما أنت عليه واعلمي أن طاعتي عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع أي في المرقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع أي في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي أن لا يزيد في هجر الكلام على ثلاث فإذا هجرها في المضجع فإن كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتركت النشوز وإن كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلاً على كمال نشوزها فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والأولى ترك الضرب لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا إماء الله فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على أزواجهن أي اجترأن فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم ومعناه أن الذين ضربوا أزواجهم ليسوا خيراً ممن لم يضربوا وإذا ضربها وجب أن لا يكون مفضياً إلى الهلاك البتة وأن يكون مفرقاً على بدنها لا يوالي بها في موضع واحد ويتقي الوجه لأنه مجمع المحاسن وأن يكون دون الأربعين وقيل دون عشرين لأنه حد كامل في شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصا وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي أنه يعظها بلسانه فإن انتهت فلا سبيل له عليها فإن أبت هجر مضجعها فإن أبت ضربها فإن لم يتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال آخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز فأما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً بالأذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن إن الله كان علياً لا بالجهة كبيراً لا بالجثة فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على أزواجكم وأنه تكم روي أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاماً له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام وفيه أنه مع علوه وكبره وسلطانه

تعصونه فتوبوا عليكم فإنكم أحق بالعفو إذا رجع الجاني عليكم أو أنه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم إلا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن على ذلك أو أنه مع علو شأنه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فأنتم أولى بأن لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض إذا صلح حالها في الظاهر أو أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين أنه ليس بعد الضرب إلا المحاكمة فقال وإن خفتم قال ابن عباس أي علمتم وذلك لإصرارها على النشوز حيث لم ينجع فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بأنه إذا علم الشقاق قطعاً فلا حاجة إلى الحكمين وأجيب بأن الشقاق معلوم إلا أنا لا نعلم أن سبب الشقاق منه أو منها فالحاجة إلى الحكمين لهذا المعنى أو نقول المراد إزالة الشقاق في الاستقبال ومعنى شقاق بينهما شقاقاً بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع وهو إجراء الظرف مجرى المفعول به أو على جعل البين مشاقاً فاعلاً مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما مساق الكلام أو ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكماً من أهله رجلاً مقنعاً رضي يصلح لحكومة الإصلاح بينهما ويهتدي إلى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والإسلام ويستحب أن يكون الحكمان من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن أحوالهما وتسكن إليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الأمرين وينبغي أن يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيتعرفا ما عندهما وما فيه رغبتهما وإذا اجتمعا لم يخف أحدهما على الآخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين أو موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه قولان للشافعي أصحهما وبه قال أبو حنيفة وأحمد أنهما وكيلان لأن البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فإن خفتم شقاق فابعثوا للصالحين لأنه لا يجري مجرى دفع الضرر فلكل أحد أن يقوم به والثاني أنهما موليان وبه قال مالك لأنه تعالى سماهما الحكمين ولما روي أن علياً بعث حكمين من زوجين فقال أتدريان ما عليكما عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وإن رأيتما أن تفرقا أن تفرقا وعلى الأول يوكل الرجل الذي هو من أهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع والمرأة الآخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما إلا برضاهما فإن لم يرضيا ولم يتفقا على شيء أدب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما فيه وجوه الأول أن يريد الحكمان خيراً يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثاني إن يريد الزوجان إصلاحاً أبدل الله الزوجين بالشقاق وفاقاً الثالث أن يريد الحكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوجين الرابع إن يريد الزوجان خيراً يوفق الله بين الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الأسباب موافقة للغرض ولا يستعمل إلا في الخير والطاعة وفيه أنه لا يتم شيء من الأغراض إلا بتوفيق الله تعالى وتيسيره إن الله كان عليماً خبيراً يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين بمقتضى علمه وإرادته وفيه وعيد للزوجين وللحكمين في سلوك ما يخالف طريق الحق ووعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم أرشد إلى مجامع الأخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فإن من عبد الله وأشرك به شيئاً آخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين إحساناً فقدره وأحسنوا بهما إحساناً يقال أحسن بفلان وإلى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفسيرها في البقرة قال أبو بكر الرازي إن اضطر إلى قتل أبيه بأن يخاف أن يقتله إن ترك قتله جاز له أن يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي ﷺ لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه الأولى الجوار أربعون داراً وعن الزهري أربعون داراً من كل جانب وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الأجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنيبان لبعد كل منهما عن الآخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرأ الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذي الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب هو الذي حصل بجنبك إما رفيقاً في سفر وإما جاراً ملاصقاً وإما شريكاً في تعلم أو حرفة وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو في مسجد وغير ذلك من أدنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فإنها تكون معك وتضطجع إلى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده أو الضيف وما ملكت أيمانكم عن علي بن أبي طالب أنه كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة وما ملكت أيمانكم وذكر اليمين تأكيد كما يقال مشى برجله والإحسان إليهم أن لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل قدر كانوا في الجاهلية يسيئون إلى المملوك فيكلفون الإماء البغاء وهو الكسب بفروجهن ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والإحسان إلى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً تياهاً جهولاً يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه فما يلتفت إلى الالتفات إلى حالهم والتفقد لهم والتحفي بهم ويأنف من أقاربه إذا كانوا فقراء ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء وأصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما أعطاه من أنواع نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الإحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه أربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم أن الإحسان إلى الأصناف المذكورين إنما يكون في الأغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الإحسان لحب المال ويحتمل أن يشمل البخل بالعلم أيضاً أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم مقتاً للسخاء وهذه غاية البخل وفي أمثالهم أبخل من الضنين بنائل غيره وقد عابهم بكتمان نعم الله وما آتاهم من فضله الغنى حتى أوهموا الفقر مع الغنى والإعسار مع اليسار والعجز مع الإمكان فخالفوا سنة نبي الله ﷺ حيث قال إن الله تعالى يحب أن يرى على عبده أثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصراً حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه ثم إن هذا الكتمان إن وقع على وجه يوجب الكفر مثل أن يظهر الشكاية من الله تعالى ولا يرضى بقضائه فلذلك قال وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ويحتمل أن يراد كافر النعمة لا كافر الإيمان وقال ابن عباس إن الآية في اليهود كانوا يأتون

رئا الامن لانصار مخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وانهم كتموا صفة محمد لم يبينوها
للناس ثم ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رئاء وفخارا وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل
هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا انفق لله او للآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امرا بالبخل والرياء فساء قرينا في الآخرة
يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم وما الذي عليهم ناب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك اى شىء من الوبال عليهم
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الايمان
بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان بالاستدلال التفصيلي لا الاجمالي وقال جمهور المعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اى لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اى ظلما قدر مثقال ذرة ونفى الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الآية مما يتمسك
به المعتزلة في انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفي ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب بهذه على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي علم وعبد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال وان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف وكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع فعلى كان التامة وقرئ
بالنصب فالتأنيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلاثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة
وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداقه في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن لو صح المضاعفة احب عند العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا
ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال ان كان ماله ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى الذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى وينشأ منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
وترك الطاعات وثانيها حب الدنيا وينشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها رؤية غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان
الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال المجتهدين في الله نصيب مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر هممهم في الطلب واسئلوا الله من فضله فيه معنيان نسأله من فضل الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما واسألوه
منه ولا تسألوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان والاقربون طلبه بعلم الاستعداد والمشيئة
والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فآتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الكامل فلذلك الرجال قوامون على النساء بمصالح دينهن ودنياهن
بما فضل الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اى بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التي يصلحن للكمال قانتات مطيعات
لله لهن قلوب حافظات لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن خفايا في الغيب اسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا وردت عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر
فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران تاديب السكران واضربوهن بسطوة الانفصال وفراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال اذا رأوا من اهل الارادة امارات الملال وعزيمة من طلبات الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما اى الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين من السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا في تلبيتهما بما داوا بينهم
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى لتخلصوا باخلاص في الله وتحسنوا الى الوالدين بهما
احسانا انا بلا شرك ورياء وفخر **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ**
وخيلا والله ولي التوفيق پس چگونه است حال چون بياوريم از هر طائفه گواهيرا وبياوريم ترا بر ايشان گواه در ان روز
٤٢ **يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين**
دوست دارند آنان كه كافر شدند ونافرمانى كردند پيغمبر اگر درست كرده شد بايشان زمين وپنهان نميدارند از خدا سخنى را اى زمره آنانكه

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا
گرویده اید نزدیک مشوید نماز را درحال آنکه شما مستانید تا بدانید آنچه را که میگوئید و نه در جنابت مگر گذر کنندگان راه تا وقتی که غسل کنید

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
واگر بوده باشید ناخوشان یا در سفر یا بیاید یکی از شما از قضاء حاجت یا که مباشرة کنید زنان را پس نیافتید آبی را پس تیمم

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
خاک را پاکیزه پس مسح کنید روهای خودتان و دستهای خودرا بدرستی که خدا میباشد درگذرنده آمرزنده آیا ندیدی آنهائی را که داده شده بهره

مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
از کتاب که میخرند شان گمراهی و میخواهند که شما گم کنید راه را و خدا داناتر است بدشمنان شما و بس است خدا دوستی

وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ
یاری از آنان که یهود شدند کسانیند که تغییر دهند کلمات را از جای خود و میگویند که شنیدیم فرمانرا و سر پیچیدیم و بشنوید ناشنوانیده

وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ
و مراعات کن برای پیچیدن زبانهای ایشان و طعن در دین و اگر چنانچه ایشان گفتندی شنیدیم و اطاعت کردیم و بشنو و نظر نمای ما را هر آینه بود

خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
بهتر است از برای ایشان و معتدلتر و لکن دور کرد ایشانرا خدا بکفرشان پس نگروند مگر کمی ای زمره آنهائی که داده شده اید کتاب را

آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا
بگروید بآنچه فرو فرستادیم تصدیق کننده مر آنرا که با شماست پیش از آنکه محو کنیم روها را پس برگردانیم آنها را بر پشتها یا که دور کنیم آنها را از رحمت خود چنانکه دور کردیم

أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
اصحاب سبت را و میباشد فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نمی آمرزد که انباز گرفته شود باو و میآمرزد آنچه را که غیر از آنست از برای آنکه خواهد

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
و هر که شریک آورد بخدا پس بحقیقت که افترا کرده گناهی بزرگ را آیا ننگریدی بآنهائی که پاک شمارند نفسهای خودرا بلکه خدا پاک کند آنرا که خواهد و ستم کرده نشوند

فَتِيلًا انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
بقدر رشته خرما بنگر که چگونه میبندند بر خدا دروغرا و بس است باو گناهی هویدا آیا ندیدی آنها را که داده شدند بهره از کتاب

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَٰئِكَ
میگروند بجبت و طاغوت و میگویند مر آنها را که کافر شدند که اینان راست ترند از آنها که گرویدند راه آنها آنگروه

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا
آنانند که لعن کرد ایشان خدا و آنرا که لعن کند خدا پس هرگز نیابی از برای او یاوری یا مر آنها راست بهره از پادشاهی پس در آنوقت ندهند مردمان بقدر نقیری

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
یا حسد برند مردمان بر آنچه که داده آنها را خدا از فضل خود پس بحقیقت که دادیم آل ابراهیم را کتاب را و نبوت را و دادیم آنها را پادشاهی

عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ
بزرگ را پس از آنها کسی است که گروید بآن و از آنها کسی است که بازایستاد از آن و بس است بجهنم آتش افروخته بدرستی آنها که کافر شدند بآیات ما زود است که درآوریم آنها

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
در آتش که هرچند بسوزد پوستهاشان بدل کنیم برایشان پوستهای دیگر غیر از آن تا بچشند عذاب را بدرستی خدا میباشد غالب درستکار و آنها که گرویدند

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
و کردند شایسته زود است که داخل کنیم آنها را در بهشتها که روانست از زیر آنها جوها جاویدان در آن همیشه مر آنها راست در آن زنهای پاکیزه

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا
و درآوریم ایشان در سایه انبوه

القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر و نافع و ابن عامر تسوى بالامالة و حذف التاء الاولى حمزة و علي و خلف و المفضل الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس و كذلك في المائدة حمزة و علي و خلف و المفضل الباقون لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو و سهل و يعقوب و حمزة و عاصم و ابن ذكوان الباقون بالضم و فرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة نحو منيبا انظروا و برحمة ادخلوا و خبيثة اجتثت و عذاب اركض و اشباه ذلك نضجت جلودهم و بابه مدغما حمزة

ع

وعلى وخلف وهشام وابو عمرو والوقوف تسهيلا ط الارض ط حديثا ط تغتسلوا ط وايديكم ط غفورا ط السبيل ط باعدائكم ط نصيرا ط في الدين ط اقوم لا لا يضالون الكن قليلا ط السبت ط مفعولا ه

لمن يشاء ج عظيما ه يزكون انفسهم ط فتيلا ه الكذب ط مبينا ه سبيلا ه ربع الجزء لعنهم الله ط نصيرا ه لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا ه للعطف من فضله ج لتناهي الاستفهام مع

تعقيب الفاء عظيما ه صد عنه ط سعيرا ه نارا ط العذاب ط حكيما ه ابدا ط مطهرة ز لاستيناف الفعل على نسق مع تمام المعنى ظليلا ه التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله

ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون

الالزام اتم والتبكيت اعظم روى ان النبي ﷺ قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن

مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى

بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفرة كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم

بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد في

عصوا والظاهر ان الواو للعطف وح يقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر على نوع منه وهو الكفر بالله

او يقال انه عام وافرد ذكر ضم منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشأن الجحود به او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان

الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وانهم كانوا و

الارض سواء او تصير البهائم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف

اي يودون لو انطبقت عليهم الارض لم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما رأوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام

دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يعملون فيتمنون

يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه او نحوه

ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله

في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه يذهب الشافعي وليس غير الاحذف المضاف اي لا تقربوا

موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احدهما

حالة السكر وذلك ان جماعة من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول ﷺ فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى

المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز

في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او كان الماء فيه ووقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ابقاء الا اذا علموا ما يقولون

ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة

في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حالة السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل

اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب

المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة مع الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر ولا سكارى

جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى

مجرى المصدر الذي هو الاجناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا عبارة عن غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر

عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق لسد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة

الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الى السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة

ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقولهم وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وايضا جميع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول

يمتنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول

والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر

يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب

الخمر بانهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يكذبه ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق فكانوا لا

يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا

يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او بوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة

في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهم الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص

اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى

ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء

صعيدا

ليس بيدنا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا ماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او لحصار في مكان لا ماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية او انه ولا يخاف ذلك روي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض التي لا تؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم الطويل والقصير عن مسافة القصر وما دونها للاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يغيبه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد ونادر واما اللمس والملامسة ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما ان المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الآية الحدث الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب الطلب لقوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بانه يحمل الكلام على المجاز للمبالغة كانه طلب شيئا لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عنده انه يستعمله ويصيبه ثم يتيمم ليكون عاملا بمقتضى الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخر لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم التبعيض وليلتصق بيده فيمكن المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسه من الدهن الا معنى التبعيض ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو الذي يحتمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليدين فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك لان المسح مكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين كان اولى بان يرخص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هو باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار المتقدمين واحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك اليهم او الم تنظر اليهم اوتوا حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها وهذا لان من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قاله الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا اقبح ممن جمع بين هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطهم عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا باموالهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه تعالى يعلم ما في صدورهم من الحقد والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لاموركم العدل وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة وزيدت الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فكانت الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صلة من الله تعالى بغير واسطة قوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الآية معترض بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف اما ابدال لفظ مكان لفظ كوضعهم آدم طوال مكان اسم ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الملة لانه على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه

نظر إلينا لكم كانت لهم وأمنع هو يعني أن يكون بمعنى احرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة
كما يفعله في زماننا أهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول أصح لاستبعاد التحريف في المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر بشرطه في التوراة ممنوع وقيل
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن أمر فيخبرهم به فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة تحريفهم أنهم كانوا إذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا أو كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرًا إظهارًا للعناد ... الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
أما احتماله المدح فلقول العرب سمع فلان فلانًا إذا سبه وإذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروهًا كان مدحًا وتوقيرًا وتعظيمًا وأما احتمال الذم فبأن يكون معناه
اسمع منا مدعوًا عليك بلا سمعت لأن من كان أصم فإنه لا يسمع فلا يسمع أو بأن يراد اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أي غير مسمع جوابًا يوافقك أو بأن يراد
اسمع غير مسمع كلامًا ترضيه وعلى هذا يجوز أن يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالًا من ضميره أي اسمع كلامًا غير مسمع إياك لنبو سمعك عنه ومنها
قولهم له راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وإنما جاؤا بقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لأن المواجهة بالعصيان أهون خطبًا في العرف
من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالأول دون الثاني ليًّا بألسنتهم مفعول لأجله أو مصدر لمحذوف أو ليقولون لأنه في معنى اللي
بقوة وصيغة وأصله لويًا فقلبت الواو ياءً وأدغمت والمعنى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت
مكروهًا أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقًا أو لعلهم كانوا يفتلون أشداقهم وألسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعنًا على عادة المستهزئين وطعنًا في الدين ثم إنهم إنما يقدمون على هذه الأشياء طعنًا في الدين لأنهم كانوا يقولون فيما بينهم إنا نشتمه ولا يعرف
ولو كان نبيًا لعرف بإظهار ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنًا في الدين دلائل قاطعة على صحته لأن الإخبار عن الغيب معجز ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا قولهم
سمعنا وعصينا إذ وضح لهم الآيات وتبينت لهم البينات كررت بعد مرات واسمع بدل أن يقال اسمع غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرًا لهم
وأقوم أعدل وأشد من قولهم مع قوته أي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم أي بسببه فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا وهو إيمانهم بالله وبالتوراة وببعض
الأنبياء دون سائر رسله أو إلا قليلًا منهم آمنوا لأن قليلًا قد يراد به الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقًا أو أراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود
بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب الآية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الأعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الآية حقيقة
أو مجاز قولان والمعنى على الأول نمحو تخطيط صورها وأشكالها من عين وحاجب وأنف وفم والقفاء فنردها على أدبارها أما للتسبب فيجعل الوجه
بسبب هذا الطمس على هيئة القفاء فهما مطموسة مثلها لأن الوجه إنما يتميز عن سائر الأعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فإذا أزيلت وجعلت لم يبق
فرق بينها وبين القفاء وأما للتعقيب على أن العقوبة بشيئان أحدهما عقيب الأخرى الطمس ثم نكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وإنما يكون
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما له حق أهل النار وأما من أوتي كتابه وراء ظهره على أن وجوههم مردودة إلى الأقفاء
فيدل على الكتابة ونقرأ من هنا وأما المعنى على القول الثاني غير الحس نطمسها بالهدى ونردها بالخذلان على أدبارها أي على ضلالاتها وشبهاتها
وذلك أن المتوجه إلى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الإقبال على ذلك يحصل الإدبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم إلى حيث جاؤا
منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير والنظير في الطمس على هذا إماته بتقبيح الوجوه وإما إزالة آثارهم عن ديار العرب قيل الطمس القلب والتغيير
والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم والضمير في قوله أو نلعنهم
إما للوجوه إن أريد بها الوجهاء وإما لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فإن قيل
فأين وقوع الوعيد قال الجواب إنه مشروط بعدم إيمان جميعهم ولكنه قد آمن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام وأصحابه حكي أنه لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل إنه ما جعل الوعيد هو الطمس
بعينه بل إياه أو اللعن فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون
بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوهًا منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوه غير المخاطبين من أبناء
جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل إن قوله آمنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم فلزم أن يكون قوله من قبل أن نطمس وجوهًا
واقعًا في الآخرة فالتقدير آمنوا من قبل أن يجيء الوقت الذي تطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان أمر الله مفعولًا لا راد لحكمه ولا ناقض عليه
شيء بل أن يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا يشك في حصوله هذا الأمر مفعول وإن لم يفعل بعد فإذا حكم بإنزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد
بالأمر الشأن والفعل الذي يتعلق وأريد به لا الأمر الذي هو أحد أقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالآية على أن كلامه تعالى مفعول أي مخلوق ثم بين أن
مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية ولا نزاع أن اليهودي يسمى مشركًا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولا نهاية
على أن ما سوى الشرك مغفور واليهودي غير مغفور بالإجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لأن الذمي مشرك والمشرك مباح الدم هو الذي
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولًا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الأشاعرة بالآية
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لأن ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني بمن تاب كما أن الأول مخصص بالإجماع بمن لم يتب لو قوله
قولك إن الأمير لا يبذل الدنيا ويبذل العطاء لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدنيا لمن لا يشاء أهله ويبذل العطاء لمن يشاء أهله والمشيئة يكون بضد أف

الفعلين المنفي والمثبت جميعاً لا إلى أشياء لم يلتبس المشرك فلا يُنقب عليه لم يغفر له وإن شاء تاب صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وذكر الواحدي في البسيط بإسناده
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
بمحضر عمر إني لأرجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه الإعتاق
إن هو فعل ذلك ثم إنهم ما وفوا بذلك ندم هو وأصحابه فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وأنه لا يمنعهم من الدخول في الإسلام إلا قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله
إلهاً آخر﴾ فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الآية فنزل قوله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ فقالوا هذا شرط شديد نخاف أن لا نقوم به فنزل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾
فقالوا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته فنزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ فدخلوا عند ذلك في الإسلام ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى﴾ اختلق
وافتعل ﴿إثماً عظيماً﴾ لأنه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي أن قوماً من اليهود أتوا بأطفالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ ﴿لن
يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ فنزل فيهم ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وقبول الطاعة و
الزلفى عند الله ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ وإن تزكيته هي التي يعتد بها كما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض وكفى باظهار المعجز
على تزكيته له وتصديقه لقوله ﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ هو ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير
للذين يزكون أي يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو لمن يشاء أي يثابون على زكائهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم عن فريتهم وادعا
ء زكائهم ومكانتهم عند الله فقال ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به﴾ أي بزعمهم هذا ﴿إثماً مبيناً﴾ من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب
ابن الأشرف وحيي بن أخطب في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول
الله فنزل كعب على أبي سفيان والأحزاب في دور قريش فقال لهم أهل مكة إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم فإن أردتم
أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ ثم قال كعب لأهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق
أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا
أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق نحن أم محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم
والله أهدى سبيلاً مما هو عليه فأنزل الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني كعباً وأصحابه فلما رجعا إلى قومهما أن محمداً يزعم أنه قد نزل فيكما كذا
وكذا قالا صدق والله ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير آية الكرسي وأما الجبت ففي الصحاح أنه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم أن أصله جبس فأبدلت السين
تاء والجبس هو الخبيث الرديء وقال الكلبي الجبت في الآية هو حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وكانت اليهود يرجعون إليهما فسميا بهذين الاسمين
لإغوائهما الناس وإضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ وبالحري إذ جعلوا من هو أضل من النعام وأقل من الأنعام حيث عبدوا
معبودية الأصنام أهدى سبيلاً وأفضل حالاً من الذين هم أشرف الأنام لاختيارهم دين الإسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والإكرام ﴿ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ وعيد لهم بلزوم الإبعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم
إلى يوم القيامة والخطاب في ﴿فلن تجد﴾ للنبي أو لكل طالب غرض ثم لما وصفهم بالضلال والإضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لأن البخل
يمنع ما أوتي من النعم والحاسد يتمنى أن تزول عن غيره ما أوتي من الفضيلة وأم قيل إنها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كأنه لما حكى قولهم للمشركين
إنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين قال أمن ذلك يتعجب أم من قولهم لهم نصيب من الملك مع أنهم لو كان لهم ملك لبخلوا بأقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير ألهم
والأصح أنها منقطعة كأنه لما تم الكلام الأول قال بل ألهم نصيب من الملك معنى الآية أنهم كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فأبطل الله عليهم
قولهم وقيل كانوا يزعمون أن الملك يعود إليهم في آخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني أنهم إنما يقدرون
على دفع نبوتك لو كان التمليك إليهم ولو كان التمليك إليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والإثبات قال أبو بكر الأصم كانوا أصحاب بساتين
وأموال وكانوا في عز ومنعة كما يكون أحوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء بأقل القليل فنزلت الآية فيهم وعلى هذا فإنما يتوجه الإنكار على أنهم لا يؤتون أحداً
مما يملكون شيئاً وعلى الأقوال المتقدمة يتوجه الإنكار على أن لهم نصيباً من الملك فكأنه جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فإن البخل والملك لا يجتمعان
كما قيل بالبر يستعبد الحر والإنسان عبيد الإحسان والبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له أسباب المملكة ولو أن اجتمعت بالتدرج فسوف تضمحل وإنما لم يعمل
إذن لدخول الفاء عليه وذلك أن ما بعد العاطف من تمام ما قبله ما يتعلق به بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فيتخرم تصدره فكأنه معتمد فيمتنع الصدارة وارتفاع
الفعل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فإذاً لا يؤتوا بالإعمال وليس بقوي النقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها تنبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل
فإن قيل كيف يجعل أنهم لا يبذلون نقيراً وكثيراً ما يشاهد منهم بذل الأموال قلنا المدعى عدم إيتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك التام كالملوك
الدنيا أو الباطن كما للعلماء الربانيين أو كلاهما كما للأنبياء وحصول شيء من هذه الأقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

قال الطاغوت مقام [illegible]

منها فما تبلغ لعل الشح يغلب عليهم حتى لا يؤتوا احدا منهم بذل نقيرا كما اخبر عنه علام الغيوب في الاطلاع تفسير الاسم فلعل المراد لانهم لا يبذلون شيئا نسبته الى ما يملكونه
كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهو
منقطعة والتقدير بل ايحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة الانكار
الحسد واستقباحه المراد بالفضل ما اتاهم الله من اشرف المناصب وهو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء
والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد فقال فقد اتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب لكل هو نبيا
الشرايع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقايق والعمل بما يقتضي صلاح الدارين واتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود
وسليمان فليس ببدع ان يؤتى النبي ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة و
لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر والغرض ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت
يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين
كفروا بآياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه والملائكة والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا او كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا
فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء مخلدين
من غير ان يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالم اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم
عذبهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة و
قول اهل اللغة تبدل الشيء تغيره وان لم يأت ببدل له وابدلت الشيء غيرته فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا
التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعل اعتماده على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات
فما ادريك ههنا في الاية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعتضد بنقل صحيح فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته انما
هو سبب لوصول العذاب اليه وقيل المراد الدوام وعدم الانقطاع والاحتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا
انهم الآن حدثوا وجددوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلدا آخر وفي هذا التأويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده لا بد من طريق آخر في تبديل الجلد فيعود اول السؤال
وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك للظاهر ولان السرابيل لا توصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلدة الجديدة العذاب المراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق
بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين آمنوا الاية قال
الواحدي الظليل ليس ينبئ على الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس
تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك و
الجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان او دائما
لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا
لهم التأويل لو تسوى بهم الارض اي يتمنون انهم بقوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع
من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلة فلا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان التكلم يفتح زلة ولا جنبا بالالتفات
الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة وتشتت من الحالة الاولى عالم الشعور ومن الثانية حالة العبور في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل فهذا الفقد من الالتفات
من المحظوظات التي يباح الفقد ذات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم
عجوز الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا فتمعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا يعني ذاب
علماء السوء فهم من داب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه باولوها على حسب آرائهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال وينكرون
على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذو وجهين ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب
ظاهرا ولم يؤتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن
اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الانبياء علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى
الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى يومها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ
المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مرات وكذا للمغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام
في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد هو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية
بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية

تحقيقا للاهوتية

في بغناء الله امو نبد الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة تعلموا العلم ليباهوا به العلماء او ليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المباهاة
والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والامثال بل الله يزكي من يشاء بالتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين
والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا سلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم ذاقوا اثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت
النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين امنوا بكل ما امر الله به ورسوله
ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد اتينا آل ابرهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن واتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله تعالى
فمنهم من امن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب ان الذين كفروا باياتنا ما اولياءنا الذين هم مظاهر ايات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطع
بعضها اي نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لاثار النفس من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
فان دواعي الحرص والغضب والشهوة لا تبقى هي البتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن تزال سلاسل الشهوات ذائقة لعذاب التعلقات والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم اي نعذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الكشوف
لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن و چون داوری کنید در میان مردمان اینکه داوری کنید بعدالت بدرستیکه خدا
نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
خوب است آنچه پند میدهد شما را بآن بدرستیکه خدا باشد شنونده بینا ای زمره آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و پیروی کنید پیغمبر را
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
و صاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس بازگردانید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز
الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
واپسین این بهتر است و نیکوتر است عاقبت آیا ندیدی آنها را که گمان میکنند که آنها ایمان آورده اند بآنچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت و حال آنکه مامور شدند که کافر شوند بآن و میخواهد شیطان که گمراه کند ایشان را گمراهی دور
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ
و چون گفته شد بآنها که رو آرید بسوی آنچه فرو فرستاده خدا و بسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا
اگر چون رسید بآنها مصیبتی بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای آنها پس آیند ترا سوگند خوران بخدا که اراده کرده ایم مگر نیکوئی و موافقت کردن را
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا
آنها آنانند که میداند خدا آنچه را که در دلهای ایشان است پس روگردان از ایشان و پند ده ایشان را و بگو مر ایشان را در نفسهاشان گفتاری رسانده و نفرستادیم
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
هیچ پیغمبری مگر از برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر آنها چون ستم کردند نفسهای خود را آمدندی پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی برای
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
پیغمبر هر آینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم بپروردگارت که بگروند تا که حاکم سازند ترا در آنچه منازعه دارند در میان خود پس نیابند
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا
در نفسهای خویش تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی و اگر چنانچه نوشته بودیم بر آنها اینکه بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید
مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا
از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از آنها و اگر آنها کردندی آنچه را که پند داده شوند بآن هر آینه بودی بهتر آنها را و سخت تر از جهت ثابت بودن
وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
و آنگاه هر آینه دادیم آنها را از نزد خود مزدی بزرگ و هر آینه هدایت کردیم آنها را براهی راست و هر که پیروی کند خدا را
وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
و پیغمبر را پس آن گروه با آنهایند که انعام فرمود خدا بر آنها از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيْقًا ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيْمًا

و نیکوکاران و خوب اند ایشان از جہۃ رفاقت این زیادتی ست از خدا و بس ست خدا دانا

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على اصل الاستثناء او بمعنى الا فعلا او الا فعلا قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو اكثر الوقوف الى اهلها لا لان التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل يعظكم به بصيرا منكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب في اليوم الآخر تاويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا للآية مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان يحلفون ابتداء القسم والاولى تعلقه لما بحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله رحيما تسليما قليل منهم تثبيتا عظيما لا لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله عليما التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وفيه لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق قالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات ومن باب الدنيا والمعاملات وايضا قد وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى فقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له من السقاية والسدانة فاراد النبي ان يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك فقرا عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبرئيل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فالاولى ان الامانة مع الرب تعالى في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف ونشر عيوب الناس وافشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة وتشمل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي بضعها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة العبد للمولى وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين وفي الدنيا وكره يوقعها بسبب اللذات العاجلة في التبعات الدائمة وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيره عليك امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شرط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة وكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه صحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها وحفظها وكفى بانه منصب المنصب الخطر انه منصب رسول الله والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان يتادب بادابهم ويتخلق باخلاقهم والا فلو بلغه عن النبي انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المامور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر مطلقا ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور به كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا امر الا بارادة والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة

على اكثر علم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة واشار اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولم يحمل العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب
يدل على امر الله ثم نعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم نعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشار الى الاجماع بقوله واولى الامر
لانه تعالى امر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطأ والخطأ منهي عنه لزم اجتماع الامر والنهي في الفعل
الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون او على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء
الراشدون او على ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الاية او على ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية
ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني اما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة
منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الايجاب مشروطا
وظاهر الاية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة
معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ اولي الامر جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وعلى
هذا ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما سائر الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب فذلك الدليل ليس الا
الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاد داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه
على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر باجماع
تقدم يخالف حكمه حكم التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الاية يقتضي الاطلاق واذا بطل حمل الاية على
هذه الوجوه غير هذا تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد اصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله اولي الامر ما اجتمعت الامة
عليه هو المدعى واما القياس فذلك قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد منه فردوه الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع
والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال بل تفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها
نفيا واثباتا ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذا المراد رد هذه
الاحكام المنصوصة في الوقائع المتشابهة بها وهذا معنى القياس فحاصل الاية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول
ثم لما سوى اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما ان يخرجوا
لها وجها من نظائرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب ثم في اطلاق الاية دلالة على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقا سواء كان القياس جليا او خفيا
وانه لا يجوز ترك العمل بالنص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب ايضا في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه
والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة الخطأ والنسيان وقد اجمع
العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين
والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وقد مر بيانه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب
فمجيئه ههنا يدل على الوجوب ظاهرا لانه ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر انه عائد الى جميع الاوامر لا الى قوله فردوه
وحده وايضا مجرد الندب وهو اولوية الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للاية من فائدة خاصة فيحمل على المتحتم الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب
ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن غيره كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه
على العموم كانت الاية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية
دائمة فالوجوب دائم ولما كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين نعلم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقيب خلاف
حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء فردوه ان القياس يجوز اجراؤه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع في
الاية هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كان كل واحد منهما ينتزع الحجة الى جانبه ذلك الرد والمأمور به في الاية خير لكم واحسن تأويلا اي عاقبة
من آل الشيء اذا رجع وقيل الرد الى الكتاب والسنة خير مما تأولون انتم ثم انه لما اوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم
مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال الم تر الى الذين يزعمون الاية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا يعرف انه صدق او كذب ومنه زعموا مطية
الكذب قال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الاية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل
الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق
اما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى النبي وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي كان محقا وكان النبي لا يقضي الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان
كعب يبطل الحقوق بالرشى فما زال اليهودي بالمنافق حتى ذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال ننطلق الى عمر بن الخطاب فاقبلا

عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فنزلت
الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر
وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما
علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال
لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه
الآية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم (كاهن اسلم الى الاسلام فابى فانصرف فقال النبي) لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي مناديا فنادى الا ان كاهن اسلم قد اسلم وعلى
هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم
يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون بالقداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم
ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وشكا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي
ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتج المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب وكيف التعجب
فان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم واوردته منهم بل التعجب اولى وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان
احدهما وهو قول الحسن واختيار الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك
يحلفون يعني انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم
الى الطاغوت وانهم يصدون ثم ذكر بعدها ما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والآخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت
نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك
الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل انها قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج
وقال الجبائي هي ما امر الله رسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات وتخصيصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما
كان منا من مواساة الكفار الا الاصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند
التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا الاحسان بين الخصوم والتأليف بينهم فانهم لا يقدمون
عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويبينوا حججهم وما اردنا بالتحاكم الى عمر الا انه يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا ينبغي للحلف مناسبة ظاهرة وما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط
يامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وفي ذلك من ارادة المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظمه لا يقدر احد على معرفته الا هو
ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم
بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم بزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الآية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وهو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم
عن دنس النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح
بين الملأ تقريع وفي السر محض النفع والجمع قولا يؤثر فيهم ومعنى القول البليغ يتعلق بالوضع وهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني غزير المعاني يدخل الاذن
بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ان من صلة والمعنى
كيلا النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الآية من اقوى الدلائل على بطلان
مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله ثم علل ان قوله
باذن الله لتيسيره وتوفيقه وانما يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول فان قيل الآية دالة على انه لا
رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع
اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله منه وقصدوا رسوله واستغفر لهم الرسول

انقضب

انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ذنبه انه يرد قضاءه لوجدوا الله توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات عن الخطاب الى ذكر
الرسول من تفخيم شأنه وتنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالآية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبرئيل فاخبره به فقال ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء
ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
في شراج من الحرة والشرج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب قال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم يعرف حق ما امره به الرسول من المسامحة لاجل امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتأكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استونف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وفي هذا الوجه لا يبقى فرق اذا كان الجواب مثبتا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اى سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
فاذن الحكم غير كلي والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان من يرضى بحكم الرسول قد يكون رضي في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق فثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فانقاد ظاهرا وقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ في الفتاوى
والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله لزم التناقض لان الرضى بقضاء الله
واجب فالرضاء بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضاء بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد من
قضاء الله التكوين والايجاد فالرضى بقضائه ان تعتقد كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقاه بالبشر والقبول واين
ذاك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روى ان حاطبا لما حفظ رسول الله فاستوعب للزبير حقه في صريح الحكم خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان
القضاء فقال الحاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك ونزلت الآية فالضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وح يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذ لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم الاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لانه مقرون بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل ولان الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل
يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما وثوابا جزيلا واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي ايراده بصيغة التعظيم في آتيناه ولدنا وفي قوله لدنا
وفي وصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سببها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار
قال للنبي اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل

الله هذه الاية فلما توفى النبى اتى الانصارى ولده وهو فى حديقة له فاخبره بموت النبى فقال اللهم اعمنى حتى لا ارى شيأ بعده فعمى مكانه وقال السدى ان ناسا
من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة فى اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين فى الاية
ان كلهم فى درجة واحدة فان ذلك يقتضى التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال لكن المراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقى قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا تدافع بل
ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة بل اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين والاشارة فى تغايرها متداخلة كانت او متباينة والمراد بالتداخل ان لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه كان يكون النبى صديقا وشهيدا
وصالحا او الصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبى فى اوايل البقرة واما الصديق فهو اسم لمن غلب عليه الصدق وهو من ابنية المبالغة والصدق خصلة
مرضية فى جميع الاديان ومحققة للنطق الذى هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بضده منقصة ان الكفر ليس سوى
التكذيب وذكر المفسرون ان كثيرا من الصديقين فى الاية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
ومنهم من قال هم افاضل اصحاب النبى وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار فى ذلك قدوة الناس كابى بكر وعلى وامثالهما ولا واسطة بين الصديقية
والنبوة ولذلك قال فى هذه الاية مع النبيين والصديقين وفى صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعنى انك ان ترقيت من الصديقية وصلت الى النبوة وان نزلت
من النبوة وصلت اليها واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابى هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا
يا رسول الله من قتل فى سبيل الله قال ان شهداء امتى اذا لقليل من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ومن مات فى البطن فهو شهيد
وفى رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذى يشهد بصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة
فى الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذى صلح فى اعتقاده وفى عمله وهذه مرتبة ينبغى
ان يحافظ عليها مرتبة المؤمن ثم قال فى معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قيل ما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط يستوى فيه الواحد والجمع
وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس فى باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق فى اللغة لين الجانب
ولطافة الفعل وسمى الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة فى السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا
فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله
خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره وكأنه قال الله ذلك اشارة الى الاجر العظيم وموافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شىء تفضل الله به عليهم تبعا
لثوابهم الواجب على الله واراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه فلولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار ووفق
لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب
قال اهل السنة اشارة فى ذلك الى المجيع ما تقدم ولا يجب على الله شىء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شىء وانه هو الذى خلق القدرة والداعية
وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه فى الالهية وايضا كل ما فرض من الطاعات فانه فى مقابلة النعم السالفة التى لا تعد ولا تحصى
فيمتنع كونها موجبة للثواب فى المستقبل معنى الاية ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله
لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيها التأويل الوجود المجازى انما
من الله تعالى كما ان وجود الظل انما هو من الشمس فلا جرم اذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الآثار وبقى الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من فى السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اذا حكمتم بعد افناء الوجود المجازى وبقاء الوجود الحقيقى بين الروح والقلب والنفس ان تحكموا بالعدل بطريق
عبرا بين القلب شواهد اللقاء وبلا نعم الروح عقيب الفناء والسر اوداد سلطان البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا
على الحقيقة وطاعة القلب ان يحب الله وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره فى الوجود واما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق فى الباطن كما قال لو ابصرتهم بعيدا استشف قلبك ما لو ابصره ولو افناك المعنون واولى الامر منكم يعنى مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان
تنازعتم فى شىء يعنى منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة او بينهما منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة نزاعا من فهوم
النهم والدراية فردوه الى الله المراهنة الغلوب شواهد الغيوب والى الرسول فان الحق يشهد بالبينة وصفاء الطوية ذلك الايمان الا يفاء به
البينة والنور وبانى خير من علم الكتاب والسنة بالتقليد ومن التحقيق ثم اخبر عن حال اهل الضلال المحاكمين الى طاغوت الهوى الخيال من اهل البدع
والضلال بقوله ألم تر الى الذين يزعمون الآية اما بهم مصيبة ملامة من الخلق وسياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان
الحقيقى ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سر خبره على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع النبوة لا النبوة والمولى لا الهوى ودار الحق
لا دوار الخلق فيما اختلف نار اوهم ويختبر عقولهم ثم لا يجدوا فى فراة انفسهم صون كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والصديقين
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا فى سلوك طريق الحق والله المستعان

يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا ۝ وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم
ای گروه آنهائیکه گرویده اید فرا گیرید سلاح خود را پس متفرق شوید فوجها یا متفرق شوید همگی ۝ و بدرستی از شما هر آینه کسی هست که بامید ادرود مردم را پس اگر برسد شما را
مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ۝ ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن
داهیه گوید که انعام فرموده است خدا بر من چون نبودم من با آنها حاضر در جنگ ۝ و هر آینه اگر برسد شما را بخششی از جانب پروردگار هر آینه گویند گویا که نبود
بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ۝ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة
میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ ۝ پس جهاد کنند در راه خدا آنهائی که میخرند زندگانی
الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ۝ وما لكم
دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا مغلوب شود پس زود است که بدهیم او را مزدی بزرگ ۝ و چه شده شما را
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
که جهاد نکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهائیکه میگویند پروردگارا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ۝ الذين
بیرون آر ما را از این ده که ستمکارند اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود کارگذاری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری ۝ آنهائیکه
امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان
گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنها که کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را
ان كيد الشيطان كان ضعيفا ۝ الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
بدرستی که کید و حیله شیطان میباشد ضعیف ۝ آیا ندیدی آنها را که گفته شد بآنها که باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت
پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا زمانی نزدیک بگو که بهره دنیا کم است و آخرت بهتر است مر آن را که پرهیز کرد و ستم کرده نشوید بقدر ریسمان
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
هر جا که باشید دریابد شما را مرگ و اگر چه بوده باشید در قصرهای رفیع ۝ و اگر برسد ایشان را خوبی گفتندی که این از نزد خداست
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون
و اگر رسید ایشان را بدی گفتندی که این از نزد توست بگو که همه از نزد خداست پس چه است مر این گروه را که نزدیک نیستند که
يفقهون حديثا ۝ ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك
درک کنند حکایتی را ۝ هر چه رسید بتو از نیکوئی پس از خداست و هر چه رسید تو را از بدی پس از خود تست و فرستادیم تو را
للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ۝ من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم
از برای مردم پیغمبر و بس است خدا گواهی ۝ هر که پیروی کند رسول را پس تحقیق که اطاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم تو را بر آنها
حفيظا ۝ ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله
نگاهبان ۝ و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گردهی از ایشان بجز آنکه میگفت و خدا
يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
مینویسد آنچه را که شب سازند ۝ پس روگردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است بخدا کارگذاری

القراءة ليبطئن بنحوه مثل فليبتين وليبوئنهم بالباء الحا الصم يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل ويعقوب لباقون بياء الغيبة يغلب فسوف دنابه يخوان تعجب فمن نبعث مدغما ابو بكر وحمزة غير خلف وعلى وهشام ولا يظلمون بالياء الغائبة ابن كثير وعلى وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا عظيما بالاخرة عظيما اهلها ولياكل للتفضيل بين الدعوات نصيرا في سبيل الله للفصل بين الفصلين بالمتضادين اولياء الشيطان لاختلاف الابتداء ونقدير الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما منتظر لكن التعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع فان المعنى القتال لان لولا اي هلا استفهام اوجع اتحاد المعمول قريب قليل للوصف للفصل بين وصف الذين فتيلا مشيدة للعدل لفظا ومعنى من عند الله للفصل بين النقيضين من عندك من عند الله حديثا من الله فصلا بين النقيضين من نفسك رسولا شهيدا اطاع الله للعطف مع ابتداء الشرط حفيظا الامين

الفعل بعدها طاعة لابتداء الشرط مع ان المقصود منها بيان نفاقهم لانهم بعد يقول يبيتون لاختلاف الجملتين مع الاتصال اى والله يكتب ما يبيتون فاعرض
ولا تهتم على الله وكفى بالله وكيلا. التفسير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها يحصل تقوية
الدين فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
الآلة التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه ما يتقى به ويحذر فان قيل
اى فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن وان لم يحذروا قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المربوطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر من
اشتغل وترتب عليه لا ان كان بقدر ومن اهمل حذره فان عند السلامة كان ايضا بقدر وهكذا لسائر جميع التكاليف فاذا اعتبروا فانفروا الى قتال عدوكم اى اخرجوا لذلك
قال واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي معوضا التاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض لان الماء يجتمع عنده وثبت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر: طاروا اليه زرافات
ووحدانا. والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد ويكون المفعول محذوفا اى ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دين المنافق عبد الله بن ابي
ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اى ابطأ اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اى يا قوم ليتني وجوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب
باضمار ان اى ليت لي كون معهم فوزا والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين امنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب او الاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد يا ايها الذين امنوا المؤمنون في زعمكم ودعواكم
كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض قيل ليبين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل وقوله
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد فقال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا
الدنيا لاجل الاخرة والمراد ان ابطأ اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان
الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله بخل بنفسه فاشتراها من نفسه بسعادة الاخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او لعله اريد اشتغل
بالقتال انه رجح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة
من حاله اى يقاتل على تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله و
المستضعفين اما مجرور اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اى واخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون الاعسار والضعف عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله الخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع الولد كجيران في جار وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء لان
العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولائد والولدان الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
ويقوي عن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء الظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب وهو مذكر لاسناده الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لا لتأنيث الموصوف بل للجواز فان تأنيث الاهل جائز وانما اشرك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ارغاما لابائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس ووردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اى كن انت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرهم فكان الولي هو الرسول والنصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيده اوهن شيء واضعفه الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة الا
ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا
رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا قال الاكثرون انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اؤمر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من

المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان
رغبتهم في القتال ولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فاحجموا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم
كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله ثم بقولهم لم كتبت علينا القتال ولا يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع
الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعنى بالخشية والاعتراض محمول على التخفيف
التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاولى حمل الآية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا اختلاف في الآية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا مرتب مطابق
لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب بالقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل
فيها معنى المفاجاة اي فاجاء وقت خشيتهم زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف
عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة
انتصب على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية فيكون خشية مثل جد جده بمعنى خشية مثل
خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او
للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الآخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين
في الآية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فبقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب بقاء الابهام في
هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الآية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف
واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا
ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك تبعات واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانما رجح الآخرة فلان نعم الدنيا قليلة
ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الآخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم
الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون
اصلها من الظهور ومنه تبرج المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت
فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم
بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا من قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون
ما راينا اعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم
سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وقيل العموم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وكل ما يتنفع به فهو حسنة
فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا به في الآخرة فهو طاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من استنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب
من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الآية
حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بخلق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسأل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم
والداعي وقالت المعتزلة ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون كلام الله محدثا والجواب بعد تسليم ما
ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع
على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق واذ لا تناقض فما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى
المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد لان الحسنة
انما يصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه اما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه
رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة
فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر منه وقالت الاشاعرة كلاهما من الحسنة والسيئة باي معنى فرض فانهما من الله تعالى لو جوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان

اضافة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وفيه فى الاية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة غير الكفر الذى هو افحش القبائح فان ذلك بتخليق الله ثم والوجه
فيه ان يجعل الكلام استفهاما على سبيل الانكار لبعد ان شيئا من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما روى انه قرئ فمن نفسك
بصيغة الاستفهام ومما يدل على انه ظاهر على ان المراد من هذه الآيات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا اى ليس لك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلته وما قصرت وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا على جدك وعدم تقصيرك فى اداء الرسالة وتبليغ الوحى فاما تحصيل الهداية فليس اليك
بل الى الله قال علماء المعانى قوله رسولا حال من الكاف اى حال كونك ذا رسالة وللناس متعلق برسولا لا متعلق بارسلناك والا فيلى الناس فاصل النظم
وارسلناك رسولا للناس فلابد للتقديم من فائدة هو التخصيص اعنى ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه عما يقابله حقيقة او عرفا لاعتلاء مطلق وبعد تقديم هذه
المقدمة فاللام فى قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجى او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجى حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص
رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس فى مقابلة كلهم عرفا فيكون منافيا لما فى الآيات الاخر كقوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وقوله
بعثت الى الخلق كافة والثانى وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بوساطة
التقديم ينفى الحكم عما يقابلها وهو حقيقة الجن او ينفى الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم التخلف لانه عليه السلام
مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل
موجبه كليته وينفى نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من اليهود وهو انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى
هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الاية فلا ينافيه دليل اخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافيا لهذه الاية لان التقديم قد
استوفى حظه من الخاصة من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ لان الطاعة
الرسول لكونه رسولا فيما هو رسول لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل فى هذه الاية ان النبى عليه السلام كان يقول من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الرجل الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الاية وهى من اقوى الدلائل
على انه معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى تبليغه وفى افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة الله وَمَنْ تَوَلَّى قيل هو المتولى بالقلب اى حملك يا محمد
على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولى بالظاهر ومعناه فلا ينبغى ان تغتم بسبب ذلك التولى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ لتحفظ الناس عن المعاصى
فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولى كقوله لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى عن
المنافقين بقوله وَيَقُولُونَ اى حين ما امرهم بشئ طَاعَةٌ اى امرنا وشأننا طاعة والنصب مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على
ثبات الطاعة واستقرارها فاظهروا ما لم يظهر فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ اى دبرت خلاف ما امرت به او ما ضمنت من الطاعة قال
الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتاملوا فى مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفى اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس
فى بيته فى الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلاجرم سمى الفكر المنقح تبييتا الثانى قال الاخفش اذا ارادت العرب قرض الشعر (المستقصى بالقوافى)
بالغوا فى التفكر فيه فسمى الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من ابيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكر وفى التخصيص
وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم
فى التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يثبتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل فى علمهم
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فى شأنهم
فان الله ينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة
الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التأويل خُذُوا حِذْرَكُمْ وهو ذكر الله فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ جاهدوا بالرياضات من عالم النفس وهو عالم الحيوانية أَوِ انْفِرُوا
جَمِيعًا من عالم الجسمانية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وَإِنَّ مِنْكُمْ ايها الصديقون لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ من المدعين المتكاسلين فى السير لما تعين بالاسم
المتاولين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يشرون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق او يغلب عليها بالظفر فيسلم على ملة وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ اى الارواح الضعيفة
استضعفها النفوس باستيلائها عليها وَالنِّسَاءِ اى القلوب فان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرف الروح فى القلب كتصرف الزوج فى الزوجة
وَالْوِلْدَانِ الصفات الحميدة والمتولدة بين الروح والقلب هَذِهِ الْقَرْيَةِ قرية البدن الظَّالِمِ أَهْلُهَا وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا [illegible]
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ من اهل السلامة كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عن الاعتصام بحبل اهل الملامة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فانكم لستم اهل الغرام فاقنعوا
بدار السلام والسلام لارباب الغرام من اهل الملامة إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ يخافون لومة الناس كما كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم
ولا يبالوا [illegible] فيتقوا عن فرقتهم كالبهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فيموت بالآجال فان لنا كل الحظ [illegible]
ترك حظه فيا ايها الطالبون فى البطالة الذين غلب عليكم حب الدنيا فاشغلكم عن طلب المولى أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ اضطرارا فانتم تموتوا قبل
ان تموتوا اختيارا وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ اجساد مؤيدة محصنة وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يعنى لاهل البطالة من فتوحات غيبية يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لابد

للبشرية

للشیخ فیما علیهم حفاوان تضیهم سیئة فی الحجا عذاب یقولوا للشیخ هذا من عندك ای بسببك وبشؤمك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والترح من الواردات
فما اصابك من فتح وهو مستبشر من الله فضلا وكرما وما اصابك من سیئة بلاء وعنا فمن شؤم صفات نفسك الامارة والتحقیق ان للاعمال
تبع مرتبة التقدیر والخلق فهما من الله ثم والكسب الفعل فهما من العبد ان كانا لعبد وكسبه وفعله كلها مخلوقة خلقها الله تعالى فهم وارسلناك
للناس رسولا یهتدون بهداك ویتبعون خطاك ویقولون اذا كانوا حاضرین فی صحبتك ینعكس اشعة انوار النبوة علیهم ویصغون باذانهم
الواعیة الى الحكم والمواعظ الوافیة السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك هبت علیهم ریاح الهوى عاد الطبع المشؤوم الى اصله وهكذا حال
اكثر مریدی هذا الزمان الى مشایخهم والله یكتب ای یغیر علیهم ما یبیتون لان الله لا یغیر ما بقوم حتى یغیروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
وتوكل على الله فلعل **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**
الله یصلح بالهم — ایا پس تدبر نمیکنند قرآن را واگر میبود از نزد غیر خدا هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
واگر آید ایشان را کاری از ایمنی یا ترس افشا کردندی آنرا واگر برگردانیدندی آنرا بسوی پیغمبر وبسوی صاحبان فرمان از ایشان

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا
هر آینه میدانستند آنرا آنانکه بیرون میکشند آنرا از ایشان واگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هر آینه متابعت کردید شیطانرا مگر کمی

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا
پس جهاد کن در راه خدا مؤاخذه نمیشوی مگر بفعل نفس خود و میل ده گروندگان را امید هست که خدا نگاه دارد آسیب آنها که کافر شدند

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۝ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
وخدا سخت تر است بحسب آسیب وسخت تر است بحسب عقوبت او — هر که واسطه شود واسطه نیکوئی میباشد مر او را بهره ازان — و هر که واسطه شود

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
واسطه بدی میباشد مر او را عقوبتی ازان وهست خدا بر هر چیزی توانا — وچون دعا گفته شوید بدعائی پس دعا دهید

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
بهتر ازان یا همانرا برگردانید بدرستی که خدا بر هر چیزی نگاهبان است — الله خدائی نیست غیر او بخداء هر آینه گرد آورد شما را بروز

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا
قیامت که شکی نیست درآن وکیست راستگوتر از خدا بحسب سخن — پس چیست شما را در منافقان دو گروه شده اید وخدا نگونسار کرد ایشان را بسبب آنچه

كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا
کسب کردند آیا میخواهید که هدایت کنید آنرا که گمراه کرد خدا وهر که را گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی — دوست دارند که کافر شوید چنانچه

كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
کافر شدند پس باشید یکسان پس فرا مگیرید از ایشان دوستان تا وقتی که هجرت کنند در راه خدا پس اگر برگشتند پس بگیرید ایشانرا وبکشید ایشانرا

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
هر جا که یافتید ایشانرا وفرا مگیرید از ایشان دوستی ونه یاوری — مگر آنها که پیوند گیرند بسوی گروهی که در میان شما ومیان ایشان

مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
پیوندی باشد یا آمدند شما را تنگ شده سینهای ایشان که کارزار کنند با شما یا کارزار کنند قوم خود را واگر میخواست خدا هر آینه مسلط کردی ایشانرا بر شما

فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝
پس هر آینه کارزار کردندی با شما پس اگر کناره گیرند از شما پس کارزار نکنند با شما والقا کنند بسوی شما صلح را پس قرار نداده است خدا از برای شما بر ایشان راهی

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ
زود باشد که بیابید دیگرانرا که میخواهند که ایمن شوند از شما وایمن شوند از قوم خود هر چند برگردانیده شوند در فتنه نگونسار شوند در ان پس اگر

لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ
کناره نگرفتند از شما وبیندازند بسوی شما صلح را وباز دارند دستهای خود را پس بگیرید ایشانرا وبکشید ایشانرا هر جا که یافتید ایشانرا واین گروه

جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا القراءة ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزای علی ویدویس وحمزة غیر العجلی
قرار دادیم از برای شما بر ایشان حجتی هویدا — حصرت صدورهم وبابه صدفا ابو عمرو وحمزة وعلی وخلف وابن عامر وفرا سهل ویعقوب المفضل
حصرت صدورهم بالنصب والتنوین الوقوف القرآن لتناهی الاستفهام الى الشرط كثیرا اذاعوا به منهم قلیلا فی سبیل الله لان قوله لا تكلف

نصف

الاستيناف والحال اي ما بال غيره لا تكلف الا نفسك ويعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لانه جيء مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان يتبع
ما امر به كفرتا نتيجة نصيب منها الابتداء شرط اخر مع واو العطف كفل منها مقيتا نصف الجزء ودة فها حسيبا الا هو لا ريب فيه حديثا بما كسبوا من اضل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم نصيرا او يقاتلوكم فقاتلوكم السلم لان ما بعده جواب فان سبيلا قوم ثم اركسوا فيها ثقفتموهم
مبينا التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقران على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والا انقطع النظم ودلالة القران على صدق النبي من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر انواع
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل
من تناقض واضطراب والذي نظن به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس بذاك عند التدبر وملاحظة شرط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد متحد نظمه وكونه كله بل كل جزء من اجزائه واقعا بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القران كذلك علمنا انه معجز من عند الله ثم في الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال وعلى التدبر فيهما الى سبيل
وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظرنا لا بحسب الامر
نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامن سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوا به وافشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان ذلك
الخبر اذا كانت في جانب الامن ولم يقع اورث شبهة لضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها عن الرسول وان كان في جانب الخوف حصل اضطراب
في الضعفة ووقعوا في الحيرة وابتغاء البحث عن الارجاف موجب لظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او للتحصن
وفي معنى الاية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فينتشر فاذا عنهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
يسمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الاية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر من المستنبطين ورواية النص
لا يكون استنباطا فهو اذن رد الواقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولو الآراء بل هم المذيعون كما في القول الثالث
سلمنا لكن الاية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان حسم احد البابين على الآخر
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في تسليمه انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحروب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث بان
من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال مهما غلب ظنك كذا في الواقعة فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض يذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

اذاعوا به كانه قيل كما اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروا يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر يعرفونه الا البالغ في البلادة
والا فالان الاستنباط والعمل على مجرد نقل الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما قاله المفسرون فالحق ما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق اللفظ لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا ولا الاثر ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه قيل ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا ادبت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث
والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفاية ما دام الغالب
على الظن انه مقيد لم يجب كما اوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الوجوب عليه مجال لعموا اطماع والاطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه قاتل في بدر الصغرى لا خرجن وحده فخرج ومعه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوبهم حتى ان ابا سفيان واصحابه خافوا وندموا وترك الحرب في تلك السنة وفي الآية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر
كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان ذلك معززا عن خشية الموت والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الا ان عذاب
ذاتهم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلص الله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذه طرف من الفرق والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عذابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه النظم
انه تعالى امر الرسول بتحريض المؤمنين على الجهاد وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف وهذا يجري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له آلة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي الدعوة
لله المسلم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على الفعل
الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ابه النصيب فهل لاختلاف اللفظين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان
ومنه يقال الكفل البعير واكتفلته اذا ادرت على سنامه كساء وركبته الكفيل الضامن لان المضمون عنه يعتمد عليه التقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد
عليه يكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق بحاله ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة وبالقوها في المبارزة بالتسليم فابلوهم بالاكرام وايضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحياة والياء الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب يقول عند الملاقاة حياك الله دعاء له
بالحياة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحياة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل الموت خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله تعالى
فالابتداء به اولى ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمن في اثنا عشر موضعا في الاذان ولهذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم على لسان محمد عليه السلام وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

بيان المقيت

وسلم تحية السلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم امر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك
ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق
اليك واشتاقت الجنان والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت للبشير منى هدية لك وسلم عليك من الارواح
الطاهرة واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام
وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى ع وعده بالسلام في مواطن ثلاثة هي اشد الاوقات حاجة الى السلام فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد ع قال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال
لما سمعت بقدوم رسول الله ع دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت منه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم
للملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان واكملها ومما يدل على فضيلة
السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع التحية
قال بعض العلماء من دخل بيتا يجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال ع افشوا السلام والامر للوجوب ولان السلام سنة
بالسلامة واذا التزم الضرر فهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعائر الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي و
اكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
وظاهر الامر الوجوب وعن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس ورد عليه الملائكة قال العلماء الا
ان يزيد في جواب السلام الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر المجموع اعادها فقط فانه منتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وروي ان رجلا قال لرسول الله ع السلام عليك يا رسول الله فقال ع وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر
السلام عليك ورحمة الله فقال ع وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال ع وعليك فقال الرجل نقصتني فاين
قول الله فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالى او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه اما اشارة الى
هذه السنة واما الى التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به بعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم به الكل اظهارا للاكرام و
الاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور بقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان تأخر عن ذلك كان ابتداء سلام
لا جوابا واذا ورد عليه سلام في كتاب يجب جوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرئ فلانا السلام يجب عليه ان يفعل قال العلماء
المبتدئ يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدئ فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا
انه اولى من المعرف لان المنكر في القرآن اكثر وان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان على نفسه قال موسى ع والسلام
على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلام علي يوم ولدت واللام في المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب
لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر احتراما للجماعة والقائم لانه الواصل على القاعد ولان القائم اهيب
ومن السنن الجهر بالسلام لانه نوع في ادخال السرور في القلب منها الابتداء به اظهارا للتواضع ومنها الافشاء والتعميم لان التخصيص يوحش والمصافحة عند السلام
عادة النبي ع قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تتحات ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم
عليهما ردا السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله على نفسه او سلم على من فيه من مؤمني الجن او
السلامة ببركة اسم السلام ممن في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدئ بالسلام
على الطهارة وكذا المجيب وعن ان واحدا سلم على رسول الله ع وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لا
شتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا بأس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين يسلم عليهم فان لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب وكذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة
العلم او بالاذان او الاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلقوه وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف
ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة ومعاملة واذا دخل الرجل
بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجبها بل الاولى ان لا يفعل
وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وقد روي عن النبي ع انه قال لا تبدأ اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه
قال لا تبدأه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس في الدعاء له بما يصلحه
في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك لما روي

ان اليهود يقولون للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثابه منها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالآية وذلك ان التحية تشمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يعوضها بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الآية يقتضي الثواب بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن عباس وابن عمر ان النبي ص قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على محافظة حقوق التحية وعليها فلا تكونوا على حذر من مخالفة ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كأنه يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه معاملة بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والآخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليضمنكم اليه ليجمعن بينكم وبلية بان يبعثكم فيه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب هي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب انما يكذب لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لا تختلفوا في كفرهم ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب قدموا على رسول الله ص بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله ص نريد ان نخرج الى الصحراء فائذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون حتى يتبين الله نفاقهم وقال مجاهد نزلت في قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت انهم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بانه ينافيه سياق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله فاباه اذ الهجرة يكون من مكة الى المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي ص وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين وان اظهروا الكفر باعتبار ما كانوا عليها والله اركسهم الركس والارتكاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم ويقال لهم ينبغي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فان المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر الى ان تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثله قوله ص انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين انا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس انه قال قال رسول الله ص يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الآية ثابت كل من اقام في دار الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام فاما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله ص المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى شيئا من مهمانكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل تجانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون اي ينتهون وينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد يدخل في الآية ان يقصد قوم حضرة الرسول ص فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجؤوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل الى القوم الاسلميين وذلك انه ص وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

الله والله
والمعنى ليجمعنكم

نافقوا وقال بعضهم

الجوار ومثل الذي هلال ذكر قال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجأ الى
الكفار المصالحين فلان يرفع النار عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصل فلان الى فلان وانصل
به اذا انتسب اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله
او جاؤكم وفي العطف وجهان احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال
لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب بقوله في صفتهم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم الى آخر الآية ادبين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت و
الحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدليل قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم
قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج
جاؤا رسول الله غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له
عذر فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ... والمعنى ... كقوله احدهما الذين عصدوا الرسول الهجرة والنصرة الا انه كان في طرفهم كفار يغالبون فقصدوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد
واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا ليقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم
اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوي قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم
على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير
او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا يبنى عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه فعل الظلم وارادوا النزاع فيه فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما
دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي عادوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في شيء
منكوسا يتعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي ولم يلقوا ولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على
انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم
ع الشرط اما قوله سلطانا مبينا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً
في الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم — و سزاوار نیست مر مؤمنی را که بکشد مؤمنی را مگر از روی خطا و هر که بکشد مؤمنی را از روی خطا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
پس بر اوست آزاد کردن بنده مؤمنی و خونبهای فرا پس داده بسوی کسان او مگر آنکه ببخشند — پس اگر بوده باشد از گروهی که در میان شما و میان ایشان پیمان
فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ
پس خونبهای فرا پس داده بسوی کسان او و آزاد کردن بنده مؤمن پس آنکه نیابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی از توبه است از جانب خدا و هست
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ
خدا دانای ستوده — و هر که بکشد مؤمنی را عمدا پس پاداش او دوزخ است جاوید دران و خشم نمود خدا بر او و دور کرد او را و مهیا کرد
لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
از برای او عذابی بزرگ — ای گروه آنچنانی که ایمان آورده اید چون قدم زنید در راه خدا پس تفحص کنید و مگوئید مر آنرا که افکند بسوی شما کردن
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
تسلیم را که نیستی تو مؤمن که خواسته باشید خواسته زندگانی دنیا را پس در نزد خداست غنیمت بسیار همچنین بودید شما از پیش
فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ
پس منت نهاد خدا بر شما پس تمیز کنید بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید با خبر — یکسان نیستند نشستگان از مؤمنان غیر از
أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
صاحبان ناخوشی و جهاد کنندگان در راه خدا بمالهاشان و بنفسهاشان زیادتی داد خدا جهاد کنندگان را بمالهاشان و بنفسهاشان
عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
بر نشستگان پایه — و هر یک را وعده کرده است خدا نیکوئی و زیادتی داده است جهاد کنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ
ع دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
پایه های بلند از او و آمرزش و مهربانی و هست خدا آمرزنده مهربان — بدرستیکه آنانکه میرانند ایشان را فرشتگان ستمکنندگان

فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
پس اگر بوده باشد از گروهی دشمن شما و او مؤمن است پس آزاد کردن بنده مؤمن

أنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان که آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید

فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

در آن پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخست و بد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان و زنان و اطفال

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا

که راه نبرند حیله را و راه نبرند طریقی پس آن گروه امید است که خدا درگذرد از ایشان و هست خدا درگذرنده

غَفُورًا وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

آمرزنده و هر که سفر کند در راه خدا می یابد در زمین زحمت بسیاری و فراخی و هر که بیرون رود از خانه اش سفر کننده

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِذَا ضَرَبْتُمْ

ع ۱۴ بسوی خدا و پیغمبرش پس در رسید مر او را مرگ پس بحقیقت که واردست مزدش بر خدا و هست خدا آمرزنده مهربان و چون قدم زدید

فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر ترسید که بفتنه اندازند شما را آنهایی که کافر شدند بدرستی که

الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين

کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا هو قبلا السلم مقصورا ابوجعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف

غير النصب ابوجعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف الاخطأ بصدقوا لابتداء حكم آخر منه

لذلك مؤمنة مؤمنا ليعين الاحتمال كون نوّنه مصدر الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا لمن الله حكيما عظيما مؤمنا لان ما بعده يصلح حالا او استفهاما الذين

لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا خبيرا وانفسهم الاولى رجة الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها النا هي

الاستفهام بجواب جهنم مصيرا للاستثناء سبيلا عنهم عفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرط تغليب في حال المسافر كفروا مبينا التفسير لما

لم يكن يليق بحاهد الكفار من انه لا ينبغي ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وامثالها في هذه

الايات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله صلعم يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فقتلوه

بأسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول صلعم ذلك ازداد وقع حذيفة

عنده ونزلت الاية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله

فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول صلعم فقال هلا شققت عن قلبه فندم ابو الدرداء والاكثر عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش

بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلعم فقدمها ثم اتى اطما من اطامها فتحصن فيه فجزعت

امه جزعا شديدا واقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه

فاتياه وهو في الاطم فقال له انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة

والغارب يقول له اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبرّ امك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة اوثقاه بنسعة وجلد كل

منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله ثم اعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه

الحارث بن زيد فقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة لقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته وقال

لا والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلعم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث يعني يا ابا جهل من انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلعم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث

بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء

صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلعم فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي

ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما اتاه من ربه وعهده اليه او ما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من

اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له او الا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء

المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير فعليه عتاق رقبة اي

نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر

عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والدية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية

وهي مخصوصة ببدل النفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا امادة

البحر المحيط

الثناء في القضاء والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف او الحال اي العاقل مسلما او عليكم انه قتيل يجب عليه الدية او يسلمها الا ان
يتصدقوا او لا متصدقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلثة اقسام عمد وخطأ وشبه عمد اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاؤه
الى الموت سواء كان ذلك جارحا او لم يكن واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي مشرك او طائر فاصاب مسلما والثاني ان يظنه مشركا بان كان عليه
شعار الكفار فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا بعصا خفيفة لا يقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ
في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ او شبه عمد فيكون داخلا تحت الاية فيجب فيه الدية والكفارة
ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عمد عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
يعني القبطي اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب راس الانسان بحجر الرحى وصلبه او غرقه او خنقه ثم قال ما قصدت قتله عد
ماجنا واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص في القتلى وان المقصود من شرع القصاص صون الارواح عن الاهدار
والاهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بان التفاوت في آلة الاهدار غير معتبر حجة ابي حنيفة قوله الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا
فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان السوط او العصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطأ فان من ضرب راس
انسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله لم يعبأ بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط في الاية ان يكون القتل خطأ
وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجبها روي ان واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلعم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل
فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار وايضا نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الاحرام فاوجبها على الخاطئ
بالاتفاق وههنا نص على الخاطئ فان يوجب على العامد كان اولى لانه لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار
لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار كان الميت ممنوع من التصرف مطلقا وليتحقق هذا المعنى اوجب ان يكون الرقبة
كاملة الرق وان يكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب
تحرير رقبة مؤمنة والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي
يجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن الخامسة انه تعالى اوجب الدية في القران ولم يبين كميتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم ان النبي صلعم
كتب الى اهل اليمن ان في النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلعم قضى في دية الخطأ بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابناء اللبون
بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الاصلية وقيل غيرها ابناء المخاض غير معتبرة في باب الزكوة فيجاب بان لا يعتبر في الدية التي سببها
اقوى من السبب الموجب للزكوة واتفقوا على ان الدية في العمد المحض مغلظة ومن ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون
خلفة في بطونها اولادها ومنه الحلول على الجاني في مال الجاني خلاف دية الخطأ فانها مؤجلة الثلث في السنة الاولى والثلث الاخر في السنة
الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين لم ينكر عليهم احد فكان اجماعا ومنه ثبوتها في ذمة الجاني لا تحملها العاقلة خلاف
دية الخطأ فانها يكون على العاقلة لما روي ان امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت احديهما الاخرى بحجر وروي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلعم بالدية
على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد والتحمل في الخطأ اولى وجهة التحمل ثلث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على
حاشية النسب هم الاخوة وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم
وفاء والا وزع عليهم لكثرتهم او لقلة المال في الاشتراكهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية في الخطأ ايضا تجب
على القاتل كما ان تحرير الرقبة ايضا عليه بوجهها عطف الدية في الاية على التحرير وايضا الجناية صدرت عنه فلا يعقل تضمين غيره كما في سائر الاتلافات
وتخصيص عموم القران بخبر الواحد غير جائز والجواب باجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب اكثر الفقهاء ان دية المرأة نصف دية الرجل باجماع الخيرة
من الصحابة ولان المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل فكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية انها مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمنا
السابعة انه لما لم يوجد الابل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت وانما يقوم بغالب نقد البلد لما روي ان النبي صلعم كان
يقوم الابل على اهل القرى فاذا غلت رفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب الف دينار او عشرة الف درهم وعند مالك
الدراهم اثنا عشر الفا الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الاموال في انه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على
فرائض الله لما روي ان امرأة جاءت في ايام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة
بان رسول الله صلعم امر ان يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين
ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة
الى اهله ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها
وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله

من قوم عدو لكم اما ان يكون المقتول من سكان دار الحرب او انه ذاهب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل اهل الاسلام يوجب
الدية فبقي الاول انما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من سكان
بلاد الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم واما
الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك انسانا مواظبا على طاعته فلزمه اقامة انسان اخر مقامه يمكنه المواظبة عليها اما قوله وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد منهم وبذهبهم وثانيهما ان المراد المسلم عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه
عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بانه يلزم عطف الشيء على نفسه لانه المؤمن المقتول خطاء سواء كان من اهل الحرب او من
اهل الذمة داخل تحت قوله وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الافراد
تكرارا محضا وايضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا بد وان يكون منهم
في امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه هو حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكره اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصيصا على الفرق بينه وبين ما قبله وبينهما على التسوية
بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف دينه اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة عليه ههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهود والنصارى ثلث دية المسلم ودية المجوس ثلث خمسها هكذا روى من قضاء الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة
لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول الاول ايضا لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال
وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاولى ثم في الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية ليقع التسامح
والاختيار بحق الله تعالى وبين حق العبد قوله فَمَن لَّمْ يَجِدْ اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين ومعنى تعيينه
لا عتاق يجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب اما الشهران فهما هلاليان ان ابتدأ من اول الهلال
وفي خلال الشهر يتمم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن مسروق
ان الصوم بدل من مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطاء انه
لا يخلو من ترك احتياط وعن ندم واسف على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بانه لم يقصد ولم يتعمد حَكِيمًا محكم الفعل لا يؤاخذ الانسان بما لا اختيار ولا يتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان افعاله
على قانون الحكمة ونقيضه العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطاء اردفه ببيان حكم القتل العمد لاحكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة
والمالك والقصاص كما مر في البقرة فلاجرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد لا يخفى ما في الاية من التخويف والتهديد فلاجرم تمسك اهل الوعيد
بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجاب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان مقيس بن صبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلعم معه رسولا من بني فهر وقال له ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلعم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا
ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلعم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي الدية فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة وبينها وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك
مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل
يقول في شعره قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ اَرْبَابَ فَارِعِ وَاَدْرَكْتُ ثَارِي وَاضْطَجَعْتُ مُوَسَّدًا وَكُنْتُ اِلَى الْاَوْثَانِ اَوَّلَ رَاجِعِ فنزلت الاية فيه
وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ثم اهدر النبي صلعم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان
خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا فيه
الاية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد بان الكفر والاستقلال موجب
لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه اذ لا اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس فجزاؤه جهنم وضعف
وجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وعند ذلك لغرض المصلحة وفتح هذا
الباب يفضي الى الطعن في الشرائع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا الا اني
لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لانه سماه جزاء لا اثابة كقوله مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ على انه يوصل الجزاء الى مستحقه
البتة ولان قوله وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا صريح في انه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع

ولما كان هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله
الجمهور على التغليظ والتشديد لا الاولى لانه تعالى قد نبه على محو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهجموا فيه من غير تدبر ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية
يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي ان قتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله
حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم
فشذ منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت
اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم
عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلاثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تجن
من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله
فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة
بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في قصته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشرع احدكم الرمح
الى الرجل فان كان سنانه عند نغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة
اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله
رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام
هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو
الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين
حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر سمي عرضا لانه عارض
زائل غير باق ومنه العرض لمقابل الجوهر لقلة لبثه كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام
ويتعوذ به لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الآخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون يريد انكم اول ما دخلتم
في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا
آمنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالآخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم
كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم
في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء لما حدث لهم ميل
ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل فيهم ثم قيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان القوم لما نهاهم عن قتل
من تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليهم بان قبل توبتهم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير ثم حذر عن الاضمار وخلاف الاظهار
فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه وعيد وقيل وعد فالمراد لما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم وبكتهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد
فذكر من فضل الجهاد ما يزيح علتهم ويزيد رغبتهم او نقول لما نبههم على ما هيئتهم اتبعه بفضيلة الجهاد ليبلغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال
لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر
اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت
ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان
في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من قرأ غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرأ بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء
والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند مقفله من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وقيل اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرأ

ويعلم منه

كذا

ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لهما مدخل عظيم في قبول الاعمال وقد ذكروا في معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لان نية المؤمن
دائم على الايمان وفي الاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حياته وقيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المضايقة فيها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في آخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فيه تذكير ما بينهما من التفاوت ليتأنف القاعد
عن الجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبته عن المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
بدل على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل بدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات اجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر
وفي قوله ثانيا على القاعدين للاستغراق والمراد الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة ما خصهم الله به بمثل الكثرة بالنوع
وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون بما اشتهر من وقائعه وآثاره وتقاعدهم عنه وعن هذا اجاب اهل السنة بان جهاد
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام
في ذلك الوقت قويا والحق انه لا يدل الاية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد
دلت الاية على ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لانه تعالى جعل للشارع ذلك
العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله وفضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
والزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفاهم
ويحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين
في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التاءين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفاهم
تقبض ارواحهم عند الموت ولا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة
الا انه فوض الى ملك الموت هذا العمل وملك الموت رئيس سائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب
على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفها فصح وقوعه حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم
وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فهم ظالمو انفسهم فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان
قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني فاولئك يعنون قالوا لهم الا من الملائكة بتقدير فهذا التالي كان الخبر عند قوم وهو هلكوا ثم فسر الهلاك
بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضى بالسكون في دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم لم يكونوا من الدين في شيء ولهذا
لم يجيبوا جوابهم كنا في كذا ولم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين في الارض اعتذارا بما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا
في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قائلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فان قيل عد الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
يوهم حتى الاستثناء ان يدخلوا في المستثنى لو لم يخرج والحق ان الولدان ليسوا من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف اجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان
المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون
في الواقع كذلك لاسيما اتفق عن المألوف شديد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على ذلك وبل عند هذا الاحتمال لا يحصل الجزم
بالعفو فهذا من جانب العبد واما من الرب فمعنى الاطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه عبر بلفظ العفو لانه لا يتعين الاصح الذنب لا ينبغي
العجز وجوابه انه يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة
في خلقه وابتداؤهم قال انه عفو غفور لكان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا فلله

لا انشاء وخبر عن العفو والمغفرة بعد غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما نزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ان الذين توفاهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسول الله صلعم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله تعالى فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف ذا مراغم قال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلدته فاذا استقام امره في بلدة
اخرى ورغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن هجرة الوطن ويبين الجواب عنه فالمانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف فوات ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انها سبب رغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد مهاجرا الى الله ورسوله فربما
كل غرض ديني من طلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهد في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى
ان لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال بعضهم يعني ثبت له اجر قصده واجر القدر الذي اتى به من ذلك العمل اما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فانه يثاب بتمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلعم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب وايضا لا يكون الاية جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت
المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر ايضا يدل على قولنا
ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان سهم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال
اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة يكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعن بعضهم ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي بقوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك بالتخفيف والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبي فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويزيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة يجيء بعده فلتحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما تقييد القصر بحال الخوف فلان الاية نزلت على غالب
اسفار النبي واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل
محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلعم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين
فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلعم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه واجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصتكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة لكم فلا يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعاضد الاية لان تغيير الصلوة
عن ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهريين زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

الحسن

انس فهاك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير الكوفة الى المداين وهو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة وقال الشافعي
مذهب جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روي عن مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي عليه السلام قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة
برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلث اميال بالاميال الهاشمية وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر
الف قدم وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قال الفقهاء واختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير منوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب الناس في هذه الاقوال يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا برهان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم فتيقظوا وكونوا على حذر منهم التأويل ليس للمؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون مثل خطأ وذلك
ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة
فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كما اطمأن القلب به ففي بعض الاحوال بما يرد الروح بوارد
روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا من سطوة تجلى الرب القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا وكان قتل
خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل في هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة ومن قتل مؤمنا اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي
السر المحررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني يسلم الغافلة هو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب هم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال الحق الطائفة
البصيرة الاوصاف بها اخلاق ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف هذه الدية على مساكين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالتجلي
من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي هذه الصفة قد آمنت بانوار الروح القدسي دون اخواتها من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي
القلب بصفة محررة عن رق حب الدنيا والدية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع
ظاهرا وترك المحاربة مع القلب اوصافه فدية مسلمة على عاقلة الروح الى اهل ذلك المقبول وهم بقية صفات النفس كما قال النبي الا ما رحم ربي وتحرير
رقبة الروح بصفة محررة عن رق الكونين فمن لم يجد فيه مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون زمانهم فلحرية بعيدا عن ما سوى الله فصيام
شهرين متتابعين اي يغلبه لا مساك عن مشارب العالمين على التتابع والدوام مراقبا قلبه لا يدخله شيء من الدنيا والآخرة مراعيا وقته فلو افطر بادنى شيء
من المستلذات ما يكونا ابتدا في الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله تعالى قال قائلهم لقد صام طرفي عن شهود سواكم وحق له لما اغراه يراكم يعيد يوم جنون تبدل
فلا لهم ويبدوا هلال الصبح من رآكم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية
بينهما فهي حيوة احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان
احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيوخ فتبينوا عن حال المريد في الرد والقبول
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي تهتمون لاجل دنياه فان الضعيف
اذا نفر كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة في بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وتوفيهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة
هم لعوام الذين ظلموا انفسهم بيد سنتها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري في اي واد من اودية الهوى تهيمون وفي
اي روضة من رياض الدنيا تتنزهون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتنسون الشراب الطهور قالوا كنا مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة
الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة
العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى صاحب الولاية وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المقتصد واما خواص الخواص وهم السابقون فهم
المجاهدون الجهاد الاكبر وقدمهم من يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما كثيرا ومنازل مثل القلب والروح والسر
في تلك العوالم من رحمة الله وجنتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بابصار النظر كشف الفكر تنل العبر والله اجل واكبر

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
وچون باشی تو با ایشان پس بپای داشتی از برای ایشان نماز را پس باید بایستند گروهی از ایشان با تو در نماز و باید که فرا گیرند اسلحهٔ خود را پس چون سجده کنند باید که باشند
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
از عقب شما و بیاید گروهی دیگر که نماز نگذارده اند پس نماز کنند با تو و فرا گیرند آلات حرب و اسلحهٔ خود را دوست دارند کافران
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ
که غافل باشید شما از اسلحهٔ خودتان و امتعهٔ خود پس روآرند بر شما روآوردنی یکمرتبه و نیست باکی بر شما اگر بوده باشد بشما رنجی از باران
أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
یا بوده باشید بیماران که بگذارید سلاحهای خود را و برگیرید اسلحهٔ خود را بدرستیکه خدا مهیا کرده از برای کافران عذابی خوار کننده پس چون تمام کردید نماز را
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا
پس یاد کنید خدا را در قیام و قعود و بر پهلوهای خود پس چون ایمن شدید پس بپای دارید نماز را بدرستیکه نماز هست بر مومنان

مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
در زمان — دست سست مشوید در جستن — قوم — اگر رنجیده ور دردمند گشته‌اید پس ایشان هم دردمند میشوند چنانچه شما دردمند میشوید و امید دارید از خدا آنچه
يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا
که امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار — بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه که نمود ترا خدا و مباش
لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ع ٣
مر خیانت کنندگان را دشمن — و طلب آمرزش کن از خدا بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان — و خصومت مکن از آنها که خیانت کنند نفسهای خود را
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا
بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است — پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشانست آنچون تدبیر کنند آنرا که
يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ
خوش نیاید از گفتار و هست خدا بآنچه میکنند محیط — هان شما آنید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس هر که خصومت کند با خدا
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار — و هر که بکند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا بیابد خدا را آمرزنده
رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
مهربان — و هر که کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور — و هر که کسب کند گناهی را یا صغیره را
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ ع ٣
پس نسبت دهد بآن بیگناهی را پس تحقیق که متحمل شده است بهتان را و گناه هویدا — و اگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی
مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه نبرند بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا هیچ چیز و فرو فرستاد خدا بر تو کتاب
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ القراءة عن اسلحتكم وامتعتكم عباس بخلاف
و پیغمبری را — و آموخت بتو آنچه را که نبودی دانای آن و هست فضل خدا بر تو بزرگ — باختلاس اطمأننتم وبابه بغير همزة ابو عمرو ويزيد

والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بريا بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف تألمون ج للعطف مع انكم تألمون لا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة اسلحتكم ج حذركم ج مهينا ج وعلى جنوبكم ج للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة ج لاحتمال فان والاتي موقوتا ط القوم ط كما تألمون ج لاحتمال الواو الاستيناف او الحال ما لا يرجون ط حكيما ه اراك الله ط لان ما بعده استيناف خصيما لا للعطف واستغفر الله ط رحيما لا للآية مع العطف انفسهم ط اثيما لا لاحتمال الوصف من القول ط محيطا ه وكيلا ه رحيما ه على نفسه ط حكيما ه مبينا ه ان يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما ه التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في خوف النبي لفضيلة الصلوة خلفه فيبقى لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الآية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فرآه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الآية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي بهم الامام ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم يذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا كان في السجدة حرست فرقة اما صفا وفرقة من صفين الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة ولحقت به حيثما امكنها واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى في هذه او في فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العذر وبمثله صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان واما ان لم يكن العدو في جهة القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام كالثنائية كالصبح والرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان يذهب الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو

بتصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف الحاذ الصف القائم الى الامام وهو ينتظرهم واقتدوا به
في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابوداود والنسائي عن صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الثانية
فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلاتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية
فيقضون بقية صلاتهم بالقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدركوا اول الصلوة والمسبوق
فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلوات في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل
والاشد موافقة لظاهر الاية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية
كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تأتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من
الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم
لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي
اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانه اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع
وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار الامام بالطائفة الثانية
ثم هذا ان كانت الصلوة مغربا يصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية يصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع
فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع لا تسع غيرها بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي
بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون امرهم في الاقتداء به فامر الله تعالى نبيه بهم
هكذا ليحوزوا جميعا لطائفتين فضيلة التكبير مع الاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت للنبي صلى الله عليه وسلم اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم
فاقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا
حذرهم وكأنه جعل الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي ونبه على ان الحذر في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ
الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبهون في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قائمين لاجل المحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من كونهم
وسجودهم لاول من فرصتهم في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير ميلة واحدة ثم رخص لهم في
وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسود ويفسد حدته او ثقل على المرء اذا كان محشوا ومن كان مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكن امرنا
الامر باخذ الحذر فلان الغفلة عن كيد العدو لا تجوز بكل حال قال بعض العلماء اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لظاهر الامر الموجود ورفع
الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكن ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتاذى
به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة
فيها على خلاف نص القران وكما ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على
العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر
لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انها والكل الى مسببها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا ان الامر
بناء على هذا الحذر كون الكفار يحذر لهم مقهورين وكان كالخبر فقوله فاذا قضيتم الصلوة بقية قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله
في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بان تذكروا الله وتطلبوا منه الخشوع والنجاة الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا قياما حال المسايفة
والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال الرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز
وان المعنى يصير فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وتعبر بعد اللتيا والتي الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في شدة الخوف القتال واعلم ان الاية مسبوقة
بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد فاذا اقمتم مقيمين فاتموا الصلوة تامة
من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلوة التي كنتم تؤدونها مع تغيير شيء من هيأتها ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على
المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن واوقات الصلوة الخمس مشهورة وقد
يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان تكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار وهي ثابتة على الثلث فلو كان
الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاقلها خمس وسوف يجيء انها تخدد له على الاوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

البلوغ الى الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان بحسب عمره اربعة اسنان سن النمو الى غاية سن الشباب وسن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص
على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصان ظاهر جلي فيه الى ان يموت ويهلك
واما المرتبة الخامسة فهي ما تعرض للانسان قبل الاربعين ثم قال مثل ما ذكر وكذا الشمس اذا طلعت كان لها سلطان على المشرق ولا يزال يزداد ضوءها الى ان تطلع
يزداد ارتفاعها شيئا فشيئا الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحرارة الى العصر حين يصير ظل كل شيء
مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير زمان يطلب فيه ظل كل شيء مثليه ثم لا يزال الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم ينمحي حتى كان الشمس
لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يطلع عليها الا الله فهذا وجه الحكمة في تخصيص هذه الاوقات الخمسة بالعبادة وفيها اقوال ذكرها اللعبادة والاقبال
على المعبود الخضوع جدا ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقلقلهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى
اولى بالصبر على القتال والجد فيه منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصرة والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر
السميع البصير الذي يصح ان يرجى فضله وهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيها ترجى ولا شر منها يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين ومن الاحكام المذكورة كلها بانزال
الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم ومنه ان كفر الكافر لا يبيح المساهلة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه
بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات الى قوله ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾
ليس فيه من الرأي بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب لانه يقتضي ثلاثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد
المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد ومعناه بما علمك الله وسمى ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور
وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه وأما الرأي منا فهو ظن وتكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا
بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له واجيب بانه يكون حاله الامر كذلك لقوله فاتبعوه واجب كان العمل بالقياس عملا بالنص ايضا وكانه تعالى قال اذا غلب على
ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ﴿وَلَا
تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ اي لاجلهم ولاجل طعمة بني ظفر ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصما واصله من الخصم بالفتح والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى
قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه والا لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الروايات ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف فيه لانتظار الوحي فلعله امر
بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا ببراءة طعمة وبسرقة اليهودي
ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على مقصود قوم طعمة فالحالة بعد المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون
عن طعمة ثم قال ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وانما
خائن نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي
الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة لعموم الخيانة وطعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله
عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب ذلك ثم روي انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره
لا يشك في حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على انه من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله ﴿يَسْتَخْفُونَ
مِنَ النَّاسِ﴾ يستترون منهم حياء منهم وخوفا من ضررهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية
وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصي ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طعمة انه يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته وسمية
التدبير قولا وهو معنى في النفس قوله لبس منها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر
والله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب للبريء طعمة بعد ان بيته ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وقوله ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا

يذبّون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر مسلمون المعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يجادل عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا بالسوء غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل بما تخص به متعديا الى الغير باسم السوء لان
ايصال الضرر الى الغير سوء خاص بحال الذي يعود وباله الى فاعله مات ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا الا بالانسان الا يوصل الضرر الى نفسه ثم يستغفر الله
بالطلاق فانه غالبا التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان تجرد الاستغفار كاف [illegible] بعضهم ان الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار ولا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي لم يخف هذا الوابطل الا لزم الكلام عليه لانه لا يغفر للعبد فيتبع الاستغفار والايات
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه وبعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى به ذلك
المعنى ومنه ترغيب للعاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي يفعله انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن النفع والضرر ولا تيأس من قبول
التوبة وكان الله عليما حكيما يقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به بريئا جعل المذكور
او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين فلا جرم يجعل اللزم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة وبالرحمة لهمت طائفة منهم من بني
ظفر وطائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان و
شهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امرت الانبياء بالاحكام على الظواهر وهو وعد باذنه كعصمته
لهم ما يريدون في الاستقبال من نفاعة الباطل ثم اكد الوعيد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انه لما امرك بتبليغ الشريعة الى الخلق تكفل
بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلال لان وعلى الاول يكون المراد انه اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك
بناء الامر عليه فكيف [illegible] وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فيه معنيان احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما تنبيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا التأويل الصلوة
صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوبا بالعناية على الدوام فاذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء
والمنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا وليعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم
من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا بغير من معك نزلوا مقامات القربة فليكونوا اي هؤلاء القوم من ورائكم في المراتب
والمقام والمنازل بعد يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيا ويلحقوا بحكم القربة للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في التحقيق
فليصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو اداب الطريقة واسلحتهم وهي احكام الشريعة ود الذين كفروا هم اعداء النفس وصفاتها ايكان
[illegible] لو تغفلون عن اسلحتكم [illegible] الدنيا [illegible] حوائج الانسان يمطر عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة من الاركان [illegible]
[illegible] من التوجه الى الحق ومراعاة الاحوال وحفظا للقلب في حضوره مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله وغاية التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى الائمة النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم [illegible] كما كتبت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقوفا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انا فتحنا لك اي بابا من التقدم الى الحدوث ليغفر لك الله بما فيه [illegible] لكم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تأخر من ذنبك بان لا تكون
مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل سيئاتك وهي عدم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بعناء الرياضات والعبادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفس الدنية لا يجاوز
عن الدنيا المجاذبة الفانية بما اريك الله حين **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ**
اليك بلا واسطة ما اوحي اليك الكهى [illegible] — خوبی نیست در بسیاری از رازها مگر کسی که فرمود بصدقه یا نیکوئی کردن یا اصلاح کردن
بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
در میان مردم و هر که بکند اینرا خواسته رضای خدا پس زود باشد که دهیم او را مزدی بزرگ و هر که مخالفت کند رسول را از بعد

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ
آنچه ظاهر شد مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مؤمنان را باز گردانیم او را آنچه اختیار کرده و داخل کنیم او را در جهنم و بد جایگاهیست بدرستیکه خدا نیامرزد
أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
که شریک قرار داده شود و میامرزد آنچه را که غیر از اینست مر آنرا که خواهد و هر که شریک آورد بخدا پس بتحقیق که گمراه شده است گمراهی دوری نمیخوانند غیر از خدا
إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ
مگر مادهایی و نمیخوانند مگر شیطان اغواکار را دور گردانید او را خدا و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین را و هر آینه از راه برم ایشانرا
وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ
و در آرزو دارم ایشان را و بفرمایم ایشان را تا ببرند گوشهای چارپایان را و بفرمایم ایشانرا که تا تغییر دهند آفریدهای خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
خدا پس بتحقیق زیان کرده است زیان آشکارا وعده دهد ایشان را و بآرزو دارد ایشان را و وعده نمیدهد ایشان را دیو بجز از روی فریب آن گروه جای ایشان در
جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
جهنم است و نمییابند از جهنم نجاتی و آنانکه گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که در آریم ایشان را در بهشتها که روانست از زیر آنها
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ
جویها جاویدان در آن همیشه وعده ایست از خدا برقرار و کیست راستگوتر از خدا در گفتار نیست کار بآرزوی شما و نه بآرزوی اهل کتاب
مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ
هر که بکند بدی را جزا داده شود بآن و نیابد از برای خود غیر از خدا دوستی و نه یاوری را و هر که بکند از کردار شایسته از مرد
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ
یا زن و حال آنکه او مؤمن باشد پس آن گروه داخل شوند در بهشت و ستم کرده نشوند مقدار شکاف پشت هسته خرمائی و کیست نیکوتر در کیش از آنکه تسلیم کند خود را
لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
از برای خدا و او نیکوکار است و پیروی کرد ملت ابراهیم را که پاک است و فرا گرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا القراءة يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يؤده
و هست خدا بهر چیزی احاطه کننده يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد
الاخوين بالعكس ابراهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس ط عظيما ه جهنم ط مصيرا ه
لمن يشاء ط بعيدا ه اناثا ج لابتداء النفي مع واو العطف مريدا لا لان ما بعده وصف له لعنه الله م لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا لا للعطف خلق
الله ط مبينا ط كيلا يصير يعدهم وصفا للخسران ويمنيهم ط غرورا ه محيصا ه ابدا ط حقا ط قيلا ه الكتاب ط يجز به لا للعطف نصيرا ه حنيفا ط خليلا ه وما في الارض ط
محيطا ه التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى سر بين اثنين وكذا التناجي يقال نجوته نجوى اي ساررته
وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد
انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر في محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز ان يكون من في موضع
النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اذا رعى معناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس
وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد اي في قيام وعلى
هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير او من نجوى كما تقول لا خير في جماعة
من القوم الا زيد ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه بصدد الحكم كليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم
كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه تأنيسا للقلوب ليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطاء والنسيان وما
استكره عليه اعلم ان قول الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان
من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخير
ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر لكنها لا تقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر المراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال والمراد بقوله من امر
من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج انه طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره ما دله على صحة نبوة

مخالفة الرسول واظهر الخلاف وجاز على عقبيه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين سبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله والياً لما اختاره لنفسه ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ بآية السيف لا سيما في حق المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها وساءت مصيراً وانتصب مصيراً على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن آية في كتاب الله دالة على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الآية وتوجيه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول وترتيب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب ثم تكون الآية والرسول في الآية دلالة على وجوب عصمة النبي وعلى وجوب الاقتداء بافعاله والا فما الدرو فما الدرو الاوجب المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل فيلزم في الآية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى لتبيين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبيين الدليل فيكون تبيين الدليل معتبراً في صحة الدين وانه الموقوف على النظر هو معرفة وجود الواجب لذاته وصحة نبوة النبي والبواقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضاً دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتأكيد وقيل لقصة طعمة وارتداده وشركه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثاً اي اوثاناً وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى فاللات تأنيث الله والعزى تأنيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثاناً وقراءة ابن عباس الا أثناً جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتاً لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث تقول هذه الاحجار يعجبني كما تقول هذه المرأة يعجبني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطاناً مريداً بالغاً في العصيان مجرداً عن الطاعة يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم تنبت لحيته قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اي شيطاناً جامعاً بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع هو الاخبار عن الاتخاذ مؤكداً بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنة الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم اثبت اللعين اي كذا فعلت ما استحق به ومعنى نصيباً مفروضاً حظاً مقطوعاً واجباً فرضه لنفسه واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وتسمية الثياب التي يقطع لهن فريضة جعلهم لهن قطعة من المال وفرض الجند رزقه المقطوع المعين قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك قال اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال هو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والعصاة لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضاً الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولأضلنهم يعني عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسألة مضطرب جداً فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لأضلنهم لأغوينهم واخرى الى الجبر المحض كقوله بما اغويتني ولأمنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال وانحام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يقدم على التوبة والاقبال على الآخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكراً وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون آذان الانعام نسكاً في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب القسم اي والله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت واو الجمع لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والفاء للتسبيب لان الاذن يلازم ما قبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله ولآمرنهم ومثله فجاء الاعراب وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوي واما الحسي فمن الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي ان تغيير دين الله بتبديل الحرام حلالاً او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال الحسن المراد ما روى ابن مسعود عن النبي لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم فهو ان يغرز ظهر الكف بالابرة ثم يحشى بالكحل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الآذان وفقء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفاً عوروا عين فحلها وخصاء ابنائهم عند غاية العلل واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث وتشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فاسحق ابنهم داخل في الآية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق

الشمس والقمر مسخرين للناس ينتفعون بهما فغيّره فاصير واخلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان
فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش لان صاحب الاماني
يتشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة
الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الراى ضعيف العزم في طلب الآخرة لقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يزداد بدنه بعيدا ويكون اقبال الدنيا حتى يتغير طبعه
بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان فعل ما امره الشيطان به وترك ما امر الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا
اذ فاته اشرف المطالب بسبب اشتغاله باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول للتحقق انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي
على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه
وان طال العمر ونال المأمول على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى وكان الالف معه ادوم
وابقى كانت مفارقته الم وابكى واعم لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا
فرصة الحيوة الزائلة فلذلك قيل اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا وله معنيان احدهما الابد لهم من ورودها والثاني
التخليد بمعنى الدوام للكفار وطول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا معناه
التأبيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه ثم مضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا
فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيه
الفارغة والتنبيه على ان قول الله صدق فالقائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسما
لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التورية واهل الانجيل واهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب وقيل قال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان
بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الآيات وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان وامانيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد
ولا عقاب وان عذبوا لكنهم يصفون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين وامانيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني
اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل
اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
منه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل
ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد
الفساق ونفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن
بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤهم الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الآية قال
ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلعم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك اللأواء فهو ما تجزون به وعن عائشة ان رجلا قرأ هذه الآية فقال
انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلعم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا
وقلنا يا رسول الله صلعم ما ابقت هذه الآية لنا شيئا فقال صلعم ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع
في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الآخرة لكنه روي عن ابن عباس انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله صلعم وأينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء
فقال صلعم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية واحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات
فويل لمن غلب آحاده اعشاره وايضا المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل
الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بنحو قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة
والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان
كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال
ومن في قوله من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين
يغني عن ذكره عند الآخر والمسيء مستغن عن هذا القيد فمن المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب كان محتملا فازال ذلك

الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبين الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد لله تعالى
والاذعان بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص والبلوغ الاحسان بقوله وهو محسن وهو عائد
الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والتبري
من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الخلق الى ما يشبه
دين ابيه ابرهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان دينه الدعوة عن
الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم
من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه
في خلال قلبه ولما اطلع الله ابرهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس
وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته
الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله
فلما بلغ ابرهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
فلما كان ابرهيم منقادا لكل ما امر به ونهي عنه فكانه سايره ووافق اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل
اسباب النزول فعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبيد الله بن عبد الرحمن بن
ابزى دخل ابرهيم منزله فجاءه فرأى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابرهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابرهيم فقال له ملك الموت
ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابرهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب
الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة
فقال خليله لو كان ابرهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريده للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابرهيم فمروا ببطحاء
فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابرهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابرهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى تكون فامرت الخبازين
فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابرهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله
فيومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك
مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود
امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابرهيم
في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال
جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابرهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي قلت وقد ذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في تفسير سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالانوار
القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا لله ولا يسكن الا لله فهذا الشخص
يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله تعالى تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن على مثل
ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا فالمعنى انه لم يتخذ ابرهيم خليلا للحاجة اليه والاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان فهو مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا
تحت ملكه وملكوته ومن كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابرهيم اسلمت لرب العالمين
وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول
بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بجوده يدل على القدرة وبجامعيته من الاحكام
والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني قال بعضهم الاحاطة ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على ان لله ما في السموات والارض ملكا والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان فرض خارج السموات
والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه ابداعا التأويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر
بالخيرات وهو الله بالوحي والخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بان يتبع الهوى و
سبيل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله نسلمه الى جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك
به لو كان مغفورا لم يشرك بالله لانه فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات منهم نبيه لله تعالى

الشهوات يدعون الى الشيطان تاثيرها في الدنيا كما قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض ما تغير خلقهم الله له
للنار ولاضلنهم لكن بعد والله فانه ترك ولبس اليهم من الضلالة الرضى كما قال عليه السلام بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شئ وعد الله حقا وموفوا هؤلاء الى الجنة ليس
بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال اني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب
علماء السوء الذين يغرون العوام بالرجاء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس بالتمني تغنيهم من غيران يتعب في طلبه من جهة ان يتمنى نعمته
من يعمل سوءا يجز به في الحال باظهار الرين على مرآة قلبه كما قال عليه السلام اذا اذنب عبده ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا
يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى الى من قلب او نفس ومن احسن دينا يعني من محمد صلى الله عليه وسلم من اسلم وجهه
ووجهه وقلبه ونفسه شيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن اسلام نفسه يقول يوم القيمة امتي امتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن محققا من اهل
المشاهدة يعبد الله كانه يراه بل يراه ولا من احسن الذين خلقه العظيم الى ان بلغ حد الكمال الختم واتبع ملة ابرهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا
قيل لمجنون بن عامر ما اسمك قال ليلى وقيل لمحمد ما اسمك قال الحبيب كان محمد حبيبا اي فغيرا من الخليل الحاجة لانه انفرد بالكلية الى الله في كل احواله
والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين واتخذ نفسه عدوا لله وقال لبث ربه يتحمل بخلق محمد
وهذا مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك
الفناء وعلاجهم يقول بالرب عن الرب
و فتوی میخواهند

ع في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
در بارهٔ زنان بگو که خدا فتوی میدهد شما را در ایشان و آنچه خوانده میشود بر شما در قرآن در بارهٔ یتیمان از زنان آن زنانیکه نمیدهید ایشانرا آنچه واجب شد
لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
برای ایشان و رغبت میکنید که نکاح کنید ایشانرا و ناتوانان از اطفال و آنکه ایستاده باشید برای یتیمان بعدالت و آنچه بجای آرید از خیر
فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
پس براستی که خدا هست بآن دانا و اگر زنی بترسد از شوهرش عصیان بر وی یا روگردانیدن پس نیست گناهی بر ایشان که اصلاح شود در میان ایشان صلحی
والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا
و صلح بهتر است و حاضر کرده شده نفسها را بخل کردن و اگر نیکوئی کنید و پرهیزکنید پس براستی که خدا هست بآنچه میکنید با خبر و هرگز نتوانید
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا
که عدالت کنید در میان زنان و هرچند حریص باشید پس میل مکنید زیاده روگردانیدن پس واگذارید او را چون آنکه در میان زمین و آسمان و اگر صلح کنید و پرهیزکنید
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
پس براستی که خدا آمرزنده و مهربان و اگر از هم جدا شوند بی نیاز گرداند خدا هر یکی را از وسعت خود و میباشد خدا وسعت دهنده راستکردار
ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان
و مر خدای است هرچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بتحقیق وصیت کردیم آنهارا که داده شدند کتاب از پیش شما و شمارا که
اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله
بپرهیزید خدارا و اگر کافر شوید پس براستیکه مر خدای راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و میباشد خدا بی نیاز ستوده و مر خدای راست
ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است خدا کارگذاری اگر بخواهد ببرد شمارا ای زمرهٔ مردمان و بیاورد
بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
دیگرانرا و میباشد خدا بر این توانا هرکه بوده باشد که بخواهد بهرهٔ دنیا پس نزد خدای است بهرهٔ دنیا و آخرت
ع وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
و میباشد خدا شنونده بینا ای زمرهٔ آنهائی که ایمان آورده اید باشید ایستادگان بعدالت گواهان از برای خدا اگرچه بر نفس خودتان
او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان
یا پدر و مادر و خویشان اگر باشد مالدار یا فقیر پس خدا سزاوارتر است بهما پس متابعت نکنید خواهش که عدالت نکنید و اگر
تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
روبگردانید یا اعراض کنید پس براستیکه خدا هست بآنچه میکنید با خبر ای گروه آنهائیکه ایمان آورده اید ثابت شوید در ایمان بخدا و رسول و قرآن
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
که فرستاده شد بر پیغمبرش و کتابهائی که فرو فرستاده شد از پیش و هرکه کافر شود بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

واليوم

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا
و روز واپسین پس تحقیقکه گمراه شده است گمراهی دوری ۝ بدرستی که انهائی که ایمان آوردند بس کافر شدند بس ایمان آوردند بس کافر شدند بس افزودند در کفر

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
نیست خدا که بیامرزد انها را و نه انکه بنماید ایشان را راهی ۝ مژده ده منافقان را بانکه مر انهاراست عذابی دردناک ۝ انان که فرا گیرند

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ
کافران را دوستان از غیر مومنان ۝ ایا خواهش دارند در نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خدا راست همه ۝ و تحقیقکه فرستاده

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
بر شما در کتاب که اگر شنیدید که ایات خدا را کافر شوند بان و مسخره کنند بان پس منشینید با ایشان تا فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ
در حکایتی غیر ان بدرستیکه شما انگاه مانند ایشان باشید بدرستیکه خدا گرد اورنده منافقان و کافران در جهنم همه ۝ انان که انتظار کشند

بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ
بشما پس اگر بود مر شما را گشایشی از جانب خدا گویند که ایا نبودیم با شما و اگر بوده باشد مر کافران را بهره گویند که ایا نه دست یافتیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝
و منع میکردیم شما را از مومنان پس خدا حکم کند در میان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مومنان سلطی را

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلى وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان تشا حيث كان بغير همز الاعشى واوقية ورش
من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون كلاهما على فالم يسم فاعله من التنزيل والانزال فقد نزل مشددا مبنيا
عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف النساء ط يتيمهن للعطف اي الله والمتلو يفتيكم الولدان لا للعطف اي في يتامى النساء وفي المستضعف
وفي ان تقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح ط كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ط ان اتقوا الله وما في الارض ط حميدا وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والاخرة بصيرا
والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على
الذم المؤمنين جميعا غيره لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم لترجيح جانب
العطف وانمام بيان النفاق نصيب لا لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة ط سبيلا التفسير احسن الترتيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق والبعث على تعوق
التكاليف هو ما عليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الايات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء
طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي
قوي وكمل كانه قوى بيانه ما اشكل فشب وصار فتيا قويا والاستفتاء لايقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم
انهم كانوا لايورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انه في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لمن كانت اليتيمة
تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت ذميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه
احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر
في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
كما سلف في اول السورة جملة لانه الكتاب على هذا الحكم انشاء من الكتاب في ثانيهما وما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب
اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الاية وان المخل بها والمقتنص لها من رعاية حقوق اليتامى ظالم منتهك بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه
في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم المعظم لمعنى التعظيم انه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه
معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتي الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء
انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة
في يتامى النساء قال الكوفيون هذا اضافة الصفة الى الموصوف والاصل في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تاويل جرد قطيفة وسحق عمامة وجوز
بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت
في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الشهوة والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن
لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن
اذا بلغن وذلك ان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاؤا الى الرسول فقال قدامة

ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل

عاصم ... نزل وانزل

انا عمها ووصى ابيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر لانه لكن في الاية اكثر من كونه تقضية الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك
لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم وقيل يجوز
ان يكون وان تقوموا منصوبا اي ويأمركم ان تقوموا ومن جملة ما امر الله تعالى انه يفتيهم به في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت وتفاع امرأة
بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة لزعلها ووقوع المخوف كان يقول
الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه ونشوز الرجل
ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل غيرها فتقول امسكني
وتزوج بغيري انت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسمة او عن بعضها او عن المهر او عن النفقة
فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطي فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطي والصلح خير من الفرقة او من النشوز و
الاعراض واللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما
ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب يحصل المقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا تسيل
الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه شح بانه
بنقضي عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كما لا جناح
فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن و
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة الموجبة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا الخطاب
للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن
حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال لها ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع وكونه منتهم واذا لم تقدروا عليها
بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسيرها مبنى مذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا
كل الميل اي يرفع عنكم تمام العدل وغايته لكن اتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم ويحتمل ولن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم
ولا التسوية الكلية في نتائج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة
والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكلية او بالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان انما
هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة
كانت احب اليه وعنه من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يرزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه وسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا
من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال بعرض لهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف
او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض هو كالتفسير لسعة ملكه وحكمته وبيان ان الذي امرهم من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس لعجز او انتفاع واحتياج فان ذلك الى المكلف لانه الاحسن لهم في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغنائه
تعالى عن العبادة ليس بمختص بهذه الامة بل قد امر الامم السالفة كما امر هذه الامة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من
الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا او يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا
عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض هو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقي وتوكيدا للاستغناء عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم يعدمكم
ايها الناس ويأت باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك
يروى انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب الاخس الدني
مع انه اذا طلب الاشرف فعل الاخس فعند الله ثواب الدنيا والاخرة ليرى انه اراده ليحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا للاقوال المجاهدين الطالبين

بان اتقوا

كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه الدنيا

نعم

بصيرة بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على نحو ذلك ثم بيّن أن كمال سعادة الإنسان في أن يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن الجور مبالغين شهداء لله لوجهه ولأجل مرضاته كما أمرتم بإقامتها ولو كانت
الشهادة وبالاً على أنفسكم أو الوالدين والأقربين بأن يقول ما يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره وفي كلام الحكماء إذا كان الكذب ينجي فالصدق أنجى أما
الإقرار على نفسه كأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها وأن يقول أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي كذا وإنما قدم الأمر بالقيام بالقسط على
الأمر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لأن شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقاً للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات فالأول مقدم على الثاني وأما في حق العباد فالعدل معتبر على الشهادة فقدم الشرط
على المشروط ثم إن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا تكتموا الشهادة طلباً لرضى الغني أو ترحماً على الفقير فالله أولى بأمورهما ومصالحهما وكان حق
أن يقول فالله أولى به أي بأحدهما لأن أو للتخيير إلا أنه ثنى الضمير ليعود إلى الجنسين كأنه قيل فالله أولى بجنسي الفقير والغني أي بالأغنياء والفقراء فيراعي النظر لهما
وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم إلى النبي ﷺ غني وفقير وكان ميله إلى الفقير رأى أن الفقير لا يظلم
الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فأنزل الآية وقوله أن تعدلوا يحتمل أن يكون من العدل أو من العدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
أن تعدلوا بين الناس وإرادة أن تعدلوا عن الحق وأخشى الخوف هو أن يراد أن تركوا الهوى لأجل أن تعدلوا أي حتى تتصفوا بصفة العدالة لأن العدالة
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك أحد النقيضين فقد حصل له الآخر وإن تلووا ابن عامر وحمزة تلوا بواو واحدة من الولاية والمعنى
وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم أو وإن وليتم إقامة الشهادة أو تركتموها واعلم أن الإنسان
لا يكون قائماً بالقسط إلا إذا كان راسخ القدم في الإيمان فلهذا أردفه بما ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالأمر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوهاً الأول يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل أي دوموا على الإيمان واثبتوا الثاني يا أيها الذين آمنوا
تقليداً آمنوا استدلالاً الثالث يا أيها الذين آمنوا استدلالاً إجمالياً آمنوا استدلالاً تفصيلياً الرابع يا أيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بأن كنه الله وعظمته وكذلك أحوال الملائكة وأسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي إليها عقولكم الخامس قال الكلبي إن عبد الله بن سلام وأسداً
وأسيداً ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب قالوا يا رسول الله ﷺ إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فأنزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل إن المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والإنجيل
آمنوا بمحمد والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لأن طريق العلم بصدق النبي هو المعجزة وأنه حاصل في الكل وقيل الخطاب لليهود والنصارى
أو يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وهم المنافقون أو يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله وهم المشركون والمراد بالكتاب الذي أنزل من قبل
جنسه فإن قيل لم ذكر في مراتب الإيمان أموراً ثلاثة الإيمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر أموراً خمسة أجيب بأن الإيمان بالثلاثة يلزم الإيمان
بالملائكة وباليوم الآخر لكنه ربما ادعى الإنسان أنه يؤمن بالثلاثة ثم إنه ينكر الملائكة واليوم الآخر لتأويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائماً
نص على أن منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فإن قيل لم قدم في مراتب الإيمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الأمر فالجواب أن الكتب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق إلى الخلق وأما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب بوجه فالرسول الأول هو نبينا محمد ﷺ والرسل عام
فلما خص ذكره أولاً للتشريف جعل ذكره ثانياً الذكر لله لمزيد التشريف ليناسب أفضليته ثم لما رغب في الإيمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الإيمان فقال إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الإيمان مرات وأطواراً فإن القفال
وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وثباتهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفراً عند مقدم محمد ﷺ وقيل هم المنافقون أظهروا الإسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ثم ازدادوا كفراً بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من أهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الإيمان تارة والكفر أخرى على ما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم إنهم بالغوا في ذلك وازدادوا إلى حد الاستهزاء والسخرية بالإسلام وفي الآية دلالة على أنه قد يحصل الكفر بعد الإيمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي أن شرط صحة الإسلام أن يموت الشخص على الإسلام وقد يجيبون عن ذلك بأنا نحمل الإيمان على إظهار الإيمان وفيها أن الكفر يقبل التزايد
والنقصان فيجب أن يكون الإيمان كذلك لأنهما ضدان متنافيان فإذا قبل أحدهما التفاوت فكذا الآخر وكيفية ازدياد كفرهم من وجوه أحدها أنهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب ذنوب أصابوها حال كفرهم وعلى هذا فإصابة الطاعة وقت الإيمان تكون زيادة في الإيمان وثالثها استهزاؤهم بالدين أما قوله تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه اللام بعد نفي التأكيد فهل الأليق بالموضع أن اللائق به تأكيد النفي بأن نفي التأكيد إذا ذكر على سبيل التهكم أفاد تأكيد
النفي ثم أورد عليه أن الكفر قبل التوبة غير مغفور على الإطلاق فيضيع الشرائط المذكورة في الآية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح
النفي وأجيب بأن اللام في الذين للعهد والمراد بهم قوم علم الله منهم أنهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم إخبار عن موتهم
على الكفر أو اللام للاستغراق في صحيح الكلام على الغالب للعناد وهو أن من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإيمان في قلبه

دفع واحتشام فالظاهر من حال مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو اتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كان القائل
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع كانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اى الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة
الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحية الضرب ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون
اليهود اعتقادا منهم ان امر محمد لا يتم ويبتغون بموادتهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة تخييب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله يستتبع عزة الرسول
والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين جميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
فيستهزؤن به وبمن اظهرهم المسلمون ولا يقدرون على الانكار عليهم لظاهر قوتهم فنزل اذ ذاك واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ويجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى في هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني بالقران في سورة
الانعام ان اذا سمعتم ايات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم ايات الله حال كونها يكفر بها ويستهزأ بها وقال الكسائي المعنى
اذا سمعتم الكفر بايات الله ويستهزأ بها والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع
على الايات ممكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر وان ههنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل اى فانتم تكونون مثلهم وافرد مثلهم لانه في معنى المصدر نحو انؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر
المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة في دار
ضعف الاسلام ولم يرد فيه نهي ووعيد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت في قوة الاسلام بعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي
بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين المخوض معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزأ بها واذ جامع بالتنوين
لانه بعد ما جمعهم ولكن حذفنا التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم
القيامة ومثله قوله المرء مع من احب الذين يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يجدد لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم
مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين اى اليهود نصيب استيلاء ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ
الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب في الاية وجهان الاول الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك و
نمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فما توا اصبنا الثاني ان اولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في الاسلام ثم ان المنافقين نفروهم
واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويقوى امركم فالمراد الستا غلبناكم على رايكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى افضل الحكم فادفعوا
الينا نصيبا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تنبيه للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشان الكافرين وتوهين
لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حين ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دنيء ينقضي ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقاب
في الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه تعالى ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس المراد في الدنيا ولكن بالحجة اى حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وقيل
عام في الكل والشافعي بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدلالة هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له
ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله تعالى اعلم التاويل النفس للروح كالمرأة للزوج ويتامى النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما
وجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح
يشح بحقوق الله والنفس يشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل في رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان
يتفرقا اى الروح والنفس فالروح بجذبة يجذبه دع نفسك وتعال يغن الله من سعة عفو الله في عالم هويته ويستغني عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس
يجذبه عن الروح بجذبة ارجعي الى ربك الى سعة عفو الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا امنوا للايمان ثلث مراتب اما العوام
ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبي وايمان الخواص وهو انه اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته
خضع له جميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان الاخص وهو بعد دفع الحجب لانه حين افناه بصفة الجلال ابقاه بصفة الجمال فلم
يبق الاين وبقي العين وهذا ايمان عيني ان الذين امنوا اى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم
مشرقة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله في الازل غافرا لهم بنوره عند الرش ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان الازل
لا يخطئ بشر المنافقين اى بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار ولهذا اتخذوا الكافرين اولياء فان ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
ابتلاهم ههنا بنتيجة خداعهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون في بدرستيكه منافقان فريب دهند خدارا وحال آنکه او فريب دهنده است ايشان را
وَاِذَا قَامُوْا اِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوْا كُسَالٰى يُرَاءُوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ اِلَّا قَلِيْلًا مُّذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَا اِلٰى ع١٣

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون

اينان ونه بسوی انگروه وهر کرا گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی ای گروه آنان که گرویده اید فرا مگیرید کافران را دوستان از غیر

المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد

مؤمنان آیا میخواهید که قرار دهید از برای خدا بر شما تسلطی هویدا درستی که منافقان در طبقه پایین از آتش اند و نیابی

لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف

از برای آنها یاوری بجز آنها که توبه کردند و نیکوئی کردند و چنگ زدند بخدا و پاک کردند دین خود شان را از برای خدا پس آنها با مومنان شد و زود است

يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب

میدهد خدا گروندگان را مزدی بزرگ چه میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید و گرویده اید و میباشد خدا شکر پذیرنده دانا دوست ندارد

الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء

خدا اشکارا کردن گناه را از گفتار مگر آنکه ستمکرده و میباشد خدا شنونده دانا اگر ظاهر کنید نیکی را یا پنهان کنید او را یا درگذرید از بدی

فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون

پس بدرستی که خدا میباشد درگذرنده توانا بدرستی که آنها که کافر شوند بخدا و پیغمبرانش و میخواهند که جدائی اندازند در میان خدا و پیغمبرانش و گویند

نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا

میگرویم بپاره و کافر شویم بپاره و میخواهند که در پیش گیرند در این میانه راهی را آن گروه ایشانند کافران براستی و مهیا کردیم

للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم

از برای کافران عذابی خوار کننده و آنان که گرویدند بخدا و پیغمبرانش و جدائی نینداختند در میان هیچیک از آنها آن گروه زود است که بدهیم ایشان را

اجورهم وكان الله غفورا رحيما القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الاعشى البرجمي يؤتيهم بالياء حفص

مزدهاشان را و میباشد خدا آمرزنده مهربان وعباس البرجمي يؤتيهم بالنون لو توقفنا دعيهم لعطف المختلفين كسائي لانه تراءون منهم قليلا للوقف

بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاوجه انه حال اي يراءون مذبذبين بين ذلك ق ه وقد قيل على تقدير الابتداء اي لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والاوجه انه بيان المذبذب

اي لا منسوبين الى هؤلاء ولا هؤلاء ٥ التأنيث سبيلا ٥ من دون المؤمنين ط مبينا ٥ من النار لا لابتداء النفي مع العطف نصيرا للاستثناء مع المؤمنين ط عظيما وامنتم ط

عليما الجهر السوء الا من ظلم ط عليما قديرا ببعض للعطف سبيلا لا لان ما بعده خبر ان وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا وما يتلوه مستأنف حقا ج لاحتمال ما بعده

العطف والاستئناف مهينا اجورهم ط رحيما ٥ التفسير قال الزجاج اي يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك

انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا

الى الصراط انطفأ نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير المخادعة تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان ككسارى

في سكران اي يقومون متثاقلين متباطئين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك

انهم يستيقنون بها في الحال لا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراءون الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة

ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسان ذلك العمل وفاعل ههنا بمعنى فعل بالتشديد كقولك ناعمه ونعمه ولا يذكرون الله

اي ولا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس فعند وقت الصلوة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن

اعين الناس فان لم يجدوا منه مخرجا يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءة

والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في الندرة كما ترى من بعض المنها ونين بامور الدين لو صحبته اياما وليالي

لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويجوز ان يراد بالقلة العدم قال قتادة يريد ان الله لا يقبل صلوتهم لان

ما رده الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع

الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم

وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة والمعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة والدبة الطريقة ومعنى بين ذلك اي بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين

يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب هو ان الفعل يتوقف على الداعي فاذا كان الداعي

الى الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم واحوالها اسباب متغيرة لزم وقوع التغير في الميل والرغبة واذا تعارضت الدواعي والصوارف بقي الانسان

في الحيرة والتردد اما من كان مطلوبه في فعله اثبات الخيرات الباقية والكمالات المتعالية لشرف ذاتها لو جدانها ثم ان تلك المطالب مواظبة بريئة عن التغير والزوال

لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شأنه وهذا المعنى وصف اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب

يا ايتها النفس المطمئنة وقيل انه ثم ذمهم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز قلنا انما توجه الذم لانهم عدلوا

عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا اورد فيهم من الالفاظ ما اورد ومن قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اى لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهى للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم [illegible]
ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان تولى المنافق دليل النفاق ومن قوله ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار قالوا القعر الاخير من النار درك ودرك
ومع ذلك وصف بالاسفل والدركات للنار ومنازلها تقتضى درجات الجنة ومنه ان المنافق فى غاية البعد ونهاية الطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك
الاسفل اشد العذاب فلهذا لعن من قال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتج بهذا على اثبات الشفاعة فى حق الفساق من اهل
القبلة لانه تعالى ذكره فى معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفى الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم
التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب
المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل سريعا اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقى على هذه الطريقة ولم يتغير عنها
وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل هم المؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين
بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما ترجع على المكلفين
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفى من الغيظ او لدرك الثار او لطلب المنافع ولدفع
المضار وامثال هذه الامور فى حقه تعالى محال انما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن امتثل واطاع فكيف يليق
بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح فى انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفى ان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا صار التقدير ما يفعل الله بعذابكم
ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض فى مظاهر اللطف
والبعض فى مظاهر القهر ضرورى كما سبق وانتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضرورى بواسطة او بغير واسطة فيؤول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم
مظاهر اللطف وهذا كلام فى غاية التحقيق قال فى الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن به اقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر فى هذه الآية خلاف اكثر الآيات التى قدم الايمان
فيها على العمل الصالح لان الآية مسوقة فى غرض المنافقين لم يقع نزاع فى ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع فى بواطنهم واعمالهم التى تصدر منهم غير مطابقة وهو الاصل
للعقول واللسان فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرا عليما مثيبا على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا وفيه انه يجزى على العمل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط
ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا
للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجرى مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الآية يعنى انه لا يحب اظهار الفضائح الا فى حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم
ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وابتداء ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما سلف منه فى النفاق فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم
وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه بان عاد الى نفاقه قالت المعتزلة فى الآية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادته
وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل ولا يصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر
هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا والتبين واجب فى الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل
او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى الجاهر اى لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثانى فمعناه
لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بظلامته برفع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يجهر بظلم ظالمه وقال الاصم
لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة حذرا من الغيبة والوقيعة لكن من ظهر ظلمه بان يكون مشهورا وغصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد
ان ضيفا تضيف قوما فاساؤا قراه فاشتكاهم فنزلت الآية رخصة فى ان يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه كلام
منقطع عما قبله اى لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فليتق الله فلا
يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر
وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجانى مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفو
لمن عفا قدير على ايصال الثواب اليه وقال الكلبى معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفى الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا
ثم رد عليه فقام النبى ص فقال ابو بكر شتمنى وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين فى مذاهب اليهود والنصارى وابطالها فذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء
دون بعض فسلكهم فى سلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفى سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم
الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله فى الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد

الثلث

والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقران فامنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض واراد وان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اى واسطة اولئك اى الطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبيا وانكارهم يستلزم تكذيب الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجز ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح فى بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح فى كل نبى فقيل هب انه يلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس اذا توجه الالزام على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر غير التزام الكفر فالجواب انا لا الزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى نكر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد ابوك حقا اى اخبرتك بهذا المعنى اخبارا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدى فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق ههنا الكامل الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المومنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احدا فى سياق النفى يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد لا التاخر المجرد ولهذا قال سيبويه لن افعل نفى سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر وبلى ان المنافقين يخادعون الله فى الدنيا لا ان الله خادعهم فى الازل حين رش نوره وشاهدوه ثم اخطاهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتكم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اما بمقتضى دواعى البشرية من غير اختيار واو بابتلاء من اضطرار ويمكن لا يحب الله الجهر بالسوء من القول بافشاء سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او بكشف القناع من مكنونات الغيب مصونات غيب الغيب الا من ظلم بغلبات الاحوال وتعامثكوس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال بالتلسن البانى لا باللسان الفانى انا الحق وسبحانى ان تبدوا خيرا ما كوشفتم من لطائف الحق بتنبيه الخلق وافادة بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن الشوائب وغطائها على المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوا اليه هوى النفس الاماره او تتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سوا فان الله كان عفوا انكون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كرة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها بحيث يوخذ جزء منه فيجعل فى شئ اخر فهو عنه بخلاف الشمس والله تعالى اعلم

يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتٰبِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَئَلُوْا مُوْسٰٓى اَكْبَرَ

میخواهند از تو اهل کتاب که فرود آوری برایشان کتابی را از آسمان پس بدرستی که خواستند از موسی بزرگتر

مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوْٓا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ

بزرگتر از این پس گفتند که بنمای بما خدا را آشکارا پس گرفت ایشانرا صاعقه بستم ایشان پس گرفتند گوساله را از پس آن که آمد ایشانرا آیات

فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَاٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِيْثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ

پس درگذشتیم از این و دادیم ما موسی را پادشاهی هویدا و بالا گرفتیم در فوق ایشان کوه طور را بجهت پیمان ایشان و گفتیم بایشان که در آیید این در را

سُجَّدًا وَّقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا فِى السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ

سجده کنان و گفتیم مر ایشانرا که از حد مگذرید در ماهی گرفتن در روز شنبه و گرفتیم از ایشان پیمانی درشت پس بجهت شکستن ایشان پیمان خود را و کافر شدن

بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ۭ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ

بآیات خدا و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون سزاواری و گفتن ایشان که دلهای ما در پرده است بلکه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه کفرشان پس ایمان نیارند

اِلَّا قَلِيْلًا ۠ وَّبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًا وَّقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ

مگر کمی و بجهت کفرشان و گفتارشان بر مریم بهتانی بزرگ را و گفتارشان که ما کشتیم مسیح را که عیسی پسر مریمست پیغمبر

اللّٰهِ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۭ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ۭ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ

خدا و نکشتند او را و بدار نکشیدند او را و لکن مشتبه شد بایشان و بدرستی که آنها که اختلاف کردند در او هر آینه در شکاند از آن نیست ایشانرا بآن دانشی

اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا ۢ بَلْ رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا وَاِنْ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ

بجز پیروی کردن گمان و نکشتند او را در واقع بلکه بالا برد او را خدا بسوی خود و میباشد خدا غالب درستکردار و نیست از اهل کتاب

اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ ۚ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

مگر ایمان آورد باو پیش از مرگش و در روز قیامت میباشد برایشان گواه پس بجهت ظلم از آنها که یهود شدند حرام کردیم برایشان

طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا وَّاَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ

پاکیزهای آنچه که حلال بود مر ایشانرا و بجهت بازداشتن ایشان از راه خدا بسیاری را و گرفتن ایشان زیادتی را و حال آنکه بازداشته شدند از آن و خوردن ایشان مالهای مردم

بِالْبَاطِلِ ۭ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ

بباطل و مهیا کردیم از جهت کافران از ایشان عذابی دردناک لیکن استواران در علم از ایشان و مؤمنان که ایمان آرند بآنچه

اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ

فرود آمده بتو و آنچه فرود آمده پیش از تو و بر پا دارندگان نماز و دهندگان زکوه و گروندگان بخدا و روز واپسین

ع ۲

أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ۝ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم
آنگروه را زود دهیم ایشان را مزدی بزرگ بدرستی که وحی نمودیم بتو چنانکه وحی نمودیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی نمودیم بسوی ابراهیم
وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا
و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نوردگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا
و پیغمبرانی که حکایت کردیم ایشان را بر تو از پیش و پیغمبرانی که حکایت نکردیم ایشان را بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتگو کردنی پیغمبرانی
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله
مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد از برای مردم بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار لکن خدا
يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا
گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است بخدا گواهی بدرستی که آنانکه کافر شدند و بازداشتند
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دوری بدرستی که آنانکه کافر شدند و ستم کردند نمیباشد خدا که بیامرزد مر ایشان را و نه راه نماید مر ایشان را
طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون
راهی مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان العين أبو جعفر ونافع غير ورش وقرأ ورش

مفتوحة العين مشددة الدال بل طبع بالإدغام علي وهشام وأبو عمرو وحمزة بل طبع مظهرا وبابه الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة الباقون
بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف الباقون بالفتح الوقوف بظلمهم ج لأن ثم لترتيب الأخبار مع أن مراد الكلام محذوف عن ذلك ج لأن التقدير وقد
آتينا ميثاقا غليظا غلف ط قليلا ص للعطف عظيما لا لأن التقدير في قولهم رسول الله لأن ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم ط من الظن ج لاحتمال الاستئناف
والحال يقينا لا لتفسير نفي القتل بإثبات الرفع إليه ط حكيما قبل موته ج لأن الواو للاستئناف مع اتحاد المقصود شهيدا ج للآية ولأن قوله فبظلم راجع إلى قوله
فبما نقضهم وقوله متعلق بالكل حرمنا كثيرا لا بالباطل ط أليما واليوم الآخر ط عظيما من بعده ج للعطف مع تكرار الفعل وسليمان ج لأن التقدير وقد آتينا لتخصيص
داود بإيتاء الزبور زبورا ج لأن التقدير وقصصنا رسلا عليك ط تكليما ج لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل ط حكيما ط بعلمه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف
والحال يشهدون ط شهيدا بعيدا طريقا لا أبدا ط يسيرا التفسير هذا نوع ثان من جهالات اليهود فإنهم قالوا إن كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة
كما جاء موسى بالألواح وقيل اقترحوا أن ينزل عليهم كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا معاينة حين ينزل فإن استكبرت ما سألوا
فقد سألوا يعني سأل آباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة وإنما كان سؤال الرؤية أكبر من سؤال تنزيل الكتاب لأن
التنزيل أمر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فإنها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة أو ممتنعة في الدنيا عند غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه
أحدها أن البينات الصاعقة لأنها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للأجسام والأعراض وعلى صدق موسى في دعوى النبوة
وثانيها أنها إنزال الصاعقة وإحياؤهم بعد إماتتهم وثالثها أنها الآيات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها وفحوى الكلام أن هؤلاء يطلبون منك
يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم أنهم لا يطلبونه منك إلا عنادا ولجاجا فإن موسى قد أنزل عليه هذا الكتاب وأنزل عليه سائر المعجزات القاهرة
ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وأقبلوا على عبادة العجل وكل ذلك يدل على أنهم مجبولون على اللجاج والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حين لم نستأصل
عبدة العجل وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا وهو أنه أمرهم بقتل أنفسهم والمراد قوة أمره وكمال حاله وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي
أن هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فإنه بالآخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم وإصرارهم على أباطيلهم منها أنه تعالى رفع الطور
بميثاقهم أي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها قصة دخولهم الباب باب بيت المقدس ومنها قصة اعتدائهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه
القصص في سورة البقرة وقيل إن العدو ههنا ليس بمعنى الاعتداء وإنما هو بمعنى الحضر المراد به النهي عن العمل والكسب يوم السبت كأنه قيل لهم اسكنوا عن
العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم فأما الوارد فيهم قال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي العهد المؤكد غاية التوكيد وعلى أن يتمسكوا بالتوراة ويعملوا
بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد أي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا أوعية للعلم وتنبيها على أنه تعالى ختم عليها فلا يصل
إليها أثر الدعوة والبيان إليها أو تكذيبا لادعائهم أن قلوبنا في أكنة وذلك بحسب تفسير الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا
وهو إيمانهم بموسى والتوراة على زعمهم وإلا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الأنبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما فإن إنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب كذا إنكارهم نبوة عيسى كفر ثم نسبتهم مريم بهتان عظيم لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من
الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم

الذي أرسل إليكم لمجنون أو أنه تعالى جعل الذكر الحسن مكان العيب الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر ابن الساحر والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم أي المقتول لهم لدلالة ذكر القتل والصلب على المقتول ويكون شبه مسندا إلى الجار والمجرور وهو لهم أي وقع لهم التشبيه ولا يجوز أن يكون
في شبه ضمير المسيح لأنه المشبه به وليس بمشبه قال أكثر المتكلمين إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله إلى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين
عوامهم فأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة مع الناس
وقيل إن اليهود لما علموا أنه في البيت الفلاني مع حوارييه أمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه أخرج الله عيسى من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا أنه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى
رجلا يحرسه وصعد عيسى في الجبل ورفع إلى السماء وألقى الله الشبه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست عيسى وقيل إن رهطا من اليهود سبوه
وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود
على قتله فلما هموا بأخذه وكان معه عشرة من أصحابه قال لهم من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم أنا فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى وكان منافقا فذهب إلى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله شبهه عليه
فقتل وصلب وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل إن المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه ونظروا إلى بدنه قالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا
وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقيل إن المختلفين هم النصارى وذلك أنهم بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء أن القتل والموت يرد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين أن نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الأرواح فلم يعظم
تألمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل والصلب وصل إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل
والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك في الأحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق على الظن ولهذا ذم في قوله
ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وأما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لأنه عمل بالطرف الراجح ولأن العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال وما
قتلوه يقينا وأنه يحتمل عوده إلى القتل أي قتلا يقينا أي متيقنين واليقين عقد جازم مطابق ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على أن يقينا
تأكيد لقوله وما قتلوه أي حقا انتفاء قتله حقا وهذا أولى لقوله بل رفعه الله إليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما إذا بالغت فيه علمه فيكون تهكما بهم لأنه
نفى عنهم العلم أولا نفيا كليا ثم نبه بقوله وكان الله عزيزا حكيما على أن رفع عيسى إلى السماء بالنسبة إلى قدرته سهل وأن فيه من الحكم والفوائد ما لا يحصيها
إلا هو ثم قال وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته فقوله ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف وإن هي النافية والمعنى
وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والضمير في به عائد إلى عيسى وفي موته إلى الأحد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما
قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي ويقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن
الله فيؤمن بأنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت
الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية أو من معدنها وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذا الإخبار الوعيد والإلزام
للحجة والبعث على معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع لأنه إذا لم يكن بد من الإيمان به فلأن يؤمنوا به حال التكليف ليقع معتدا به أولى وقيل الضميران
في به وفي موته لعيسى فالمراد بأهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم و
يلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي أن يكون هذا عند انقطاع التكاليف
أو بحيث لا يعرف إذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف أنه عيسى فإما أن يكون نبيا ولا نبي بعد محمد أو غير نبي وعزل الأنبياء لا يجوز وأجيب بأنه كان
نبيا إلى مبعث محمد وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد أن يصير بعد نزوله تبعا لمحمد قال في الكشاف ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل
الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى
الله تعالى وقيل إلى محمد ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وكذا كل نبي شاهد على أمته
فبظلم التنوين للتعظيم يعني بأي ظلم من الذين هادوا فإن الذنوب نوعان الظلم على الخلق وهو قوله فبظلم والإعراض عن دين الحق وهو قوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا أي ناسا كثيرا أو صدا كثيرا ومن هذا القبيل أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل أي بالرشى على الحكم فهذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآية وأما في الآخرة فقوله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما واعلم أن في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الأول أنه

محذوف والتقدير فبنقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لعنّاهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوف بعد الثاني اي متعلق
الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قاله الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة
فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظايم قلت لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرار الكفر في الآيات ثلث مرات ولزوم
عطف الثالث على الاول وعلى الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض وعطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم
بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم كذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحقين منهم
فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وتثبت واتقن واستبصر حتى جعله المقاف بالاستدلال واليقين دون
التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين و
الانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره واما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال الاول روي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمها
العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد فعلى هذا الخبر اعني المقيمين
الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو
قوله اولئك الى آخره منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين
خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة وقال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة و
الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء بأحكام الله فقط وهم العلماء بالشرائع والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة والجائزة وبحال
المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل ثم هم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله جالس العلماء وخالط
الحكماء ورافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا
اليك الآية فبدأ بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من
غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التورية دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله
وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود دفعة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود وكل جملة واحدة من قرأ بضم الزاي
فعلى انه جمع زبر وهو الكتاب كقدر وقدور ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء
في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب لما انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بشرف التكليم معه لم يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود
من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب فقد يكون انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا نزل جملة
كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه
اما هينا في القدرة وكل حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع
لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجاب المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون
على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكاليف وتعليم الشرائع المعتزلة قالوا في الآية دلالة
على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض بايقم قالوا الآية
تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد اجيب بانه يشبه الحجة وليس بحجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك
لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا
القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك
بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك
ثم قرر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل
اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيفه ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم
لا يسبقونه بالقول فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اراه وكفى
بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن
دفعة كما نزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لانه عاد

الضلال ان يضم معنى الاضلال الى ان الذين كفروا وظلموا محمدا ص بكتمان بعثته وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون
الا الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل فيها الذين مغنى لا يهديهم اي يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين وكان ذلك على الله
يسيرا لانه لا مانع عنه ولا يتعذر عليه شيئا الا انه شيئا بعد شيء الى عبر النهاية واللام في الذين اما للقوم معهود من علم الله منهم انهم يموتون على
الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضم شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة
في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة الخ وبل ارنا الله جهرة لعل صيرته موسى بلن تراني كانت بشوم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادب بهذا السؤال لانه لا
مطمعوا في مطلوب لم يعط نبيهم مثل انقطوا بحال نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور
فوقهم وغير ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لهم لا زواجهم الطيبين قبل التلوث بقذر المخالفات والاسراف
في المباحات يستتبع حرمان المناجاة والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا معادن العلوم فانفتق
علومهم الكسبية بالعلوم العطائية والله نبيه لنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اي كل ما اوحينا اليك من سر وحي الى عبده
ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك لا ان في القرآن مفصلا انزله بعلمه تجلى بصفة العالمية حتى
علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معه في الخلوة وكفى يا ايها الناس قد جاءكم
بالله شهيدا على ما جرى فيه كان ما كان سر الا يوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر — ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را
الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما
پیغمبر براستی از پروردگار شما پس بگروید که بهتر است برای شما و اگر کافر شوید پس براستی که مر خدای راست آنچه در آسمانها و زمین است و هست خدا دانا
حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
حکیم و درستکار ای اهل کتاب غلو مکنید در دین خود و مگوئید بر خدا مگر راستی را جز این نیست که مسیح عیسی پسر
مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم
مریم فرستاده خداست و کلمه اوست که افکند آن را بسوی مریم و بادی است از قبل او پس بگروید بخدا و رسول او و مگوئید که خدا سه است کوتاه باز ایستید که بهتر است
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
جز این نیست که خدا خدائی است یگانه منزه است او از اینکه بوده باشد مر او را فرزندی مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است بخدا کارگزاری
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ع
سر نپیچد هرگز مسیح از اینکه بوده باشد بنده از برای خدا و نه فرشتگان مقرب و هر که سر پیچد از بندگی او و تکبر کند در عبادت
فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
پس زود است که گرد آورد ایشان را بسوی خود همه پس اما آنها که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد آنها را مزدهاشان را و بیفزاید ایشان را از فضل خود
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
واما آنان که سر پیچیدند از عبادت و برتری کردند پس عذاب کند ایشان را عذابی دردناک و نیابند از برای خود از غیر خدا دوستی و نه یاوری
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا
ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را دلیلی از پروردگار شما و فرستادیم بسوی شما نوری تابنده پس اما آنانی که گرویدند بخدا و چنگ زدند
به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم
به وی پس زود است که در آورد ایشان را در رحمت خود و زیادتی و راه دهد ایشان را بسوی خود راهی راست — فتوی می‌پرسند از تو بگو که خدا فتوی دهد شما را
في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
در باب کلاله اگر مردی مرد و نباشد مر او را فرزندی و مر او را خواهری باشد پس مر او راست نصف آنچه نهاد و او وارث برد از آن خواهر اگر نباشد
لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
مر او را فرزندی پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ایشان راست دو ثلث از آنچه نهاده و اگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس از برای مرد است مانند
حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم القراءة فسنحشرهم بالنون المفضل الباقون بالياء
نصیب دو زن ظاهر می‌سازد خدا از برای شما که گمراه نشوید و خدا بهر چیزی داناست — الوقوف خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته ثلثة
مع اتحاد المقصود وروح منه لعطف المختلفين ولكن فالتعقيب يوجب تعجيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خيرا لكم اله واحد ولد لان المنفي مطلق
الولد ونوعا خاصا او هم ان المنفي ولد موصوف بان له ما في السموات وما في الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف
مستقيما يستفتونك الكلالة لا ترك لان ما بعده مبتدأ ولكن الكلام متحد البيان لها ولد لان جملة الشرط معطوف على قوله فلها نصف ما ترك ولها غاير معنا

ترك لابتداء حكم جامع للصنفين لانتبيين ان تضلوا عليهم التفسير لما بين فساد طريقة اليهود واجاب عن شبهتهم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اي بالقرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله تعالى والاعراض عن غيره وهو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فآمنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فالمعنى اقصدوا وأتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب على خبر يكن اي يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان لله غني عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لان الكل تحت
قهره وتسخيره او لم عبيدا خو بعيد ونه غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسن ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح الى ان عبدوه الها لا تبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي يجوز ان
يوصف به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن انسان والاتخاذ بزوجة واتخاذه لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه طاهر لطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله
بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كمالها كما سمي القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه ولا شك ان وجود النبي رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبريل
كان بامر الله تعالى فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فآمنوا بالله ورسله
اي آمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلاثة هي خبر مبتدأ محذوف اي الله ثلاثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد له ثلاثة اقانيم
ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الالهة ثلاثة ان كان في اعتقادهم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن لعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها ولهذا لزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمان قدماء انتهوا عن التثليث وانتهوا
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به شيء
اتصال الابناء بالآباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات وحفظ
المحدثات فلا حاجة معه الى القول باتباع الاخر مستقل او مشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
والتحقيق ان الشبهة التي عليها يعولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات وياتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبوديته الله تعالى فان الملائكة المقربين على ما لامنه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش
مع عظمته ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويأنف والتركيب يدل على التنحية والازالة
من ذلك نكفت الدمع انكفه اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت عن الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بالآية وقد تقدم الآية
بها والجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير في يكون او في عبدا بمعنى الوصفية فيكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف
ان يعبد الله هو والملائكة في المعنيين انحراف عن الغرض فالاول والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عبادا او خلق
لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه اي يجمعهم يوم القيامة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما فعل بهم
بل ذكر او لا ثواب المؤمنين المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد جاء في الكشاف بان هذا كقولك
جمع الامام الخوارج من لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به او قدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب
بالحسرة اذا راى اجور العاملين وسيعذب مع ذلك بما يصيبهم من العذاب اقول لو جعل الضمير في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس حكما لم يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز في القرآن كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها
الناس قد جاءكم برهان الآية فيحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال
الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين آمنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او لجاؤا اليه فان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل اللذات الحسية التي تنسحب بالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدأها به وهو احكام المواريث فقال يستفتونك

الآية قال أهل العلم إن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة والأخرى في الصيف وهي هذه ولهذا تسمى آية الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع أخوات فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلثين قال أحسن فقلت الشطر قال أحسن ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر إني لا أراك ميتاً من وجعك هذا وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك وجعل لأخواتك الثلثين وقد روي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختاً فكم آخذ من ميراثها إن ماتت فنزلت هذه وقد تقدم أن الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا ولد له ولا والد إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم أن ظاهر الآية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلاثة الأول أن الولد مطلق والمراد به الابن لأنه هو الذي يسقط الأخت أما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بنت وبنت ابن وأخت بأن للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للأخت فعلى هذا فلو خلف بنتاً وأختاً فللبنت النصف والباقي للأخت بالعصوبة الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن الأخت تأخذ النصف وليس كذلك على الإطلاق بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد لأن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع الثالث قوله وله أخت المراد الأخت من الأب والأم أو من الأب لأن الأخت من الأم والأخ من الأم ذكر حكمهما في أول السورة بالإجماع ثم قال وهو يرثها أي وأخوها يرثها ويستغرق مالها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن كما قلنا لأن الابن يسقط الأخ دون البنت وأيضاً إن هذا في الأخ من الأبوين أو من الأب أما الأخ من الأم فإنه لا يستغرق الميراث وأيضاً المراد إن لم يكن لها ولد ولا والد لأن الأب أيضاً مسقط للأخ لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ ثم قال وإن كانتا اثنتين يعني من يرث بالأخوة اثنتين فأنث وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت أمك وكذا الكلام في قوله وإن كانوا إخوة وأراد بالإخوة والأخوات لكنه غلب جانب الذكورة وروي أن الصديق قال في خطبته ألا إن الآية التي أنزل الله في سورة النساء في الفرائض أولاها في الولد والوالد ثانيتها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والتي ختم بها السورة في الإخوة والأخوات من الأب والأم والتي ختم بها الأنفال في أولي الأرحام يبين الله لكم أن تضلوا قال البصريون المضاف محذوف أي كراهة أن تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا أنها ضلالة فتجتنبوها والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقاً وتعريفه صدقاً ختم السورة ببيان كمال العلم كما أنه ابتدأها بكمال القدرة فبهما يتم الإلهية ويحصل الترهيب والترغيب للعاصي والمطيع الله المستعان النا(س) وبل ... وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض يعني إن تؤمنوا يكون لكم ما له وإن تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم لا تميلوا إلى طرفي التفريط والإفراط فإن اليهود فرطوا في شأنه فلم يؤمنوا بنبوته وهموا بقتله والنصارى أفرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكل كذلك أمته سبحانه يشيع قوم بترك احترامه وطلب الزيادة في إعظامه حتى يتنفذ منه ما ليس يرضى به كالخوارج والغلاة من الشيعة وهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وروح منه لأنه يكون بأمر كن من غير واسطة أب كما أن الروح يكون كذلك قل الروح من أمر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الأجساد الميتة بنفخ فيها وهذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الإنسان فمن يخلص جوهره وروحانيته من ... شبه فيه في الإنسان فيكون عيسوي ... فيحيي الله به بأنفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذاناً صماً وعيوناً عمياً ويكون في قومه كالنبي في أمته ولا تقولوا ثلاثة يعني نفوسكم والرسول والله بل انتهوا وانظروا الوحدة عن رؤية الثلاثة ينكشف لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد هذا أنه شيء له الوجود الحقيقي القائم أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً كل شيء هالك إلا وجهه وكفى بالله وكيلاً لكل هالك لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله لأن العبدية وهي حقيقة الإمكان الذاتي واجبة له ولهذا نطق في المهد بقوله إني عبد الله ولا الملائكة المقربون إنما ذكرهم لأن بعض الكفار كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان جعل نفس النبي برهاناً لأنه برهان بالكلية وبرهان غيره كان في أشياء غير أنفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه فمن ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهان أنفه إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان بصاقه بصق في العجين في البرمة فأكلوا من ذلك وهم ألف حتى تركوه والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز وبرهان تفله تفل في عين علي كرم الله وجهه وهي ترمد فبرئ بإذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت إذ رميت وسبح الحصى في يده وبرهان أصبعه أشار بها إلى القمر فانشق فلقتين وقد جرى الماء من بين أصابعه حتى شرب ورفع منه خلق كثير وبرهان صدره وكان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل ألم نشرح لك صدرك وبرهان قلبه تنام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الأمين على قلبك وبرهان كله سبحان الذي أسرى بعبده اللهم ارزقنا الاقتباس من هذا البرهان والاقتباس من أنوار القرآن إنك أنت الوهاب المنان

قد تم المجلد الثاني المشتمل على ثمن الربع الثاني من التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان

الحمد لله على التوفيق والصلاة والسلام على محمد وآله. كتب المصنف في نسخة علقها المولى الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ببلاد الهند في دار مملكتها الدهلي مدينة دولت آباد في أوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة